

جميع حقوق الطبع والتأليف محفوظة

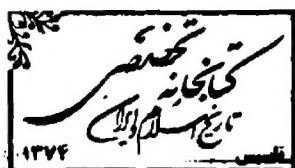
© مركز النشر الجامعي، 2004

ص.ب 255 - تونس . ر.أ.ب. 1000 .

الهاتف : 71 674 000 (216) الفاكس : 71 671 677 (216)

الإدب لبونيس في العهد الحفصى

(625~981 هـ / 1227~1574 م)



جمع وتحقيق
الدكتور أحمد الطويلي

شبكة كتب الشيعة



مركز النشر الجامعي

2004

shiabooks.net

رابطہ پیدل < nktba.net

سنة الله العظمى

ابتدأ العهد الحفصي من سنة 625 هـ وهي سنة دخول أبي زكرياء الحفصي لتونس و بعد وفاته سنة 647 هـ خلفه ابنه المستنصر بالله وسرعان ما أعلن نفسه خليفة و أميراً للمؤمنين. و قدمت البيعة له من مكة والشام و الأندلس. و قد استقطبت تونس الخلافة الموحدية و اعتبرت نفسها وريثة لدعوة المهدي و عبد المؤمن بن علي بعد تدهور الحكم في المغرب الأقصى، بل استقطبت تونس الخلافة الإسلامية بعد تساقط المدن الأندلسية الإسلامية الواحدة بعد الأخرى تحت حكم النصارى و سقوط الخلافة العباسية ببغداد إثر هجوم التتر عليها و قتل الخليفة العباسي سنة 656 هـ.

ويعتبر العهد الحفصي فترة ازدهار حضاري و أدبي و فكري كبير له مميزاته و خصوصياته من حيث العمران و الأدب و الفكر. وهي مميزات و خصوصيات ستستمر طيلة العهد الحفصي خاصة في عهد السلطان إبراهيم بن أبي بكر الحفصي المتولي الحكم سنة 751 هـ و الذي انتدب عبد الرحمان بن خلدون كاتباً له في ديوان الإنشاء على صغر سنه، ثم في عهود أبي العباس أحمد الذي أهدى إليه ابن خلدون كتاب "العبر"، و عهد أبي فارس عزوز، و عهد أبي عمرو عثمان الذي حكم طويلاً و تميز عهده و عهد أبي العباس أحمد بوفرة الأدباء و المؤرخين و الفقهاء، و ينتهي العهد

الحفصي سنة 981 هـ باحتلال الأسبان لتونس. فيكون العهد الحفصي قد دام 356 سنة أي أكثر من ثلاثة قرون و نصف قرن.

لقد عاش في هذا العهد بتونس أدباء علماء أثروا في الأدب العربي و ترجمت آثار بعضهم إلى لغات أجنبية، و حصل بعض منهم على شهرة عالمية، مثل أحمد التيفاشي صاحب " نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب " و "أزهار الأفكار في جواهر الأحجار" و كلاهما طبع و ترجم إلى لغات عديدة، و كذلك القاضي النفزاوي صاحب " الروض العاطر في نزهة الخاطر"، و نذكر أحمد الغساني الشاعر الكبير و محمد بن شباط صاحب تقسيم المياه بالجريد و مؤلف كتاب "صلة السمط و سمة المرط" و محمد بن أبي تميم الشاعر الكبير أيضا و عبد الرحمان بن الدباغ صاحب كتاب "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" و كتاب "مشارك أنوار القلوب و فاتح أسرار الغيوب" في العشق الإلهي، كما نذكر عبد الرحمان بن خلدون صاحب المقدمة و أحمد الخلوف صاحب الدواوين في مختلف الأغراض.

إلى جانب هؤلاء نذكر الأدباء الأندلسيين الذين أقاموا بتونس طويلا و أنتجوا فيها روائعهم، نذكر منهم حازم القرطاجني صاحب كتاب "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" الذي درسه في جامع الزيتونة، و محمد بن الأبار صاحب "الحلة السيرة في أشعار الأمراء"، بدأه بأشعار أبي زكرياء الحفصي وثناها بأشعار الأغلبية، و كذلك "إعتاب الكتاب" الذي ألفه للمستنصر بالله ملتصقا منه العفو عن زلة اقترفها. و نذكر ابن سعيد صاحب كتب تحدث فيها عن المجالس الأدبية بتونس و ترجم فيها لبعض أدبائها من أصدقائه ومسامريه، من هذه الكتب نذكر " القدح المعلى في التاريخ المحلي "

و " رايات المبرزين وغايات المميزين " و " المقتطف من أزهار الظرف ". ونذكر من الأدباء الأندلسيين المقيمين بتونس أيضا أبا المطرف بن عميرة ومحمد بن أبي الحسين و أبا بكر بن حبيش و أحمد بن الغماز .

و نلمس في الأدب بتونس في العهد الحفصي اتجاهات ثلاثة، يتمثل الاتجاه الأول في الاعتداد بالنفس و الافتخار و التعالي و الشعور بالمجد وتصوير الأبهة في المظاهر العمرانية و المعمارية و الحضارية الجديدة في العاصمة التونسية .

أما الاتجاه الثاني فهو يتعلق بالدعوة إلى التمتع بالحياة و بروز نزعة أبيقورية عند الكثير من الأدباء كشفت عنها الأشعار و التراجم و كتب التاريخ و المؤلفات النثرية .

وأخيرا يتعلق الاتجاه الثالث بالبحث عن الحقيقة العلمية في الأدب والفنون من جهة، و عن الحقيقة الاشرافية في الالتحام بالذات الإلهية وتصوير وحدة الوجود من جهة أخرى .

و لقد أصبحت تونس خلال العهد الحفصي مركزا نشيطا من مراكز الأدب، و حفلت فيها الحياة الفكرية و الأدبية بتأليف مهمة اتسمت بطابع الخلود، و بإنتاج شعري و نثري مهم. و قد وصل الكثير من الآثار الشعرية إلى القمة الفنية في الأداء و الأغراض خاصة عند شعراء أمثال ابن الأبار وحازم القرطاجني و أحمد الغساني و ابن القوبع و ابن الخلف و أبي الفتح بن عبد السلام، فكل هؤلاء و غيرهم تميزوا بطريقتهم الشخصية في التعبير

عن أغراضهم الفنية، وكل منهم صار نموذجاً لطريقة فنية خاصة بالأدب.

وهذه مدونة لواحد و خمسين شاعراً و أدبياً. حاولنا أن نستقصي النصوص و أن نجمع شعرهم و نقدم نماذج من نثرهم إن كانت، و اكتفينا لمن نشرت لهم دواوين و هم حازم القرطاجني و ابن الأبار و أحمد الخلوف أن نقصر على عينات من قصائدهم، و قد تميزوا غالباً برتبتهم العالية في البلاغة و البيان و ترصيف الكلام، وجلهم أصيلو إفريقية، و بعضهم نزح إلى تونس في صدر الدولة الحفصية واختار الإقامة بالحاضرة طيلة سنوات عديدة، و اضطلع فيها بدور أدبي و علمي نشيط.

و تدل هذه النصوص على ما بلغت إليه الحياة الأدبية في تونس الحفصية من ازدهار و تآلق و إشعاع كبير صارت بها من أهم مراكز الأدب العربي مشرقاً و مغرباً. و قد وصفنا في كتابنا "الحياة الأدبية في تونس في العهد الحفصي" مظاهر هذه الحركة و هذا الازدهار الأدبي. و قد بوبنا هؤلاء الأدباء وفق وفياتهم، و بوبنا النصوص حسب القوافي. أما النصوص النثرية فتلي الشعر، و أوجزنا تراجم أصحابها، و نحيل للتوسع إلى كتابنا المذكور و ما يحتويه من قوائم ببليوغرافية عريضة تخص حياة كل أديب منهم. و قد ذكرنا مواضع هذه النصوص من الدواوين أو بعض المصادر الأخرى ليرجع إليها من شاء، و وضعنا عناوين لها ليسهل الرجوع إليها.

عبد الرحمن الأوصولي

(ت. بعد 639 هـ)

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم الأوصولي، من شعراء أبي
زكرياء الحفصي وصاحب كتاب "تبكيك الناقد" في الأدب والنقد دفاعاً عن ابن
الابَّار ومناصرة له حين أنشد السَّيْنِيَّةَ أمام السلطان. كان يؤازر أبا زكرياء
بشعره في غزواته ويتغنَّى فيه بانتصاراته الحربية.

فطام

قال يمدح أبا زكرياء الحفصي ويذكر ثورة ابن أبي يعقوب الذي سَمَّى نفسه بالإمام الفاطمي وقد انتصر أبو زكرياء عليه:

(الطويل)

لَقَدْ عَجَّلْتَ لِلْفَاطِمِيِّ فِطَامَهُ	وَمَا سَوَّغْتَ دَرَهَا الْبَيْضُ وَالسَّمُرُ
رَجَا رَفْعَةَ فَاعْتَاضَ مِنْهَا بِمَنْصِبٍ	نَمَاهُ بِهِ لِلجِدْعِ مَنَصِبِكَ الْحُرُ
يَرَى شَرَفَاتِ السُّورِ قَدْ قُمْنَ حَوْلَهُ	يَصْحَنَ لِأَمْرِ مِنْهُ أَكْذِبُهُ الْأَمْرُ
ضَحَى فُلْحَرَ الشَّمْسِ لَعَجُ إِهَابِهِ	وَالرَّيْحَ لَا لِلرُّوحِ فِي جِسْمِهِ كَرُ
وَكَمْ رَامَ تَشْيِيدَ الْقُصُورِ فَحَلَّهَا	وَأَعْظَمَ مَا يَرْجُوهُ لَوْ أُسْعِفَ الْقَبْرُ
أَتَى رَهْبَةً لَمَّا دَعَوَتْ إِجَابَةً	فَجَرَدَهُ مِنْ ثَوْبِ نَعْمَتِكَ الْكُفْرُ
وَجَاعَكَ مِنْهُ بَعْضُهُ مَتَمَصِّلاً	وَخَلَّفَ بَعْضُ حَيْثُ لَا جَادَهُ قَطْرُ
يَنَاجِي أَخَاهُ لَا بِقَوْلِ يَبْنُئِهِ	وَهِيَهَاتَ عَزَّ السَّرَّ فَخَوَاهُ وَالْجَهْرُ
تَبَرَّأَ مِنْهُ وَانْتَحَاكَ لِسَانُهُ	فَلَوْ رَامَ نُطْقًا لَمْ يَرْمِهِ لَكَ الشُّكْرُ
فَدُونِكَ يَا يَعْقُوبَ عُقْبَى مَنَافِقٍ	إِلَى النَّارِ عُقْبَاهَا إِذَا ضَمَّكَ الْحَشْرُ

المصدر: رحلة التجاني: ص 269 - 270، وعنوان الأريب ج 1 - ص 67

هناك بن جابر

(ت حوالي سنة 645 هـ)

عنان بن جابر بن جامع المرداسي من بني سليم زعيم قبيلة مرداس وشاعرها الفحل، ثار على أبي زكرياء الحفصي ورحل مع قومه الى المغرب الأوسط فكاتبه صديقه وزير أبي زكرياء الشاعر ابن أبي الحسين بقصيدة يحاول فيها ارجاعه الى طاعة الأمير أبي زكرياء لكن لم يقتنع وواصل ثورته. توفي بسلا في المغرب الأقصى وكان ينوي حثّ الأمراء الموحدين بالمغرب على غزو تونس.

وفي الأرض أوطان

كتب مجيباً محمد بن أبي الحسين على قصيدته التي حثَّ فيها على الرجوع إلى الطاعة ويذكره فيها بالماضي:

(الطويل)

خليلي عوجاً بين سَلْعٍ وحاجرٍ	بعوجٍ ^(١) عتاجيج نواجٍ ضوامر
قلاصٍ خماصٍ شازباتٍ عرامس	مواضٍ نواضٍ مرقلاتٍ عوابرٍ ^(٢)
طِوَالٍ الهوادي لا يَخْفَنُ تَنُوفَةً	همْلعة الأطرافِ هُدُلُ المشافرٍ ^(٣)
وعوجاً على دارٍ لنا في جنبها	أفانينٍ لهوٍ دائمٍ غيرٍ دائرٍ
بحدٍّ وشيخٍ واختلافٍ سَلاهَبٍ	ومجمع غاداتٍ وغانٍ وسامرٍ ^(٤)
وقولاً لسُعدي والرَّباب هل انتما	على العهد أم ساعدتما رَجَرَ زاجر
وهل فيكما مُوفٍ بوعدي وقَلْما	يكون الوفا من صَامِتَاتِ الأساور
خليلي مالي كُلِّما رمتُ سَلوَةً	دعاني منادي الشُّوقِ دعوة جابر
ولما رأيت الودَّ قد بان وانقضى	دعوتُ ونارُ الشوقِ تغزو ضمائري

(١) العوج: ج عوجاء. الناقة المضمرة، والعتاجيج: الإبل المختارة، ج عنجوج والنواجي: السريعة السير الناجية براكبها. وسَلْع: جبل متصل بالمدينة، وحاجر: موضع في ديار بني تميم.

(٢) القلاص ج قلوص. الصغيرة من الإبل - الخماص: الضوامر، وفي الحديث: الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً - والشازبات: ج شازبة وهي الضامرة أيضاً - والعرامس ج عرمس: الناقة الشديدة الصلبة - والمواضي: المسرعات في سيرها - ومثلها النواضي - والمرقلات: التي ترقل إذا مشت، والإرقال: ضرب من السير الحثيث - والعوابر: النوق التي تعبر براكبها البر كما تعبر السفن في البحر.

(٣) الهوادي. الاعتاق - والتنوفة: المفازة - وهمْلعة الأطراف: أي سريعة حركة الأطراف، يريد يديها ورجليها - هُدُل المشافر: أي مسترخيات الشفاه، وهو ما تمدح به الإبل عند العرب.

(٤) الوشيخ: المختلط من الرماح بعضها ببعض - السلاهَب: ج سلهب. الفرس الطويل - السامر: القوم يسمرّون.

أَلَا أَيُّهَا الْغَادِي عَلَى مَتْنِ ضَامِرٍ
يَزِفُ زَفِيفَ الْخَاضِبَاتِ وَيَنْثَنِي
عَلَيْهِ غَلَامٌ لَا يَمَلُّ مِنَ السُّرَى
تَحْمَلُ إِلَى تَرْشِيشٍ⁽⁸⁾ عَنِّي تَحِيَّةٌ
بِلَادٍ بِهَا نَيْطَتِ عَلَيَّ تَمَائِمِي
وَبُلْغٌ لِنَدْبِ أَرْحِيٍّ سُمْئِدَعٍ
إِلَى الْمَاجِدِ الْأَسْنَى إِلَى فَارِسِ الْوَعَى
أَبِي عَابِدِ اللَّهِ الْكَرِيمِ نَجَارُهُ
بَعَثَتْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِدَائِعَا
تَذَكَّرْنِي الْوَدَّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
لِيَالٍ وَأَيَّامٍ نَعْمَنَا بِوَصْلِهَا
وَكُنَّا إِذَا مَا الْجَيْشُ صَفَّتْ جُنُودُهُ
عَرَابٍ طَرَابٍ صَافِنَاتٍ سَلَاحِبٍ
نَجُرُ الْقَنَا الْمَرَّانَ فَوْقَ خُدُودِهَا
نَخُوضُ وَغَاها وَالْقَنَا تَقَرُّعَ الْقَنَا

سليم القرى عبل الذراعين فاطر⁽⁵⁾
كحَقَفَ لَحَتْهَا لَافِحَاتُ الْهَوَاجِرِ⁽⁶⁾
عَلِيمٌ خَيْرٌ بِالصَّوْىِ⁽⁷⁾ وَالْمَخَاطِرِ
كَمَا سَلَّمَ الْأَحْبَابُ عِنْدَ التَّزَاوِرِ
وَفِيهَا نَمَا عَقْلِي وَلَبَّى وَخَاطِرِي⁽⁹⁾
سَلَامًا يُودُّ عَنْ عَنَانَ بْنِ جَابِرٍ⁽¹⁰⁾
مَرْوِي الْقَنَا يَوْمَ التَّقَاءِ الْعَسَاكِرِ
حَلِيفُ الْإِيَادِي وَالنَّدَى وَالْمَآثِرِ
مَحْبَرَةٌ مَنْظُومَةٌ كَالْجَوَاهِرِ
وَتَزَعُمُ أَنِّي سَالِيٌ غَيْرُ ذَاكِرِ
عَلَى كَرَمٍ مَنَّا وَحَفِظَ سِرَائِرِ
تَرَانَا عَلَى خَيْلٍ عَتَاقٍ ضَوَامِرِ
خَفَافِ التَّوَالِيِ مَدْمَجَاتِ الْخَوَافِرِ⁽¹¹⁾
وَنَقْدَهَا لِلطَّعْنِ لَا عَنْ تَشَاجِرِ
بِكُلِّ حُسَامٍ مَشْرِفِي وَبَاتِرِ

(5) القرى: الظهر - الفاطر: البعير الذي فطرنه به أي طلع.

(6) يزف: يسرع، وفي القرآن: فاقبلوا إليه يزفون - الخاضبات: ذكور النعام التي أكلت الربيع فاحمرت سوقها - الحقف: ج أحقف وهو حمار الوحش - لحتها لافحات: أي إن الهواجر قشرت جلدها، ولحا بمعنى قشر، والمهاجرة وجسها هواجر: شدة الحر في منتصف النهار.

(7) الصوى: ج صوة، الإعلام من الحجارة العالية.

(8) ترشيش: اسم لمدينة تونس قديما.

(9) هذا البيت لابن ميادة الشاعر يمثل به هنا عنان بن جابر

(10) الندب: السريع الاجابة لما يندب اليه - الأرحي: الذي يرتاح الى المعروف - السמידع: السيد الوطني الاكتاف.

(11) العراب: من الخيل العتيقة غير الهيجنة، والطراب: التي في سيرها خفة ونشاط، وفي صحاح الجوهري: إبل طراب. نازعة الى أوطانها والصافنات: التي تقف على ثلاث من قوائمها وتثني الرابعة.

فلما بدا لي بعض ما كنتُ أنقِي
وعادت عليَّ الأرضُ حلقةَ خاتمٍ
رأيتُ رجالاً من رياحٍ ومالكٍ
لهم مرقبٌ دوني وقد كنتُ قبلهم
تبينْتُ حالا لا أُطيقُ احتمالها
وسلّمتُ أرضَ الشرقِ لا عن مذلةٍ
إلى بلدٍ لا يعرفُ الذلَّ، أهلهُ
فسقياً لها من بلدةٍ جادها الحيا
بلادُ بها للغانياتِ مراتعُ
وعزُّ يصونُ النفسَ عن طارقِ الأذى
تُوافي إلينا كلَّ يومٍ قبائلُ
فمنها صديقٌ صادقُ الودِّ منصفُ
فمن كان متاً نال عزّاً ورفعةً
فلا لومَ إنَّ الجودَ فيما فعلته
من الذلِّ، إنَّ الذلَّ عَنَّا بمعزل
وفي الأرضِ أوطانٌ ومأوى ومسرحُ
وسيفي ورمحي واعترائي⁽¹²⁾ وسابقي
حميتُ - أبا عبد الإله - من الأذى

وحانتُ أمورُ ضيقاتِ المصادر
بلا ذلةٍ مِنِّي سوى طَوْعِ أمرٍ
وعوفٍ ودبابٍ وزُغْبٍ وماجر⁽¹²⁾
بسيفي ورمحي في الوغى وعشائري
فحدتُ بنفسي عن عدوٍّ وجائرٍ
ويممتُ أرضَ الغربِ لا عن تخائرٍ
كرامُ الحشايَا من هلالِ بن عامرٍ
ولا زال فيها واكفاتُ المواطرِ
مُمنمةً أكنافُها بالأزاهرِ
ويحمي الفتى عن جورٍ بادٍ وحاضرٍ
موشحةً بالمناضياتِ البواترِ
ومنها عدوٌّ كاشحٌ غيرُ ناصرٍ
ومن حادٍ دُسْنَا أرضه بالحوافرِ
فللموتِ أحلى في الحشا والحناجرِ
وما شائننا غيرُ اكتسابِ المفاخرِ
وفي الناسِ من يُرجى لدفعِ الضرائرِ
ودرعِي وقومي كالأسودِ الهزابرِ
ولا زلتُ تسمو في جميعِ المآثرِ

المصدر: تحقيق حسن حسني عبد الوهاب للقصيدة عن مخطوطة خاصة. انظر: مجلة الفكر: السنة 8، العدد 10، جويلية 1963.

(12) قبائل من بني هلال كانت في خدمة أبي زكرياء الحفصي.

(13) مصدر اعتري: غشيه طالباً معروفه.

السلطان أبو زكرياء الحفصيّ

(597 - 647)

أبو زكرياء يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي، ولد بمراكش سنة 597 ودخل تونس في 24 رجب 625، قضى على ثورة ابن غانية سنة 631 وانتصر على أعدائه فاتسعت مملكته شرقا وغربا ووطد دعائم الدولة الحفصية بتونس، قصده الشعراء والأدباء من الأندلس والمغرب خاصة ابن الأبار وحازم القرطاجني وأبا المطرف بن عميرة وأقاموا عنده ومثلوا مع شعراء تونس العنصر الأساسي لتنشيط حياة أدبية زاخرة بالابداع والعتاء، وكان أبو زكرياء يشجّع الأدباء والشعراء بما يسني لهم من الجوائز. له ديوان شعر لم تبق منه إلا هذه الأشعار التي جمعناها له، وكان شاعرا فحلا، طرق جميع الأغراض الشعرية. توفي ليلة الجمعة 22 جمادى الثانية في بونة ودفن بها ثم نقل جثمانه الى قسنطينة.

1 - طالب العلياء

(الطويل)

أَجِبْ دَاعِيَتَهَا فَالْجَيْبُ يُجِيبُ
وَشِمَّ عَزْمَةً لَا يَغْمُزُ الْعَجْزُ مَتْنَهَا
وَلَا تَبْتَغِ الْعَلِيَاءَ إِلَّا بِأَبْيَضٍ
وَأَسْمَرَ غِرًّا شَيْبَ الْوَقْعِ رَأْسُهُ
وَأِنْ شُنْتُ قَلْتَ النَجْمُ تَوَجَّ رَأْسُهُ
يَنْضَنضُ صِلًا⁽³⁾ ثُمَّ يَهْوِي كَأَنَّهُ
وَصَفْرَاءُ رَبَّتْهَا الْجُيُوبُ⁽⁴⁾ وَرَاوَحَتْ
إِذَا عِيجَ مَتْنَاهَا أَقِيمَتْ شَبَاتُهَا
فَإِنْ سَدِكَتْ بِالْكَفِّ⁽⁶⁾ أَوْ قَلَّ خَطُّوْهَا
وَأَجْرَدٌ يَسْتَجْلِي بِأَوْضَاحِهِ الْوُغَى
لَهُ مِنْ سَعَالِي الْجَنِّ خَلْقٌ مَطْبَرُ
بَتْلُكَ يُنَالُ الْوَتْرُ لَوْ حَالَ دَوَاهُ
فَدَعْ عَنْكَ أُنْبَاءَ الزَّمَانِ فَكُلَّهُمْ
فَلَا تَوَرَدْنَهُ وَرَدَكَ الصَّفْوُ إِنَّهُ
أَلَا فَاسْتَعْنِ وَاسْتَفْنِ بِاللَّهِ

وَشُبُّ لَظَاهَا فَالْخَيْبُ⁽¹⁾ يُخِيبُ
فَذُو الْعَزْمِ فِي الْيَوْمِ الصَّعِيبِ يُصِيبُ
لِغَرِيبِهِ فِي هَامِ الْكُمَاةِ غُرُوبُ
أَلَا إِنَّمَا بَعْدَ الْقَشِيبِ⁽²⁾ مَشِيبُ
فَلَاحَ لَهُ بَيْنَ الْقُلُوبِ ثُقُوبُ
رِشَاءٌ لَهُ قَلْبُ الْكَمِيِّ قَلِيبُ
نَوَائِبُهَا فَوْقَ الْجُبُوبِ⁽⁵⁾ جُنُوبُ
فَمَنْهَا سَرُوبٌ لَا يُرَى وَرَسُوبُ
فَخَطُّوْ بَنِيهَا فِي الْحُرُوبِ رَحِيبُ
وَقَدْ جَنَّتْهَا يَوْمَ الرُّكُوبِ عَكُوبُ⁽⁷⁾
يَرُوعُ وَمِنْ هَوَجِ الرِّيحِ⁽⁸⁾ هُبُوبُ
سُهُوبٌ وَحَالَتْ عَنْ مَدَاهِ لُهُوبُ⁽⁹⁾
لَهُ عِنْدَ تَمَحِيصِ الْغُيُوبِ عَيُوبُ
شُرُوبٌ وَعِنْدَ الْحَادِثَاتِ سَرُوبُ
إِنَّهُ لَفَتَحَ بِتَقْدِيرِ الرَّقِيبِ قَرِيبُ

المصدر: الحلة السيرة: ص 3-5 والبيتان 4 و5 في رايات المبرزين ص

57، مجمل تاريخ الأدب: ص 187 - 188

(1) الخيب: الجبان

(2) القشيب: الجديد

(3) ينضنض: يتحرك بسرعة، والصل: السيف القاطع جمعه أصلال، والقليب: البئر

(4) الجيوب: الصدور

(5) الجيوب: الفرس المحبب المحجل إلى ركبتَي يديه وعرقوبي رجله.

(6) سدكت بالكف: شدت باليد.

(7) العكوب: الغبار

(8) هوج: هوجاء الريح السريعة المضطربة في هبوبها التي تطلع البيوت. لعبت به هوج الرياح.

(9) السهوب: ج سهب هي الأرض المستوية البعيدة والهوب ج لهب: مضيق يكون بين جبلين.

2 - رياض أبي فهر

(الطويل)

خدودُ الغواني أو قدودُ الكواكبِ
ولكنّها بين الصّبَا والجنائبِ
فجاء كمثلِ الفرقِ بين النوائبِ
وإلا كمثلِ الصُّبحِ بين الغياهِبِ
ولم ترَ حسنًا كاطّرادِ المذانبِ⁽²⁾
كشمسٍ أُصِيلَ بين بيضِ السحابِ
بعقوبِ أصداغٍ من الآسِ لاسِبِ
نثائرُ دُرٍّ أو سَبائكُ ساكِبِ
يحنُّ فيحنو خاشعًا نحو شارِبِ
مجامرُ تَبَرٍّ جامدٍ غيرِ ذائبِ
فنمّتْ بأنفاسِ الرياحِ الغرائبِ
سهامُ قسيٍّ أو مخاريقُ لاعِبِ⁽³⁾
وفاءً فعدُّ القولِ عن قوسِ حاجِبِ
يحييكِ عَرَفُ الطيّبِ من كلّ جانبِ
ومن زهرها المقتَرُ زهرُ الكواكبِ
وترقُلُ تيهًا في برودِ العجائبِ

أعدُّ نظرًا حيثُ الرِّياضُ كأنّها
تميلُ وليست بين كأسٍ وقينةٍ
وسالِ نَميرُ الماءِ بين اخضرارها
وإلا كما شقَّ الكَنهُورُ⁽¹⁾ بارِقُ
قد اطّردتُ فيه المذانبُ دائمًا
وللنرجسِ النّضرِ اصفرارُ تخالُهُ
يدبُ إليك الحسنُ في جنباتِها
وللياسمينِ الغضُّ في خُضرِ بسطِها
وللسوسنِ المبيضُ إصغاءُ ألفِ
وقد كَلَّتْ أغصانُ نارنجِها، فقلْ
وعطرُ منها النّشرُ ما بلَّلَ الندى
ولماءٍ في الدولابِ - إن رمت وصفهُ -
تضمّنُ سقيّ الرّوضِ رفهاً يعلُّهُ
معطّرةُ الأردنّ يفغمُ⁽⁴⁾ نفحُها
سماءً، وجريّ الماءِ فيها مجرّةُ
فدونكها تختالُ زهواً ونضرةُ

المصدر: الحلة السيرة: ص 7-8 والمجمل: ص 189-190 ومنها أسقطت

خمسة أبيات.

(1) الكنهور: السحاب المتراكم. قطعة كالجبال

(2) المذانب: مجاري المياه.

(3) مخاريق: جمع مخراق. هو ما يتلاعب به الصبيان في منديل أو شبهه يفتلونه ويتضاربون به. يقال: هو مخراق حرب أو صاحب حروب.

(4) في الأصل: يَفْغَم

3 - بطاقة

أصاب رئيس الكتاب أبا عبد الله بن أبي الحسين مرض اتّصل بسببه انقطاعه عن الخدمة، فوجّه إليه الأمير أبو زكرياء بطبقٍ مغطى فيه ألفا دينار وبطاقة فيها هذه الأبيات:

(الوافر)

أبا عبدَ الإله وقيتَ شَرّاً	ولا طارت بساحتك الخطوبُ
لقد تاقَت إلى رؤيتك المآقي	كما ذابت لشكواك القلوب
إذا نابت مهمّاتُ نعمنَ ذا	يجلّوها سواك ومن ينوبُ
عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه	يكون وراءه فرجٌ قريبُ

المصدر: الشَّهَبُ اللَّامِعَةُ: ص 252.

4 - مقطوعة

(الخفيف)

وُضِعَتْ في الزُّجاجِ فالتَّهَبَتْ	وكسَّته ثوباً من اللُّهَبِ
وعلا فوقها الحِبابُ فلمْ	تُبْصِرِ العينُ مثلَ ذا العَجَبِ
ضَرَمُ النارِ فوقه بردُ	كائنُ عنه مِنْهُ في النَّسَبِ

المصدر: رايات المبرزين: ص 258.

5 - شعراء السَّبَقِ

(الطويل)

ألا إِنَّ مضمارَ القريضِ لَمُتَدِّ	به شعراءُ السَّبَقِ أربعةُ لُدِّ
فأما المجليُّ فهو شاعرُ جَمَّة	أتى أولاً والناسُ كلُّهمْ بعدُ
وأما المصلِّي فهو حبرُ قضاة	بأدابه تزهو الإمارة والمجدُ
وأما المسلِّي فالمعاويُّ إِنَّهُ	أتى ثالثاً لكن يلين ويشتدُّ

وبعدهم الكوميُّ أقبل تاليا
 هم علماء الناس ما منهم غنى
 وكم جاء سباقا مسومةً النهدي
 وهم شعراء الملك ما منهم بد⁽¹⁾

المصدر: رحلة التجاني: ص 376

6 - شوق إلى تونس

قال وقد رجع من غزوة إلى تونس:

(الوافر)

تقرّ جفونُ عينك بالقرار
 ألحّ البرقُ معترضاً ففارت
 خفى يسري وظلّ الدمع يجري
 وهاب البدرُ أن يفرى دجاء
 وساعل مسنداً يرويه عني
 سقى أعلام تونس فالحنايا
 فواكبدها من شوق تناعت
 وأبرح ما يكونُ الشوق يوماً

ومن شرط الهوى رعي الثراري
 نجوم الأفق من ماءٍ ونارٍ
 فواحرباه من سارٍ وجارٍ
 فمال عن الشرار إلى السرار
 فحدثه الزفير عن أدكار
 فمقتبل العشيّة والعرار
 نهايته على قرب المزار
 إذا دنت الديار من الديار

المصدر: الحلة السيرة: ص 5.

7 - هدية

أهدى أبو زكرياء خوفاً لكاثبه أبي العباس أحمد الغساني وكتب:

(الوافر)

(1) الشعراء هم: عثمان بن عريية ثم ابن الأبار ثم ابن معاوية البجصي ثم أبو زكرياء يحيى بن محمد الكومي، انظر تراجمهم أرقام: 31، 27، 4، 30 في كتابنا "الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي" عن بيت الحكمة.

بعثتُ بها إليك بناتَ أيكِ
لَهُ لُونانٍ مَخْضَرٌ عَظِيمٌ
ولم تَنْظُرْ أبا العباسِ حَسَنًا
كَمَثَلِ الخَدِّ أَحْجَمَهُ التَّلَاقِي
غَذَاهَا فِي التَّرَى دَرُّ القَطَارِ
وَأَخِرَ قَانِي كَالجَلَّارِ
يُروِّقُكَ كَاخْضِرَارٍ فِي أَحْمَارِ
فَصَرْنَا وَرَدَهُ أَسَدُ الغَطَارِ؟؟

المصدر: الأدلة البيئية: ط 2 - ص 55.

8 - سابكيك

وله في الرثاء:

(الطويل)

تَصَبَّرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ أَوَّلَىٰ بِذِي حَجَرٍ
وَمَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تَغْدُو عَلَى الْفَتَى
وَأِنْ سَأَلْتَهُ، وَالظُّلَمُ مِنْهَا سَجِيَّةٌ
مَرَى⁽³⁾ الْحُزْنَ دَمْعِي أَنْ أَمَرَ حَبَالَهُ
وَعَهْدِي بِهَذَا الدَّمْعِ يَا عَيْنُ وَأَقِيًّا
أَلَا مِنْ لَعِينٍ لَا يُنْهِنُهُ غَرِيبُهَا
أَلَا تِلْكَ شَمْسُ الْجَوْفِ فِي الدَّوَى⁽⁴⁾ فَاعْجَبُوا
أُسْلُو وَهَذَا شَخْصُهَا حَشْوُ مَقْلَتِي
لَنْ ضَمَّ مِنْكَ اللَّحْدُ ذَاتًا زَكِيَّةً
سَابِكِيكَ مَا أَنْتَ فَقِيدَةٌ بِكَرَاهَا
أَطَارِحُهَا شَجْوِي فَيَسْعِدُ شَجْوَهَا
وَمَالِي وَمَا لِلْعِيدِ لَوْلَا تَحَفُّلُ

وَإِنْ كَانَ حَجَرًا فَالْمَلَامُ إِلَى الْحَجَرِ⁽¹⁾
فَطَوْرًا عَلَى بَشَرٍ وَطَوْرًا عَلَى بَسَرٍ⁽²⁾
فَلَا بَدْءَ يَوْمًا أَنْ تَغَرَّ وَأَنْ تُغْرِي
وَكَانَ قَدِيمًا لَا يَمُرُّ وَلَا يَمْرِي
فَهَلْ لَكَ فِي الْغَدْرِ الْمَبْرَحُ مِنْ عَذْرِ؟
أَلَا مَنْ لَسَحَرَ لَا يَمْلُ مِنَ السَّحَرِ؟
أَلَا تَلَكُمُ إِدْمَانَةُ الْعَفْرِ فِي الْقَفْرِ
وَأُنْسَى وَمَا تَنْفَكُ مِنِّي عَلَى ذَكَرٍ؟
لَقَدْ حُنَيْتُ مِنِّي الضُّلُوعَ عَلَى جَمَرٍ
وَحَنَّتْ إِلَى وَكْرٍ مُطَوَّقَةُ النُّحْرِ
فَتَحَسَّبْنَا إِلْفِي مَصَابٍ لَدَى وَكْرٍ
يَكْلَفُنِي مَا لَا أَطِيقُ مِنَ الصَّبْرِ

(1) الحجر الأولى والثالثة بمعنى العقل، والثانية بمعنى حرام.

(2) بسر الرجل وجهه: كلع.

(3) مرأه حقه: جده.

(4) الدو: المفازة.

فمن كان ذا هديٍّ وهديٍّ لعيده فعندي هديٍّ من مدامعي الحمرِ
يُغابونها قُرْبَى لنحرٍ ثلاثة ودمعي من تسكابه الدهرُ في بحر
وعندي ولا ردَّ زفيرٍ مرددٌ تهدُّ لظاه جانبَ البشرِ
وتصديقُ إيمانٍ وإقرارُ موقنٍ وتسليمُ مريبٍ لذي الخلقِ والأمرِ

المصدر: الحلة السيرة: ص 9-10.

9 - سيف صحابي

أهدى الملك الصالح صاحب مصر إلى الأمير أبي زكرياء هديةً فيها سيف
يذكر أنه سيف عمّار بن ياسر رضي الله عنه، فوجه به الأمير أبو زكرياء يحيى
إلى ابن أبي الحسين لانتسابه لعمّار بن ياسر واشتغاره بجودة الضرب، وكتب
إليه:

(الوافر)

أبا عبد الإله إليك عضباً لجِدِّكَ قاطعَ الحدينِ باتر
فأنت به أحقُّ لذي انتساب ويوم الحرب إذ تبلى السرائر

المصدر: الشَّهَب اللامعة: ص 215

10 - خمرة

(البسيط)

خذها كما نمَّ عَرَفُ الرُّوضِ بالسَّحَرِ وأيقظ الطلُّ رِياً نائمَ الزَّهَرِ
حمرَاءَ ترفُلُ في أثوابٍ بهجتها تَقَرُّ عن لؤلؤٍ عذبٍ وعن أَشَرِ^(١)
زَفَقَتْها ورواقُ الليلِ مُنْسَدِلٌ كأنها شفقٌ في هالةِ القمرِ

المصدر: الحلة السيرة: ص 9

11 - لغز في لجام

(المتقارب)

(١) تأشير الأسنان: تجزيها وتحديد أطرافها.

وما اسمٌ له أحرفٌ أربعة
فمن قال أولَ حَزَفٍ لمن
وإن زاد حَرْفًا فخلقُ عَظِيمٌ
ومقلوبُهُ اسمٌ لشيءٍ متينٍ
ويبقى اسمٌ من بَرٍّ واجبٌ
ومقلوبه اسمٌ لشيءٍ عزيزٍ

وفيه غرائبٌ مستودعه
تشكَّى الخمولُ فقد رفعه
كثيرُ المَضَرَّةِ والمنفعة
إذا أبصرته قلت ما أمتعته!
فقد اقترب الإثم من ضيِّعه
يهان ولا شيء إلا معه

المصدر: المرتبة العليا: ج 2، ص 149 - 150 وتفسير اللغز: مراده بأول حرف اللام فإذا قال للخامل: ل فقد أمره بالولاية ورفع منزلته. فإن زاد الجيم جاء منه لج وإن قلبه جاء منه جل.

ويبقى بعد هذه الأحرف الألف والميم فيجىء منهما أم وهو قوله ويبقى اسم من بره واجب. ومقلوب أم: ماء وهو يهان ولا عيش إلا معه. ومقلوب الجميع ما جل.

12 - جفناك

(الطويل)

وحوراء تستعلي بنهدين أشرعاً
تقول، وقد رقت لما بي: أجازعُ
فقلت لها: جفناك عزاً تجلدي
وما زلت ألقى القرنَ يعسل⁽¹⁾ رمحهُ

ولا غرو أن يدعو هواها فأتبعه
وأنت جريءٌ والأسنةُ مُشرعةُ؟
ونهداك هداً نفسَ هيمان موجعةُ
فمن لي بمن يلقى الفؤادَ بأربعة؟

المصدر: الحلة السيرة: ص 6

(1) غسل الرمح: هزّه

13 - فخر

(الوافر)

وما للناس منّا غيرُ رغي	يفيدهم رِقَامًا وانتفاعا
فيمنعهم وما شعبوا مُضَامًا	ويُوسِعُهُم وما سَغَبُوا انتجاعا
بنى لي المجدَ أباءُ كرامُ	ورثنا مجدهم بَاعًا فباعا
وهذبني الإباءَ ففاتَ طرفي	وَكُلُّ بَعْدُ يجري ما استطاعا

المصدر: الحلة السيرة: ص 3

14. لزومية

من لزومياته في الغزليات :

(الطويل)

بدت لك في ثوب يشفُ منجمٌ	أُزِيرَق - يَا لَـللهِ الحُسْنِ - أزرقا
ولاحت، وبدر الأفق في الأفق كاملُ	فلم أذر أيُّ راعني حين أشرقا
خلا أنه لما رأى حسن وجهها	تأثى قليلاً حين شام فأبرقا
وبونهما صفو الغدير مسلسلاً	فأقسمُ لولا رَقَّةُ الوصل أحرقا
ولما رنا نحو السجّجل وجهها	أطلَّ على متن الغدير فأطرقا
وزرّت عليه الشهبُ ثوب سماءه	فقارب في التّشبيه منها وأغرقا
ونازعها ثوباً ولوئنا ورفعة	وبعداً وإشراقاً ووجهاً ترقرقا

المصدر: الحلة السيرة: ص 7

15 - طبق

في وصف طبق مملوء نثائر زهر النارج والخابور وهو نوع من الشجر:

(البيسط)

بعثها وذكي العرف الحفها	بردين من وضح الإصباح والشفق
كأنما الزهر والخابور جزعه	شذر تناثر في در من العنق
راق منظره حسناً للفت	ورق مخبره عرفاً لمنتشقي

المصدر: الحلة السيرة: ص 8 ، والمجلد: ص 190

16 - وصف جوز

(المتقارب)

تفضل بشيء له ملابس	صلاصة وجه لئيم حكي
إذا نزعته عنه أثوابه	أتاك كما تمضغ المصطكي

المصدر: عنوان المرقصات: ص 44.

17 - ثناء

قال يرثي ولي عهده أبا يحيى:

(الطويل)

ألا جازع يبكي لفقد حبيبه	فإني لعمرى قد أضرب بي الكُل
لقد كان لي مال وأهل عدمتهم	فها أنا لا مالٌ لدي ولا أهل
سأبكي وأرثي حسرة لفراقهم	بكاء قريح لا يمل ولا يسلو
فلهفي ليوم فرق الدهر بيننا	ألا فرجٌ يُرجى فينتظم الشمل
وإني لأرضى بالقضاء وحكمه	وأعلمُ ربّي أنه حاكمٌ عدلٌ

المصدر: عنوان الأريب: ج 1 ، ص 64.

18- زهدية

(الكامل)

يَعْجَلُ الْإِنْسَانُ بِالشَّيْءِ، وَهَلْ	خُلِقَ الْإِنْسَانُ إِلَّا مِنْ عَجَلٍ؟
وَلِذِي الْعَدْلِ قِضَاءٌ فِي الْوَرَى	يَتَقَاضَاهُ كِتَابٌ وَأَجَلٌ
إِنْ ظَفَرَ اللَّيْثُ يُذْمَى مِنْ رَدَى	مِثْلَ خَدِّ الْخَوْدِ يُذْمَى مِنْ خَجَلٍ
وَأَخُو الْغَفْلَةِ فِي غَفْلَتِهِ	إِنْ بَكَتْ وَرَقَاءُ غَنَّى وَارْتَجَلْ

المصدر: الحلة السيرة: ص 10.

وصية لابنه ولي العهد

كتب أبو زكرياء الى ابنه ووليّ عهده:

اعلم، سددك الله وأرشدك، وهداك لما يرضيه وأسعدك، وجعلك محمود السيرة، مأمون السريرة، أن أول ما يجب على من استرعاه الله في خلقه، وجعله مسؤولاً عن رعيته في جلّ أمرهم ودقه، أن يقدم رضى الله عز وجلّ في كلّ أمر يحاوله، وأن يكلّ أمره وحوله وقوته لله، ويكون عمله وسعيه وذنبه عن المسلمين، وحرية وجهاده للمؤمنين، بعد التوكّل عليه، والبراءة من الحول والقوة إليه.

ومتى فجاك أمرٌ مقلق، أو ورد عليك نبأ مرهق، فريّض لباك، وسكّن جاشك، وارع عواقب أمرٍ تأتيه، وحاوله قبل أن ترد عليه وتغشيه، ولا تقدم إقدام الجاهل، ولا تحجم إحجام الأخرق المتكاسل، واعلم أن الأمر اذا ضاق مجاله، وقصر عن مقاومته رجاله، فمفتاحه الصبر والحزامة والأخذ مع عقلاء الجيش ورؤسائهم وذوي التجارب من نبهائهم ثم الإقدام عليه، والتوكّل على الله فيما لديه، والإحسان لكبير جيشك وصغيره. الكبير على قدره، والصغير على قدره. ولا تلحق الحقير بالكبير، فتجريّ الحقير على نفسك وتغلّطه في نفسه وتفسد نيّة الكبير، وتؤثره عليك فيكون إحسانك إليه مفسدة في كلا الوجهين ويضيع إحسانك، وتشتت نفوس من معك.

واتخذ كبيرهم أبا، وصغيرهم ابنا، واخفض لهم جناح الذلّ من الرحمة. وشاورهم في الأمر فإذا عزم فتوكّل على الله إن الله يحب المتوكّلين.

واتخذ نفسك صغيرة، وذاتك حقيرة، وحقّر أمورك، ولا تستمع أقوال الغالطين المغلّطين بأنك أعظم الناس قدراً، وأكثرهم بذلاً وأحسنهم سيرة وأجملهم صبراً، فذلك غرور وبهتان وزور. واعلم أن من تواضع لله رفعه الله.

وعليك بتفقد رعيّتك والبحث عن عمّالهم والسؤال عن سير قضائهم فيهم. ولا تتم عن مصالحهم، ولا تسامح أحداً فيهم. ومهما دعيت لكشف ملامة، فاكشفها عنهم، ولا تراع فيهم كبيراً ولا صغيراً إذا عدل عن الحق.

ولا تراع في فاجر ولا متصرفٍ إلا ولا ذمة. ولا تقتصر على شخص واحد في رفع مسائل الرعية والمتظلمين، ولا تقف عند مراده في أحوالهم. واتخذ لنفسك ثقافة صادقين مصدّقين، لهم في جانب الله أوفر نصيب، وفي رفع مسائل خلقه إليك أسرع مجيب، وليكن سؤالك لهم أفذاذ، فإنك متى اقتصرت على شخص واحد في نقله ونصحه حمله الهوى على الميل، ودعته الحمية إلى تجنب الحق، وترك قول المصدق.

وإذا رفع إليك أحدٌ مظلمة وأنت على طريق، فادعه إليك وسلّه حتى يوضح قصته لك وجاوبه جواب مشفقٍ مصنّعٍ الى قوله، مصيخ إلى نازلته ونقله، ففي إصاحتك له وحنوكٍ عليه أكبر تأنيس، وللسياسة والرئاسة في نفوس الخاصة والعامة والجمهور أعظم تأسيس.

واعلم أن دماء المسلمين وأموالهم حرام على كلّ مؤمن بالله واليوم الآخر، إلا في حقٍّ أوجبه الكتابُ والسنة، وعضدته اللقاويل الشرعية والحجة. أو في مفسد عاث في طرق المسلمين وأموالهم جارٍ على غيّه في فساد صلاحهم وأحوالهم، فليس إلا السيف. فإن أثره عفاء ووقعه لداء الأدمغة الفاسدة دواء.

ولا تقل عثرة حسودٍ على النعم عاجزٍ عن السعي فإن إقالته تحمله على القول والقول يحمله على الفعل، وبيال عمله عائدٌ عليك فاحسم داءه قبل انتشاره، وتدارك أمره قبل إظهاره.

واجعل الموت نصب عينيك، ولا تغتر بالدنيا وإن كانت في يديك. لا تتقلب إلى ربك إلا بما قدّمته من عمل صالح، ومتجر في مرضاته رابح. واعلم أن الإيثار أربح المكاسب، وأنجح المطالب. والقناعة مالٌ لا ينفد. وقد قال بعض المفسرين في قوله عزّ من قائل وتركنا عليه في الآخرين: إنه النّبأ الحسن في الدنيا على

ما خلدَ فيها من الأعمال المشكورة، والفعلات الصالحة المذكورة. فليكشفك من دنياك ثوبُ تلبسه وفرسُ تذبَّ به عن عباده. وأرجو بك متى جعلت وصيتي هذه نصب عينيك، لم تعدم من ربك فتحاً ييسره على يدك، وتأييداً ملازماً لا يبرح عنك إلا إليك، بمنّ الله وحوله وطوله. والله يجعلك ممّن سمع قوعي، ولبيّ داعي الرشد إذا دعا إنّه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المصدر: تاريخ ابن خلدون، ج 12، ص 620- 623 . ط. دار الكتاب اللبناني، د. ت.

أحمد الشفائي

(580 - 651)

شرف الدين أبو الفضل وأبو العباس أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن أحمد التيفاشي القفصي، ولد بقفصة ودرس بها ثم انتقل إلى تونس حيث درس بجامع الزيتونة ثم ارتحل إلى مصر ودمشق وأخذ عن العلماء فيهما ثم رجع إلى قفصة وتولى قضاها ثم عزل عنه وهاجر إلى المشرق وتنقل بين مدن مصر والشام والعراق وفارس ثم رجع إلى مصر وانتصب بها للتدريس وتخرج على يديه فطاحل من العلماء.

توفي بمصر ودفن بها. من مؤلفاته:

- فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب، طبع منه جزآن.
- أزهار الأفكار في جواهر الأحجار: في وصف الأحجار الكريمة، طبع وترجم إلى عدد من لغات العالم.
- متعة الأسماع في علم السماع: في الموسيقى

- رجوع الشيخ الى صباه في القوة على الباه: طبع بالمغرب
- نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب: مخطوط باسطنبول وترجم الى الفرنسية. ونشر عن دار الرئيس بلندن سنة 1993.
- قادمة الجناح في آداب النكاح.
- رسالة فيما يحتاج إليه الرجال والنساء في استعمال الباه مما يضر وينفع.
- الشفاء في الطب المسند عن السيد المصطفى: نشر بتحقيق عبد المعطي أمين قلعجي. دار المعرفة، بيروت 1988.
- الوافي في الطب الشافي: لعله غير السابق
- الدرّة الفائقة في محاسن الأفارقة.
- سجع الهديل في أخبار الثيل.
- تفسير القرآن الكريم.
- كتاب البديع.
- كتاب في المسالك

1- ليل

(الكامل)

لا أظلمُ الليلَ الطويلَ وأشتكي
منه ومالي في الصِّباح رجاءُ
من كان يَطْمَعُ في الصِّباحِ براحَةٍ
ويُسِرُّه إن لاح منه ضياءُ
فَجَوَّاي متَّصِلُ الظَّلامِ بضوئه
الليلُ عندي والنَّهار سَوَاءُ

المصدر : سرور النفس: ص 22 - 23 ، الفقرة 42.

2- فانوس

(الكامل)

أو ما ترى الفانوسَ يجمع شَكْلُهُ
إِلْفِي هَوًى من شمعهِ وضِيائِهِ
وجهَ الحبيبِ يلوح تحت نقابه
وحشًا المحبُّ يذوب من بُرْكانِهِ

المصدر : سرور النفس: ص 391 الفقرة 1180.

3 - نبه نديمك

(البسيط)

نبه نديمك إن الديك قد صخباً والليل قَوْضَ مِنْ تخييمه الطُّنباً
 والفجرُ في كبدِ الليل السَّقيمِ حكى سرُّ المتيمِّ عن إخفائه غلباً
 كأنَّه بظلامِ الليلِ ممتزجاً سمراءُ تفتُرُ أبدت مبسمًا شنباً
 كأنَّما الفجرُ زند قادحُ شرراً في فحمة الليل لاقى الفحمَ والتهباً
 كأنَّ أولَ فجرٍ فارسٌ حُمِلتْ راياتُه البيضُ في إثرِ الدَّجى فكباً
 كأنَّ ثانيَ فجرٍ غرةٌ وضحتْ تسيلُ في وجهِ طُرفٍ أدهم وبكاً

المصدر: الوافي: ج 8 ، ح 288 - 291 والمجمل 207 ومقدمة سرور النفس:

ص 42

4 - تشبيه

قال في الهلال والليل:

(البسيط)

أما ترى مستهلَّ الشهرِ حين بدا
 هلالُه والدَّجى تسطو غياهبُه
 كأنَّما الدَّجَنُ فيه والهلالُ معاً
 شيخٌ من الزَّنجِ قد شابَتْ حواجبهُ

المصدر: سرور النفس: ص 65 ، الفقرة: 191 ، ونصف البيت الأخير

لمحمد بن أبي بكر الأرموي.

5 - نار النفط

قال في نار النفط على الماء:

(الطويل)

رَأَيْتُ مِنَ الضَّدَّيْنِ لِمَا تَأَلَّفَا
على البحر للرحمان أكبرَ آياتِ
والنَّفْطِ نارٌ يُحْرِقُ الماءَ نورُها
كمثلِ شعاعِ الشَّمْسِ في سَطْحِ مرآةٍ

المصدر: سرور النفس: ص 368، الفقرة: 1079

6 - مسرجة

قال في سراج ومسرجة:

(السريع)

مِسرْجَةٌ تُسْرَجُ مِنْ فَوْقِهَا ذِبَالَةٌ فِي جَوْفِ مِصْبَاحٍ
كَأَنَّهَا مِسرْجَةٌ فَوْقِهَا تَفَاحَةٌ فِي غِصْنِ تَفَّاحٍ

المصدر: سرور النفس 397، الفقرة: 1203

7- كتاب "المغرب"

قال بالقاهرة في أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي وكتابه الذي جمعه في محاسن المغرب وسمّاه "المغرب":

(الخفيف)

سَعَدَ الْغَرْبُ وَازْدَهَى الشَّرْقُ عَجْبًا	وَابْتَهَاجًا بِمَغْرِبِ ابْنِ سَعِيدٍ
طَلَعَتْ شَمْسُهُ مِنَ الْغَرْبِ تُجَلَّى	فَأَقَامَتْ قِيَامَةً التَّقْيِيدِ
لَمْ يَدْعُ لِلْمُؤَرِّخِينَ مَقَالًا	لَا لِلرُّوَاةِ بَيْتَ نَشِيدِ
إِنْ تَلَاهُ عَلَى الْحَمَامِ تَفَنَّتْ	مَا عَلَى ذَا فِي حُسْنِهِ مِنْ مَزِيدِ

المصدر: نفح الطيب: ج 2 ، ص 325

8- ناركانون

قال في كانون ونار فحمه:

(الطويل)

أَنَا بَكَانُونٍ يُشَبُّ اضْطِرَامُهُ
كَقَلْبٍ مُحِبٍّ أَوْ كَصَدْرِ حَسُودٍ
كَأَنَّ احْمِرَارَ النَّارِ مِنْ تَحْتِ فَحْمِهَا
خُدُودُ عَذَارَى فِي مَحَاجِرِ سُودٍ

المصدر: سرور النفس: ص 374، الفقرة: 1112

9 - شكر

قال لأبي الحسن بن سعيد منوها بكتابه "المغرب":

(البسيط)

يبدو جنى ثمرٍ من أطيّب الشجرِ	يَا طَيِّبَ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ الزَّكِيِّ كَمَا
يهفو على الزهرِ حول النهرِ في السحرِ	وَمَنْ خَلَقَهُ مِثْلَ التَّسِيمِ إِذَا
يبدو إلى بصري أبهى من القمرِ	وَمَنْ مَحْيَاهُ وَاللَّهُ الشَّهِيدُ إِذَا
لو كنتُ أتلوه قرآنًا مع السورِ	أثْقَلْتَ ظَهْرِي بِبِرٍّ لَا أَقُومُ بِهِ
في قابِ قوسينِ بين السَّمْعِ والبصرِ	أَهْدَيْتَ لِي الْغَرْبَ مَجْمُوعًا بِعَالِهِ
بكلٍّ من فيه من بدوٍ ومن حَضَرِ	كَأَنْتَنِي الْآنَ قَدْ شَاهَدْتُ أَجْمَعُهُ
في مدَّتِي هذه والأعصرِ الآخرِ	نَعَمْ وَلَا قَيْتُ أَهْلَ الْفَضْلِ كُلَّهُمْ
فقد رددت عليَّ الصدرَ من عُمري	إِنْ كُنْتُ لَمْ أَرْهَمْ فِي الصَّدْرِ مِنْ عُمْرِي
ما يُعْجِزُ اللَّهُ جَمْعُ الْخَلْقِ فِي بَشَرِ	وَكُنْتُ لِي وَاحِدًا فِيهِمْ جَمِيعَهُمْ
مفيدَ عُمُرٍ جديدٍ الفضلِ مبتكرِ	جُزِيتَ أَفْضَلَ مَا يُجْزَى بِهِ بَشَرُ

المصدر: نفح الطيب: ج 2 ، ص 325

10 - هجو الشمس

(السريع)

شَتَّى عَيُوبٍ جَمَّةٌ تُذَكِّرُ	فِي خَلْقَةِ الشَّمْسِ وَأَخْلَاقِهَا
غميأءٌ عند اللَّيْلِ لَا تَبْصُرُ	رَمْدَاءُ عَمَشَاءُ إِذَا أَصْبَحَتْ

وهي رقيبٌ في الهوى كاشحٌ
وخلَّقها خُلُقُ الملول الذي
من صبحها النور لإمسائها
والظلُّ منها زائلٌ دائماً
ويغتدي البدرُ لها كاسفاً
حرورها في القِيظ لا يَتَّقَى
ليست بحسناً وما حُسْنُ مَنْ
لا تملأ العينين من وجهها
البدرُ يهدي وهي من شؤمها
وعُمْرها يومٌ وفي ليله
تبيت في الحَمَاءِ من خِسَّةٍ

تَمَّ بِالْإِلْفَيْنِ لَا تَسْتُرُ
يَنْكُثُ فِي الْعَهْدِ وَلَا يَصْبِرُ
مَغَايِرُ الْأَشْكَالِ لَا تَقْتَرُ
شَبَّهُ خَلِيلِ السَّوِّ إِذْ يَغْدِرُ
وَجْرَمُهُ مِنْ جَرْمِهَا أَصْغَرُ
وَدَفْؤُهَا فِي الْقَرِّ مُسْتَنْزَرُ
تَنْبُو لِحَاطُ عَنْهُ إِذَا تَنْظُرُ
فَالشَّمْسُ مَرَأَى سَاقِطٍ يَحْقِرُ
تُضِلُّ فَالْخُلُقُ بِهَا كَفَرُوا
تَقْبِرُ فِي مَالِحَةٍ تَنْشُرُ
وَتَغْتَدِي مِنْهَا لَنَا تَظْهَرُ

المصدر: سرور النفس: ص 54 - 55، القطعة 163.

11 - نار كانون

(المنسرح)

كأنما نارنا وقد خمدت
دمٌ جرى من فواختٍ ذُبحت

وجمرها بالرمادِ مستورٌ
من فوقه ريشهنَّ منثور

المصدر: الوافي: ج 8 ص 288 - 291، وسرور النفس: ص 375، الفقرة

1116 والمجمل: ص 207

12 - وصف زلزال

(البسيط)

أما ترى الأرضَ في زلزالها عجباً تدعو إلى طاعة الرحمان كلّ تقي
أضحت كوالدةٍ خرقاءَ مرضعةٍ أولادها درّ ثدي حافلٍ غدي
قد مهدّتهم مهاداً غير مضطربٍ وأفرشتهم فراشاً غير ما قلقي
حتى إذا أبصرتُ بعضَ الذي كرهتُ مما يشقُّ من الأولادِ في خلقي
هرّت بهم مهدهم شيئاً تنهّهم^(١) ثم استشاطت وآل الطبعِ للخرقي
فصكّت المهدَ غضبى فهي لافطة بعضاً على بعضهم من شدة النّزقي

المصدر: الوافي: ج 8 ص 288 - 291 ، سرور النفس: ص 328 والفقرة 1001، والمجمل: ص 207 (باختلاف).

13 - نجوم

قال في الليل والنجوم:

(الطويل)

وليلٍ سهرناه كأنّ سماءه بساطٌ من الديباج يُنشرُ أزرقُ
تلوح به غرُ النجوم كأنما تبدّد في تلك البسائط زئبق

المصدر: سرور النفس: ص 165 الفقرة 570.

(١) في روايات أخرى: تنبههم، أو تنهضهم.

وقال في برادة يتخذها أهل مصر لتبريد الماء:

(الطويل)

تَعْدُ لِمَاءٍ فِي هَوَاءٍ مَعْدَلٍ ⁽¹⁾	وَكَالنَّارِ مِنْ سَرِّ الثُّرَابِ كَيَانُهَا
بِأَعْدَلٍ مِنْ جَمْعِ الطُّبَاعِ وَأَكْمَلِ	تَجَمَّعَتِ الْأَضْدَانُ أَرْبَعَةً بِهَا
كَمَثَلِ مِهَابِ الرَّمْلِ تُرْضَعُ مَطْفَلٍ ⁽²⁾	يَنَاطُ إِلَيْهَا مِنْ بَنِيهَا أَصَاغَرُ
تَدْرُ عَلَيْهِ بِالرَّحِيقِ الْمَسْلُوسِ ⁽³⁾	تَرَى كُلَّ خَلْفٍ لَا تَدْرُ وَطِفْلَةٍ
وَرَفَعَتْهَا وَالْمَنْظَرِ الْمُتَجَمِّلِ	إِذَا أَبْصَرَتْهَا الْعَيْنُ فِي حَسَنِ شَكْلِهَا
بِأَمْرَاسٍ كَتَانٍ إِلَى صَمٍّ جَنْدَلٍ ⁽⁴⁾	رَأَيْتِ الثَّرِيَا عَلَّقَتْ فِي مَصَامِهَا
كَمَا انْقَضَتِ الْجُوزَاءُ لِلْمَتَامَلِ	وَإِنْ أُرْسِلَتْ جَاءَتْ مَعًا بِنُجُومِهَا

المصدر: رايات المبرزين: ص 267 - 268.

(1) كالنار في لونها لأنها من الخزف فلونها أحمر كالنار.

سر: خالص أو جواهر

(2) المهابة: البقرة الوحشية. مطفل: ذات أطفال.

(3) يريد أنها ترى أولاد غيرها فلا تدركهم بينما تدرك على طفلها.

(4) البيت لامرئ القيس من معلقته، ويروى فيها هكذا:

كَانَ الثَّرِيَا عَلَّقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَانٍ إِلَى صَمٍّ جَنْدَلٍ

15. مروحة

مما يكتب على مروحة:

(مجزوء الخفيف)

أنا في الكف راحة	لصحيح وذي علال
أنا ستر لعاشق	عندما يخلص القبل
أنا مخف لوجنة	خجلت أيسر الخجل
أنا أهدي إليكم	أرج الزهر إن نبل
أنا وحدي كروضة	جاءها واكف هطل
أنا بي يُبعث النيد	م على الكأس إن غفل
مجلس لا أوره	ليس في قريه أمل

المصدر: سرور النفس: ص 226 ، الفقرة: 636

16. يوم فريد

(الطويل)

ويوم سرقناه من الدهر خلصة	بل الدهر أهداه لنا متفضلاً
أشبهه بين الظلامين غرة	لحسناء لاحت بين فرعين أرسلأ

المصدر: الوافي: ج 8 ، ص 288 ، المجلد: 206 ومقدمة سرور النفس:

43.

17. مصر

قد كان للماضين من	أرباب مصر همم
فالأفضل عنهم فضلة	والعلم فيهم علم

إن انقضت أعلامهم وعلمهم وانصروا
فاليوم مصرٌ عدم إن كان يُرجى عدم
وانظر تراها ظاهراً بادٍ عليها الهرم

(مجزوء الكامل)

المصدر: الوافي: ج 8 ، ص 288 - 291 ، ومقدمة سرور النفس: ص 43 -

18. مغناك

44

(البسيط)

مغناك أغناك من أرض تيممها لكسب مالٍ فلا تفرح به ونم
فسوف تاكل فيه زرق كل فتى من سائر الناس من غرب ومن عجم
ربيع تعدى لما يلقى بساحته من لذة وانبساط سائر الأمم
وكل ما فيه ممنوع ومحترم فلا سبيل به إلا إلى الحرم

المصدر: مقدمة سرور النفس: ص 43

19. هرما مصر

(الطويل)

خليلي لا باقٍ على الحدثان من الأول الباقي فيحدث ثان؟
إلى هرمي مصر تناهت قوى الورى وقد هرمت في دهرها الهرمان
فلا تعجبا أن قد هرمت فإنما رمانى بفقدان الشباب زمانى
وعوجاً بقرطاجنة فانظرا بها جنائتي الغادين تنتحبان
ويوان كسرى فانظراه فإنه يخبركم بالصديق كل أوان
فلا تحسباً أن الفناء يخصني ألا كل ما فوق البسيطة فان

المصدر: مقدمة سرور النفس: ص 44

20 - غلام

(الوافر)

ومكحولِ اللّٰحَظِ كفُضْنِ بَانِ من الولدانِ فَرَّ من الجنانِ
تناول شِمْعَةً لِيَقُطَّ مِنْهَا بمثل الدَّرِّ من رَخَصِ البنانِ
فَقَمْتُ إِلَيْهِ أَنْهَاهُ فَوَلَّى وقال: إِلَيْكَ يَا مَنْ قَدْ نَهَانِي
أَلَسْتُ رَبَّيْتُ فِي جَنَاتِ عَدْنِ فجسمي من سَعِيرٍ فِي أَمَانِ؟

المصدر: سرور النَّفس: ص 389 القطعة: 1171

21 - وصف الأهرام

(الطويل)

أَلَسْتُ تَرَى الْأَهْرَامَ دَامَ بِنَاؤُهَا وَيَفْنَى لَدَيْنَا الْعَالَمُ الْإِنْسُ وَالْجُنُ
كُنْ رَحَى الْأَفْلَاكِ أَكْوَارُهَا عَلَى قَوَاعِدِهَا الْأَهْرَامُ وَالْعَالَمُ الطُّحْنُ

المصدر: مقدّمة سرور النَّفس: ص 44

22 - فصل الخريف

قال في الخريف والأشجار المتعرية عن أوراقها:

(البسيط)

أَبْدَى الْخَرِيفُ لَنَا حُسْنًا وَاحْسَانًا

إِذَا بَزُّ مِنْ كِسْوَةِ الْأَوْدَاقِ أَغْصَانًا
فَأَصْبَحَتْ كَرَشِيقِ الْقَدِّ ذِي هَيْفٍ

نَشْوَانٍ أَمْلَحَ مَا يَأْتِيكَ عُرْيَانًا

المصدر: سرور النفس: ص 236، الفقرة 669

نصوص نثرية

1 - في جواهر الأحجار

قدم التيفاشي كتابه "أزهار الأفكار" بقوله: هذا كتاب غريب عجيب الجمع، عظيم النفع، تضمنته ذكر الأحجار المملوكية التي توجد معظمها في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء مما لا يستغنى عن اقتنائه ملك كبير ولا رئيس خطير لما يشتمل عليه من عظيم المنافع وعجائب الخواص. ولم أشرك بها ذكر شيء من الأحجار القديمة المنافع ولا أذكر شيئاً من الأحجار الشاذة المتداولة في أيدي العوام العرية من الخواص الجسام والمنافع العظام. ولا أشرك بها ذكر شيء من الأحجار الشاذة الأسماء النادرة الوقوع المتعذرة الوجود إذ كان ذلك مما لا طائل في ذكره وإنما ينتفع بذكر الحاصل في الوجود، لا الدأخل في خبر المعلوم المفقود، وترجمته بأزهار الأفكار في جواهر الأحجار.

وجملة عدد الأحجار المثبتة فيه خمسة وعشرون حجراً وهي:

الجوهر، الياقوت، الزمرد، الزبرجد، البلخش، البنفش، البجادي، الماس، عين
الهر، البازهر، الفيزوزج، العقيق، الجزع، المغناطيس، السبناذج، الدهنج،
اللازورد، المرجان، السبج، الجمشت، الخماهان، اليشم، اليشب، البلور، الطلق.

وسيلنا أن نتكلم على كل واحد من هذه الأحجار المعروفة بعد الإلام بشرح
لغة ماله لغة منها في لسان العرب من خمسة أوجه: الأول: علّة تكونه في معدنه،
الثاني: ذكر معدنه الذي تكون فيه، والثالث: ذكر جيده وريده وخالصه
ومغشوشه، الرابع: ذكر خواصه ومنافعه، الخامس: ذكر قيمته وثمنه على أغلب
الأمر وأوسط وأتم الأحوال.

فيكون هذا الكتاب بذلك زائداً مزيئاً على الكتب الموضوعه في هذا الفن من
عدّة وجوه إذ الكتب الموضوعه فيه إما أن تذكر فيها علّة تكون الأحجار ككتب
المعادن، وإما تذكر فيها منافع الأحجار ككتب الخواص، وإما أن تذكر الأمرين
معاً ولا تتعرض لذكر علل تكونها وقيمتها وأثمانها. فلأجل ذلك كان هذا الكتاب
أعمّ فائدة وأجلّ غاية من سائر الكتب الموضوعه في هذا الفن والله أعلم
بالصواب. ومع ذلك فمعظم الخواص المذكورة فيه مما جرّبته بنفسه أو وثقت
بصحّة النقل فيه عن غيري من المقتدرين فأحلت عليه مسندا قوله إليه، وهذا
حين ابتدأ الكتاب والله ولي التوفيق.

المصدر: أزهار الأفكار: ص 37-39.

2 - الزوجة الفطنة

المرأة الفطنة الحسنة التبعل تُراعي جميع هذه الأحوال وما سواها مما يتمُّ به متعة الزوج وتتفقدُ من أحوال ظاهرها وباطنها وشاهدها وغائبها ما تأمن معه أن يسبق إلى طَرْفِ بعلها أو أنفه حالة يذمُّها أو يكرهها من أجلها. وترى مع ذلك أنَّ نظرها إنما هو لنفسها، وأنَّ الحظَّ في تَصْنُوعِهَا عائد عليها خشية أن يَتَّبِعَنَّ لبعْلِها التقصير منها فتطمح نفسه إلى غيرها.

وأعظم محافظة الفطنة على أحوال خلوتها وأكثر احتفالها واستعدادها للأوقات التي يعتاد فيها قربه منها، وهي في غالب الأوقات التي ذكرها الله تعالى في كتابه ونهى الممالك والولدان عن الدخول عليهم فيها إلا بعد الاستئذان قال الله سبحانه وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ".

المصدر: قادمة الجناح: عن تحفة العروس: ص 48 - 49.

3 - وصية أم لابنتها عند زواجها

كانت أسامة بنت الحارث الثعلبية عند عوف بن محلم بن زهل بن شيبان، فولدت له أم إياس بنت عوف فتزوجها الحارث بن عمرو الكندي فلما أرادت أمها إهداءها إليه قالت لها:

”أي بنية: إن الوصية لو كانت تترك لفضل أدب أو مكرمة حسب لتركت ذلك معك ولكنها تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل.

أي بنية: لو استغنت ابنة عن زوج لَغِنَى أبويها لَكُنْتَ أغنى النَّاس عنه، ولكننا خلقنا للرجال كما خلق الرجال لنا.

أي بنية: إنك قد فارقت الوكر الذي منه خرجت، والعش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفه، وقرين لم تألفه، أصبح بملكه إياك ملكا عليك (ملكا عليك) فكوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي له خلافاً عشراً:

أما الأولى والثانية: فالصحة بالقناعة، والمعاشرة بالسَّمْع والطاعة، فإن في القناعة راحة القلب وفي المعاشرة بحسن السَّمْع والطاعة رضى الرب.

وأما الثالثة والرابعة: فالتعهد لموقع عينه والتفقد لموقع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيّب ريح، واعلمي أن الكحل أحسن الحسن الموجود، وأن الماء أطيّب الطيب المفقود.

وأما الخامسة والسادسة: فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتغريض النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتفاظ ببيته وماله، والرعاية لحشمه وعياله، فإن أصل حفظ المال من حسن التقدير، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشين له سرّاً ولا تعصين له أمراً فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

وَاتَّقِيْ مَعَ ذَلِكَ الْفَرْحَ إِذَا كَانَ تَرْحًا، وَالْاِكْتِنَابَ إِذَا كَانَ فَرْحًا، فَإِنَّ الْخَصْلَةَ الْأُولَى مِنَ التَّقْصِيرِ وَالثَّانِيَةِ مِنَ التَّكْدِيرِ، وَأَشَدُّ مَا تَكُونِينَ لَهُ إِعْظَامًا أَشَدُّ مَا يَكُونُ لَكَ إِكْرَامًا، وَأَكْثَرُ مَا تَكُونِينَ لَهُ مُوَافَقَةٌ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ لَكَ مُرَافَقَةٌ.

واعلمي أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثرين هواه على هواك، ورضاه على رضاك فيما أحببت أو كرهت.

ثم ودعتها وصرفتتها.

المصدر: قادمة الجناح: عن تحفة العروس (الطبعة الأولى): ص 66 - 67.

مُحَمَّدُ بْنُ الْفُجَّارِ

(595 - 658)

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي البلسي الشهير بابن الأَبَّار، ولد ببلسية ووفد إلى تونس في 4 محرم سنة 636 وسنّه حوالي 40 سنة وبقي في إفريقية 22 سنة إلى وفاته مقتولا بالرّماح في 20 محرم سنة 658 . كان من الشعراء الملازمين لأبي زكرياء الحفصي والمستنصر بالله ومن مباحيها بغرّ القصائد الطّوال. ألّف الكثير من الكتب بإفريقية منها ما هو مطبوع:

- الحلة السّيراء في أشعار الأهراء.

- إعتاب الكتاب.

- مظاهره المسعى الجميل ومحاذرة المرعى الوبيل في معارضة ملقى السبيل لأبي العلاء المعري.

- درر السّمط في خبر السّبط: نشر بتحقيق عز الدين عمر موسى عن دار الغرب الإسلامي، بيروت 1407.

ومما ألّفه في الأندلس وطبع:

- تحفة القادم.

- تكملة الصلّة في تراجم أهل الأندلس.

1 - وصف رياض أبي فهر وقصور راس الطابية

(الطويل)

وَرَوْضَ نَضِيرٍ جَادَهُ الْجُودُ وَالنَّدَى
نَمَتْ صُعُوداً فِي جِدَّةِ غُرْفَاتِهِ
تُخَيِّلُنَّ قَامَاتٍ وَهُنَّ عِقَانِلُ
قُدُودٌ كَسَاهَا ضَافِي الْحُسْنِ عُرْيَهَا
تَذَكَّرُ جَنَاتِ الْخُلُودِ حَدَائِقُ
فَأَسْحَارُهَا تَهْدِي لَهَا الطَّيِّبُ مَنِيحُ⁽²⁾
أَنَافَ عَلَى شَمِّ الْقُصُورِ قَلَمٌ تَزَلُ
رَجِيبُ الْمَغَانِي لَا يَضِيقُ بُوْقُهُ
تَلَاقَى لَدَيْهِ الثُّورُ وَالنُّورُ فَانْجَلَّتْ
وَحُفَّ بِأَعْنَابٍ وَنَخْلٍ نَوَاعِمُ
مَنْ الْبَاسِقَاتِ السَّابِقَاتِ بِحِمْلِهَا
عَلَيْهَا مِنَ الْقِنَوَانِ⁽³⁾ عِقْدٌ وَدَمْلَجُ⁽⁴⁾
فَتَلِكُ عُرُوشُ الْيَاسْمِينِ وَزَهْرُهُ

فليس يُبالي بعدُ ما صنع العهدُ
على عُمْدٍ مِمَّا اسْتَجَادَ لَهَا الْجَدُ
سِوَى أَنَّهَا لَا نَاطِقَاتٌ وَلَا مَلْدُ
وَأَمَعْنَ فِي تَنْعِيمِهَا النَّحْتُ وَالْقَدُ
زَوَاهِرُ لَا الزُّهْرَاءُ مِنْهَا وَلَا الْخُلْدُ⁽¹⁾
وَأَصَالُهَا تَهْدِي الصَّبَا نَحْوَهَا نَجْدُ
تَنْهَدُ وَجَدًا لِلْقُصُورِ وَتَنْهَدُ
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ وَفَدُ
تَقَارِيقُ عَنْ سَاحَاتِهِ الظُّلُمُ الرُّيْدُ
تَكَادُ فُرُوعًا بِالنَّوَاسِمِ تَنْقُدُ
إِذَا تُعَسِّرُ الْأَشْجَارُ كَانَ لَهَا وَجْدُ
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ جَيِّدٌ لَدَيْهَا وَلَا عَضْدُ
كَزْهَرِ النُّجُومِ وَسَطَ أَفْلَاكِهَا تَبْدُو

(1) الخلد: قصر ببغداد بناه المنصور العباسي على شاطئ دجلة سنة 159 هـ.

(2) منيح: مدينة كبيرة واسعة في الشمال الشرقي من حلب بينهما عشر فراسخ. قيل: إن كسرى بناها وسماها. "من به" نبغ فيها كثير من الأعلام خلال عصورها الإسلامية.

(3) القنانيق

(4) الدملج: حلي يلبس في المعصم.

وذاك نضيدُ الطلح⁽⁵⁾ والطلح قد جلا
 ولاح لنا خوخٌ كما خجل الخدُ
 وجوزَ له مُبيضُ لبٍ وإن ضفًا
 وعن جنى العنابِ غصًا كأنما
 ولأ كما أبدت بنانا مطرفًا
 ولو قنًا⁽⁶⁾ النارنج أبصرت أغصنا
 وكم لمة للآس تقطر جعدة
 حوَالِي قَبَابِ فُجَرِ الماءِ وسطها
 ومرُّ كَأَيْمٍ فِي مَذَانِبِ⁽⁷⁾ مَرْمَرٍ
 وخاض حشا بحرٍ هنالك طافح
 تطلع منها كلُ حسناء جسمها
 تناهت جمالاً أو جلالاً فأصبحت
 جنينا بها الإسعاد من مغرس المني
 وذاب لنا فيها النعيم فلا ترى
 أفانين شتى والفواكه شققت

محاسنه للأعين الينع والنضدُ
 ويانع رمان كما كعب التهدُ
 على متنه جونٌ من القشر مسودُ
 تلاحظُ من أفنانه حدقُ رمدُ
 من السندس الموشى خمصانة رُودُ
 بها مأوها تبدي جماراً لها وقدُ
 يؤمنها مسُ الجفوف ثرى جعدُ
 فأنحى على حر المصيف له بردُ
 يلجُ قسيباً⁽⁸⁾ مثل ما جلجل الرعد
 كما قد بالعضب الرهيف الطبقى سرَدُ⁽⁹⁾
 لجينٌ ولكن من نضار لها برد
 تندُ على الأوصاف إذ ما لها يدُ
 وحفَ بنا أثناءها الرقة والرقدُ
 سوى دانب⁽¹⁰⁾ هزلاً وشيمته الجدُ
 بأطعمة يعيا بها الشكر والحمد

(5) طلع النخل: أول الثمار يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود... أي ما يبدو من أول الإشار.

(6) أي اشتد في حمرة.

(7) الأيم: الحية والمذانب ج مذنب: الجدول ومسيل الماء.

(8) الخريس.

(9) الدرع.

(10) الدانب: القصير.

طيفأفرها مستوسقات(11) كأنها
فبعض ضعيف يحسر الطرف دونه
أتت بجفانٍ كالجواني تُديرها
فما يُشتهي من لحم طيرٍ كأننا
على مائداتٍ ضافياتٍ غضارةٍ
وقد حملوها كلُّ مزدفر بها
وعَجَلْ عَجَلْ سنَّةً فارضِ القرى
تجلى يسرَ الناظرين كأنما
وردِّي كافرُ الرقاق مصندلاً
فلا وأبينا ما أبينا كضيفه

وسائقُ تظمو(12) أو كرايس تشدد(13)
وبعضٌ قديرٌ دونه يحصرُ العدَّ
علينا طهارةٌ دأبها الخفر والحفد(14)
وما ضمنا الأبرار تحبُّ(15) والخلدُ
تروحُ بأنصافِ النعيم كما تغدو
يرى دارما وهو السُّليك إذا يعدو(16)
حنيدٌ(17) وعدناه فما استأخر الوعد
تجلَّلَ رَقراق العبير له جلدُ
ليؤنقَ ضدُّ فيه قابلهُ ضدُّ
تتاوله، بلْ سابقَ الراحة الزندُ

المصدر: الديوان: ص 148 - 150

2 - أدرك بخيلك

أنشد ابن الأبار هذه القصيدة بين يدي أبي زكرياء الحفصي حينما أوفده
ابن مردنيش الى العاصمة الحفصية للاستنجا بالملك عند حصار بلنسية.

(11) منظومات.

(12) أي قافلة من الابل تشدد في السير

(13) جماعة من الخيل

(14) الحفد: الاسراع والخفة في الحركة

(15) أي تسر.

(16) الدارم: المتقارب الخطو، والسليك هو السليك بن السلكة السعدي المشهور بشدة العدو

(17) حنيد: مشوي ناصج

(البسيط)

أُذِرْكَ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أُنْدَلَسَا
وَهَبْ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا التَّمَسَتْ
وَحَاشَ مِمَّا تُعَانِيهِ حُشَّاشَتُهَا
يَا لِلْجَزِيرَةِ أَضْحَى أَهْلُهَا جَزْرًا
فِي كُلِّ شَارِقَةٍ إِلْمَامٌ بِأَنْفَقَةٍ
وَكُلِّ غَارِبَةٍ إِجْحَافٌ نَائِبَةٍ
تَقَاسَمَ الرُّومُ مَا نَالَتْ مَقَاسِمُهُمْ
وَفِي بَلَنْسِيَّةٍ مِنْهَا وَقَرْطَبَةٍ
مَدَائِنُ حَلَّهَا الْإِشْرَاكُ مُبْتَسِمًا
وَصَيَّرَتْهَا الْعَوَادِي الْعَابِثَاتُ بِهَا
فَمِنْ دَسَاكِرَ كَانَتْ دُونَهَا حَرَسًا
يَا لِلْمَسَاجِدِ عَادَتْ لِلْعَدَى بَيْعًا
لَهْفِي عَلَيْهَا إِلَى اسْتِرْجَاعِ فَائِتِهَا
وَأَرْبَعًا نَمَمَتْ يُمْنَى الرَّبِيعِ لَهَا
كَانَتْ حَدَائِقَ لِلْأَحْدَاقِ مُؤْنِقَةً
وَحَالَ مَا حَوْلَهَا مِنْ مَنْظَرٍ عَجَبٍ
سُرْعَانَ مَا عَاثَ جَيْشُ الْكُفْرِ وَاحْرَبَا
وَابْتَزَزَتْهَا مِمَّا تَحْيَفُهَا

إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَنَاجِتِهَا دَرَسَا
قَلَمَ يَزُلْ مِنْكَ عِزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسَا
فَطَالَمَا ذَاقَتْ الْبُلُوَى صَبَاحَ مَسَا
لِلْحَادِثَاتِ وَأَمْسَى جُدُّهَا تَعَسَا
يَعُودُ مَاتَمُّهَا عِنْدَ الْعِدَى عُرْسَا
تَلْنِي الْأَمَانَ حِذَارًا وَالسُّرُودَ أَسَى
إِلَّا عَقَابِلَهَا الْمُخْجَوِيَّةَ الْأُنْسَا
مَا يَنْسِفُ النَّفْسَ أَوْ مَا يَنْزِفُ النَّفْسَا
جَذْلَانِ وَارْتَحَلَ الْإِيمَانُ مُبْتَسَا
يَسْتَوْحِشُ الطَّرْفُ مِنْهَا ضِعْفَ مَا أَنْسَا
وَمِنْ كَنَائِسَ كَانَتْ قَبْلَهَا كُنْسَا
وَاللُّدَاءِ غَدَا أَثْنَاءَهَا جَرَسَا
مَدَارِسًا لِلْمَتَانِي أَصْبَحَتْ دُرْسَا
مَا شَبَتْ مِنْ خَلْعٍ مُوشِيَةٍ وَكُنْسَى
فَصَوَّحَ النَّصْرُ مِنْ أُنْوَاحِهَا وَعَسَا
يَسْتَجْلِسُ الرُّكْبُ أَوْ يَسْتَرْكِبُ الْجُلُسَا
عَيْثُ الدُّبَى فِي مَغَانِيهَا الَّتِي كَبَسَا
تَحْيِفَ الْأَسَدِ الضَّارِي لِمَا افْتَرَسَا

فَأَيْنَ عَيْشُ جَنِينَاهُ بِهَا خَضِرًا
مَحَا مَحَاسِنَهَا طَاغِرُ أُتَيْحَ لَهَا
وَرَجُّ أَرْجَافِهَا لَمَّا أَحَاطَ بِهَا
خِلَالَهُ الْجَوُّ فَاْمْتَدَّتْ يَدَاهُ إِلَى
وَأَكْثَرَ الزَّعْمِ بِالتَّثْلِيثِ مُنْفَرِدًا
صَلَّ حَبْلَهَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الرَّحِيمُ فَمَا
وَأَخِي مَا طَمَسَتْ مِنْهُ الْعِدَاءُ كَمَا
أَيَّامُ سِرِّهِ لِنَصْرِ الْحَقِّ مُسْتَبِقًا
وَقَمْتُ فِيهَا بِأَمْرِ اللَّهِ مُنْتَصِرًا
تَمَحُّو الَّذِي كَتَبَ التَّجْسِيمُ مِنْ ظَلَمٍ
وَتَقْتَضِي الْمَلِكُ الْجَبَّارُ مُهْجَتَهُ
هَذِي رَسَائِلُهَا تَدْعُوكَ مِنْ كُتُبٍ
وَأَفْتِكَ جَارِيَةً بِالنَّجْعِ رَاجِيَةً
خَاضَتْ خُضَارَةً يُعْلِيهَا وَيُخْفِضُهَا
وَرَبَّمَا سَبَّحَتْ وَالرَّيْحُ عَاتِيَةً
تَوْمُ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي
مَلِكٍ تَقَلَّدَتْ الْأَمْلَاحُ طَاعَتَهُ
مِنْ كُلِّ غَادٍ عَلَى يَمَنَاهُ مُسْتَلِمًا
مُؤَيَّدٌ لَوَرَمَى نَجْمًا لِلتَّبَيُّهُ
تَاللَّهِ إِنَّ الَّذِي تُرْجَى السُّعُودُ لَهُ

وَأَيْنَ غُصْنُ جَنِينَاهُ بِهَا سَلَسًا
مَا نَامَ عَنْ هَضْمِهَا حِينًا وَلَا نَعْسًا
فَقَادَرَ الشُّمُّ مِنْ أَعْلَامِهَا خُسًا
إِذْ رَأَى مَا لَمْ تَطَلُ رِجْلَاهُ مُخْتَلِسًا
وَلَوْ رَأَى رَايَةَ التَّوْحِيدِ مَا نَبَسًا
أَبْقَى الْمِرَاسُ لَهَا حَبْلًا وَلَا مَرَسًا
أَحْيَيْتَ مِنْ دَعْوَةِ الْمَهْدِيِّ مَا طُمِسَا
وَبِتُّ مِنْ نُورِ ذَاكَ الْهَدْيِ مُقْتَبَسًا
كَالصَّارِمِ اهْتَزَّ أَوْ كَالْعَارِضِ انْتَبَسَا
وَالصَّبْحُ مَاحِيَةٌ أَنْوَارُهُ الْفَلَسَا
يَوْمَ الْوَعَى جَهْرَةً لَا تَرْقُبُ الْخَلَسَا
وَأَنْتَ أَفْضَلُ مَرْجُوٍّ لِمَنْ يَنْسَا
مِنْكَ الْأَمِيرُ الرُّضَى وَالسَّيِّدُ النَّدِسَا
عَبَابُهُ فَتَعَانِي اللَّيْنُ وَالشَّرْسَا
كَمَا طَلَبْتَ بِأَقْصَى شَدَّةِ الْفَرَسَا
حَفْصَ مَقْبَلَةٍ مِنْ تَرْبَةِ الْقُدْسَا
دِينًا وَدُنْيَا فَغَشَّاهَا الرُّضَى لِبْسَا
وَكُلُّ صَادٍ إِلَى نِعْمَاهُ مُلْتَمِسَا
وَلَوْ دَعَا أَفْقًا لَبَى وَمَا احْتَبَسَا
مَا جَالَ فِي خَلَدٍ يَوْمًا وَلَا هَجَسَا

إِمَارَةً يَحْمِلُ الْمِقْدَارُ رَايَتَهَا
 يَبْدِي النَّهَارُ بِهَا مِنْ ضَوْئِهِ شَيْئًا
 مَاضِي الْعَزِيمَةِ وَالْأَيَّامُ قَدْ نَكَتْ
 كَأَنَّهُ الْبَدْرُ وَالْعَلِيَاءُ هَالَتْهُ
 تَذْيِيرُهُ وَسِعَ الدُّنْيَا وَمَا وَسِعَتْ
 قَامَتْ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ دَعْوَتُهُ
 مُبَارَكُ هَدْيِهِ بَادٍ سَكِينَتُهُ
 قَدْ نَوَّرَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى بَصِيرَتَهُ
 بَرَى الْعَصَاةَ وَرَاشَ الطَّائِعِينَ فَقُلْ
 وَلَمْ يُغَادِرْ عَلَى سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ
 قُرْبٌ أَصِيدَ لَا تُلْفِي بِهِ صَيْدًا
 إِلَى الْمَلَائِكِ يُنْمَى وَالْمُلُوكِ مَعًا
 مِنْ سَاطِعِ النُّورِ صَاغَ اللَّهُ جَوْهَرَهُ
 لَهُ الثَّرَى وَالثَّرِيَّا خَطَّانٍ فَلَا
 حَسَبُ الَّذِي بَاعَ فِي الْأَخْطَارِ يَرْكُبَهَا
 إِنَّ السَّعِيدَ أَمْرٌ أُلْقِيَ بِحَضْرَتِهِ
 فَظَلَّ يُوْطِنُ مِنْ أَرْجَائِهَا حُرْمًا
 بُشِّرَى لِعَبْدٍ إِلَى الْبَابِ الْكَرِيمِ حَدًّا
 كَأَنَّمَا يَمْتَطِي وَالْيَمْنُ يَصْنَحُهُ
 فَاسْتَقْبَلَ السَّعْدَ وَضَاحًا أَسْرَتُهُ

وَنَوْلُهُ عَزَمَهَا يَسْتَنْصَحِبُ الْقَعْسَا
 وَيُطْلِعُ اللَّيْلُ مِنْ ظِلْمَائِهِ لَعْسَا
 طَلَّقَ الْحَيَا وَوَجَّهَ الدَّهْرُ قَدْ عَبَسَا
 تَحَفٌ مِنْ حَوْلِهِ شَهْبُ الْقَنَا حَرَسَا
 وَعَرَفُ مَعْرُوفِهِ وَأَسَى الْوَرَى وَأَسَا
 وَأَنْشَرَتْ مِنْ وَجُودِ الْجُودِ مَا رُمِسَا
 مَا قَامَ إِلَّا إِلَى حُسْنَى وَلَا جَلَسَا
 فَمَا يُبَالِي طُرُوقَ الْخَطْبِ مَلْتَسَا
 فِي اللَّيْلِ مُقْتَرِسًا وَالْغَيْثِ مُرْتَجِسَا
 حَيًّا لِقَاحًا إِذَا وَقَيْتَهُ بَخْسَا
 وَرُبَّ أَشْوَسَ لَا تُلْقَى لَهُ شَوْسَا
 فِي نَبْعَةٍ أَثْمَرَتْ لِلْمَجْدِ مَا غَرَسَا
 وَصَانَ صِيغَتَهُ أَنْ تَقْرُبَ الدُّنْسَا
 أَعَزُّ مِنْ خَطَّتِيهِ مَا سَمَا وَرَسَا
 إِلَيْهِ مَحْيَاهُ أَنْ الْبَيْعَ مَا وَكِسَا
 عَصَاهُ مُحْتَزِمًا بِالْعَدْلِ مُحْتَرِسَا
 وَبَاتَ يُوقِدُ مِنْ أَضْوَانِهَا قَبَسَا
 أَمَالَهُ وَمِنْ الْعَذْبِ الْمَعِينِ حَسَا
 مِنَ الْبَحَارِ طَرِيقًا نَحْوَهُ يَبَسَا
 مِنْ صَفْحَةٍ غَاضَ مِنْهَا النُّورُ فَانْعَكَسَا

وَقَبَّلَ الْجُودَ طَفَاحًا غَوَارِيَهُ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ أَنْتَ لَهَا
وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَنْبَاءُ أَنَّكَ مَنْ
طَهَرَ بِإِلَادِكَ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ نَجَسُ
وَأَوْطَى الْفَيْلَقَ الْجَرَّارَ أَرْضَهُمْ
وَأَنْصَرَعِيْدًا بِأَقْصَى شَرْقِهَا شَرَقَتْ
هُمْ شَيْعَةُ الْأَمْرُوهِي الدَّارُ قَدْ نُهِكَتْ
فَامْلَأْ هَنِيئًا لَكَ التَّمَكُّيْنَ سَاحَتَهَا
وَاضْرِبْ لَهَا مَوْعِدًا بِالْفَتْحِ تَرْقِبُهُ
مِنْ رَاحَةِ غَاصَ فِيهَا الْبَحْرُ فَانْغَمَسَا
عَلَيَاءُ تَوْسِعُ أَعْدَاءَ الْهَدْيِ تَعَسَا
يُحْيِي بِقَتْلِ مَلُوكِ الصُّفْرِ أَنْدَلَسَا
وَلَا طَهَارَةَ مَا لَمْ تَغْسِلِ النَّجَسَا
حَتَّى يُطَاطَى رَأْسًا كُلُّ مَنْ رَأْسًا
عِيُونُهُمْ أَدْمَعَا تَهْمِي زَكَا وَخَسَا
دَاءٌ وَمَا لَمْ تُبَاشِرْ حَسْمَهُ انْتَكَسَا
جُرْدًا سَلَاهِبَ أَوْ خَطِيئَةً دُعَسَا
لَعَلَّ يَوْمَ الْأَعَادِي قَدْ أَتَى وَعَسَى

المصدر: الديوان: ص 395 - 400

3 - طتب قبائك هذا العز والشرف

قال يمدح أبا زكرياء الحفصي ويصف بستان أبي فهر:

(البسيط)

طَنَّبُ قِبَابَكَ هَذَا الْعِزُّ وَالشَّرَفُ
رِيْعَانُ مَلِكٍ لِرِيْعَانِ الْحَيَاةِ بِهِ
وَطِيبُ عَصْرِ جَنَاهُ الْغَضُّ مُهْتَصِرًا
رَقَّتْ وَرَاقَتْ حَوَاشِيهِ وَغُرَّتْ
أَمَّا تَرَى نَوَلَةَ الْإِقْبَالِ مُقْبِلَةً
وَاصْحَبَ شِبَابِكَ لَا شَيْبُ وَلَا خَرَفُ
إِقَامَةُ وَلِمَاضِي الْعُمْرِ مُنْصَرَفُ
كَمَا حَلَا مِنْ نُغُورِ الْحَوْرِ مُرْتَشَفُ
فَلَيْلُهُ بِالصَّبَاحِ الطَّلُقِ مَلْتَجِفُ
خَصْبُ، وَلَا عَجَبُ، عَدْلُ، وَلَا جَنَفُ

وَحَضَرَةُ السُّعْدِ فِي أَبْهَى مَنَاطِرِهَا
تُزْهِى بِمَا أَخَذَتْ مِنْ زِينَةِ صَلَفَا
كَأَنَّ يَحْيَى الرُّضَى أَلَتْ إِبَالَتَهُ
مَلِكُ الْمُلُوكِ الَّذِي دَانَتْ بِطَاعَتِهِ
وَاسْتَشْرَفَتْ طُمَحًا مِنْ لُثْمِ رَاحَتِهِ
مُقَرَّةٌ بِمَعَالِيهِ الَّتِي بَهَرَتْ
إِمَامَ دِينَ وَدُنْيَا قَامَ دُونَهُمَا
وَشَدَّ أَرْزَهُمَا طَلَقًا أَسْرَتُهُ
فِي عَسْكَرٍ لَجِبٍ مِنْ مَعْشَرٍ نُجِبٍ
لَا يَسْلُفُونَ⁽²⁾ سِوَى مَجْدٍ إِلَى كَرَمٍ
عِصَابَةٌ تَطْلُعُ الْأَقْمَارُ إِنْ طَلَعُوا
تَدَارَكَ الْأَمْرُ مِنْهُ وَالْأُمُورُ سُدَى
بِمَظْهَرِ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ مُتَّصِلُ
لِلْحَقِّ مُتَّعِضُ فِي اللَّهِ مُرْتَمِضُ
وَجْهٌ الْحَنِيفِيَّةِ الْبَيْضَاءِ مُؤْتَلِقُ
مَا بَيْنَ سِيرَتِهِ الْحُسْنَى وَسُورَتِهِ
مُبَارَكُ عَصْرِهِ الْمَيْمُونُ مُعْتَدِلُ

رَاحَتْ بِخِدْمَتِهَا الْأَقْدَارُ تَزْدَلِفُ
وَمَا لِرَاعِدَةٍ فِي جَوْهَا صَلَفُ
أَنْ يَشْمَلَ الْخَلْقَ مِنْهَا الرِّفْقُ وَاللُّطْفُ
زُلْفَى تَقَاصَرَ عَنْ إدْرَاكِهَا الزُّلْفُ
إِلَى أُمَانِيٍّ فِيهَا الْمَجْدُ وَالشَّرْفُ
وَالْحَقُّ أَبْلَجُ لِلْأَلْبَابِ مُنْكَشِفُ
وَالْأَرْضُ تُنْقِصُ وَالْأَطْوَادُ تُنْتَسِفُ
وَالنَّاسُ قَدْ وَهَنُوا طُرًّا وَقَدْ ضَعُفُوا
قَامَاتُهُمْ كَعَوَالِيهِمْ بِهَا قَضَفُ⁽¹⁾
صِيدًا كِرَامًا أَبُو حَقْصٍ لَهُمْ سَلَفُ
وَتَذَلِفُ الضَّارِيَاتُ الْقَلْبُ إِنْ دَلَفُوا
جَذَلَانُ يَبْسُمُ وَالْأَرْوَاحُ تُخْتَطَفُ
وَبَاتِّبَاعِ هُدَى الْمَهْدِيِّ⁽³⁾ مُتَّصِفُ
بِاللَّهِ مُتَّصِرُ لِلَّهِ مُتَّصِرِفُ
بِهِ وَشَمْلُ النَّدَى وَالْبَاسُ مُؤْتَلِفُ
يُرْجَى وَيُخْشَى التَّلَافِي الْمَحْضُ وَالتَّلَفُ
وَعَنْ سِوَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مُنْحَرِفُ

(1) القُضْف: النخافة والدقة.

(2) سلف يسلف: يطلب

(3) يقصد المهدي بن تومرت

مِنْ جَاشِهِ يَسْتَمِدُّ الْجَيْشُ مُحْتَفِلًا
 وَعَنْ سَعَادَتِهِ تَمْضِي السُّيُوفُ إِذَا
 يُمْنُ الثَّقِيْبَةِ فِي أَوْلَى مَنَاقِبِهِ
 حَتَّى الرِّيحُ إِذَا هَبَّتْ بِأَسْعَدِهِ
 مُحْمِلًا وَقَدَهَا مِنْ عَرْفِهِ بَرْدًا
 قَدْ شَادَ سُلْطَانُهُ مَا شَاءَ مُحْتَزًّا
 مَصَانِعًا ضَلَّتْ الْأَمْلَاحُ صَنَعَتَهَا
 وَضَاحَةً حَلَّتِ الْأَنْوَارُ سَاحَتَهَا
 كَأَنَّ رَأْدَ الضُّحَى مِمَّا يُغَارِلُهَا
 تَجَمَّعَتْ وَهِيَ أَشْتَاتٌ مَحَاسِنُهَا
 حَيْثُ الْقُصُورُ عَلَيْهَا الْحُسْنُ مُقْتَصِر
 وَحَيْثُ حَفَّتْ سَقَاةُ الْمَزْنِ أَكْؤُسَهَا
 وَالزَّهْرُ مُنْشَقَّةٌ عَنْهُ كَمَاثِمُهُ
 يُضَاحِكُ النُّورَ فِيهَا النُّورُ عَنْ كُتْبِ
 خَضَرٍ خَمَائِلُهَا زُرْقُ جَدَاوِلُهَا
 دَوْحٌ وَظِلٌّ يَلْدُ الْعَيْشُ بَيْنَهُمَا
 يَجْرِي النَّسِيمُ عَلَى أَرْجَانِهَا دَنَفًا
 حَاكُ الرِّبْعِ لَهَا مِنْ صَوْبِهِ حَبْرًا

ثَبَاتُهُ وَمَتُونُ السُّمْرِ تَنْقُصُفُ
 كَلَّتْ وَتُدْرِكُ شَاوُ السَّابِقِ الْعُطْفُ (4)
 يَرْمِي فَيُصْنَمِي وَغَايَاتُ الْمُنَى هَدَفُ
 هَبَّتْ سَوَاجِي لَا هُوجٌ وَلَا عُصْفُ
 مَا لَا تَزَالُ بِهِ الْأَصَالُ تَعْتَرِفُ
 وَالْدَهْرُ ثَاوٍ عَلَى الْإِسْعَادِ مُعْتَكِفُ
 لَا الْقَصْدُ وَافٍ بِهَا وَصْفًا وَلَا السَّرْفُ
 فَأَوْضَعْتَ رِحْلَةً عَنْ أَفْقِهَا السُّدْفُ
 عَنْ الْغَزَالَةِ هَيْمَانُ بِهَا كَلِفُ
 هَذَا الْغَدِيرُ وَهَذِي الرُّوْضَةُ الْأَنْفُ
 فَوْقَ الْبُحَيْرَةِ مِنْهَا الْبَحْرُ مُغْتَرِفُ
 لِلطَّيْرِ تَشْدُو وَلِلْأَغْصَانِ تَنْعُطُفُ
 كَالْجَوْهَرِ انْشَقَّ عَنْ شَفَافِهِ الصَّدْفُ
 مَهْمَا بَكَتْ لِلْغَوَادِي أَعْيُنُ ذُرْفُ
 فَالْحُسْنُ مُؤْتَلَفٌ فِيهَا وَمُخْتَلَفُ
 هَذَا يَرِفُ كَمَا تَهْوَى وَذَا يَرِفُ
 وَمِلْؤُهُ أَرْجٌ يُشْفَى بِهِ الدَّنْفُ
 كَأَنَّهَا الْحُلُّ الْأَفْوَافُ وَالصُّحْفُ

(4) العطف: ج عاطف، السادس من خيل السباق

غَرِيرَةٌ مِنْ بَنَاتِ الرُّوضِ نَاعِمَةٌ
صَافَ الْجَنَى الْغَضُّ فِي أَدْوَاهِهَا وَشَتَا
يَكُرُّ الْحَدَائِقِ وَالْأَحْدَاقُ شَاهِدَةٌ
تَنْدَى أَصَابِلُهَا صَفْرًا غَلَابِلُهَا
فِي حَبْرَةٍ وَأَمَانٍ مَنْ تَبَوَّاهَا
تَظَلُّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ جَارِيَةٌ
أَضْحَتْ إِلَى غَرْفِ الرُّضْوَانِ دَاعِيَةٌ
تُلهِكَ عَنْ زُخْرَفِ الدُّنْيَا زُخَارِفُهَا
يَا حَبْدًا الْمَجْلِسُ الْوَضَّاحُ مَبْسَمُهُ
يَجُولُ مَاجِلُهُ كَالطَّرْفِ⁽⁶⁾ مِنْ فَلَاقِ⁽⁷⁾
يَرْتَاحُ لِلرَّيْحِ أَعْطَافًا إِذَا نَسَمَتْ
مِلءَ الْفَضَاءِ طَمُوحُ الْمَوْجِ مَزِيدُهُ
يَمُدُّهُ لِلْفِرَاتِ الْعَذْبِ مُطَرِدُهُ
كَأَنَّ أَمْوَاجَهُ الْأَبْطَالُ دَارِعَةٌ
وَحَبْدًا الْقُبَّةُ الْعَلِيَاءُ شَامِخَةٌ
حَفَّتْ بِحَافَتَيْهَا الْأَشْجَارُ تَكَلُّوْهَا

يُنَنِّي مَعَاطِفَهَا فِي السُّنْدُسِ التَّرْفُ
فَتَجْتَنِّي الْيَدُ مَا شَاعَتْ وَتَقْطَعُ
لَا عَانِسُ جَهْمَةِ الْمَرَأَى وَلَا نَصَفُ⁽⁸⁾
كَأَنَّ مَاءَ نُضَارٍ فَوْقَهَا يَكْفُ
كَجَنَّةِ الْخَلْدِ لَا رَوْعُ وَلَا أَسْفُ
يَرُوقُ مُنْعَرَجٌ مِنْهَا وَمُنْعَطَفُ
تِلْكَ الْمَحَارِسِبُ وَالْأَلْيَاتُ وَالْغُرُفُ
وَعَنْ أَغَانِي الْغَوَانِي وَرَقِهَا الْهَتَفُ
كَأَنَّهُ عِلْمٌ يَسْمُو بِهِ شَقْفُ
فَمَا لَهُ وَسْطُهُ سَاجٍ وَلَا طَرْفُ⁽⁸⁾
كَأَنَّهُ مُسْتَهَامٌ قَلْبُهُ يَجِفُ
يَعْبُ مُنْفَرِدٌ مِنْهُ وَمُرْتَدَفُ
خَضِرُ الْبَحَارِ إِذَا قَيْسَتْ بِهِ نُطْفُ
كَرَّتْ تُلَاقِي وَلَا بِيضُ وَلَا جَحْفُ⁽⁹⁾
بِأَنْفِهَا يَزْدَهِيهَا الْعِزُّ وَالْأَنْفُ
كَمَا تَقُومُ عَلَى سَادَاتِهَا الْوُصْفُ

(5) النصف: المرأة المتوسطة العمر.

(6) الطرف: العتيق من الخيل

(7) الفلق: المطمئنة من الأرض

(8) طرف: متحرك

(9) الجحف: الموت والقتال

كَأَنَّ مِنْ وَشْيٍ صَنَعَاءَ بِهَا شَيْءٌ
 قَعِيدَةٌ لِلْعُلَى قَامَتْ عَلَى عَمَدٍ
 كَأَنَّهُنَّ الْعَذَارَى الْغِيدُ نَاضِيَةٌ
 مَطَالِعُ النُّجُومِ السَّعْدُ يَكْنُفُهَا
 لَوْ تَهْتَدِي الشَّمْسُ أَنْ تَخْتَارَهَا فَلَكَا
 مَا خَلِدُ بَغْدَادُ أَوْ زَهْرَاءُ أُنْدُلُسُ
 وَأَيْنَ إِيوَانُ كِسْرَى مِنْ سَرَارَتِهَا
 تَحَدَّثُوا بِرُحْمَةٍ عَنْهَا وَلَوْ عَرَفُوا
 وَهَذِهِ خَلَفَتْ تِلْكَ الَّتِي سَلَفَتْ
 بُشْرَايَ فَرَزْتُ بِهَا أُمْنِيَّةً أَمَّا (10)
 أَوْتَيْتِي الْحَضْرَةَ الْعَظْمَى وَقَدْ كَلِفْتُ
 وَأَوْسَعْتَنِي تَشْرِيفًا بِخِدْمَتِهَا
 حَسْبِي مِنَ الْفَخْرِ أَنِّي عِنْدَهَا، وَكَفَى
 لِي عَائِدٌ مِنْ عَطَايَاهَا وَلِي صِلَةٌ
 فَرُوضَةٌ الْأَمْنِ فِي أَقْنَانِهَا غَضَفُ
 مَكَارِمٍ عَاقَنِي عَنْ حَصْرِهَا حَصْرُ
 جَلَّتْ وَدَقَّ بَيَانُ أَنْ يُعَدَّهَا
 أَيْنَ الْإِجَادَةُ إِلَّا أَنْ يُجَادَ بِهَا

المصدر: الديوان: ص 373 - 378.

فَلِلْعَيُونِ بِصْنَعٍ زَانَهَا شَغَفُ
 مَصْفُوفَةٍ حُسْنُهَا يُزْدِي بِمَنْ يَصِفُ
 شَفُوفَهَا عَنْ قُدُودِ كُلِّهَا هَيْفُ
 قَصْرُ الْإِمَارَةِ نِعَمَ الْقَصْرِ وَالْكَتْفُ
 لِسِيرِهَا لَمْ تَكُنْ تَخْفَى وَتَتَكَشَّفُ
 وَالْمَلِكُ مُقْتَبِلٌ فِيهَا وَمُؤْتَنِفُ
 وَكَالْكَالِيلِ فِي هَامَاتِهِ الشَّرْفُ
 مَبَانِي الْمُرْتَضَى يَحْيَى لَمَّا هَرَقُوا
 وَلَيْسَ مِنْهَا وَلَا مِنْ حُسْنِهَا خَلْفُ
 لَمَّا حَدَّثَتَنِي إِلَيْهَا نِيَّةً قُدْفُ
 بِي الْخُطُوبُ وَأَدَّتَنِي لَهَا كَلْفُ
 فَخِيرُهَا مُتَلَدٌ عِنْدِي وَمُطَرَفُ
 بِمُنْتَبِ لِي حِينًا لَيْسَ يَنْحَذِفُ
 سَحَتْ سَحَابًا فَلَا مَحَلُّ وَلَا شَظْفُ
 وَدِيمَةُ الْمُنِّ فِي اثْنَانِهَا وَطَفُ
 وَاقْتَادَنِي لَهْجُ وَاعْتَادَنِي لَهْفُ
 وَالْبَحْرُ لَيْسَ مِنَ الْأَوْشَالِ يُنْتَرَفُ
 مِنْ مُعْجَمَاتٍ قَوَافٍ دُونَهَا تَقِفُ

4 - رثاء يحيى بن أبي زكرياء

(الكامل)

بَيْنِي ثَلَاثًا سَلَوَةَ الْيَامِ
 وَدَعَا دَعَامَتَهُ إِلَى تَعْوِضِهَا
 وَدَهَى الْوَرَى مِنْ تَكْلِ هَادِيهِمْ بِمَا
 هَذِي الشُّجُونُ الْجُونُ قَدْ أَخَذَتْ عَلَى
 وَتَقَاضَتْ الْأَجْفَانُ حُمُرُ دُمُوعِهَا
 مَا رَاعَهُمْ إِلَّا نَعِي وَجُودِهِ
 فَلَوْ التَّفَّتْ لَقَلَّتْ: شَرِبُ مُدَامِ
 أَنْوَارِهِ هَامُوا لَهَا فَذَكَرْتُ مَا
 تَالَهُ لَوْ قَتَلُوا عَلَيْهِ نَفُوسَهُمْ
 خَطْبُ الْخُطُوبِ أَبَاحَ مُحْتَكَمًا حِمَى
 أَنَّى وَمِنْ أَيْنَ اسْتَدَارَ لَهُ الرَّدَى
 فِيهِ الْكُمَاةُ إِذَا هُمْ اعْتَقَلُوا الْقَنَا
 أَصْمَاهُ رَامٍ كَمْ ثَنَى عَنْهُ الْعِدَى
 نُورُ الْوُجُودِ أُتِيحَ مِنْ إِطْفَائِهِ
 سَيْفُ الْهُدَى أَوْدَى بِهِ سَيْفُ الرَّدَى
 مَا لِلنُّجُومِ طَوَالِعًا؟ مَا لِلْجَبَا

أَوْدَى الْحِمَامُ بِنَاصِرِ الْإِسْلَامِ
 تَأْسِيسُهُ بِالثَّرْبِ دَارَ مُقَامِ
 أَعْيَا عَلَى الْأَفْهَامِ وَالْأَوْهَامِ
 وَقَدِ الْعَرَاءِ مَطَالِعِ الْإِلْمَامِ
 فَمِنْ الْقُلُوبِ عَلَى الْخُدُودِ دَوَامِ
 فِي حَيْثُ لَا أَمْنٌ مِنَ الْأَعْدَامِ
 وَلَوْ اسْتَمَعْتَ لَقَلَّتْ: سِرْبُ حَمَامِ
 نَسِيتَ تَوَارٍ مِنْ هَوَى وَهِيَامِ⁽¹⁾
 أَسْفَا لَمَّا وَقَفُوا قَضَاءَ نِزَامِ
 مَلِكِ الْمُلُوكِ فَطَاحَ دُونَ مُحَامِ
 وَالْجَيْشُ مِلَّةُ عَمَائِرِ وَمَوَامِ⁽²⁾
 وَأَنفُوكَ بِالْأَسَادِ وَالْأَجَامِ
 صَرَعَى يُنَاضِلُ دُونَهُ وَيُرَامِي
 مَا أَلْبَسَ الدُّنْيَا مَسُوحَ ظَلَامِ
 قَدْ يَفْتِكُ الصَّمْصَمَامُ بِالصَّمْصَمَامِ
 لِ رَوَاسِيَا؟ مَا لِلنَّجَارِ طَوَامِي؟

(1) نوار: زوج الفريزق

(2) موام: ج مومة وهي الصحراء

لَمْ لَمْ تَعْرِ لَمْ لَمْ تَزَلْ لَمْ لَمْ تَقْضُ
 فِي بُونَةِ بَانَتْ حَيَاةُ الْمُتَقْضَى
 وَهُنَاكَ خُطُّ ضَرِيحِهِ سَقِيًّا لَهُ
 لَمَّا تَوَى دَارَ السَّلَامِ تَرَحَّلَتْ
 لَا طِيبَ فِي الْأَسْحَارِ وَالْأَصَالِ مَذُ
 عَطَلَتْ ظُهُورُ الْأَرْضِ مِنْ تِلْكَ الْحَلَى
 كَانَ الزَّمَانُ يَضِيقُ عَنْهُ جَلَالَهُ
 سَلْ عَنْ ظُبَاهُ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا
 وَانْظُرْ إِلَيْهِ مُسَالِمًا وَمُحَارِبًا
 غَلَبَتْهُ صَادِمَةُ الْمُنُونِ وَطَالَمَا
 وَانْجَابَتْ الْحَرَكَاتُ عَنْ إِسْكَانِهِ
 وَاهَا وَاهَا لَوْ شَقَى تَرْدَادُهَا
 أَتْهِمْ وَأَنْجِدْ يَا نَجِيبُ فَقَدْ قَضَى
 كَيْفَ احْتِسَابِي مَا أَلَمٌ وَلَرْنَمَا
 لَا تَحْسِبُونِي صَاحِبًا مِنْ خَمْرَةٍ
 أَمِنْ الْوَفَاءِ وَقَاتُهُ وَحَيَاتُنَا
 سَوَايَ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَاقَتْ بَعْدَهَا
 لَمَّا انْتَأَى مَلَأَ الْهُدَى اثْنَاءَهَا
 يَا فَوْزَهُمْ بِخِلَافَةِ تَعْنُو لَهَا

مِنْ شِدَّةِ الْحَسَرَاتِ وَالْآلَامِ؟
 يَحْيَى وَقَيْدَ إِلَى الثَّرَى بِزِمَامِ
 هَلَا(3) بِأَفْنِدَةٍ عَلَيْهِ حِيَامِ
 عَنَّا مَحَاسِنُ دَهْرِنَا بِسَلَامِ
 طَابَ الثَّرَى مِنْهُ بِخَيْرِ إِمَامِ
 إِذْ حَلَيْتُ مِنْهَا بَطُونُ رِجَامِ
 فَلِذَا بِهِ فِي تَرْبَةٍ وَسَلَامِ
 تُنْبِئُكَ عَنْ إِغْمَادِهَا فِي الْهَامِ
 تَجِدِ الْهَدَايَةَ أَسْوَةَ الْإِلْهَامِ
 هَابَتْهُ أَغْلَبَ مَاضِيِ الْإِقْدَامِ
 مَا بَيْنَ أَجْدَاثٍ وَبَيْنَ رِمَامِ
 مِنْ زَفَرَةٍ مَشْبُوبَةٍ كَضَرَامِ
 نَحْبًا أَخُو الْإِنْجَادِ وَالْإِثْهَامِ
 حَسَنَاتُ صَبْرٍ فِيهِ كَالْأَثَامِ
 لِلْحُزْنِ فِيهَا الْعَالَمُونَ نَدَامِي
 أَفْ لِكُفَّارٍ يَدَ الْإِنْعَامِ
 حُسْنَى لَهَا فِي اللَّهِ حُسْنُ مَقَامِ
 فَكَفَى عِظَائِمَهَا اكْتِفَاءَ عِظَامِ
 خُلُقَاءُ بَيْتِي هَاشِمٍ وَهَشَامِ

(3) هَلَا: هل السحاب هلا أي: أمطر بشدة.

وَتَدُومُ فِي الْأَعْقَابِ لَيْسَ لِحُكْمِهَا
 أَرْضَوْا إِمَامَهُمْ فَأَمْضُوا عَهْدَهُ
 قَسَمًا بِهِ لَوْلَا إِمَارَةُ نَجْلِهِ
 أَتَرَاهُ كَوَشِيفَ الَّذِي هُوَ كَائِنُ
 وَأَقَامَهُ لِلنَّاسِ يَجْمَعُهُمْ عَلَى
 دَهْمَتِهِمْ دُهُمُ الْخَطُوبِ فَشَدَّ مَا
 لَمَّا ارْتَضَاهُ نَضَاهُ غَضْبًا حَاسِمًا
 أَوْلَى نِمَامٍ بِالرَّعَايَةِ عِنْدَهُ
 لِلَّهِ زَخْفُ خَمِيْسِهِ بِزَعِيمِهِ
 مِنْ كُلِّ مَوْدِدٍ رُمَحُهُ أُنْدَرَاعُهُمْ
 رَجَفَتْ بِلَادُهُمْ لِبَيْعَتِهِ الَّتِي
 وَعَنِ الْقُلُوبِ تَفَقَّاتُ أَضْلَاعُهُمْ
 لِمُحَمَّدٍ وَعِدَتِ رَعَايَا أَحْمَدٍ
 وَكَأَنَّ بَشْرًا سَاطِعًا إِشْرَاقُهُ
 مَلِكُ نَمَتِهِ فِي الْمُلُوكِ عِصَابَةٌ
 بُشِّرَى الْأَنَامِ بِدَوْلَةٍ حَفْصِيَّةٍ
 أَبَدًا تُوَافِي مِنْهُمْ بِأَيْمَةٍ
 فِي يَوْمِهِمْ أَحْيَاوْا خَلِيفَةَ أُمْسِهِمْ

نَسَخَ مَدَى الْأَحْقَابِ وَالْأَعْوَامِ
 وَوَفَّوْا لِأَنْفِ الْبَغْيِ بِالْإِرْغَامِ
 لَعْدَا الْهَدَى نَتْرًا بِغَيْرِ نِظَامِ
 فَاعْتَامَهُ⁽⁴⁾ مَنْ جَوْهَرِ مُعْتَامِ
 سُلْطَانِهِ وَرَأَاهُ خَيْرَ قِرَامِ
 جَلَّى نُبَاهَا مِنْهُ بَدْرُ تَمَامِ
 غُدِرَ الْعِدَى مِنْ رَأْيِهِ بِحُسَامِ
 مَا لَمْ يُجَاوِزْهُ، سُؤَالُ مُضَامِ
 تَحْتَ اللَّوَاءِ لِعُبْدِ الْأَصْنَامِ
 فَتَرَى بِهِ أَلْفًا مُخَالِطًا لَامِ
 مَرَّتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَامِ
 فَكَأَنَّهَا الْأَزْهَارُ دُونَ كِمَامِ
 أَلَّا تَزَالَ زَوَاهِرَ الْأَيَّامِ
 فِي وَجْهِهَا مِنْ وَجْهِهِ الْبَسَامِ
 هِيَ مَفْخَرُ الْأَسْيَافِ وَالْأَقْلَامِ
 مَنصُورَةُ الرَّايَاتِ وَالْأَعْلَامِ
 زَهْرُ الْمَنَاقِبِ رُجَّحَ الْأَحْلَامِ
 شَبَّهَا بِهِ فِي التَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ

(4) اعتمامه: اختاره

تِلْكَ الشَّمَائِلُ كَالشَّمَائِلِ⁽⁵⁾ قَدْ سَمْتُ
يَا خَجَلْتِي لِلْفِكْرِ أَقْعَدُهُ الْأَسَى
كُنْتُ الْمُطِيلَ مُهَنِّئًا وَمُعْزِيًا
«تِلْكَ الرِّزِيَّةُ لَا رِزِيَّةَ مِثْلَهَا»
بِأَبِي غَمَامٍ مُقْلِعُ بِغَمَامٍ
عَنْ نَهْضَةٍ بِحُقُوقِهَا وَقِيَامٍ
لَكِنْ كَفَانِيهَا أَبُو تَمَامٍ⁽⁶⁾
وَالْقِسْمُ لَيْسَ كَسَائِرِ الْأَقْسَامِ

المصدر: الديوان: ص 262 - 265

5 - بستان أبي زكرياء الحفصي

قال يصف حدائق أبي فهر:

(الكامل)

زَارَ الْحَيَا بِمَزَارِهِ الْبُسْتَانَا
فَقَدَا بِهِ وَيَصْنُوهُ يَخْتَالُ فِي
وَيَمِيسُ أَفْنَانًا فَتَبْصِرُ خَرْدًا
وَكَاثِمًا الْأَنْوَاحَ فِيهِ مَفَارِقُ
وَكَاثِمًا رَامَ النَّاءَ فَلَمْ يُطِقْ
مِنْ كُلِّ مُفْتَنٍّ الصَّغِيرِ قَدْ ارْتَقَى
هِيَ عَادَةٌ لِلْمُزْنِ يَحْفَظُ رَسْمَهَا
أَسْرَى إِلَى النَّسْرِينَ يُرْضِعُهُ النَّدَى
وَحَبَا الْعَرَارَ بِصَفْرَةٍ ذَهَبِيَّةٍ
وَأَثَارَ مِنْ أَزْهَارِهِ أَلْوَانَا
حُلِّلِ النَّضَارَةَ مُونِقًا رِيَانَا
تَنْثِي الْقُدُودَ لَطَافَةً وَلِيَانَا
يَلْبَاسِهَا قَطْرُ النَّدى تِيجَانَا
فَشَدَّتْ بِهِ أَطْيَارُهُ أَلْحَانَا
فَنَنَّا فَأَفْخَمَ، خَاطِبًا، سُحْبَانَا
حَفِظَ الْأَمِيرَ الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَا
وَيَهْبُ طَرْفَ النَّرْجِسِ الْوَسْتَانَا
رَاعَتْ فَتَاهَ بِكَمِّهَا فَتَانَا

(5) "الشَّمَائِلُ" الثانية: الرياح التي تهب من ناحية القطب، مفردا شمال وشمال.

(6) يشير إلى قصيدة أبي تمام يمدح فيها الواثق ويهنته بالخلافة ويعزيه في أبيه المعتصم.

وَدَقُّ تَوَلَّدَ عَنْهُ وَقَدْ فِي الرَّبِّي
تِلْكَ الْأَهَاضِيبُ اسْتَهَلَّتْ دِيْمَةً
شَرِقَتْ بِعَارِضِهَا الْمُلْكِ وَأَشْرَقَتْ
يَا حَبْدًا خَضِلِ الْبَهَارِ مُنَافِحًا
وَالْأَسُ يَلْتَنِّمُ الْبِنْفَسَجَ عَارِضًا
وَالرَّيْحُ تُرْكُضُ سُبُقًا مِنْ خَيْلِهَا
هُوجَاءُ تَسْتَشْرِئِي فَيَلْقَحُ مَدَهَا
حَرِيًّا عَهْدَتْ أَزَاهِرًا وَمَزَاهِرًا
يَغْنُو الْحَلِيمُ يُجَرِّرُ الْأَذْيَالِ مِنْ
وَكَاثِمًا هَابَ الْغَدِيرُ هُبُوبَهَا
يُبْدِي مُعَنَّاهَا الثَّبَاتَ وَإِنَّمَا
وَاهَا لَهُ لَيْسَ الدَّلَاصَ كَاثِمًا
وَاسْتَلَّ مِنْ زُرْقِ الْمَذَانِبِ حَوْلَهُ
سَالَتْ تَفْذُ⁽²⁾ الْهَمُّ لَيْسَتْ كَالَّتِي
وَكَاثِمًا كَانُونُ⁽³⁾ مِمَّا صَفَّ مِنْ
قَدْ حَلَّتِ الْحَمْلُ⁽⁴⁾ الْغَزَالَةُ عَادَةً
فِي دَوْلَةٍ أَنْتَ وَقَنْتَ مِنْ جَنَى

لِأَزَاهِرٍ طَلَعَتْ بِهَا شُهْبَانَا
فَكَسَا الْهَضَابَ النُّورُ وَالْغَيْطَانَا
لِلَّهِ أَمْوَاهُ غَدَتْ نِيرَانَا
بَارِيجِهِ الْخَيْرِي وَالرَّيْحَانَا
وَالْيَاسَمِينَ يُغَازِلُ السُّوسَانَا
فِي رَوْضَةٍ رَحِبَتْ لَهَا مِيدَانَا
هِنَجَاءُ تَنْتِجُ حَبْرَةً وَأَمَانَا
أُوزَارَهَا لَا صَارِمًا وَسِنَانَا
طَرَبَ هُنَاكَ وَيُسْبِلُ الْأُرْدَانَا
فَاهْتَجَّ مِقْدَامًا وَكِعُ⁽¹⁾ جَبَانَا
يُخْفِي جَنَانًا يَصْحَبُ الرَّجْفَانَا
يَخْشَى مِنَ الْقَصَبِ اللَّدَانِ طِعَانَا
قُضِبًا تَرْقُرُقُ كَالظُّبَى لِمَعَانَا
صَالَتْ تَقْدُ الْهَامَ وَالْأَبْدَانَا
نُورٍ وَنُورٍ وَأَصِيفُ نِيسَانَا
خَرِقَتْ وَإِنْ لَمْ تَبْرَحِ الْمِيزَانَا
مَعْرُوفَهَا مَا نَاسَبَ الْعِرْفَانَا

(1) كع: أي جبن وضعف

(2) تطرد بشدة

(3) كانون الأول: ديسمبر - كانون الثاني: جانفي

(4) الحمل: برج من بروج السماء، وكذلك الميزان

غَرَاءُ تُطْلِعُ لِلْبَسَالَةِ وَالنَّدَى
لَا غَرَوَ أَنْ حَسَنَ الْوُجُودُ فَإِنَّهُ
يَا مَصْنَعًا بَهَرَتْ مَحَاسِنُهُ النَّهَى
لَمَّا بَنَوْا شُرُفَاتِهِ مِنْ فِضَّةٍ
سَدَرَ الْخُورَنَقِ وَالسَّدِيرُ⁽⁵⁾ لِحُسْنِهِ
إِنِّي لَأَحْسِبُهُ مِنَ الْفَرْدُوسِ مَذًى
وَكُنَّ سَيِّدَنَا الْإِمَامَ أَتَبَى بِهَا
فَمَقَالُهُ أَرْشِدٌ بِهِ وَفِعَالُهُ
وَلَطَالَمَا اعْتَمَدَ الْمَرَاضِي دَائِبًا
إِنَّ الْإِمَامَةَ صُورَةٌ أَضْحَى لَهَا
مَلِكٌ يُمَيِّنَاهُ الْخَلَاصُ عَلَى الْوَرَى
الْأَوَّهَ كَالرُّوضِ حَيْثُ الصَّبَا
وَإِذَا يَلُودُ بِظِلِّ الْجَبَّارِ لَمْ
مَيِّمُونُهُ أَيَّامُهُ مِنْ شَانِهَا
عَمَ الصَّبَاحُ الْعَالَمِينَ فَأَصْبَحُوا
لَمَّا اسْتَعَانَ بِهِ الْهُدَى فَأَعَانَهُ
خَضَعَتْ لَهُ صَيْدُ الْمُلُوكِ وَشُوسُهَا
هَذِي الطُّغَاةُ لِأَمْرِهِ مُنْقَادَةٌ

وَجَهَيْنِ ذَا جَهْمًا وَذَا جَذَلَانًا
لَمَّا أَطَاعَ لَهَا وَخَفَّ ارْذَانًا
فَسَمَا ذَوَائِبَ إِذْ رَسَا أَرْكَانًا
جَعَلُوا أَدِيمَ قِبَابِهِ عِقْيَانًا
أَتَى لَهُ أَنْ يُنْسِيَ الْإِبْوَانَ⁽⁶⁾
أَبْصَرَتْهُ لِلْمُتَّقِينَ مَكَانًا
عَمْدًا لِيُرْغَبَ فِي الْجَنَانِ جَنَانًا
مِمَّا يَزِيدُ قُلُوبَنَا إِيْمَانًا
فَاشْتَدَّ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَلَانَا
يَحْيَى إِسَانَنَا صَادِقًا وَجَنَانًا
أَنْ يُخْلِصُوا الْإِسْرَارَ وَالْإِعْلَانَا
لَا يَسْتَطِيعُ لِنَشْرِهِ كِتْمَانًا
تُحْرِقُهُ شَهْبُ رِمَاحِهِ شَيْطَانًا
أَنْ تَذْهَبَ الْبَغْضَاءُ وَالشَّنَانَا
طَرًّا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِخْوَانَا
لَأَنْتَ لَهُ أَرْمَانُهُ أَعْوَانَا
وَتَعَوَّضَتْ مِنْ بَاوْهَا الْإِذْنَانَا
فَكَأَنَّهُمَا لَمْ تَعْرِفِ الطُّغْيَانَا

(5) الخورنق: قصر النعمان بظهر الحيرة.

السدير: قصر عظيم من انشاء ملوك لخم في القديم.

(6) الإيوان: إيوان كسرى بالمدائن من العراق.

عَرَبٌ وَعُجْمٌ يَلْتَمُونَ بِسَاطَهُ وَكَفَى عَلَى تَمَكِينِهِ بُرْهَانًا
يَهْنِي الْإِمَامَ الْمُرْتَضَى سُلْطَانَهُ أَنْ فَاتَ أُمْلَاكَ الدُّنْيَا سُلْطَانًا

المصدر: الديوان: ص 312 - 315.

سقاية جامع الزيتونة

وصف سقاية بجامع الزيتونة أنشأها الخليفة المستنصر بالله الحفصي:

الحمد لله حمدا لا نَقْلُهُ، هذا الزَّمان الذي كُنَّا نؤمِّله، بلدة طيبة وربُّ غفور،
ودولة مباركة محفوفة بالسُّرور والحبور، نهض بها آل أبي حفص فما أَلُوا، ولا
جالت النُّجوم حيث جالوا، ولا نالت الملوك إلا بعض ما نالوا. ملك يشمل الإقبال،
وعزٌّ يقلقل الأجدال، وكرم صريح الانتماء في النماء، وشرفٍ سمت نوابه على
السَّماء، إلى عدل وإحسان، هما قِوام نوع الإنسان، مع رفق وإسجاح، ضَمِنَا
كلُّ فوز وإنجاح، فقد أضتِ الظُّلُمات أنوارا، وفاضت البركات أنجادا وأغوارا،
أليس العام ربيعاً، والعالم جميعاً، والسُّعود طالعة، والعصور طائفة، بصالح
الأعمال تحليها، وعلى منصة الكمال تجليها، فمن ذا أيها المولى يجاريك، إلى
هذا أو يباريك، في إقدام صادق، وترى راياتك للأبصار هدى، وحياتك للكفار
ردى، بسيرتك عدل الدَّهرُ فما جار، ولولا غُرَّتْكَ ما أُنار:

(الوافر)

لقد حسُنْتَ بك الأوقاتُ حتَّى كأنك في فم الزَّمنِ ابتسامُ

(1) اللآية: الحرة، وهي الأرض فيها مجارة سور.

غلبهم على صفتي الندى والباس، وسلبهم منقبتَي حمزة والعباس، فلا غرو أن أَمَنْ وَوَقَى، ثم لَمَّا كَسَا وَأَطْعَم سَقَى، إنها نُعْمَى وَقَتٌ بالميعاد، وحسنى مثلها يُعَدُّ للمَّعَاد. أتت بماء معين قد أصبح غَوْرًا، وملأت ما بين لابتيتها⁽¹⁾ حنانا يرفُ ظلاً ويرفُ نُورًا، فيا بشرى لتونس أخصب جريبها⁽²⁾، وأحسن وصفَ الرُّوض والغديرِ أديبها، وظلما أطلعت صحراء بل رمضاء. فكَم للإمارة قبلها من يد بيضاء، غُشِيَتْ حَبَرَ الحُبُور والسُّرُور، وَعُوْضَتْ بَرْدُ الظِّلِّ من وهج الحرور، خمائل وجداول، تزاوَل منها العين ما تزاوَل، تلك تَضِل من أحصاها، وهذه يَضِل فيها حصاها، ويا لقصرها السعيد نعت أدواحه، وهَبَّت على خضر الأغصان وَزُدَّ الغدران أرواحه، هذا وإن بات السَّمَاح المفاض يسقيه، وبات الجود الفضفاض ينقع جَوَادَه⁽³⁾ ويشفيه، وهنيئًا للمسجد الجامع أن رويت جوانحه الصادية، وجمعت في شريعته السَّارية والغادية، فها هو بادي الغرر والأوضح، منبجس بالزَّلَال القَرَّاح، وللجمهور بصفوه المنساب، لهج الغِيَاب بالإياب، وطرب الشَّيْب بذكر الشباب، أَمَسُوا قد سَوَّغُوا مآربهم، وأضحوا وقد علم كل أناس مشربهم، فهم يَرِدُونَ على العذب النُّمير، ويجنون بركة الأمير مكرمة ذكرها لسلطانهِ الزَّمان، وكرامة هنأه بها الإيمان، وسلمت ليمينه فيها الأيمان، وقضية إن حُجِبَتْ عن داود فما حُجِبَتْ عن سليمان:

(البسيط)

جمعَت للنَّاس بين الرِّيِّ والشَّبع	فهم بأخصب مُصْطاف ومُرتَبَع
ولم تدع كرمًا إلا أتيت به	تُضَيِّف مبتدعًا منه لابتدع
لَمَّا وَلَيْتَ جعلت الخيرَ أجمعه	عليهم فبدؤوا في أجمل الخلع

(2) الجريب: مقدار معلوم من الأرض

(3) الجواد: العطش.

وحسب مجدك ما أولاه جُودك من رفع الدعاء له في كل مُجتمع
للَّهِ أيامُك استوفت محاسنها فلا مزيّة للأعياد والجمْع
دامت مساعيك والأقدارُ تُسعدُها تُولى المساجد أنصاباً من البيع

المصدر: القدح : ص 194 - 195.

أبو المطرف بن حميرة

(582 - 658)

أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي من ألمع الوجوه الأدبية بالبلاط الحفصي. هاجر إلى إفريقية من الأندلس وعين قاضيا بالأربس ثم قابس بعد سنة 643 وأقام بالحاضرة التونسية يختلف إلى المجالس السلطانية ويشارك في المجالس الأدبية إلى جانب زملائه من الشعراء أمثال أحمد الغساني ومحمد بن أبي الحسين وعلي بن سعيد ومحمد بن الأبار،

1 - شاقه غب الخيال الوارد

كتب يمدح أبا زكرياء الحفصي:

(الرمل)

بارقُ هاجَ غرامَ الهاجِدِ
طرقاً إلا بخُلفِ الواعدِ
واقِدِ تحتِ الدياجي وأردِ
فيه للرأني ولا للرائدِ
يشتكيه عند ربيعِ هامِدِ
وثى عطفَ الملى الواجِدِ
حاملاً أنفَ الأبى الشارِدِ
زكرياء بن عبد الواحدِ
يجرُ بالحمد لسانَ الحامِدِ
عنه لم يشفِ غليلَ الوارِدِ
لسنَى الشمسِ يرى من جاحِدِ
ما تعدّاه وجَدِ صاعدِ
لورى من غائبٍ أو شاهدِ
هممُ نبّهن عزمَ القاعدِ
فلَ طولَ العهدِ غُربَ الذائدِ
ورثوه ماجداً عن ماجِدِ
بين ماضٍ بادىٍ أو عائدِ
وعلى المولود سيماء الوالدِ

شاقه غبُ الخيالِ الوارِدِ
صدقاً وغدَ التلاقى ثمّ ما
وكلا الزورين من طيفٍ ومن
لم يكن بعد السرى مُستمتع
وشديد بثّ قلبٍ هائمٍ
بالأمير المرتضى عزّ الهدى
وبه أصحّب ما كان يرى
إنما الفخرُ لمولانا أبى
ملك لولا حلاه الغرُّ لم
ولوا أن العذبَ أبدى رغبةً
فضله مثل سنا الشمس، وهل
قهرَ البغيَ بجِدٍّ صاعدِ
إنما آلُ أبى حفصٍ هدى
قعدوا فوق النجوم الزهرِ عن
وعن الإسلام ذادوا عندما
أي فخرٍ عمريّ المنتمى
ما الفتوح الغرُّ إلا لهم
فبي محياً لاحقٍ من سابقِ

وَلِيَحْيَى رَاجِعُ الْجِلْمِ الَّذِي
عَقْدُ أَحْسَابِهِمْ تَمَّ بِهِ
أَيُّهَا الْجَامِعُ مَا قَدْ أُحْزِنُوا
هَذِهِ الْأَمَّةَ قَدْ أَوْسَعَتْهَا
لَمْ تَزَلْ مِنْكَ بِخَيْرٍ طَارِفٍ
وَلَهُمْ مِنْكَ لِيَوْمٍ حَاضِرٍ
أُرْشِدَ اللَّهُ لَأُولَى نَظَرٍ
وَتَوَلَّاهُ بِتَوْفِيقِ الْأَلَى
وَلَهُ فِي اللَّهِ أَوْفَى كَافِلٍ

تَرَكَ الطُّوْدَ بِعُطْفِي مَائِدٍ
مِثْلَمَا تَمَّ حِسَابُ الْعَاقِدِ
جَمَعَ مَنْ هِمَّتُهُ فِي الزَّائِدِ
نَظَرًا يَكْلَأُ لَيْلَ الرَّاقِدِ
رَيْشُهُ تَالِ قُدَامِي تَالِدٍ
وَعَدِ رَأْيِي الْبَصِيرِ النَّاقِدِ
بِالْوَدَى رَأْيِي الْإِمَامِ الرَّاشِدِ
سَعِدُوا مِنْ عَاقِدٍ أَوْ عَاهِدٍ
بِالَّذِي يَبْقَى وَكَفَى عَاضِدِ

المصدر: نفح الطيب: ج 1، ص 308 - 309.

2 - أَقْبَلْتُ نَحْوَكُ الْبِشَائِرِ

قال يمدح أبا زكرياء الحفصي:

(الخفيف)

أَقْبَلْتُ نَحْوَكُ الْبِشَائِرُ تَتَرَى
وَتَخْطَى مَسِيرَكَ الرُّعْبُ يَبْدُو
فَإِذَا قُنْتُ جَحْفَلًا قَادَ أَلْفًا
وَإِذَا مَا طَوَى الْبِلَادَ مُغْدًا
قَدْ دَرَى الْمَلِكُ أَنَّهُ سَلَّ عَضْبًا

وَوَجْهُهُ الْمُنَى تَلَايِكَ غَرًّا
مُسْتَطِيرًا أَمَامَ شَمْسِكَ فَجْرًا
وَإِذَا سِرْتُ سَاعَةً سَارَ شَهْرًا
كَانَ سَرًّا بِالْفَتْحِ يُبْعَثُ جَهْرًا
مِنْكَ يَفْرِي الطَّلَى⁽¹⁾، وَهَزَّ هَزِيرًا

(1) الطلى: ج طلية وطلاة: العنق

ورأى نفسه عروسَ هُداءٍ من بروج السماء تسكن خدراً
فبحقُّ أن يُرخيَ الذيلَ عجباً يزدهيه، ويُنثيَ العطفَ كِبْراً
ويثيرَ العجاجَ شرقاً وغرباً ويسدُّ الفجاجَ بيضاً وسمراً
ويقودُ الجيادَ شعثَ النواصي مشرفات الصلَا⁽²⁾ الى الطعن خدراً
مُسَمَّعاتٍ من الصَّهيلِ نداءً يملأ الخافقين أمناً ودُعْراً
ما سَرَتْ تحت فحمة الليل إلا ألهبته من السَّنابك جمرأ
وإذا أحضرت مع الصبح أرختُ من نُجى نَفْعِها على الجوّ سُمْراً
وابتغت شأوها الرياحُ فلماً لم تُطْفِئَه جئتُ من الأين حَسْراً

المصدر: المجلد: ص 194.

3 - عند قبر أبي لبابة

قال وقد انصرف من قبر أبي لبابة الأنصاري صاحب رسول الله، المدفون بقابس وهو من شهد العقبة وبدرأ.

(الكامل)

خَبِرُ الأَحَبَّةِ ما أَلَدُّ مَساقَه وَجَنَى القُطِيعَةِ ما أَمْرُ مذاقَه
وهوى القلوب لها عليه شواهدُ سبقت بناطق حالها استنطاقَه
وأيُّ المنازلِ إن ذَكَرْتَ عهودَها فتَهَيَّجُ من كلفٍ بها أشواقَه
يعتاده منها جوى بين الحشا والصدْرُ رقرق دمعَه وأراقَه
ويبيت منها كالسَّليمِ ومالَه أَرَقُّ إذا مَدَّ الظَّلامُ رُواقَه
حَمَلَ الغَرَامَ وما استقل لحمله قبل النوى فالآن كيف أطاقَه

(2) الصلا: ج صلوات وأصلاء. وسط الظهر من الانسان ومن كل ذي أربع.

ورمتُ به الأقدارُ كلَّ تنوُّفٍ
 قبرُ تشاكينا الفراقِ لديه والـ
 ومواردٍ حملت أجنَّةَ أجنٍ
 خَفَقَ الجوانحُ بونه ويردُ من
 مازلتُ أقطعها مَهَامَه لم تزل
 حتى وقفتُ وما أفتتُ بمنزل
 وَقَبَسْتُ من شَوْقي لِقَابِسَ جنوةٍ
 من بلدةٍ في العين أظلم جوها
 قد كان منظرُها يروق بعين من
 لكنْ بقبر أبي لبابة لي هوى
 أملُ بنفسي لو ظفرت بتربه
 وتمثَّلُ القبرُ الكريمُ بمقلتي
 فوثاقُ ذنبي أرتجي لفكاكه
 صلى الإلاه على النبيِّ محمد
 وعلى صحابته وعترته التي
 وقضى لنا من بطننا في سيرنا
 لم تأله لجمالها إغراقه
 أشهى لنا أن لا نَسَامَ فراقه
 يَلْقَى بها طعمُ النوى من ذاقه
 أفضى إليه مع الصدى إحقاقه
 بالصبر حتى مَزَقَتْ أخلاقه
 كالظلم في صدري أرى آفاقه
 شَبَّت على قلب سِوَاهَا شاقه
 مع أنها ما أنكرت إشراقه
 يشكو النوى لو أن شيئاً راقه
 ما من هوى في النفس إلا فاقه
 فجعلت إثمَدَ ناظرِي دُقاقه
 فدنوت منه والتزمت عناقه
 من فكَّ خيرُ العالمين وثاقه (١)
 وأناله بجواره استحقاقه
 لزمْتُ رضاهُ واقتفت أخلاقه
 يوم الجزاء على الصراط لحاقه

المصدر: رحلة التجاني ص: 92 - 93. والحل السُنْدُسِيَّة: ج 2، ص 350 - 351

(١) ربط أبو لبابة نفسه بسارية المسجد وفكَّ النبي وثاقه.

4 - تأملات

(الطويل)

أسير بأرجاء الرجاء وإنما
حديثُ طريقي طارقِ الحدثانِ
وأحضر نفسي إن تقدّمتُ خيفةً
لغضِّ عنانٍ أو لغضِّ زمانٍ
أبتزك حظي للحضيض وقد سرى
لإمكانه فوق الذرا جبلانٍ
وأخبط في ليلِ الحوادث بعدما
أضاء لعيني منهما القمران
فيحيى لأمالي حياة معادة
وإن عزيزاً عزّةً لمكاني
وقالوا: اقترحْ إن الأمانى منهما
وان كنْ فوق النجم تحت ضمانٍ
فقلت: إذا ناجاهما بقضيتي
ضميري لم أحفلُ بشرحِ لسانِي

المصدر: النفع ج 1 ، ص 316-317 ، والوافي: ج7، ص 135.

5 - فضل الماء

قال مخاطباً أبا الحسن بن سعيد صديقه:

(البسيط)

شيبا بأعذب من ماء الحيا الهتين	إن المكارم في قعبين ⁽¹⁾ من لبن
قبّلت من منكب منه إلى أذن	لو الرسول بذاك الرسل ⁽²⁾ قابلني
فديته بمحل ⁽³⁾ السهد والوسن	ولو بقرعته للباب أيقظني
من الحرام غوي عاذ بالوشن	من عاذ بالحرّم استحيا لنشوته
تّله من غير ما إثم بلا ثمن	فأثبت على النّسك واسأل ما تريد به

المصدر: القدح: ص 43

(1) القعب: القدح الضخم

(2) الرسل: اللّبن

(3) أي العين.

نصرت نريت

1 - قابس

كتب يصف قابس من رسالة:

«بلد غوطي البساتين، طوري الزيتون والتين، فأما النخل فجمع عظيم، وطلع هضيم، وسكك مأبورة، ونواعم في الخدور مقصورة، وإن بقعته لوارفة الظل، أمنة الحرم والحل، جنة لو نزع ما في صدور أهلها من الغل، وبالجمله فهو تام الغرابة، مدهام الغابة، مستأثر بسيد من سادات الصحابة، ولا عيب بتربته إلا وخامة مائها، وحميات قلما يعرى من عدوانها».

وفي رسالة أخرى يصف شدة الوباء بها وكثرة عقاربها:

وهذه البلدة الآن في ضلال من شرخ الشباب، وظلال من ثمرات النخل والأعناب، فهي بحال يقر بجمالها الأندلسي، ويجارى بين خلالها الدبسي⁽¹⁾، ولا عيب فيها إلا هواء وخامته تخاف، وماء غير من خالصه الماء المضاف، وليبوت المدينة دواجن سيئة الجوار، سريعة إلى القطان والزوار، كراها تنفيه، وسرها تخفيه، وصلحها لا يطمع أحد فيه، فقبحت شائلة الأذناب، شاملة بالعذاب، كامنة بارزة، هامزة لامزة، تطرق بالبليّة، وتقسم شرها بين البر والفاجر بالسويّة، دبّت عندنا ليلة الى من كان يرمى دببها، ويحاول قبل أن تصيبه أن يصيبها، فأوقعت به لدغا في القدم، ولقي أشدّ الألم، ويات وبتنا معه في ليلة أخي ذبيان⁽²⁾، وتعالى الله ما أطول ما كانت وأهول ما كان.

المصدر: رحلة التجاني: ص 90 - 91.

(1) الدبس: غسل التمر ونحوه.

(2) يعني النابغة الذبياني.

2 - رسالة تهنئة للمستنصر

قال من رسالة يهنئُ المستنصر بالله الحفصي بإيصال ماء زغوان الى جامع الزيتونة:

"كتب العبد - كتب الله للمقام العليّ الكريم تأييدا يملك أمر الوري، وسعدوا تعلقوا فوق الذرى، وتنزل الى ما تحت الثرى - من فلانة وبركات الإمارة أيدها الله تخرق المعتاد خرقا، وتجوب البلاد غربا وشرقا، وتبشر باغي الورود، بالعذب البرود، وما رأى عارضا ولا شام برقا وإنما هي هداية ألقيت في جنانها، وأية استخرت الى زمانها، وهمة انيطت بعد طول الاكداء، وسقيت قبل قلب الرداء، ذلك بأن أمرها يعلو كل أمر، ويوم منها كليلة القدر، خير من ألف شهر،...

وكان المسجد الجامع استسقى لقومه، واقتضى حق أمسه ليومه، ورأى ما يوعيه بسبب الخلق، من سيل الودق، ربما نضبت ثميلته، وكذبت مخيلته فشفع للظماء في معين الماء، واستغاث يد الجود، للرّكع السّجود، ولجأ في إسباغ الطهور، لسابغ الكرم المشهور، فلم يلبث أن سمع النداء لبّيك، وهذه السّقى تنتهي إليك، وتسيل حوالبك لا عليك، فإن كنت دعوت بأن تروّي الضلوع الحار، وترضي الصفوة الأبرار، فالدّعوة بحمد الله مجابة، والديمة لا مقلعة ولا منجابه، نشأت بحرية لأعظم البحار هي منسوبة، برية لأنها من جانب البرّ مجلوبة، تعدّ كونيّة عند من يعقل ويحصل، كوثريّة لأن ماءها الى الكوثر يوصل، وكيف لا ومسيله، الى شطر الإيمان وسيله، وغرفاته للغرة والتّحجيل مطيلة، والنّظر إليه كاستعماله عبادة، وخروج الخطايا مع آخر قطرة فضيلة من الخبر مستفادة، فما أعظم منه جالبه، وأجل قدر هبته في مواهبه، وأحرّاه بأن يكون له من الثّواب ما يرفعه الى الدّرجات العلى، ويزينه من شرف الذكر بأبهى الحلى، ومنها التهنئة بهذا الأثر الكريم قد سبق إليها الحقّ وهو أبلج، والدّهر

وهو الخطيب الذي لا يتجلجج، ولسان الحال والليل والنهار شاهداه، والقول بمدّه
البليغ لا يبلغ مداه، ولكن يقول هنيئاً لمجالس الذكر والحمد، وأول ما ينظر فيه
من عمل العبد، هذا الصنع الذي يهنئُ فاعله عليه الإسلام، وتحطّ عنده الآثام،
وتتناوب كتب حسناته الأقلام، ويتهادى خبره مصر واليمن والعراق والشام، فإن
طرزت تاريخها فبتاريخ أيامه، وإن غضت من ملوكها فعند مقايضة طلّهم
برهامه، والله يزيد ملكه عزّاً وظهوراً، ويجعل في عينيه نورا وفي قلبه نورا،
ويبقيه مؤيداً منصوراً، أمراً (أن) يقف الزمان أمامه مأموراً».

المصدر: رفع الحجب المستورة: ص77.

عَمَّانُ بْنُ عَرَبِيَّةَ

(600 - 659)

أبو عمرو عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي بن عريبة المهدي، ولد بالمهدية وتوفي بتبرسق قاضيا في 28 محرم 659 ودفن هناك. نظم القصائد في الحنين إلى مسقط رأسه واشتهر في الأول بشعره الديني وكان من شعراء أبي زكرياء الحفصي الفحول وكان يعدّه في الصّدارة وأوّل شاعر له. وقد كان جليبه الى بلاطه حين قرأ تخميسه على الشقراطسية. ولابن عريبة تأليف عديدة كلها مفقودة.

1 - تشوق إلى المهديّة

(الطويل)

أقول لركب قافلٍ عن معرّس بجمّة تَرْدِي بالحمول مشاحبة⁽¹⁾
لك الله أمتعتنا عن البلد الذي أكابرُهُ أسلافُنَا وأبالجُهُ⁽²⁾
وعن وطن لولا العلى وطلابها لعزّ عليّ مثواي أنّي خارجُهُ
وعن رسم إيوان تداعت عراصهُ ودكّت حناياه وخرّت معارجُهُ
وما صنّع القصرُ العبيديّ والحمى وسورُ المصلّى والكثيبُ وعالجُهُ⁽³⁾
وشاطنهُ أنّي تنوع حسنه وخضرمُهُ أنّي تدفع مائجُهُ⁽⁴⁾
سلامٌ على المهديّتين ففيهما أبُ بنتٌ عنه قاصرُ الخطو هادجُهُ⁽⁵⁾

المصدر: رحلة التجاني: ص 377، والمجمل: ص 196 - 197 وعنوان

الأريب: ج 1، ص 75.

2 - مقطوعة

وله يحنّ إلى المهديّة والمنستير يلتمس من أبي زكرياء الحفصي توليته قضاء

بلده:

(البسيط)

ذكرت جمّةً والدُكْرَى تهيج أسى وأين جمّةٌ مِنّي والمنستير؟⁽¹⁾
وما منّي لياليتها التي سلفت وما هواي مجانيها المعاطر
لكن بها رَحِمٌ محفوفةٌ يثست من أن تقرّبني منها المقادير
فإنّ رأى من أدام الله نعمته عليه لي خطّةٌ فيها فمأجورُ

(1) جمّة: اسم الموضع المشيدة عليه مدينة المهديّة. ومشاحج: جمع مشحج وهو هنا البغل، ومعرّس: موضع النزول آخر الليل والحمول: الهوداج

(2) أبالج: جمع أبلج وهو الرجل الطلق الوجه.

(3) القصر العبيدي: هو القصر العظيم الشأن الذي أنشأه عبيد الله المهدي: والحمى: قضاء بين المهديّة وزويلة، والمصلّى كان خارج المهديّة.

(4) الخضرم: البحر

(5) المهديّتين: يشير بهما إلى المدينة نفسها وإلى زويلة كانت مدينة عامرة ذات أسواق وتجارات مجاذبة للمهديّة.



المصدر: رحلة التَّجَانِي: ص 378 والمجمل: ص 198 وفيه الأبيات الثلاثة الأولى مع اختلاف في البيت الثالث، وعنوان الأريب: ج 1، ص 76.

3- رثاء وتهنئة

قال يرثي أبا زكرياء يحيى الحفصي ويهنئ ابنه المستنصر محمد بتوليته الخلافة من قصيدة طويلة، وكل بيت جمع الرثاء والتهنئة:

(الكامل)

يأتي الزمان الغضُّ ثَمَّتَ يربُعُ ويضرُّ هذا الدهرُ ثُمَّتَ ينفعُ
... فلئن طوى بَدَرَ الإِمَارَةِ مغربُ فلقد جلا شمسُ الخلافةِ مطلعُ
فأضاء بالمرحوم ذلکم الثرى وأنار بالمنصور ذاك المريعُ
بسطوا لسان الشکرِ فيمن بايعوا وتَنَكَّوْا عَنَانَ الصَّبْرِ عَمَّنْ ودَّعُوا
ورأوا خلالَ مُحَمَّدٍ فتباشروا وتذكروا يحيى الرضی فتفجَّعُوا

المصدر: الفارسية: ص 113، والأدلة البيئية: ط 1: ص 53 - 54، وط 2:

ص 62 وبالطبعين في الأبيات تحريف.

4- حب

(الطويل)

نسيم الصَّبَا حَدَّثَ عَنِ البَانِ والحمى وعن ساكني حُزْوَى من الخردِ الدُّمَى⁽¹⁾
وعن معهد أقوى من العَفْرِ والمها وعن ركب جيران الغضا أين يَمَمَا⁽²⁾
أَيِّمَ ذَاتَ البَانِ أَمْ بطنَ رامة أَمْ الجَزَعُ أَمْ بالأجرع الفردِ خِيَمَا؟⁽³⁾
ألا فرعى الله الحمى ونسيمه وإن جَلَّ ما ألقاه من ساكن الحمى

(1) حزوى: موضع في ديار بني تميم، فيه يقول نو الرمة:

خليلي عوجا من صدور الرواحل بجمهور حزوى فابكيا في المنازل

(2) العفر: ج عفراء نوع من الظباء وهو من أضعفها علوا.

(3) هي أماكن بالحجاز.



وتَيْمَكُم يَا أَهْلَ نَجْدٍ فَإِنِّي
أَمَّا وَلَمْ يَلُغِ الدُّمَى لَوْ لَحِظْتُمْ
وَذِيَاكُم الثَّغْرَ الَّذِي يَسْتَبِي النُّهَى
هَجَعْتُمْ وَمَنْ لِي بِالْهَجُوعِ فَرِيماً
أَيْطَرِقُ جَفْنًا بَاتَ مَنِّي سَاهِراً
أَغْرَ شَنِيبٍ مَا أُعِيدَ ثَغْرُهُ
هُوَ الظُّبْيُ لَكِنْ لَا أَسْمِيهِ بَاغِماً
تَبَدَّى لَنَا وَالْبَدْرُ لَيْلَةً تِمُّهُ
هَلْ الْبَلَجُ الْأَضْوَا الَّذِي اسْتَكْمَلَ السَّنَى
وَلَمَّا اسْتَطَارَ الْبَرْقُ قَلْتُ لِصَاحِبِي
أَعَارَ وَمِیْضَ الْبَرْقِ حَسَنُ ابْتِسَامِهِ
أَوْ الْبَرْدُ الْعَذْبُ الَّذِي لَنْ تَذِيْبِهِ
تَعْلَمُ مِنْهُ خَلْبُ الْبَرْقِ خُلْفُهُ
تَجَنَّى فَجَنَّا خَضَعَا لِحِمَالِهِ
فَهَزَّ الصَّبَى وَالْدَلَّ مَعْطَفُهُ كَمَا
فَأَبْنَا وَخَلَقْنَا طَيُورَ قُلُوبِنَا
أَرَاكُم تَلُومُونَ الْمَشُوقَ التَّيْمَا
طَلَابَ الْحَمَى ظَلَّتْ لَوَاحِظَكُم دَمَا
تَبَسَّمُهُ مَا كُنْتُمْ لِي لَوَمَا
أَلَمَ بِهِ مِنْكُمْ خِيَالُ مَسَلَمَا
وَيَتْرَكَ أَجْفَانَا لَكُمْ بَتْنَ نَوْمَا؟
وَأَحْلَى أَلِفَاظًا وَأَنْدَى وَأَرْخَمَا
إِذَا رَشَى نَاغَاهُ بَلْ مَتَكَلَّمَا⁽⁴⁾
فَلَمْ أَدْرِ مَنْ بَدْرُ الدُّجْنَةِ مِنْهُمَا
أَمْ الْغَنِجُ الْأَحْوَى الَّذِي رَاقَ مَبْسِمَا
أَقْلَبِي هَذَا أَمْ تُغْرُهُ قَدْ تَبَسَّمَا؟
وَمَاذَا عَلَيْهِ لَوْ أَعَارَ لَهُ اللَّمَى
حَرَارَةُ أَنْفَاسِ امْرِئٍ قَبْلَ الْقَمَا
فَمَنْ أَيْمًا بَرَقَ تَرَاهُ تَعْلَمَا
عَسَى عَطْفَةٍ نَحْظَى بِهَا وَلَعْلَمَا
تَهَزَّ الصَّبَا الْغَصْنَ الرُّطِيبَ الْمُنْعَمَا
عَلَى ثَغْرِهِ الْعَذْبَ الْمُقْبَلَ حَوْمَا

المصدر: رحلة التَّجَانِي، ص 378-379، والمجمل ص 198-199

وَأَسْقَطْتُ مِنْهَا 7 أَبْيَاتَ وَمِنْهَا أَبْيَاتٌ فِي عَنَوَانِ الْأَرِيبِ. ج 1 ص 76.

(4) الباغم: والباغمة: الظبية تصوت بأرخم ما يكون من صوتها.

عتيق بن هريرة

(عاش أواسط القرن السابع)

أبو يحيى عتيق بن أبي عمرو عثمان بن عتيق القيسي ابن الشاعر المذكور أنفا. نشأ بتونس لكنه لم يبق فيها طويلا وهاجر إلى مكة وتحصل فيها على وظيفة. وصفه التّجاني بقوله: "برع في الطلب وتقدم في حفظ مسائل الفقه".

1 - يا واحد الحسن

(البسيط)

يا واحد الحسن أنت السمع والبصر عطفاك إن فتكت، عيناك لي وزر⁽¹⁾
أبعد ما كان ليلى كله سحرًا صيرته بالتجني ماله سحر⁽²⁾
قد رق لي في الهوى كل الأنام سوى من حاز رقي ومالي عنه مصطبر
فإن شكوت له يفتّر مبتسما عن عشرة قد حواها ثغره العطر:
طلع أقاح صباح جوهر برد درّ حباب لجين بارق زهر

المصدر: رحلة التجاني: ص 380

2 - سعادة

وكتب إلى أهله من مكة:

(الطويل)

حجبت وزرت المصطفى خاتم الرسل نبي الهدى ذا المجد والجلد والفضل
ومرغت خدي في مواطئ نعله وقابلت ذاك العز مني بالذل
ومتعت الحاظي برؤية سيد سري كريم طاهر الذات والأصل
ويوأت نفسي من معادن مكة مكانا عن الدنيا بأجمعها يسلي
أقام بها قوم يناجون ربهم وقد نبذوا كل العلائق والشغل
فدعوتهم مقبولة وصلاتهم بألف كما قد جاء عن سيد الرسل
ومازلت فيها داعيًا متضرعًا لنفسي والإخوان والصحب والأهل

المصدر: رحلة التجاني: ص 380.

(1) الوزر: الملجأ.

(2) السحر: آخر الليل قبيل الصبح.

مُحَمَّدُ اللَّيَّانِي

(ت 659)

أبو العباس أحمد بن إبراهيم القيسي اللّياني نسبة إلى لليانة إحدى قرى المهديّة. من أئمة اللّغة والأدب والرواية في عصره. تعلّم بالمهديّة وتكوّن على أيدي علمائها وأدبائها في شتّى ميادين المعرفة الدينيّة والأدبيّة. قصد تونس حيث تولّى خططا عالية في أعمال الجباية وتنمية الأموال. توفّي مقتولا بتونس بمفعول الدّسائس، وكان من أبرز شعراء تونس في صدر العهد الحفصي وارتبط بعلاقات أدبية متينة مع شعراء عصره أمثال الغساني وابن أبي الحسين وابن الأبار، ومنهم من تأمر على حياته فذهب ضحية للحسد والخيانة.

1 - مقطوعة

قال عازما على أمر:

(المجتث)

في أم رأسي حديثٌ لسامع ليس يُذكر
فإن تطاول عمري وساعد الجدُّ يظهر
أرى جموعاً صحاحاً ومذهبي أن تكسّر

المصدر: رحلة التّجاني: ص 371.

2 - حنين

(الكامل)

هذا العذيبُ وهذه نجدُ أين الذي يَقْضِي به الوجدُ
ما هكذا حال المحبِّ إذا أعلام ريع حبيبه تبو
سرخُ دموعِ العين مبتدراً ويذكر ماضي عهدهم فاشدُ
والثَّم على شَغَفٍ موطنهم إن عاق عن مقصودك البعدُ
لم أنس يوم وداعهم سَحْراً والدمعُ أسلم دَرَه العِقْدُ
هزَّ الصُّبَا أغصانَ بانهم فتعانقت وتواجد الرُّنْدُ
هذا العذيبُ بدت له عَذْبُ (١) في ظلّها قد خيم المجدُ
لا يَخْفِق المسعى إذا خفقت أعلامها بل يَنْجَحُ القصدُ
ففسى اللقاءُ يكون مقترناً إن أنْجَدْتُ كلفاً بها نجدُ
ولعلّ ما نرجو تجود به كفّ الزّمان ويُسْعِدِ الجدُّ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 372 ، المجلد: ص 195 وعنوان الأريب: ج 1

ص. 74

(١) العذب: ج عذبة: أغصان الشجرة.

3 - كيف أنسى؟

(الخفيف)

خَلَّيَانِي يَا صَاحِبِي وَنَجِدَا
فَلَنَجِدَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَدَّ
لَا تَقُولُوا مَرَامُ سَعْدِي بَعِيدُ
أَهْلَ وَدَّيْ مَا حَلَّتْ عَنْ حِفْظِ عَهْدِي
كَيْفَ أَنْسَى عَهْدًا كَرِيمًا وَأَنْسَا
أَرْشَفَانِي مَا شَفَّنِي وَشَفَانِي
خَيْرُ عَيْشٍ مَصْقُولُ تِلْكَ اللَّيَالِي
إِنْ يَعْاطِينِي الْمَدَامَةُ بَدْرُ
إِنْ دِينِي وَمِزَاجِي لِلتَّصَابِي
فَاغْتَنِمَ رَابِحًا مَسْرَّةَ يَوْمِ

هَجْتَمَا بِالْمَلَامِ شَوْقًا وَوَجِدَا
مُسْتَجِدَّ مَا دَامَ رَيْعًا لِسَعْدِي
رَبِّ سَعْدٍ أَتَى فَقَرَّبَ بُغْدَا
وَهَوَاكُم مَّا غَيَّرَ النَّأْيُ عَهْدَا
بِذَلَا لِي مِنْ خَالِصِ الْوَدِّ شَهْدَا
مَنْ بَرُودٌ⁽¹⁾ أَحَبُّ بِذَلِكَ وَرِدَا
حَبَّذَاهُ مِنْ طَيِّبِ عَيْشٍ مَقْدَى
يُخْجِلُ الْبَدْرَ نَوْرُهُ إِنْ تَبَدَّى
لَا أَرَى غَيْرَهُ مَدَى الدَّهْرِ رَشْدَا
وَلِتَبَادَرَ سِيرَ الزَّمَانِ مُجْدَا

المصدر: رحلة التَّجَانِي: ص 373 والمجمل: ص 196 وسقط منه البيتان قبل البيت الأخير.

4 - يا زائرًا خير بيت

قال مخاطبًا أبا الحسن علي بن سعيد:

(المجثث)

يَا زَائِرًا خَيْرَ بَيْتٍ
أَفِضْ أَزَاهِرَ عِلْمٍ
قَدْ تَمَّ حَجَّكَ لَكِنْ
المصدر: القدح: ص 9

دِيَانَةً وَرِيَاضَةً
تَجْلُو عَلَيْنَا رِيَاضَةً
بَقِي طَوَافُ الْإِفَاضَةِ⁽²⁾

(1) برود: ماء بارد. وقرأها محقق رحلة التَّجَانِي: بُرُود

(2) طواف الإفاضة بعد رمي جمره العقبة يوم النحر: وهو واجب. والطواف ثلاثة أنواع: طواف القوم على مكة وطواف الإفاضة وطواف الوداع، والطواف الأول والثالث سنة.

5 - رذ قلبي

(المديد)

شادنُ في القلب مرتعُهُ	حظُّه في الحسن أبدعُهُ
لامني فيه أخو سَفَه	بمِلامٍ لست أسمعُهُ
رُدُّ قلبي لي لتعذِلُهُ	فهو في كَفْيهِ أجمعُهُ
هل ترى دهرِي يجود به	بعد ما قد كان يمنعه
وشقيق النفس يُتَحَفَّنِي	بحديث جَلِّ موقعه
لفظه دُرُّ يساقطه	ونطاق السُّمْعِ يجمعه

المصدر: رحلة التَّجاني ص 373 - 374 وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 74 .

6 - شوق

كتب لأحمد الغساني ومجالسيه باعثا إليهم دنا وشمعا:

(السريع)

دام لإخواني بلوغُ المنى	في خفض عيشٍ وحميد انتظام
وقربُ الدهرُ لهم كلَّ ما	راموه من أنسٍ بغير انصرام
في لذة معسولة المجتنى	وغبطة موصولة بالدوام
ما أشوق الصَّبَّ إلى أنسكم	وأشغف اللَّبَّ بذاك المقام
لكنَّه عاق الفتى عذره	فالشيخ منه عوضُ والسلام

المصدر: رحلة التَّجاني. ص 374 والمجلد، ص 196 - 197 .

محمّد الرّعيّني السّوسي

(ت 662)

أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الرّعيّني السّوسي أستاذ أبي زكرياء
الحفصي وشاعر أبيه عبد الواحد بن أبي حفص، كان يقرئ مختلف العلوم
وأجاز عددا وافرا من العلماء في كل علم وفنّ. وكان مسموع الكلمة لدى
الأمراء، لم يبق من شعره إلّا نتف قليلة.

مقطوعات

- 1 -

قال يخاطب بعض الرؤساء وقد قدّم له فرس أشهب حديدي لركوبه.

(الكامل)

أركب بإقبال السعادة أشهباً	مثل الصّباح إذا يشوب الغيهاً
ما شاب من مرّ السنين وإنما	لاقي سناك فلاح يحكي الأشياء
قد أجموه بالثرياً فانهوى	ينقض في ليل العجاجة كوكبا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 53.

- 2 -

قال في بداية قصيدة يمدح بها الشيخ أبا محمد عبد الله ابن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص:

(الكامل)

جردت عزمك صارماً مسلولا	ماء ولكن ما يبُلُّ غليلاً
-------------------------	---------------------------

المصدر: رحلة التّجاني: ص 52.

- 3 -

(المتقارب)

عكفنا على الكأس في جنة	نحاكي بها ميل أغصانها
ورسل النسيم بها سحرة	تُحرّش ما بين ريحانها
أظن تغاريد ألحانها	زهتها فأصغت بأذانها

المصدر: رحلة التّجاني: ص 52.

أحمد الغساني

(ت 668)

أبو العباس أحمد بن إبراهيم الغساني تولى خطة الانشاء لأبي زكرياء الحفصي سنة 238 عوضا عن ابن الأبار. كان يحظى بمكانة أدبية رفيعة في عصره إذ كان قطب المجالس يحضرها الأدباء والشعراء من أمثال ابن سعيد وابن عميرة وابن أبي الحسين وأحمد اللياني وابن الأبار. وغدر بهذين الأخيرين وأدى بهما الى الهلاك. له كتاب في التاريخ لعهد المستنصر بالله الحفصي (ضائع) وله ديوان شعر لم تبق منه الا هذه القصائد والمقطوعات المبتوثة في مصادر مختلفة جمعناها له.

1 - لله درّ الأنس

قال من رسالة إلى أحد أصدقائه:

(الطويل)

فَلَّهْ دَرُّ الْأَنْسِ فِي كُلِّ حَالَةٍ تَرُوقُ غَبُوقًا أَوْ تَشُوقُ صَبُوحًا
وَهَلْ مِنْ جُنَاحٍ إِنْ حَنَنْتَ لَصَبُوحَةٍ وَأَبْدَيْتَ مِنْ فَرَطِ الْغَرَامِ جُنُوحًا
فَصَافِحُ أَكْفًا بِالْكُؤُوسِ مَشِيرَةً وَأَبْشُرُ بَأَنَّ تَلْقَى إِلَاهَ صَفُوحًا
وَلَا تَمْنَعَنَّ النَّفْسَ لَذَّةَ سَاعَةٍ لِتَرْضِي عَدُوًّا أَوْ تُطِيعَ نَصُوحًا
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ قُدَّتْهُ لِمَسْرَةٍ فَلَمْ تَلْفِهِ طَلِقَ الْعِنَانِ طُمُوحًا

المصدر: القدح: ص 16

2 - جنة

كتبت إلى صديقه أبي الحسن علي بن سعيد:

(السريع)

مَنْ قَالَ فِي الْجَنَّةِ غَيْرَ الَّذِي أَقُولُهُ فِي خَلْقِهَا يَفْتَرِي
هَآ إِنِّهَا زُفْتُ بِمَا لَمْ يَكُنْ لِسَامِعٍ يَبْدُو وَلَا مُبْصِرٍ
أَطْلَعَ قُرْصُ الشَّمْسِ بَرْعُومَهَا (1) وَمُشْتَرِيهَا (2) الْأَسْعَدُ الْمُشْتَرِي
وَتَاجُ كِسْرَى لَاحٍ فِي كِسْرَهَا (3) رُصَّعَ بِالْيَاقُوتِ وَالْجَوْهَرِ
مَا نَظَّمَ الْعَقْدُ كَتَنَظِيمِهِ مِنْ وَرْدِهِ الْأَبْيَضِ وَالْأَحْمَرِ

(1) البرعوم والبرعومة: ج براعيم: جسم يتفتح عن غصن أو عن زهر وهو زهر الشجرة ونور النبات قبل أن يتفتح.

(2) المشتري: نجم من السيارات، والمشتري الثانية: طائر.

(3) الكسر، بالكسر: الجانب.

مستودع في قَصَبٍ لا يُرى
وشرع السوسن من حوله
وخضب الفستق أطرافه
حكى مناقير طيور ثوت
ولو شحنت⁽⁴⁾ أفواهها خلتها
وشذ للتفاح فيه شذئ
ونم خيرى بأن قد أتى
وقط من أطرافها فاغتدى
بالله لورمت لما قد حوت
وعن قبقاب⁽⁵⁾ لعنأبها
هذا وكم من طائر واقم
ولم يزل من وده صافيا
فالحمد لله على منية

من نصب فيه ولم يشعر
أجنه رائقة المنظر
بأحمر قان على أحمر
لم ترم الوكر ولم تصفر
تلتقط الحب من العصفور
أهدى فتيق المسك والعنبر
خيارها عن فاضل خير
مثل جعاب القصب السكر
حصراً مدى الأيام لم أحصر
يحكى أبا الشقشاق⁽⁶⁾ في المنسر
من مورد الورد على كوثر
إن تكدر الأمواه لم يكدر
جلت عن الشكر ولم تُقدّر

المصدر: القدح: ص 13 - 14

(4) شحا فاه يشحوه: فتحه

(5) القبقاب: الحرز الذي تعقل به الثياب

(6) أبو الشقشاق: طائر.

3 - تشبيه

قال في خسوف القمر ممّا قاله ارتجالاً:

(الوافر)

كَأَنَّ الْبَدْرَ لَمَّا أَنْ عَلَاهُ خَسُوفٌ لَمْ يَكُنْ يَعْتَادُ غَيْرَهُ
سَجَنَجُلٌ غَادَةً قَلَبَتْهُ لَمَّا أَرَاهَا شِبْهَهَا حَسَدًا وَغَيْرَهُ⁽¹⁾

المصدر: نفح الطيب: ج 2 ، ص 367.

4 - جنان

قال بالاشتراك مع أبي الحسن بن سعيد وأبي القاسم أحمد بن يامن وقد استدعاهما إلى جنانه بالحريية قرب باب السويقة، وفي هذه القصيدة وصف لثمار الأرض التونسية:

(المتقارب)

رَنَتْ نَحْوَكُمْ مَقْلُ الثُّرْجِسِ
وَأُمْسَتْ تُشِيرُ إِلَى الْأَكْوُسِ
وَقَدْ حَدَّدَ الْأَسُّ أَذَانَهُ
لِيَسْمَعَ مَا دَارَ فِي الْمَجْلِسِ
وَأُخْجِلَ تَفَاحُنَا فَاغْتَدَى
يَرُومُ الْكَلَامَ فَلَمْ يَنْبِسِ
وَقَدْ بَاحَ أُتْرَجُنَا بِالْهَوَى
وَوَظَاهِرُهُ بِالضَّنَى مَكْتَسِ

(1) السجّجل: المرأة.

وماس التُّرْنَجَانُ فِي حُلَّةٍ
 تَرُوقُ الْعَيُونُ مِنَ السَّنْدَسِ
 وَكَالْجَمْرِ نَارُتُجْنَا قَدْ بَدَا
 يَرُوعُ الْعَيُونُ وَلَمْ يُقْبَسِ
 وَزَنْبُوعُنَا بَعْضُهُ مِثْلُ مَا
 نَظَرْتُ إِلَى الذَّهَبِ الْأَمْلَسِ
 وَتَضْرِيْسُ بَعْضِ كَشْمَعِ أُسَيْلِ
 وَلَكِنَّهُ بَارِدُ الْمَلَمَسِ
 وَقَدْ ضَحَكَتْ بَيْنَنَا أَكْوُسُ
 فَوَجَّهَ الدُّجْنَةَ لَمْ يَعِيسِ
 فَيَا رَبَّةَ الْعُودِ حُتِّي الْغَنَّا
 وَيَا سَاقِي الْكَأْسِ لَا تَحْبِسِ

المصدر: المقتطف من أزاهر الطرف: ص 158 - 159، والقدح: ص 54.

5 - بَكَرْ غَدَا

(مجزوء الكامل)

بَكَرْ - فِدَيْتِكَ - فِي غَدَا	إِنْ كَانَ مَوْعِدُنَا الْخَمِيسُ
فَالرُّوضُ مَوْشِيُّ الْحُلَى	وَالْقَضْبُ فِي حُلِّ تَمِيسْ
وَأَجَلُ كَافَاتِ الشَّتَا	وَخَيْرُهَا كَأْسُ وَكِيسْ
مَا حَظُّ مَنْ أَسْعَفَتْهُ	بَلَقَائِكَ الْحَظُّ الْبَخِيسْ

لَّلهِ دَرْكُ لُقْيَةٍ بل لِقْوَةٌ وَجَدْتُ قَبِيْسَ⁽¹⁾
 قَدْ أَقْرَأْتَنِي نَعْمَةً مِنْ بَابِ نِعَمٍ بِغَيْرِ بَيْسٍ
 فَإِلَيْكَ مَنِّي لَوْعَةٌ وَعَلَيْكَ لِي حُبٌّ حَبِيْسٍ
 لَكَ كُلُّ مَسْمُوعٍ غَدَا فِي كُلِّ فَنٍّ أَوْ مَقِيْسٍ
 تَلَقَى الْخَمِيْسَ بِكَأْسِهِ وَتَحَلَّ فِي صَدْرِ الْخَمِيْسِ⁽²⁾
 تَحْمِي الْحَقِيْقَةَ لَا تَطِيءُ شُ وَلَوْ يَرَى حَمِي الْوَطِيْسِ⁽³⁾
 وَلَأَنْتَ مِنْ قَبْلِ الْكِتَابِ وَيَعِدُهُ نِعَمُ الْجَلِيْسِ

المصدر: القدح: ص 14 - 15.

6 - أَيَّامُ الْخَمِيْسِ

كتب إلى صاحب له من جنته بجزيرة الوطن القبلي.

(مجزوء الرجز)

إِنَّ لِيْ يَوْمَ الْأَخْمَسَةِ مَوَاتِقًا مَوْسَسَةً
 نَجْمَعُ فِيهَا شَمْلَنَا بِيَكْرِنَا الْمَعْنَسَةَ⁽⁴⁾
 وَلَمْ تَزَلْ تَضْحَكُ مِنْتَنَا أَوْجَهَا مُعَبِّسَةً
 مَا عَبَسَتْ مِنْ زَائِرٍ تُقِلُّ⁽⁵⁾ يَوْمًا مَجَالِسَهُ
 بَلْ مِنْ حُمَيَّا قَهْوَةٍ حَمْرَاءَ أَوْ مَوْرَسَةَ⁽⁶⁾

(1) اللقوة: الناقة السريعة اللقاح، وكذلك الفرس، والقيس: الفحل السريع الإلقاح لا ترجع عنه أنثى.

(2) الخميس: الأول: اليوم المعروف. والثاني: الجيش.

(3) الوطيس: التنور: وبه شبه الحرب.

(4) المعنسة: التي كبرت وعجزت في بيت أبيها: يريد الخمر المعتقة.

(5) تقل: أي تستقله وتحقره.

(6) مورسة: صفراء.

يديرها الظُّبَى الذي
 عَجِبْتُ مِنْ سَاكِنِهِ
 رِيَاضِ حَسَنِ لِيَتَنِي
 فَمَنْ خُـلُودٍ وَرَدَهُ
 إِنَّ اللَّيَالِي لَمْ تَزَلْ
 وَإِنَّهَا عَنْ بَعْضِ مَا
 تَبْدِي رَضًى مَطْمَعَةً
 وَلَيْلًا يَبْدِي لَنَا
 وَمَنْ أَتَى فَلْيَتَرَكُنْ
 صَيَّرَ قَلْبِي مَكْنَسَهُ
 أَمَا تَوَقَّى قَبَسَهُ
 مَمَّنْ جَنَى مَغْتَرَسَهُ
 وَمَنْ جَفَوْنَ نَرَجَسَهُ
 بِمُونِسٍ لِي مُؤْنَسَهُ
 يَنْهَضُنَا لِمُجْلِسِهِ
 بَعْدَ ائْزَارِ مُؤَيَسَهُ
 خَنَسَهُ وَكَنَسَهُ⁽⁴⁾
 عَنْهُ بَعِيداً فَرَسَهُ

المصدر: القدح: ص 16 - 17.

7 - شَمْعَةٌ

قال بالاشتراك مع صديقيه أبي الحسن علي بن سعيد وأبي القاسم أحمد بن يامن:

(الكامل)

ما بال شَمْعَتِنَا كَقَلْبِي تَخْفَقُ
 أَمْ زَارَهَا سَارَى التَّسِيمِ بِسُحْرَةٍ
 عَجَبًا لَهَا فَالْجَسَمُ مِنْهَا فَضَّةٌ
 عُرْيَانَةٌ وَثِيَابُهَا فِي جَوْفِهَا
 زُفْتُ ظَلَامًا كَالْعُرُوسِ بِحُلِيِّهَا
 أَبْدًا تَهِيمُ كَمَا أَهِيمُ وَأَعْشَقُ
 فَغَدْتُ إِلَى لُقْيَا الْمُعَانِقِ تَعْنَقُ
 وَجُفُونَهَا يَنْهَلُ مِنْهَا الزُّئْبُقُ
 لَكِنَّهَا مِنْ حُرْقَةٍ تَتَحَرَّقُ
 لَكِنَّهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ تُطَلَّقُ

(4) الخنس: الدراري الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد. والكنس: النجوم تطلع جارية.

تُفْنِي الدِّيَاجِي وَهِيَ فَانِيَةٌ بِهَا وَمِائِهَا أَيْانُ تُشْرِقُ تَشْرِقُ
 مَا حَقَّهَا إِذْ جَمَعَتْ شَمْلَ الْمَنَى أَنْ يَغْتَدِي مِثْلَ لَهَا يَتَفَرِّقُ
 قَامَتْ خَطِيبًا تَشْتَكِي بِخَطُوبِهَا وَبِنَقْلَةِ الْحَالَاتِ أَمَسَتْ تَنْطُقُ
 المصدر: القدح، ص 54.

8 - يا حسن ورد

(البسيط)

يَا حَسَنَ وَرْدٍ تَبْدَى مِنْ تَلَوْنِهِ فِي أَحْمَرَ قَانِيٍّ أَوْ أَبْيَضٍ يَقْقُ
 كَأَنَّ مَبِيضَهُ زَهْرُ النُّجُومِ وَلَمْ يَفْدُلْ بِمَحْمَرِّهِ عَنْ حُمْرَةِ الشَّفَقِ
 كَأَنَّ مَا أَصْفَرَ مِنْهُ فِي أَوَاسِطِهِ حَبٌّ مِنَ السَّمْسَمِ الْمَجْمُوعِ فِي طَبَقِ

المصدر: رايات المبرزين: ص 264 ونفح الطيب: ج 2 ص 367.

9 - عادة الأيام

كتب إلى أبي القاسم بن يامن:

(الخفيف)

شِيْمَةُ الْخُلْفِ عَادَةُ الْإَيَّامِ فَغَرِيبٌ إِذَا وَقَّتْ بِمَرَامِ
 وَعَجِيبٌ مِنَ اللَّيَالِي رَبَّاحُ وَسَمَّاحٌ لَشَمْلِنَا بَانْتِظَامِ
 وَإِذَا أَسْعَفَتْ بَنِيْلُ الْأَمَانِي فَرِصَةٌ مِنْكَ بُودِرَتْ بِاِغْتِنَامِ
 رَبُّ بَرَقَ أَبْدَى مَخِيلَةَ صِدْقِ بِتَوَالِي تَأَلَّقَ وَابْتِسَامِ
 وَتَصَدَّى يَكْرُرُ الْوَمَضُ حَتَّى أَطْمَعُ الرُّؤُوسَ بِانْسِكَابِ الْغَمَامِ
 فَسَرَى نَجْوَاهُ وَلَمْ يَسْرِعْ عَنْهُ مَا كَسَا وَجْهَهُ بِشُرِّهِ مِنْ قَتَامِ
 وَعَزِيزٌ أَنْ بَتُّ لَيْلِي سَلِيمَا ذَا ارْتِقَابٍ لَطَارِقِ الْأَحْلَامِ

وارتقابُ الخيال غيرُ مفيدٍ لجفونٍ لم تكتحلِ بمنام
 مِن تمام الوعود قد خفتُ نقصاً فانتقاصُ الدور عند التمام
 ورأيت ائتلافنا دون وعدٍ هو ألقى كالرّي بعد الأوام
 فصل الآن دون ريثٍ لنقضي ما علينا من واجب الأثامات
 إنّما نشوةُ النهارِ افتضاحُ ضاح السرور عند الظلام

المصدر: القدح: ص 17 - 18.

10 - دعوة

وكتب إلى أحمد اللياني سبع جمة داعياً إياه لحضور مجلسه:
 (السريع)

يا سابقَ الناس الى غاية في نيلها يعثر صوبُ الغمام
 إخوانك الكتاب يرجون أنْ يُلقَى بكم شملهم ذا انتظام
 فاطلع على الشرب فهم أنجمُ مرتقيات منك بدر التمام
 وسرهم منك بسِرّ المنى وزرهم عند اختلاط الظلام

ثم أجابه عن أبيات:

قد أقبل الشيخ بعذر الفتى فتى المعالي والرئيس الهمام
 وأمطرتنا من سماء الندى يدُ له ببيضاء تجلو الظلام
 لا زال يُهدي لأودائه أسنى الأيادي وأجلّ النظام

المصدر: رحلة التجاني، ص 374 - 375 والمجمل: ص 196 - 197.

11 - حمام

(المجتث)

أهدى الحميمُ حَمَامًا فهمت فيه غرامًا
أُبْدَى صباحًا ولكن جَرَّ الذُّنَابِي⁽¹⁾ ظلامًا
ابيضَ واحمرَّ جَفْنًا فهل سَقَّوْهُ مدامًا
قد فارق الدُّوْحَ لما رأى الفراق لزَامًا
لِذَاكَ سَحَّ عليه دمع الغمام سِجَامًا
وقد ثنى الغصنُ عِطْفًا فما استطاع قَوَامًا
فإن تهبَّ رياحُ تبدي الغصونَ التدامًا⁽²⁾
على فراق حَمَام لا ذاق يومًا حِمَامًا

المصدر: القحج: ص 18.

12 - إخوانية

كتب إلى صديقه أبي الحسن بن سعيد من تونس حين غادره إلى المشرق:

(الكامل)

يا نازحًا عني أجب كتبي كما
صدح الحمامُ إذا الحمام ترنما
وأجل جفونك في سطور لم تكن
لولا تصعدُ زفرتي أن تُفهِمَا
وإذا لمحتَ فريدةً منها فلا
تعجب لناظمها فمَنك تعلمًا

(1) الذنابي: ذنب الطائر.

(2) الالتدام: الاضطراب.

بالله طارحنِي الحديث فابَنَّتِي
 أهوى حديثك مفصِحاً ومجمِماً
 واستبَقِ بالنَّجوى الخَفِيَّةَ بعض ما
 أبقيت لي إذ لم تَدَعْ إلا ذمّاً (١)
 باق على حفظ الوداد وطالما
 أمسى بأيدي الحادثات مقسماً
 أتراك عن نادي السَّرورِ سلوتَ أم
 مازلت مثلى فيه صَباً مغرماً
 تتجاذبُ الأشواقُ قلبي كلما
 أبصرتُ فيه مكانك المتوَهَّماً
 ويطول رَدِّي للكؤوس تذكراً
 فإذا شربتُ شربتُ فيها علقماً
 إذ ليس يعذبُ موردُ حُلَّتْ (٢) عن
 أرجائه ولو أن أموت من الظَّما
 ويحاً لهذا الدهر فوق أسهماً
 للحادثات فكنتُ أولَ من رمى
 أغرى بنا البين المشتَّتَ والنَّوى
 لما رأى شمل الجميع منظماً
 ما كان يقنعنا التواصل دائماً
 فالיום يقنعنا الخيال مسلماً

المصدر: المقتطف: ص 162 - 163 ، والقدر: ص 19 (بزيادة بيتين ونقص

بيت) والبيت الأول ورد في القدر كما يلي:

(١) الذم: بقية النفس في الجسم .

(٢) حُلَّتْ: منعت .

إيه أبا الحسن استمع شدوي كما يصغي الحمام إلى الحمام ترنماً

13 - جؤانس

قال ابن سعيد: حضرت عنده (أي الغساني) ليلة ومعنا أبو القاسم بن يامن الشاطبي، خرجنا معه إلى الرياض بالحريفة فاقتضى الحال أن اشتركنا في نظم هذه الأبيات:

(البسيط)

منادل الشرب أطراف الرياحين
لم يعلها درن بل مسك دارين⁽¹⁾
تتاولته يد الندمان فاكتسبت
بالطي نشرأ له مازال يُحييني
لا كان من قال أعراف الجياد لنا
منادل فهو مجنون المجانين
فللشياطين كانت تلك في قديم
بين القفار وهذي للسلاطين
في مجلس جمع الأشتات من نعر
في دارة الملك لا في دير عبود
ركائب الأنس فيه من مدامتنا
تُحدى إلينا بأنواع التلاحين

(1) دارين: قرية من بلاد فارس على شاطئ البحر وهي مرفأ سفن الهند بأنواع الطيب فيقال مسك دارين وطيّب دارين.

والشمع يضحك أنساً من تجمُّعنا
 وشدة الضحك تكيه إلى حين
 أمست عرائس تُجلى في منابرها
 من نفسها برزت في حسن تزيين
 فالتاج من ذهبٍ والعقد من دُرٍ
 والكلُّ منها بدا في كلِّ تحسين

المصدر: المقتطف من أزاهر الطرف: ص 153 - 154.

14 - أهنية

قال ارتجالاً:

(الوافر)

أشياخُ الخلافة لا برحتم على حال ائتلافٍ دون بين
 وإحسانُ الخليفة⁽¹⁾ في توالٍ عليكم كلَّ يوم مرتين
 وللكتاب قد وجبت عليكم زكاةُ المالِ وهي زكاةُ عين
 وقد أدَّى الذي قد كان فرضاً على إحسانه ابنُ أبي الحسين⁽²⁾

المصدر: القدح: ص 18 .

(1) يعني: المستنصر بالله الحفصي.

(2) هو الشاعر الرئيس انظر الشاعر الموالي.

15 - دعوة

كتب تعقيباً على أبيات لابن أبي الحسين يحثُّ أحد أصحابه على شرب
المدام:

(الوافر)

أبا الفضل اغتتم شرب الحميَّ يطوف بكنسها طَلَقُ المحيَّا
وبادر دون ما عُذِرْ وغدرِ فانت أحبُّ من وافي إلَيَّا

المصدر: القدح: ص 43.

16 - رسالة

كتب إلى الفقيه أبي القاسم بن يامن جواباً عن هدية أهداها إليه:

(الوافر)

أدام الله ودُّكُمْ وأبقى إخاعكم على مرَّ الزَّمانِ
فقد وصل الثلاثُ وهن ستُّ ولو رُبعت لجاءت بالثَّمانِ
ولم تك قسمةً ضيزى وأجرتُ لسانِي وهو أمضى من سِنَانِي
فإن ضيَعته لبئساً بصيفٍ فما بيني وبينك من لبان⁽¹⁾

أسعد الله الأخ المجلَّ المكرم، المفضل في حلَّة السَّبَق المقدم، ولا زالت
سراياه معتولة⁽²⁾، وصفاياه إلى محلِّ الصِّفا⁽³⁾ منقول، من كلِّ مائة الإناء⁽⁴⁾،

(1) اللبان: الرضاع: يشير بالشرط الأول إلى المثل: «الصيف ضيعت اللبن». وبالشرط الثاني إلى أنه
ليست بينه وبينه أخوة رضاع.

(2) السرايا: ج سريّة: القطعة من الجيش، ومعتولة: أي مسبوقة مكبودة، والعتل: الدَّعق والإرهاق
بالسوق العنيف يشير إلى تسميره للكفاح.

(3) الصفايا: المختار المصطفى من الغنم. والصفا: أحد جبلين ببطحاء مكة، وثانيهما المروة، يشير
إلى ما ينحر هناك للضحية.

(4) الإناء: الوعاء: يريد سمنية غير هزيلة، كثيرة الدر.

ملينة بالشكر مدى الأثناء⁽⁵⁾، تُريك ما أحرار المشفر في البشر، وتكرم في المحلّ
 عن تحمل العشر⁽⁶⁾، وإن كان المثل أساء به الظنّ، ومثل لي وحاشاه أن قد
 ضنّ، لكنه اذكر بعد أمّه، وما يُنكر عرفان من أمّه، فجاءت تهادى عرائس،
 وتغادى ظباء كوانيس⁽⁷⁾، مشعرة بأن تُشفّع بأخواتها، مُذكرة بذات الحسن
 وحواتها⁽⁸⁾، فحنينها يأبى الغزر، وشكاؤها⁽⁹⁾ يشكى من المستدرّ، فيا لك من
 حَلَب لو كان له شطر⁽¹⁰⁾، وجَلَب لو انفرد به زيد أو عمرو، ولا خفاء أن البغي
 يُثير الحسيكة⁽¹¹⁾، ويدعو المشاكس أن يفارق شريكه، على أن الرثيئة⁽¹²⁾ تفتن
 الغضب، وتعيد عدّا⁽¹³⁾ مورداً نَضَب، واليد البيضاء حليها لاتمام، حتى تتبع
 الفرس اللجام، وإذا وقع الاجترأ، وكملت بسورة البقرة الأجزاء، فالشكر
 موصول، وخضاب عملك ماله نُصول⁽¹⁴⁾.

المصدر: القدح: ص 13 .

(5) الأثناء: أجمع أنى، يفتح همزته وكسرها: الوهن، والساعة من الليل.

(6) العشر: من كبار الشجر له نور حسن المنظر، ترعاه الإبل.

(7) الكوانيس: الداخلة في كتاسها: وهو حيث تنوي.

(8) الحوات: جمع حوة، وهي سمرة الشفة.

(9) الشكاء: جمع شكوة، وهي وعاء من آدم يحبس فيه اللبن.

(10) يشير الى المثل: احلب حلبا لك شطره.

(11) الحسيكة: الحقد.

(12) الرثيئة: اللبن الحامض يحلب عليه فيخثر. وتفتن: تكسر وتسكن. يشير الى المثل في اليسير من
 البر: «إن الرثيئة تفتن الغضب». وأصله أن رجلا كان غضب على قوم، وكان مع غضبه جائعا، فسقوه
 رثيئة فسكن غضبه.

(13) العد: الموضع يجتمع فيه الماء الكثير.

(14) النصول: الخروج من الخضاب.

محمّد بن أبي الحسين

(ت 689)

أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبي الحسين الرئيس لدى خلفاء بني حفص خاصة أبي زكرياء والمستنصر بالله، أديب وشاعر وعالم لغوي، رتب المحكم لابن سيده الأندلسي على نسق الصّاح للجوهري واختصره. كان مستودع أسرار أبي زكرياء وكان من أبرز رجال السياسة والأدب في عصره. قال عنه ابن خلدون في تاريخه: "كان متفّنًا في العلوم مجيدًا في اللغة، يقرض الشعر فيحسن ويترسل فيجيد".

1 - دولاب

(الطويل)

وَمَحْنِيَّةِ الْأَصْلَابِ تَحْنُو عَلَى الثَّرَى
وَتَسْقِي نَبَاتَ الثَّرْبِ دَرَّ الثَّرَائِبِ
تَرَى نَصْفَهَا الْعُلُويَّ قَوْسًا مَرْنَةً
تُرَامِي سَهَامِ الْمَاءِ عَنْ كُلِّ جَانِبِ
تُعَدُّ مِنَ الْأَفْلَاكِ أَنْ مِيَاهَهَا
نَجُومٌ لِرَجْمِ الْمُخْلِ ذَاتُ نَوَائِبِ
وَأُطْرِبُهَا رَقْصُ الْفُصُونِ نَوَابِلًا
فَدَارَتْ بِأَمْثَالِ السُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ
وَمَا خَلَّتْهَا تَشْكُو بِتَحَنُّانِهَا الصَّدَى
وَمِنْ فَوْقَ مَتْنِهَا أَطْرَادُ الْمَذَانِبِ
وَتَحْسِبُهَا وَالرُّوضُ سَاقٍ وَقَيْنَةً
فَمَا بَرَحَ حَوْلَهَا مَا بَيْنَ شَادٍ وَشَارِبِ
كَأَنَّ مَجَارِيهَا وَدُهْمَةً لَوْنَهَا
(بِيَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ)^(١)

المصدر: نفح الطيب: ج 2، ص 287 - 288 (باختلاف، والبيت الثاني ناقص) رايات المبرزين ص 172، ومنها خمسة أبيات في المجمل: ص 200 باختلاف وكذلك في رحلة البلوي: "تاج المفرق": ج 1 ص 180 - 181. ومنها أربعة أبيات في المقتطف من أزاهر الطرف: ص 120 - 121

(١) هذا عجز بيت لأبي تمام وتماهه:
وأحسن من نور تفتحه الصبا
وفي المقتطف: المصدر هكذا في البيت الأخير:
"فخذ من مجاريها ودهمة لونها"
وكذلك في رحلة البلوي.

2 - افتخار

قال يفخر بجده عمّار بن ياسر صاحب رسول الله صلى عليه وسلم:

أُبْنِيْ ما صرفُ الزَّمانِ بغالب

كَلَّا ولا حظي لديه بعاتب

صحبِ الخلافةَ ما اصطفتُهُ وجَدُهُ

صحبِ النبوةَ في الزَّمانِ الذَّاهِبِ

فإذا سطا زمن عليك فقل له:

لي ذمّةٌ بالصَّاحبِ ابنِ الصَّاحبِ

المصدر: الفارسية: ص 133.

3 - شكر

كتب إلى ابي زكرياء الحفصي حين أهده ألفي دينار في طبق مغطى وبطاقة

فيها أبيات:

(الوافر)

حييتُ بنعمتين وذاك نثر وهذا النّظم يعشقه حبيبُ

ومولانا الذي مازال قدما ينوع جوده مهما يُثيب

المصدر: الشهب اللامعة: ص 252.

4 - لبن

كتب مداعبا أحد أصدقائه مهديا إليه هدايا وفي جملتها جرة من لبن:

(الوافر)

ولما صحَّ زهدك في مُدام متى تُلقَى على كبدٍ يُحجُّ

بعثتُ إليكمُ لبنًا صريحًا فما يَبْغِي المدامة من يُحجُّ

فأعرضُ عن فتى غسان⁽¹⁾ فيها ولا يخدعك ذو حُجَجٍ يُحجُّ⁽²⁾

(1) فتى غسان: أبو العباس أحمد الغساني، انظر الشاعر السابق.

(2) يحج: يقلب بالحجج.

5 - سلوادمنة

كتب إلى عنان بن جابر الثائر على أبي زكرياء الحفصي يؤنبه على الثورة
ويذكره بصداقته له وولائه الماضي للسلطان الحفصي ويدعوه إلى الطاعة ونفض
يديه من التمرد ويغريه بصفح السلطان عنه:

(الطويل)

سَلُّوا دِمْنَةً بَيْنَ الْغَضَا وَالسَّوَاجِرِ
وَلَا فَعْنَدِي دِيْمَةٌ مُسْتَهْءَةٌ
مَسَاحِبَ أَذْيَالٍ وَمَرْكَزَ نُبُلٍ
عَهْدَتْ بِهَا عَلِيَاءُ لَا السَّرُّ عَنْهَا
إِذَا طَرَقَ الشَّوْقُ الْمَبْرَحُ زَرْثَهَا
وَلَوْلَا حِذَارِي أَنْ تُرَاعَ لَزَرْثَهَا
وَمُرْدٍ عَلَى جُرْدٍ إِذَا اشْتَجَرَ الْقَنَا
فَدَيْتَكُمْ مَا الشَّوْقُ آلٍ وَلَا الْهَوَى
دَعَوْهَا فَإِنْ يَسْمَحُ بِهَا الدَّهْرُ اغْتَفِرْ
وَبُونَكُمْ يَا لِلرِّجَالِ تَحِيَّةٌ
فَتَى مَا دَعَتْهُ زَلَّةٌ فَاجَابَهَا
وَقَدْ كَانَ بَيْنِي - يَا عَنَانُ - وَبَيْنَكُمْ
وَفِي كُلِّ عَامٍ كَانَ لِلْجَيْشِ وَقْعَةٌ
عَلَى كُلِّ خَوَارِ الْقَتَانِ كَأَنَّهُ

هل استنّ فيها واكفاتُ المواطنِ
تطلع ما بين الحشا والمحاجرِ
ومريض أساد وملهى جاذِرِ
مذاعٌ ولا جدُّ الوصال بغابرِ
طُروقَ خيالٍ بين راعٍ وسامرِ
بأسمرَ عَسَالٍ وأبيض باثرِ
ترى الجنَ تعروري ظهور الكواسرِ
ببالٍ ولا قلبي الغداة بصابرِ
له ولها ذنبُ اللَّيَالِي الْغَوَايرِ
يُخَصُّ بِهَا عَنِّي عَنَانُ بْنُ جَابِرِ
فكيف طوى كشحاً على نفس غادر⁽¹⁾
بواطنُ صَنَاهَا بحفظ الظَّوَاهِرِ
نجرُ بها أذْيَالَنَا جَرَّ سَادِر⁽²⁾
ريبُ سَعَالٍ لاح في شكل طائرِ

(1) طوى كشحاً: ولى معرضاً

(2) السادر: الذي لا يبالي

يُريك على عِطْفِيهِ مَسْحَةً مُؤْمِنٍ
نَمْدُ لَهَا سَمِرَ الْقَنَا فَتَخَالِهَا
فَتُخْتَالُ أَعْطَافٌ وَتُعْسَلُ سَمَرْنَا
نَشَاوَى عَلَى خَيْلِ نَشَاوَى كَانْنَا
تُظَلِّلُنَا الرِّايَاتُ وَهِيَ خَوَافِقُ
وَحْشُو الْقَبَابِ الْحَمَرِ بَيْضُ أَوَانِسِ
يَطَالَعْنَ مِنْ بَيْنِ الشَّفُوفِ كَأَنَّمَا
أُنْكَرَكَ الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
أَلَمْ يَعلِقِ التَّوْحِيدُ⁽³⁾ قَلْبَكَ نَاشِئًا
وَكُنْتَ تَجِيرُ النَّاسَ فِي خَيْرِ دَوْلَةٍ
وَكُنْتَ كَلِيثَ الْغَابِ عَزًّا وَمَنْعَةً
وَكُنْتَ نَزِيلَ الْمَلِكِ تَجْنِي ثَمَارَهُ
وَكُنْتَ تَلْقَى الْعَزَّ تَحْتَ ظِلَالِهِ
وَكُنْتَ تَرَى الْآبَالَ كَوْمًا غَضَاضَةً
تَبَدَّلْتَ بِالسَّهْلَيْنِ وَالْعُطْفِ زَاغِرًا⁽⁴⁾
كَأَنَّ لَمْ تَجِرَّ فِي زُرُودٍ⁽⁵⁾ وَصَبْرَةٍ⁽⁵⁾

وَيَكْتُمُ فِي جَنْبِيهِ أَضْغَانُ كَافِرٍ
كَلِمَتِ الْقَنَا مَا بَيْنَ أُذُنٍ وَحَافِرٍ
وَتَهْتَرُ كَالسَّمَرِ ابْتِغَاءَ الْمَفَاخِرِ
وَأَسْيَافُنَا لَمْ نَسْتَفِقْ مِنْ تَسَاكِرِ
عَلَى كُلِّ رُئْبَالٍ بِخَفَاقٍ خَادِرِ
عَفِيفَاتٍ مَا تَحْتَ اشْتِمَالِ الْمَازِرِ
يَطَالَعْنَ خَلْسًا مِنْ كِمَامِ الْأَزَاهِرِ
وَإِنْ كُنْتَ عَنْهُ سَالِيًا غَيْرَ ذَاكِرِ
أَلَمْ تَتَكْفَلْ حَفْظَ تِلْكَ الْأَوَاصِرِ
فَأَصْبَحْتَ جَارًا فِي هَلَالِ بْنِ عَامِرِ
فَصُرْتَ كَأَمْثَالِ الرُّئَالِ النَّوَافِرِ
أَفَانِينَ مِنْ أَقْنَانِ رِيَانٍ نَاضِرِ
فَهَا أَنْتَ تَلْقَى الذَّلَّ تَحْتَ الْهَوَاجِرِ
فَأَصْبَحْتَ فِي أَتْبَاعِ شَاءٍ وَيَاقِرِ
وَبِالْصَّافِنَاتِ الْجَرْدِ جُرْبَ الْأَبَاعِرِ
ذُبُولَ النَّصَابِيِّ فِي حِسَانٍ غَرَائِرِ

(3) دعوة بني حفص ومذهبهم العقائدي.

(4) السهلين: والعطف: اسمان لمكانين غير بعيدين عن القيروان وزاعر: بلد متسع يقع بصحراء بلاد الجزائر في جنوب جبل طيرى.

(5) زود واد كبير يأتي من ناحية تبسة وينسرح في بسائط القيروان من قبليها وصبرة وتسمى المنصورية، مدينة أحدثها اسماعيل المنصور الفاطمي في سنة 337 هـ، تقع في جنوب القيروان وتبعد عنها نحو الكيلومتر - وكثيرا ما يقصد بصبرة مدينة القيروان نفسها لأنه في وقت ما اختلطت المدينتان ببعضهما بعضا.

ولم تَلَوْ حَطَّارًا بِكَتَافِ عَمْرَةَ⁽⁶⁾
ولم تُدْرِكِ الأوتار بالقرن⁽⁷⁾ غالباً
عزيز علينا - يا عنان - ضلالة
تبصَّرْ ولا تحمل على النفس غيها
فديتك لا تشترِ الضلالة بالهدى
وما العربُ العرباء إلا بعهدِها
فكم حَفِظْتُ من ذمّة قوسٍ حاجب
كذلك كان الناس يوفون فابتغوا
وفي يوسف الوافي عليهم زيادة
رأى الرشد حيث العزّ ألقى جراحه
رأى الغي من يتبعه يضل سبيله
غلام غذاه منذ أن كان يافعاً
وكم فتية من آل منصور أسعدوا
لدى ملكٍ يعفو ويغفر دائماً
ومن تنفع الذكرى تلاقى تلافه
هدتك الهوادي - يا عنان - وأمطرتُ

ولم تَنْنِ بالقصرين أعطاف ضامر
ولم تقض بالألواح أوطار زائر
حدث بك لا تلوي على زجر زاجر
أعيزك من كرات دهرٍ جواسر
فديتك لا تشر العمى بالبصائر
فمن كان أوفى كان أول فاجر
وكم مثلاً أبقى السموأل⁽⁸⁾ سائر
سبيل الموفاء كابرأ إثر كابر
أبي هجرس الندب الصفي المثابر
فخيم مثواه عزيز المجاور
فأوى الى ظل من الحق باهر
فوقى وما وفيت يا للعشائر
لدى خير منصور وأكرم ناصر
فأين الفرار من عفو غافر
وكشفت عن وجه من الرشد سافر
ذراك الغواصي بين بادٍ وحاضر

المصدر: مجلة الفكر: السنة 8 المعداد 10 جويلية 1963 ومنها أبيات في

المجمل: ص 200 - 201. عن مخطوط خاص لحسن حسني عبد الوهاب.

(6) عمرة فحص متسع جدا في أواسط البلاد التونسية - والقصرين: ولاية في الجنوب الغربي من البلاد التونسية والخطر مبالغة في الخاطر وهو الطحان بالرمح.

(7) القرن: جبل عال في الجنوب الغربي من القيروان، أسماء موسى بن نصير الوالي الأموي بهذا الاسم، ويعرف الآن بجبل الباطن يعني باطن القرن.

(8) السموأل بن غريص بن عادياء الأزدي، شاعر جاهلي حكيم، اشتهر بالوفاء لأصدقائه، تروى عنه قصة لم يخن فيها أمر القيس الشاعر.

6 - خمريّة

كتب إلى ابن عمه أبي الحسن بن سعيد مع هدية وكان ابن أبي الحسين في حالة مرض:

(الطويل)

أَكْفُ الصَّبَا حَفَّتْ جَنَى زَهَرِ الرَّبَى
بَعَثَتْ بِمَثَلِ الزَّهْرِ فِي مَثَلِ صَفْحَةٍ
مَعَانٍ لَهَا أَعْنُو وَأَعْنَى بِهَا فِكْمُ
قَلْوٍ عَرَضَتْ لِلْبَحْرِ لَمْ يَلْفَظِ الدُّرَا
أَبَا حَسَنِ هِنْتَتْ مَا قَدْ مُنِحَتْهُ
وَنُوتَكَ بَحْرًا مِنْ وَدَادِي تَلَاظَمَتْ
فَإِنْ خَطَرَتْ فِي جَانِبٍ مِنْكَ هَفْوَةٌ
يَزُلُّ الْجَوَادُ عِنْدَمَا يَبْلُغُ الْمَدَى
فَدَعُ ذَا وَخَذَهَا شَائِبَاتُ قَرُونِهَا
وَلَوْ غَادَرُوا فِي وَصْفِهَا مَتَرْدُمًا
أَلَا فَاحْجِبْنَهَا عَنْ صَدِيقٍ مَعْمَرٍ
وَمَنْ كَانَ ذَا حَجَرٍ وَنَبْلٍ وَرَقَّةٍ
قَرَنْتُ بِهَا صَفْرَاءَ لَمْ تَعْرِفِ الْهُوَى⁽⁴⁾
وَلَا ضَمَخَتْ نَضِجَ الْعَبِيرِ وَإِنْ غَدَتْ

سَوَالِكَ عَنْ نَضْوِ يُسَامِي بِكَ الزَّهْرَا
لِذَلِكَ مَا قَلَدَتْهَا الشَّدَرُ وَالْدُرَا
وَقَفْتُ عَلَيْهَا الْعَيْنَ وَالسَّمْعَ وَالْفِكْرَا
وَلَوْ عَارَضَتْ هَارُوتَ لَمْ يَنْفُثِ السَّحْرَا
ضُرُوبًا مِنَ الْآدَابِ تُحْلِي بِهَا الدَّهْرَا
بِهِ زَاخِرَاتُ الْمَدِّ لَا يَعْرِفُ الْجَزْرَا
فَلَا تَحْسِبْنِ أَنِّي أَضِيقُ بِهَا صَدْرَا
وَيَعْتَرِ بِالرَّمْتِ⁽¹⁾ النَّسِيمُ إِذَا أُسْرِى
عَرُوبًا لَعُوبًا جَائِرًا حَكَمَهَا بَكْرَا⁽²⁾
لَشَنَقْتُ مِنْ شَعْرِي بِهَا أَذُنُ الشَّعْرَى⁽³⁾
فَإِنْ قَصَارَى الْغَمْرِ أَنْ يَبْكِيَ الْعَمْرَا
فَلَا يَخْلُونُ إِلَّا عَلَى الْخَمْرَةِ الْحَمْرَا
وَلَا أَلْفَتْ وَصْلًا وَلَا عَرَفَتْ هَجْرًا
تَوَخَّرَهُ لُونَا وَتَفَضَّحَهُ نَشْرَا

(1) الرمت: شجر يشبه الغضا.

(2) العروب والعروبة من النساء: الضحاكة.

(3) الشعري: كوكب يطلع في الجوزاء في شدة الحر. والبيت ورد باختلاف في نفع الطيب.

(4) في رايات المبرزين: لم تدرك ما الهوى.

فإن خلقتها بنت الظلِّيم أظْلَمَها فقد فرش الإذخر⁽⁵⁾ من تحتها تبراً
لها نسبٌ بين الثريِّا أو الثرى وسل برِّبَها المزن والغصنُ النَّضْرُا
فشرباً دهاقاً وانتشاقاً ولا ترم عن البيت فترأ أو تقيم به شهرا

المصدر: نفح الطيب: ج 2، ص 321 ومنها 5 أبيات في رايات المبرزين: ص

.173

7 - هدية

كتب إلى الحسن بن سعيد موجَّهاً إليه ما طلبه منه:

(المتقارب)

أتاك أبا حسن غائبٌ متى ما أردتَ تراه تره
بحبٍّ به طيبة تنتميهِ ولكن بنارٍ أتتْ نيره
وجوه النعيم عراها الجيمُ فابرزها أوجهها مسفره
فكلَّها هنيئاً مريئاً ودع لسكرها قهوة الدسكرة⁽⁶⁾
وأقدمُ فإنِّي أرى جُبْنها يقوِّي الجبان على القسوره
ومهما صبرتَ لوقت الضحى فللَّهِ قلبك ما أصبره

المصدر: القدح: ص 10 .

(5) الإذخر: ج إذخرة وتجمع أيضا على أذاخر. نبات طيب الرائحة. أو الحشيش الأخضر. والظليم: ذكر النعام. وفي رايات المبرزين.. الأدهي: وهو مبيض النعام في الرمل.

(6) الدسكرة: القرية العظيمة أو بيوت يكون فيها الشراب والملاهي أو قصر تكون حواله بيوت، يجتمع فيها الشطار.

8 - سيف

كتب يمدح أبا زكرياء يحيى الحفصي حين أهداه سيف جدّه عمّار بن ياسر
الصحابي:

(الوافر)

أمولنا لئن أصبحتُ أولى بسيف الجدّ عمّار بن ياسر
فودّي لو غزوتُ به حياتي عِداك ولست محتاجا لناصر
فسعدك قاتل كلّ الأعادي وحزبك ظاهر أبدا وقاهر
المصدر: الشّهب اللامعة: ص 252 -

9 - نهر

قال يصف نهرا نزل على جانبه الأمير يحيى أبو زكرياء:

(الطويل)

ونهر يرفّ النُّور في جنباته ويثني النسيمُ قُضْبَه فتأطّر
يميل كما عنّ الصَّبّاح بأفقه وإلّا كما شيم الحسام الجوهر
عليه ليحيى قبة هل سمعتم بقرصة شمس حلّ فيها غضنفر
فإن قلت هذي قبة لعفاتها فقل ذلك الوادي الذي سال كوثر

المصدر: ديوان الأدب التونسي: ص 229.

10 - شراب ونقل

وقال في وصف شراب غليظ أسود وخروب وزبيب فيه غصون:

(المتقارب)

ويوم نزلنا بعبدِ العزيز فلا قدّس اللهُ عبدَ العزيزِ
 سقانا شراباً كلونِ الهناء^(١) ونقلنا بقرونِ العنوزِ
 وجاءت عجوزٌ فأهدت لنا زيباً كخيالِ خدِّ العجوزِ!

المصدر: رايات المبرزين: ص 173 وديوان الأدب التونسي: ص 224.

11 - هدية

(المقارب)

وناعمةِ الأحشاء طيبةِ الجنا أنتك مع الإصباح في فحمة الغسقِ
 معذبةِ بالنّار وهي غريقةٌ وما أن شكت نار الحريق ولا الغرقِ
 وأعجبُ ما فيها إذا ما عضضتها أرتك ابتسامَ الفجر في حمرةِ الشفقِ

المصدر: القدح: ص 10.

12 - الخشكلان

وله في الخشكلان وهو نوع من الخبز في شكل هلالٍ. والكلمة فارسية الأصل:

(المجتث)

هو الأهلّة لكن تدعونه خشكلانا
 فإن تقاءلت صحفٌ تجد: حبيبك لاننا

المصدر: نفح الطيب: ج 2 ، ص 321.

(١) الهناء: القار.

السلطان المستنصر بالله الحفصي

(ت 675)

أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء يحيى الحفصي. بويع له سنة 647 وتسمى خليفة سنة 650 وتلقب بالمستنصر بالله. جاءت البيعة من مكة والشَّام والأندلس. كان شاعرا أديبا وكانت مجالسه الأدبية حافلة بأبرز العلماء والأدباء من تونس والأندلس والمغرب. شيد القصور ونضد البساتين وبنى الجوامي وأصلح الحنايا الرومانية التي تأتي بالماء الى العاصمة وأوصله الى جامع الزيتونة. وكان ولوعا بالاجازة الشعرية. وقد أنشد حازم القرطاجني مقصورته الشهيرة تخليدا له. وفي عهده فشلت الحملة الصليبية الثامنة على تونس مما ساهم في ازدهار الحضارة في تونس ووصولها الى الأوج من حيث العمران والاقتصاد والفكر.

مقطوعات

- 1 -

عرض المستنصر مرةً أجناده، وقيل: بل سلّم عليه الموحّدون يوم عيد بتونس،
وفيهم شاب مليح وسيم اسم جدّه النعمان، فسأله السلطان عن اسمه، وأعجبه
حسنه، فخلّج واحمرّ وجهه، وازداد حسناً، فقال السلطان هذا المصراع:
(الكامل)

كَلَّمْتَهُ فَكَلَّمْتُ صَفْحَةَ خَدِّهِ

وسأل من الحاضرين الإجازة، فلم يأتوا بشيء، فقال السلطان مجيزاً شطره:
فَنَفْتَحَتْ فِيهَا شَقَائِقَ جَدِّهِ

المصدر: نفح الطيب: ج 2، ص 323

- 2 -

قال مخاطباً أبا بكر بن سيد الناس في أحد مجالسه الأدبية:
(البسيط)

مَا حَالُ عَيْنِكَ يَا عَيْنَ الزَّمَانِ فَقَدْ

أَوْرَثْتَنِي حَزْناً مِنْ أَجْلِ عَيْنِكَ

وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ غَيْرَ الدَّعَاءِ فَيَا

رَبِّ بَرَاوِي الصَّحَّاحِينَ حَنَانِيكَ

المصدر: نفح الطيب: ج 4، ص 110.

- 3 -

كان السلطان المستنصر بالله في بعض متصدياته، فكتب لأبي عبد الله بن
أبي الحسين يأمره باحضار الأجناد لأخذ أرزاقهم بقوله:

(الوافر)

ليحضُرْ كُلُّ لَيْثٍ ذِي مَنْالِ زَكَاءُ فِرْعَاوْنَ لِإِسْدَاءِ النَّوَالِ
غَدَاً يَوْمَ الْخَمِيسِ فَمَا شُغِلْنَا بِأُسْدِ الْوَحْشِ عَنْ أُسْدِ الرِّجَالِ
المصدر: نفح الطيب: ج 2 ، ص 322 - 323 والوافي: ج 5 ، ص 203.

- 4 -

(الكامل)

قال متغزلاً

مَالِي عَلَيْكَ سِوَى الدُّمُوعِ مُعِينُ إِنْ كُنْتَ تَغْدُرُ فِي الْهَوَى وَتَخُونُ
مَنْ مَنَجِدِي غَيْرَ الدُّمُوعِ وَإِنِّهَا لِمَغِيثَةُ مَهْمَا اسْتَغَاثَ حَزِينُ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا حَمَلْتَنِي صَعْبٌ وَلَكِنْ فِي رِضَاكَ يَهُونُ

المصدر: نفح الطيب: ج 2 ، ص 323 ، والوافي: ج 5 ، ص 202.

أبو بكر بن حبيش

(ت 615 . ت بعد 679)

أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن بن حبيش اللخمي المرسى الأندلسي. ولد في جمادى الأولى سنة 615 بمرسية ونشأ بها وتكون. نزح إلى تونس حيث أقام وأكثر من مدح المستنصر بالله. وكان من أبرز الأدباء والعلماء من أفراد الجالية الأندلسية الذين اتصلوا بالبلاط الحفصي واضطلعوا بدور كبير في نشر المناهج والطرق الأندلسية في التعليم ورواية الأدب. وكون ابن حبيش العديد من الأدباء التونسيين والمغاربة بتونس. وهو من أهم الأدباء الذين ساهموا في بلورة المدرسة الأدبية التونسية في العهد الحفصي وارسائها على قواعد راسخة.

1 . تخميس

قال مخمسا لآبيات قالها أبو العباس بن القصير يصف مركبا قاصدا
البقاع المقدسة:

(مجزوء الرجز)

طوبى لوفد المغرب لما سَروا ليثرب
فازوا بأعلى طلب ألّه در المركب
إذ سار سير الكوكب

بشرى لكل من به نال الرضى من ربّه
مطهرا من ذنبه يا ليتني من صحبه
أسري إلى قبر النبي

اللّه حسبي وكفى عساه يدني للصفّا
وروضة فيها الشفا ما غير قبر المصطفى
برءا لداء المذنب

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 125.

2 . عيناك

(الكامل)

لولا الحياء من الرقيب الراصد
لجعلت قصدك من أجل مقاصدي
يا من تسلّم مهجتي نقدا بلا
ثمن، وسوف بالقاء مواعدي
عيناك تقتلني ولست برأحي
وهواك يمرضني ولست بعائدي

نَفْسِي فِدَاكَ! أَمَا بَدَا لَكَ بَعْضُ مَا
أَخْفِي وَقَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ شَوَاهِدِي؟
حَلَيْتُ نَفْسِي فِيكَ حَلِيَّةَ شُهْرَةٍ
شَهِدَتْ بِإِخْلَاصِي وَصِدْقِ عَقَائِدِي
السُّقْمُ حَلِيِّي وَالصَّبَابَةُ حَلَّتِي،
وَالْعَشْقُ تَاجِي وَالْدُمُوعُ قَلَائِدِي
يَا غُصْنُ بَانٍ فِي انْتِثَاءٍ دَائِمٍ،
وَهَلَالٌ تَمَّ فِي اكْتِمَالٍ زَائِدٍ
وَعَزَالَ إِنْسٍ مَا تَأْنَسُ بِالْهَوَى
صَادَ الْقُلُوبَ وَمَالَهُ مِنْ صَائِدٍ
فَإِذَا تَجَلَّى مِنْ حَجَابِ نِفَارِهِ
حَجَبَتُهُ أَنْوَارُ الشُّعَاعِ الصَّاعِدِ
وَيَدَا فَلَمْ يُمَكِّنْ سَنَاهُ لِنَظَرٍ
وَمَشَى فَأَمَكَّنَ خَصْرَهُ لِلْعَاقِدِ
يَا مَنَظَرًا لِلْحُسْنِ فِيهِ بَدَائِعُ
شَهِدَتْ بِإِبْدَاعِ الْقَدِيرِ الْوَاحِدِ
رَقْرَاقُ وَجْنَتِهِ كَدَمْعٍ ذَائِبٍ
وَنِظَامُ مَبْسَمِهِ كَنَظْمِ جَامِدٍ
يَا وَرْدَ خَدْيِهِ أَمَا مِنْ نَاشِقٍ!
يَا عَذْبَ مَرَشَفِهِ أَمَا مِنْ وَارِدٍ!

يَفْتَرُّ عَنْ ظَلَمٍ^(١) لِقَلْبِي ظَالِمٍ
يَجْرِي عَلَى شَهْدٍ بِشَوْقِي شَاهِدٍ
لِحَبَابِهِ^(٢) فِي النَّفْسِ لَوْ حَابَى بِهِ،
فَعُلُ ابْنِ مَرِيَمَ^(٣) فِي الرَّمِيمِ الْبَائِدِ
مَنْ لِي بِهِ يَخْتَالُ بَيْنَ لِدَاتِهِ
كَالْبَدْرِ بَيْنَ كَوَاكِبِ وَفَرَاقِدِ!
وَيَمِيسُ فِي حُلِّ الْجَمَالِ كَمَا ثَنَى
نَفْسُ الصَّبَا عَطْفَ الْقَضِيبِ الْمَائِدِ
فَتَانُ لِحَظٍ مَا خَلَّتْ أَجْفَانُهُ
عَنْ سَاحِرٍ أَوْ نَافِثٍ أَوْ عَاقِدِ
هَلْ أُرْتَجِي إِقْبَالَهُ وَقَبُولَهُ
وَالدَّهْرُ فِيهِ مُعَارِضِي وَمُعَانِدِي؟
أَوْ قَرِيبُهُ، وَالسَّعْدُ غَيْرُ مُسَاعِدِي؟
أَوْ طَيْفُهُ، وَالْجَفْنُ لَيْسَ بِرَاقِدِ؟
أَلَاذُّ بِالْبُقْيَى وَمَا عَهْدُ الرُّضَى
بَاقٍ، وَلَا عَصْرُ الْوِصَالِ بِعَائِدِ؟
لَوْ شِئْتَ يَا حَسَنًا تَسْمَى أَحْمَدًا
لَجَمَعْتَ بَيْنَ مَحَاسِنٍ وَمَحَامِدِ

(١) الظلم: بريق الأسنان .

(٢) الحباب: فقايع على وجه الشراب .

(٣) هو عيسى بن مريم عليه السلام .

مَا بَالُ مَنْ وَافَى بِدِينِ خَالِصٍ
فِي الْحَبِّ يَبْقَى فِي عَذَابٍ خَالِدٍ؟
يَا رَبِّ هَبْ أَجْرِي لَهُ فِي قَتْلَتِي
عَمْدًا، وَهَبْ لِي عَنْهُ وَزَرَ الْعَامِدِ
يَا مَنْ أَطَاعَ بِي الْوَشَاةَ وَطَالَمَا
عَاصَيْتُ فِيهِ نَصَائِحِي وَمَرَّشِدِي
يَكْفِي جَمَالَكَ أَنْ قَتَنْتَ عَوَاذِلِي
وَكَفَى سَقَامِي أَنْ تَرَقَّ حَوَاسِدِي
لَمْ أَحْظَ مِنْكَ، وَأَيُّ حَظٍّ فِي الْهَوَى
لِمُسَارِقِ اللَّحْظَاتِ غَيْرِ مُعَاوِدِ؟
أَفَنَيْتَ أَيَّامِي بِهَجْرِكَ لِي، فَصِلْ
قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَوْ بِيَوْمٍ وَاحِدِ
تَاللَّهِ مَا بَالَيْتُ بِالدُّنْيَا وَمَنْ
فِيهَا إِذَا كَانَ الْحَبِيبُ مُسَاعِدِي

المصدر: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: ص 125 - 128.

3 - سلوا ساحر الأجفان

(الطويل)

سلوا ساحرَ الأجفانِ يُنعمُ بِوَعْدِهِ
ولَا يَلُوهُ لِيَّ التَّنْثِي لِقْدُهُ
فقدُ - وهواهُ - ألهبَ الشَّوْقُ أَضْلُعِي
كما ألهبتُ نارُ الشَّبَابِ بَخْدَهُ
والبَسَ جِسْمِي السُّقْمَ مِنْ سَقْمِ طَرَفِهِ
وعَلِمَ صَبْرِي الضَّعْفَ مِنْ ضَعْفِ عَهْدِهِ
فَيَا قمرًا غَارَ الهلالُ بوجهه
كما التحفَّتْ زُرْقُ السَّحَابِ بِبُرْدِهِ
تطلُعُ بِأَفْقِي فَهِيَ لَيْلَةٌ أَسْعِدِي
كما لاحَ بَدْرُ التَّمِّ فِي أَفْقِ سَعْدِهِ
تملَكَتْ رُوحِي والفؤادَ فلمْ تدعْ
سوى رَمَقٍ إِنْ كُنْتَ تَقْبِلُ أَهْدِهِ
بِنَفْسِي غزالُ فاتِرُ اللَّحْظِ فَاتِنُ
غداَ الحسنُ عقداً وهوَ وَسْطَى بِعَقْدِهِ
تَحِيرَتِ الأَلْحَاظُ مِنْهُ تَعْجِبًا
مَتَى امْتَزَجَتْ خَمْرُ الرُّضَابِ بِشَهْدِهِ؟
بِفِيهِ لَمْ يَشْفِي العَلِيلَ بِرَشْفِهِ
على بَرْدٍ يُذَكِّي الغَلِيلَ بِبُرْدِهِ

أَمَا وَعَقِيقُ ذَابَ فِي دُرٍّ وَجَنَةٍ
 أَذَابَتْ فَوَادَ الصَّبِّ فِي نَارٍ وَجَدِهِ
 وَنَفْحَةِ مَسَكٍ إِنْ تَنَسَّمَ يَهْدِهِ
 وَرَائِقٍ دُرٍّ لَهْنٍ تَبَسَّمَ يَبْدِهِ
 لَقَدْ خَفْتُ أَنْ يَقْضِيَ السُّرُورَ بِقَرْبِهِ
 عَلَيَّ وَلَمْ أَنْعَمْ بِسَاعَةِ وَعْدِهِ
 فَيَا رَبَّ أَنْسَنِي بِقُرْبٍ مَزَارِهِ
 وَأَنْسَهُ لِي مِنْ نَفَرَةِ الصَّدِّ وَاهِدِهِ

المصدر: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: ص 128 - 129.

4 - أنعم بيوم

(البيسيط)

أنعم بيوم له في الحسن آثار	تقضى به لك آمال وأوطار
وجه الزمان وقد راقت محاسنه	له سفور، وللإصباح إسفار
والأرض في بركات منكم، فيها	في الليل والمحل أنوار ونوار
والرؤض يهدي نسима ليس يشبهه	في الطيب إلا ثناء منك معطار
والطير يفتن في الفتان من نغم	تفسيرها لك إجلال وإكبار
والشرق نو شفق في البحر مؤتلق	كأنما الماء شبت فوقه النار
والشمس تطلع كالدينار أخلص من	محض النضار، فهامت فيه نظار
تبدو مع الماء طورا، ثم يرفعها	أوج ويدفعها موج وتيار
ما كان للبحر إذ حاكى يدك ندى	أن يمسك الشمس فيه وهي دينار

المصدر: ملء العيبة: ج 2، ص 118.

5 - مدحیة لأمیر حفصی

له من قصيدة يمدح بها الأمير. أبا فارس بن الأمير أبي إسحاق بن الأمير
أبي زكرياء بن أبي حفص عمر. وتوفي هذا الأمير مقتولا في حربه مع المسييلي
الدعي سنة 682 هـ:

(الطويل)

بِنَفْسِي وَالْهِمَانُ فِي الْحَسَنِ يُعْذَرُ
وَذَنْبُ التَّسْلِي فِي الْهَوَى لَيْسَ يُغْفَرُ
جَمَالُ، أَطَالَ الْهَائُمُونَ صَبَابَةً
بِهِ، وَرَأَهُ اللَّائِمُونَ فَانْقَصَرُوا
مَحِيًّا يَحْيَى بِالنَّفُوسِ إِذَا بَدَأَ
وَيُتَحَفُّ بِالْأَرْوَاحِ سَاعَةً يُنْظَرُ
تَكَامَلُ كُلُّ الْحَسَنِ فِيهِ، فَقَدْ أَرَى
وَعِنْدِي كُلُّ الْحَبِّ، أَنِّي مُقْصَرُ
وَبِي مِنْ ظُلُمَاءِ الْإِنْسِ ذَاتُ لَوَاحِظٍ
تَعْلَمُ هَارُوتَ بِهَا كَيْفَ يَسْحَرُ
مُهْفَهْفَةٌ الْأَلْحَاطِ تَنَادُّ فِي الْحَلَى
كَمَا مَاسَ غَصْنٌ نَاعِمٌ وَهُوَ مُزْهِرُ
مُحْجَبَةٌ لَوْ طَالَعَ الْبَدْرُ خَدْرَهَا
رَأَى أَنَّ بَدْرَ الْأَرْضِ أَنْهَى وَأَبْهَرُ

تلوَحُ بِهَا شَمْسٌ وَتَرْتَا حُ خُوطةٌ^(١)
 وَيَسْجَعُ قُمْرِي وَيَلْحَظُ جُوذُرُ
 وَتَزْهَرُ مِنْهَا بِالْمَحَاسِنِ رَوْضَةٌ
 وَلَكِنَّهَا بِالْوَصْلِ لِي لَيْسَ تُثْمِرُ
 هَلَالٌ مَحْيَاهَا، تَخَالَفَ حُكْمُهُ،
 بِمَرَأَةٍ صَامَ الْخِصْرِ وَالرَدْفُ يُفْطِرُ
 تَرِيكَ غَزَالِ الْقَفْرِ، جِيدًا وَمُقَلَّةً،
 فَنَفَرَتْهَا عَنْ عَاشِقٍ لَيْسَ تُنْكَرُ
 لَهَا مِعْطَفٌ لَوْ عَلِمَ اللَّيْنُ قَلْبَهَا
 لَمَا بَاتَ قَلْبِي لَوْعَةً يَتَفَطَّرُ
 وَجِسْمٌ نَضَارِي^(٢) يَكَادُ نَضَارَةً
 يُؤَثِّرُ فِيهِ أَنْ أَقُولَ يُؤَثِّرُ!
 وَخَذْتُ إِذَا فَكَّرْتُ فِي رَقَّةٍ بِهِ
 تَخَوَّفْتُ أَنْ يُدْمِيهِ ذَاكَ التَّفَكُّرُ!
 وَطَرَفُ حَكِي فِي الضَّعْفِ حَجَّةٌ لَانْمِي
 عَلَى الْحَبِّ أَوْ صَبْرِي لَهَا حِينَ تَهْجُرُ
 يَسْهَدُ أَجْفَانُ الْوَرَى وَهُوَ نَائِمٌ
 وَيَهْدِي لِنَهْجِ الْعَشْقِ وَهُوَ مُحِيرٌ

(١) الخوطة والخط: الغصن الناعم، والقضيب عامة.

(٢) نضاري: نسبة إلى النضار، وهو الذهب.

كحيلٌ، ولكن زاد بالكحلِ صولةً
 كَمَا نَصَلَ الهندي⁽³⁾ وهو مجوهرٌ
 وتبسمٌ عن ألمى كأنَّ نظامه
 عقيقٌ ودرٌّ بالزبرجدِ يمتُر⁽⁴⁾
 تجسمَ فيه النُّورُ نوراً، يعلُّه
 زلالٌ وجريال⁽⁵⁾ وشهدٌ وعنبرٌ
 يروقُ ابتساماً وانتِساماً، كأنَّه
 صباحٌ منيرٌ أو أقاحٌ منورٌ
 قضتُ لزمانِي⁽⁶⁾ أن يذوبَ من الظما
 وفي المرشفِ الأَحلى رحيقٌ وكوثرٌ
 وهل يرتوي من حامٍ واللَّحظ قد حمى؟
 أيوردُ عذبٌ فوقه العَضْبُ يُشهرُ؟
 ويسكرُ مَنْ تُرويه خمرٌ، وهما أنا
 لِخَمْرِ اللَّمى ظِلَامٍ، فما لي أسكرُ؟
 ولما تساوتُ في البهاءِ عقودُها
 وألقاظُها لم أدِرْ، والكلُّ جوهرٌ،

(3) الهندي: صفة السيف المصنوع من حديد الهند.

(4) قرأها المحقق يهتر ولا معنى لها ولعلها يمتر أي يمتد.

(5) الجريال: الخمر.

(6) الدِّماء: بقية الروح في الجسد.

هل العقدُ من ذاك الكلامِ منظَّم؟
 أم اللَّفْظُ من تلك القلائدِ يَنْثُرُ؟
 فيا عاذلي فيها التفتِ من صفاتها
 إلى أربعٍ فيها تهيمُ وتعذرُ:
 يشوقُكَ معسُولٌ ويسئِبُكَ أغيدُ
 ويصنُبُكَ مَيَّاسٌ ويصنمُكَ أخوَرُ

المصدر: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: ص 122 - 125.

6 - أذْكِ السَّراج

حضر أبو بكر بن حبيش ليلة مع بعض أصحابه وطفئ السَّراج، فقال
 ارتجالاً:

(البسيط)

أذْكِ السَّراجِ يُرِينا غرَّةً سَفرَتُ
 فباتت الشَّمْسُ تستحيي وتستترُ
 أو خَلَّه فكَفَّانا وَجْهَ سَيِّدنا
 لا يَطْلُبُ النَّجْمُ من في بيته قمرُ

المصدر: نفح الطَّيب: ج 3 ، ص 461.

7 - رثاء القائد هلال

قال يرثي القائد هلالا، وقد كان معطاء مفضالا:

(الطويل)

وقالوا: رثيتَ المجد؟ قلتَ لهم: نعم رثائي له حزني عليه إلى الحشر
ولو كنتُ حيًّا بعده لرثيتهُ ولكنَّ رُوحِي سابقتَه إلى القبر

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 122.

8 - كافات الشتاء

(الكامل)

إن قيل: كافاتُ الشتاء كثيرةٌ، قل أنت: بل هي واحد دون امترا
إن صحَّ كاف الكيس صحَّ جميعها وكذاك كلَّ الصيِّدِ في جوفِ الفرا

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 122.

(مجزوء الوافر)

بهار باهر عبق	إليه الطُرف يستبِق
كانَ القُضْب منه حيد	من حياها الحيا الغدق
أناملُ غادةٍ فيها خضا	ب أخضر أنق
خَوَاتِمُهَا مَكَلَّلَةٌ	بدرُ زانه نسق
له من أصفرِ الياقوت	فصّ وسطها شريق
حكى مُصَفَّرُهُ جسمي	ويحكي وُدِّي اليَقْـق
رُزِقْتُ به الغنى والـ	هُ يَرْزُقُ من به يثق
قلي من عينه عين	ومـن أوراقه ورق ^(١)

المصدر: ملء العيبة: ج 2، ص 121 - 122.

10 - صادرات الصيام

(البسيط)

جاء الصَّيَّامُ وَمِنْ صَادَاتِهِ بِيدي سبع، فقد أكسبتني بالقبول ثقه
صوفيتي وصفائي في صالحيتي والصبرُ والصَّوْنُ، ثم الصدقُ وَالصَّدَقَةُ

المصدر: ملء العيبة: ج 2، ص 122.

(١) الورق: المال من الدراهم والماشية والورق: الدراهم المضروبة.

11 - نفسي فداك

(الكامل)

نفسى فداك أما ترى صوبَ الحيا قد رام أن يحكي عيم نداكا
والجو منسكب الدُمُوع كأنه يهواك أو يرثي لمن يهواكا
واليوم منهزم كأنّ نماءه صبري وقد عنت له عيناكا
والليل يبدي ظلمةً في وحشة بكفؤاد صباك أو كيوم نواكا

المصدر : ملء العيبة: ج 2 ، ص 117 - 118 .

12 - العيد لي وحدي

قال أبو بكر بن حبيش، وقد زاره بعض أودائه في يوم عيد فطر:

(الرجز)

أكلُ ذا الإجمالِ في ذا الجمالِ الله أستحفظُ ذاك الكمالِ
يا مالِكا بالبرِّ رقيُّ أما يكفيك أن تملكِني بالوصالِ
سرتَ الى ربِّي زوراً كما سويّ إلى المهجور طيفُ الخيالِ
العيد لي وحدي بين الوردى حقاً لأنّي قد رأيتُ الهلالِ
صومي مقبولٌ وبرهانهُ أنّي أدخلُ جنانَ الوصالِ

المصدر : نفح الطيب: ج 4 ، ص 16 .

13 - الحب ديني

(البسيط)

الحبُّ دينيَ لَا أبغي بِهِ بَدَلًا
والْحُسْنَ مَلَكُ مَطَاعُ، جَارُ أَوْ عَدَا
يَا مَنْ عَذَابِي عَذْبُ فِي مَحَبَّتِهِ
لَا أَشْتَكِي مِنْكَ إِلَّا الصَّدَّ وَالْمَلَلَا
النَّفْسُ عَزَتْ وَلَكِنْ فِيكَ أَبْذَلَهَا
وَالذُّلُّ مَرٌّ وَلَكِنْ فِي رِضَاكَ حَلَا
كَانَمَا الْقَلْبُ مِنِّي مَجْمَرٌ عَبِقُ
يَزِيدُ فِي حَبْكُم طَيِّبًا إِذَا اشْتَعَلَا
بَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ، أَمْ رِضْوَانُ قَدْ غَفَلَا؟
أَمْ فَتْنَةٌ تَسَحَّرُ النَّسَاكَ وَالْعُقَلَا؟
تَبَارَكَ اللَّهُ! مَاذَا لِلْعُقُولِ جَنَى
مَنْ الْفِتُونِ؟ وَمَاذَا لِلْعُيُونِ جَلَا؟
يَا مَنْظَرًا إِنْ بَدَأَ كَانَتْ مُحَاسِنُهُ
لِلْحَبِّ عَذْرًا وَلِلْأَحْيِ لَهُ خَجَلَا
أَمِنْ فَوَادِي مِنْ تِلْكَ الْجُفُونِ كَمَا
أَمْتَنَتْنِي بِالْجَمَالِ اللَّوَمَ وَالْعَذَلَا
إِنْ كُنْتَ لِلْخَلْقِ فَتَانًا فَلَا عَجَبُ،
لَكِنْ عَجِبْتُ لِسَالٍ عَنْكَ كَيْفَ سَلَا

بالله هل يُنعمُ العِطْفُ المنعمُ لي
 بالعِطْفِ؟ أو يعدلُ القَدُّ الذي اعتدلاً؟
 من لي به؟ لم يدعْ في مهجتي رمقاً
 من الحياة، ولا في وصليهِ أملاً!
 جعلتُ خدِّي له أرضاً، فوقعَ: لا
 أرضي، وأتحفتُهُ نفسي فما قبلاً
 سبطاً على الخلقِ سلطانُ الجمالِ، فمن
 زين السلاطينَ أن صاروا له خولاً
 يا واليَ الحسنِ تنقادُ النفوسُ له!
 يا أمرَ الحبِّ! كلُّ العالمِ امتثالاً
 مولاي! ولَّ فؤادي للرُضَى خططاً
 كما خلعتُ عليه للضنى حلالاً
 وهبْ لقلبي نعيمَ القربِ منك كما
 حملتُهُ أَلَمَ الأشواقِ فاحتملاً
 شرفُ بخدمَةِ ذاكِ الحسنِ عاشقُهُ،
 وابذلْ رضاكَ لروحِ فيكَ قد بُذِلَ
 يا مَنْ له دولةٌ في الحسنِ باذلةً
 مثلي ومثل فؤادي يخدمُ الدَّولَ

14 - قالوا

(البسيط)

قالوا تصبر عن الدنيا الدنية أو
كن عبدا واصطبر للذل واحتمل
لا بدّ من أحد الصبرين قلت: نعم
الصبر عنها بعون الله أوفق لي
المصدر: نفع الطيب: ج 3، ص 227.

15 - احتجاج

(الطويل)

وأحورّ وسانّ الجفون سقيمها مهفّف أثناء الوشاح هضمها
من الإنس لم يدرِ الغلاة، وقد سبّى لحاظاً وجيداً من مهاها وريمها
ضرعتُ إليه في الوصال، فردّني مردّ مليء بالاحتجاج عليمها
وقال: وصالا رمت، والنهي عنه في شريعتنا حكم أتى عن حكيمها!
فقلت: اشتراك اللفظ غرّك، إنما نهى في الليالي عن توالي مصومها
فقال: إمامي الشافعي، وقد رأى لمشترك الألفاظ حكم عمومها
المصدر: ملء العيبة: ج 2، ص 116.

16 - تعاطف

قال متعاطفا مع القائد هلال كبير علوج المستنصر في مرضه وكان يرعى
أهل العلم ويحسن الى المساكين:

(البسيط)

كيف العلاء؟ فأشفائي كما علما وإن وثقت بأن الله قد عصما
فارتككم ويد الشكوى تلاعبكم قجدّ خوفا وجاءت عبرتي ديما

شَكَاتُكُمْ أَوْجِبَتْ أَنْ يَتَّ مُشْتَكِيَا لَعَلَّ جِسْمِي عَنْكُمْ يَحْمِلُ الْأَمَلَا
فَإِنْ حَمَلَتْ ضَنَاكُمْ كُلَّهُ فَكَفَى أَوَّلًا، فَصِحُّوا وَزِيدُوا عَبْدَكُمْ سَقَمًا
المصدر: ملء العيبة: ج 2، ص 124.

17 - نَسِيمُ الصَّبَا

(الطويل)

نَسِيمُ الصَّبَا عَرَجٌ بِاِكْنَافِ نَعْمَانٍ⁽¹⁾
وَصَرَفٌ لِأَحْبَابِي غَرَامِي وَأَشْجَانِي
وَحُذٌّ مِنْ سَلَامِي نَفْحَةٌ تَنْتَنِي بِهَا
لِلْقِيَاكَ أَعْطَافٌ مِنَ الرُّنْدِ وَالْبَانِ
تَوْصَلُ بِإِخْلَاصِ الْمَحَبَّةِ نَحْوَهُمْ
تَلَاقٍ لَدَيْهِمْ كُلُّ عَطْفٍ وَتَحْنَانِ
وَمَنْ سَأَلُوا مَاذَا النُّحُولُ؟ فَقُلْ لَهُمْ:
حَنِينِي لَمَّا يَلْقَى الْمُحِبُّونَ أَضْنَانِي
تَحْمَلُ إِلَى تِلْكَ الْأَبَاطِجِ وَالرُّبَى
تَحِيَّةٌ خَفَاقِ الْجَوَانِحِ وَلِهَانِ
رِيَاضُ كَأَنَّ الرُّوْضَ فِيهَا عَرَائِسُ
تُحَلَّى بِأَسْمَاطٍ⁽²⁾ وَتُجَلَّى بِبَتِيجَانِ
تَدْفُقُ فِيهَا كُلُّ أَرْزَقٍ سَلْسَلٍ
وَعَنَى عَلَيْهَا كُلُّ أَوْزَقٍ⁽³⁾ حَنَّانِ
أَثُوبُ لَهَا شَوْقًا وَمِنْ لَمْ أُلَاقِهَا
وَلَكِنْ أَوْطَارِي لَدَيْهَا وَأَوْطَانِي

(1) نَعْمَانُ: هُوَ نَعْمَانُ الْأَرَاكِ، وَادٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ.

(2) أَسْمَاطُ: ج سَمَطٌ، وَهُوَ الْعَقْلُ.

(3) الْأَوْزَقُ هُوَ الْحَمَامُ، مُؤَنَّثَةُ الْوَرَقَاءِ.

أَبْعَلَمُ سُكَّانُ الْغُضَى⁽⁴⁾ أَنْ بُعْدَهُمْ
يَشْبُ الْغُضَى⁽⁵⁾ فِي قَلْبٍ مُكْتَنِبٍ عَانِي
وَهَلْ عِنْدَ جِيرَانِ الْعَقِيقِ⁽⁶⁾ بِأُنْتِنِي
لِفِرْقَتِهِمْ ذَابَ الْعَقِيقُ بِأَجْفَانِي؟
وَأَنْ أَحَادِيثَ الْعُذَيْبِ⁽⁷⁾ لِمَسْمَعِي
أَلَّذُ مِنْ الْعَذْبِ الزُّلَالِ لِظْمَانِ؟
كَفَى شَاهِدًا بِالشُّوقِ جِسْمِي وَمَذْمَعِي
فَذَا رَمَقُ قَانٍ وَذَا غَدَقُ⁽⁸⁾ قَانِي
وَحَسْبِي وَفَاءٌ أَوْ صَفَاءٌ بِأَنْ أَرَى
مِنْ الْغَدْرِ صَبْرِي أَوْ مِنَ الْإِثْمِ سَلَوَانِي
أَرَاهُمْ بَعَيْنِ الشُّوقِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
فَلَا الْبُعْدُ أُنْسَانِي وَهُمْ وَسَطُ إِنْسَانِي
مِثَالُهُمْ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ مَائِلٌ
وَرَمْتُ لِقَاءً فِي الْعِيَانِ فَأَعْيَانِي
وَلِي مُهْجَةٌ تَصْبُو إِلَى نَفْسِ الصَّبَا
فَلَوْ هَبَّ فِي الْأَحْيَانِ مِنْهُمْ لَأَحْيَانِي

(4) سُكَّانُ الْغُضَى: سكان نجد، سَمِيَتْ بِهِ كَثْرَةُ الْغُضَى بِهَا، وَهُوَ نَبَاتٌ مِنَ الْأَثَلِ خَشْبُهُ مِنْ أَصْلَبِ الْخَشَبِ.

(5) يَشْبُ الْغُضَى: يوقد نار الغضى، لأن جمر الغضى يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ.

(6) الْعَقِيقُ: هو اسم لأربعة أودية بالحجاز.

(7) الْعُذَيْبُ: ماء بين القادسية والمغيثة وهو أيضاً وادٍ لبني تميم من منازل حاج الكوفة.

(8) الْغَدَقُ: الماء الكثير.

فَبِاللَّهِ حَيِّ السَّفْحِ يَا سَافِحَ الْحَيَا
وَقَفْتُ بِالْمَحَانِي وَقَفَّةَ الْمُشْفِقِ الْحَانِي
وَالْحَفْتُ ثَرَاهَا فِي بَسَاطِ زَبَرْجَدٍ
عَلَيْهِ نُثَارُ مَنْ لَجِينَ وَعِيقَانِ
لِيُخْتَالَ ذَاكَ الْقَصْرُ فِي وَشْيِ زَهْرِهِ
كَمَا اخْتَالَ مَأْمُونٌ عَلَى فُرْشِ بُورَانَ⁽⁹⁾

المصدر: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: ص 131 - 132.

18 - مَتَعِ جَفُونِي

(البسيط)

مَتَعِ جَفُونِي بِذَاكَ الْمَنْظَرَ الْحَسَنَ،
وَاسْتَبِقِ رُوحِي فَإِنَّ الْجِسْمَ فِيكَ قَنِي
حَنَنْتُ لِلْقِيَاكَ نَفْسِي يَا مَعَذِبَهَا
وَاسْتَعَذِبْتُ فِيكَ مَا تَلْقَى مِنَ الْمَحَنِ
مَوْلَايَ عَلَّلَ عَلِيلاً أَنْتَ مَمْرُضُهُ
وَارْفُقْ بِقَلْبٍ بِهِ سَكَنَاكَ، يَا سَكَنِي
دِينِي وَدُنْيَايَ فِي مَرَاكَ قَدْ جُمِعَا
يَا مَنْ تَجَمَّعَ مِنْ بَدْرِ وَمِنْ غُصْنٍ
أَقْبِلْ بِوَجْهِكَ وَأَقْبِلْ مَهْجَتِي ثَمَنًا
مَا لِلْوَصَالِ سِوَى الْأَرْوَاحِ مَنْ تَمَنَّى

(9) بُورَانَ: هي خديجة بنت الحسن بن الحسن بن سهل (حوالي 191 هـ / 807 م - 271 هـ / 884 م)، تزوجها الخليفة المأمون سنة 209 هـ / 824 م في حفل مشهود قيل إنه فرش فيه حصيراً من الذهب وبُثِرَتْ عليه أصنافُ الجواهر.

بما بعينيك من سحرٍ قتلْتَ بهِ
 لبِّي ومن سقمٍ أورثهُ بدني
 نعمٌ بوجهك مشتاقاً لرؤيتِهِ
 يا من تنعمتُ فيه حينَ عَذَّبني
 يا من إذا لمَحْتُهُ مقلتي قدحتُ
 ناراً تنيرُ بخديه وتُحرِّقني
 عطفاك تُطمِعُ في عطفٍ وقلبك لي
 قاسٍ على ما أقاسي فيك من شجنٍ
 قاسيتُ بعدك ما رَقَّ الجمادُ لهُ
 فما لقلبك لم يُشفقْ ولم يَلنِ
 وقد وهبتك نفسي لا أَمَنَ بها
 فإنْ تقبَلْتَ كانتْ أشرفَ المننِ
 بالله يا من جفاني سلَّ جفونك لِمِ
 قاسمُنِّي السُّقْمَ واستأثرنَ بالوسنِ؟
 حسبي من الدينِ والدنيا رضاك، ومن
 باع الورى بك لم يُنسبْ إلى الغبنِ
 بذكركم يأنسُ المشتاقُ بعدكمُ
 أنس الغريبِ إلى الأحبابِ والوطنِ
 يُدرى هواك وإن أخفيتهُ، ومتى
 يغلبُ على السرِّ شيءٌ كان في العلنِ

المصدر: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: ص 130 - 131.

19 - ولوع بالحب

كتب أبو بكر بن حبيش لمن يهواه بقوله:

(الطويل)

متى ما تَرَمَ شرحاً لحالي وتبيننا فصَحَّفَ على قلبي «علومك تحيينا»
المصدر: نفح الطيب: ج 3 ، ص 466 ، وأراد: إني بحبك مولع.

20 - إلى الله أسئلو

(الطويل)

أيقدرُ أن يَنْسَى الغرامَ ويسلُو
محبُّ عصى العذالِ في طاعةِ الهوى؟
فأجفانُهُ في قبضةِ السُّهدِ والبُكا
وَمَقْوَدُهُ في راحةِ الوجدِ والجوى
فؤادُ بحرٍ الشوقِ يشكو من الظما
ففي طرفه داءٌ وفي ثغره دوا
بدتْ لك أسرارِي وأخفاني الضنى
فسرِّي منشورٌ وجسمي قد انطوى
عجبتُ لسرِّي ضاقَ عن كتمِ سرِّه
فكيفَ حوى من فرطِ حبِّك ما حوى؟
إلى الله أشكو ما أجنُّ من الأسى
إذا لم تُبَيِّحْ لي أن أبوحَ وأشكوا

أيا موسراً يلوي بدينٍ لمسيرٍ
ألم تدرِ ما قد جاء في موسرٍ لوى⁽¹⁾ ؟
ويا مضرماً نارَ الجوى في جوانحي
أتحرق ربّعا كم أطلت به النوى؟
ألحْ عدُولي بالملام، ولو رأى
حبيبي لاستحيى من العذلِ وارعوى
محياً كما أبصرت من قمرِ الدجى
وجيدٌ كما حدثتُ عن ظبية اللوى⁽²⁾
وطرفٌ ضعيفٌ مثلَ حُجّةٍ لائمي
على حُبِّه، أو مثلَ صبري للنوى
يسدّد من جفنيه نحويَ أسهما
مواقعها مني المقاتلُ لا الشوى⁽³⁾
يُميتُ بلحظٍ ثمَّ يحيي برشفةٍ،
ففي طرفه داءٌ وفي ثغره دوا
إذا عدّ فرسانُ الهوى مثلَ عُروَةٍ
وقيس⁽⁴⁾ فإنّي فيهمُ حاملُ اللّوا

(1) لوى: مطل وتباطأ. جاء في القرآن الكريم: "وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى، وما يغني عنه ماله إذا تردى" (سورة الليل) وجاء في الحديث: "لي الواجد يحلّ عرضه وعقوبته".

(2) ما التوى وانقطع من الرمل.

(3) الشوى: أطراف الجسم، واحدها شواة.

(4) يعني بعروة عروة بن حزام العذري، من بني عذرة، من شعراء القرن الأول للهجرة، اشتهر بحبه لآبنة عمه عفراء بنت عقال وشعره فيها. أما قيس فاسم قد اشتهر به رجلان هما: قيس بن الملوح، مجنون بني عامر، صاحب ليلي وقيس بن ذريح صاحب لبنى.

ولم أنسَ فكْري ساعةَ البينِ موقفي
ومنادُ أضلاعي زفيرُ قد استوى
وعينيَ تَدْمَى ثُمَّ تدمعُ تارةً
فتنثرُ ياقوتًا هناكَ ولؤلؤًا
تولُّوا بقلبي كيفَ بالعيشِ بعدهمُ
وخلُّوا فؤادي مثلَ ربِّهم قَوَى⁽⁵⁾
فإنَّ كانَ محبوبِي أرادَ منيَّتي
فقد نالَ منِّي بالنوى فوقَ ما نوى
مواثيقُهُ مرعيَّةَ جارٍ أو رعى
ومثوًا في طيِّ الحشَى سارَ أو ثوى

المصدر: مختارات من الشعر لمغربي والأندلسي: ص 138 - 140.

21 - حنايا زغوان

(الوافر)

تمتّع من بقايا للحنايا بأبدعٍ منظرٍ تصبو إليه
تأمل بعضَ أرسمها البواقِي وقد مدَّ الفناء لها يديه
كسطرٍ بعضُ أحرفه تمحّى وبعضُ لاح مضروباً عليه

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 122.

(5) قوى: الأصل قواء: قفر الأرض والخلاء: من قويت الدار: خلت.

محمّد بن سَبَاط

(618 - 681)

أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عمر بن شبّاط المصري التوزري، ولد بقسنطينة في 20 شعبان سنة 618 من أصل توزري، نقله أبوه وهو ابن أربع سنوات إلى توزر فنشأ بها وحفظ القرآن ودرس النحو واللغة والفقه والأصول على أيدي علمائها خاصة والده. تولى قضاء توزر وأشرف على إعادة توزيع المياه على غابات الواحات بالجريد. لقب المصري لأن جدّه انتقل إلى مصر واستوطنها وولد بها أبوه علي. من مؤلفاته:

- تخميس الشَّقْراطسيّة وشرحها في كتابه "صلة السمط وسمّة المرط".
والشَّقْراطسيّة في مدح خير البرية نسبة إلى عبد الله بن يحيى الشَّقْراطسي
التوزري المتوفى في ربيع الأول سنة 466 والشَّقْراطسيّة تبتدئ هكذا:

الحمد لله منّا باعث الرسل هدى بأحمد منّا أحمد السبيل

- عجالة الروية في تسميط القصيدة النحوية المسماة بالمنفرجة وهي منسوبة
إلى العالم التوزري أبي الفضل يوسف بن النحوي (ت 513).

- أنيس الفريد في حلية أهل الجريد.

عجالة الروية في تسميط القصيدة التحوية

وهي تخميس لقصيدة ابن النحوي (ت 513) "المنفرجة" وتسمى أيضا النحوية نسبة الى قائلها:

(الخبب)

يَا مَنْ يَشْكُو أَلَمَ الْحَرْجِ وَيَرَى عُسْرَ أَقْرَبِ الْفَرْجِ
أُبَشِّرُ بِشَدَا فَرْجٍ أَرْجِ اشْتَدِّي أَرْمَةَ تَنْفَرِجِي

قَدْ أَدْنَى لَيْلِكَ بِالْبَلَجِ

وَارْتَجِ لِلرَّوْحِ فَلَا حَرْجَ فَمِرَاقِي اللَّطْفِ لَهَا دُرْجُ
وَمَعَانِي الضَّيْقِ لَهَا فَرْجُ وَظِلَامُ اللَّيْلِ لَهُ سُرْجُ
حَتَّى يَغْشَاهُ أَبُو السَّرْجِ⁽¹⁾

الْيَأْسُ لِذِي الْبَلْوَى خَطَرُ وَالْيَأْسُ مَعَ النِّعْمَى بَطَرُ
وَالْقَلْبُ لَهُ أَبَدًا وَطَرُ وَسَحَابُ الْخَيْرِ لَهَا مَطَرُ
فَإِذَا جَاءَ الْإِبَانُ تَجِي

وَالْغَافِلُ عَنْ هَذَا هَمْلُ وَالنَّفْسُ يَمْلِكُهَا الْأَمْلُ
مَلَكَ الْخَيْرِ هُوَ الْعَمَلُ وَقَوَائِدُ مَوْلَانَا جَمْلُ
لِسُرُوحِ الْأَنْفُسِ وَالْمَهْجِ⁽²⁾

عَمَّ الْأَكْوَانُ نَدَى وَجَدَى فَعَلَى الْأَفَاقِ شَمُوسُ هُدَى
وَرِيَاضُ الْجُودِ تَصَدَّ صَدَى وَلَهَا أَرْجٌ مَحْيَا أَبَدًا
فَاقْصِدْ مَحْيَا ذَاكَ الْأَرْجِ

(1) السرج: يعني بها الكواكب. أبو السرج: الشمس

(2) في الأصل سروج النفس: وفيها روايات، سروج: من سرحت الدابة أي ذهبت لطلب معاش، وسروج: أي لشرح النفس بإذهاب حزنها.

لَهُ نَسِيمٌ حَيٌّ أَحْيَا وَمَسِيرُ طَرِيقٍ مَا أُعْيَا
فَالزَّمَهُ فَرَبَّتَمَا أَنْيَا وَلرَبَّتَمَا فَاضَ الْمَحْيَا
بِجُودِ الْمَوْجِ مِنَ اللَّجَجِ⁽³⁾

نُوُ الْعَقْلِ يَقُومُ بِسَيِّدِهِ وَمَسَدَّدُهُ وَمُؤَيَّدُهُ
وَمَصْرَفُهُ وَمَرْدَدُهُ وَالْخَلْقُ جَمِيعًا فِي يَدِهِ
فَذُو سَعَةٍ وَذُو حَرَجٍ

وَنَزَاعُهُمْ وَنَزْوَعُهُمْ وَقِنَاعَتُهُمْ وَقِنُوعُهُمْ
وَسُلُوكُهُمْ وَوَلُوعُهُمْ وَنُزُولُهُمْ وَطُلُوعُهُمْ
فَبَالِي دَرْكِ وَعَلَى دَرَجٍ

وَمَطَالِعُهُمْ وَمَرَاقِبُهُمْ وَطَوَالِعُهُمْ وَتَوَاقِبُهُمْ
وَمَثَالِبُهُمْ وَمَنَاقِبُهُمْ وَمَعَاشِشُهُمْ وَعَوَاقِبُهُمْ
لَيْسَتْ فِي الْمَشْنِيِّ عَلَى عَوَجٍ

نَفْسٌ عَدَلَتْ، نَفْسٌ ظَلَمَتْ نَفْسٌ سَلِمَتْ، نَفْسٌ أَلَمَتْ
نَفْسٌ جَهَلَتْ، نَفْسٌ عَلِمَتْ حِكْمٌ نُسِجَتْ بِبَيْدٍ حَكَمَتْ
ثُمَّ انْتَسَجَتْ بِالْمُنْتَسِجِ

هَذِي دَخَلْتُ هَذِي خَرَجْتُ هَذِي بَقِيَتْ هَذِي دَرَجَتْ
هَذِي سَفَلَتْ هَذِي عَرَجَتْ فَإِذَا اقْتَصَدَتْ ثَمَّ انْعَرَجَتْ

فَبِمَقْتَصِدٍ وَيَمْنَعِرِ

(3) الحيا: مكان الحياة.

خاضتُ بحراً فيه لُجَجٌ صَدَّتْ قَوْمًا لَهَا انْتَهَجُوا
وهدتُ قَوْمًا فيها ابْتَهَجُوا شَهِدَتْ بِعَجَائِبِهَا حُجَجٌ
قامت بالأمرِ على الحَجَجِ (4)

اقرعْ بِأَبِي أَمَلٍ وَرَجَا واسلك هولاً واركبْ لُجَجَا
فرجاءُ اللَّهِ هَدَى وَنَجَا ورضاً بِقَضَاءِ اللَّهِ جِجَى
فعلى مَرْكُوزَتِهِ فَعُجِ

احفظْ أَنْفَاسَكَ الصُّعْدَا واحذرْ أَنْ تَذْهَبَ عَنْكَ سُدى
وانعمْ بِاللَّائِحِ حِينَ بَدَا وإذا انفتحتْ أَبْوَابُ هدى
فاعجلْ لَخَزَائِنِهَا وَلِجِ

وتوخَّ بِقَصْدِكَ آيَتَهَا وارفعْ بِالْهِمَّةِ رَايَتَهَا
وانهضْ كَيْ تُدْرِكَ غَايَتَهَا وإذا حاولتْ نَهَايَتَهَا
فاحذرْ إِذْكَ مِنَ العَرَجِ

واتركْ أَمْرًا يُجْنِيكَ أذىً والزَمْ نِكْرًا يُجْدِيكَ غَدَاً
واهْجُرْ هَجْرًا وَهَوًى وَبَذَاً لِتَكُونَ مِنَ السُّبَّاقِ إِذَا
ما جِئْتَ إِلَى تِلْكَ الفُرَجِ

بُرْهَانُ الْحَقِّ وَحُجَّتُهُ ولسانُ الصِّدْقِ وَلَهْجَتُهُ
وطريقُ الرُّشْدِ وَنَهْجَتُهُ فَهَنَاءُ الْعَيْشِ وَبِهْجَتُهُ
فلمِبتَهَجٍ ولمِنتَهَجٍ

(4) الحجج: بكسر الحاء أي السنين.

نفس رضىت بالله جدت شكرت نعماً مهما شكرت
وكذلك إن بخلت جمدت فهج الأعمال إذا ركدت

فإذا ما هجت إن تهج

نفس، كثفت فزجأتهأ خبئت بالهجر مجأتهأ
ويدت في الذنب لجأتهأ ومعاصي الله سماجتهأ

تزدان لذي الخلق السميع

عرج عن ساج مساحتها واقبض راحاً عن راحتهأ
فلتقوى الله وراحتها ولطاعته وصباحتهأ

أنوار صباح منبج

فادخل في منسب منصبها واسلك في مسلك مكسبها
واسمك في مطلع مطلبها من يخطب حور الخلد بها

يظفر بالحور وبالغنج⁽⁵⁾

يا من بالحسن هوى علقا جرد عزمنا وانف العلقا
حورا عيناً تهوى علقا فكن المرضي لها بتقى

ترضاه غدا وتكون نجى

بمعاصي الله القلب أذي ويطاعته عوفي وغذي
فيها في كل حلاك خذ وائل القرآن بقلب ذي

حزن وبصوت فيه شج

(5) الغنج: الدل .

فجبابُ النَّفْسِ وَأَفْتَهَا عجب توليه سلافتُها
وأمانُ الطريقِ مخافتُها وصلاةُ اللَّيْلِ مسافتُها
فأذهبُ فيها بالفهمِ وجي

وَأَعْمُرُ بِالذِّكْرِ مَحَانِيَهَا وَأَقْطِفُ بِالْفِكْرِ مَجَانِيَهَا
وَالزَّمْ مَا عِشْتَ مَعَانِيَهَا وَتَأَمَّلْهَا وَمَعَانِيَهَا
تَأَتِ الْفِرْدَوْسَ وَتَفْتَرِجَ

وَالهَيْجُ بِطَائِفِ مِحْجَرِهَا وَابْهَجْ بِطَرَائِفِ مِتْجَرِهَا
وَبِمَبْرَدِهَا وَهَمْجَرِهَا وَاشْرَبْ تَسْنِيمَ مَفْجَرِهَا
لا مَمْتَزَجًا وَبِمَمْتَزَجٍ⁽⁶⁾

مَا مِنْ خَلْقٍ أَنْشَأَهُ سُدَى كُلُّ بِالْأَمْرِ بَدَأَ وَغَدَا
أَعْمَى مَنْ شَا أَزْلاً وَهَدَا مُدِحَ الْعَقْلِ الْآتِيهِ هُدَى
وَهَوَى مُتَوَلٍّ عَنْهُ هُجَى

هَذَا بَحْرٌ وَإِقْصَاؤُهُ مَا غَصَّتْ عَنْهُ إِغَاضَتُهُ
وَالصَّعْبُ تَقْدَمُ رَاضَتُهُ وَكِتَابُ اللَّهِ رِيَاضَتُهُ
لِعُقُولِ الْخَلْقِ بِمُنْتَدِجٍ

أَسْبَابُ الْخَوْفِ حُدَاتُهُمْ وَأَوَّلُو التَّيْبِيطِ عِدَاتُهُمْ
وَلَهُ لَا تَكْسَلُ ذَاتُهُمْ وَخِيَارُ الْخَلْقِ هُدَاتُهُمْ
وسواهم من همجِ الهمجِ

(6) مَفْجَرُهَا: بفتح الجيم أي الماء المجرى.

والتسنييم: عين في الجنة يشرب منها المقربون أي هذا الماء من نوعين غير ممتزج وممتزج.

(7) في الأصل: الهرج: والرهج هو الغبار.

جَنَّبَ عَبْدًا جَهْلًا غَفَلًا وَاتَرَكَ بَدْرًا إِمًّا أَفْلًا
وَحُزْنَ الإِقْدَامِ تَحُزْنَ نَفْلًا فَإِذَا كُنْتَ الْمَقْدَامَ فَلَا
تَجَزَّعَ فِي الْحَرْبِ مِنَ الرَّهَجِ (7)

وَارْقُبْ بَرْقًا لِلسَّرِّ بَدَا وَامْدُدْ لَكَرِيمِ الْوَعْدِ يَدَا
وَاعْمُرْ أَوْقَاتَكَ مُجْتَهِدًا وَإِذَا أَبْصَرْتَ مَنَارَ هُدَى
فَإِظْهَرْ فَرْدًا فَوْقَ الْبَيْجِ (8)

لِلَّهِ جِبَاهٌ قَدْ سَجَدَتْ فِي جُنْحِ اللَّيْلِ مَا هَجَدَتْ
أَضْنَاهَا الشُّوقُ وَمَا وَجَدَتْ وَإِذَا اشْتَاقَتْ نَفْسٌ وَجَدَتْ
أَلَمًا بِالشُّوقِ الْمُعْتَلِجِ

أَهْوَاءُ النَّفْسِ مِمَّا حَكَّاهُ وَرِيَاضُ الْإِنْسِ مِمَّا حَكَّاهُ
وَشُمُوسُ الْفَضْلِ مُضَاحِكَةٌ وَثَنَائِيَا الْحَسَنِ ضَاحِكَةٌ
وَتَمَامُ الضُّحَى عَلَى الْفَلَجِ (9)

يُورِقُ الرَّحْمَةُ قَدْ لَمَعَتْ وَغِيُوثُ النِّعْمَةِ قَدْ هَمَعَتْ
وَمَعَانِي الْحِكْمَةِ قَدْ جُمِعَتْ وَعِيَابُ الْأَسْرَارِ قَدْ اجْتَمَعَتْ
بِأَمَانَتِهَا تَحْتَ الشَّرْحِ (10)

شَمَّرُ بَطْرِيقِكَ لَاحِبِهِ وَاسْلُكْ قَصْدًا بِمَصَاعِيهِ
فَالْقَصْدُ هَدَى لِمَصَاحِبِهِ وَالرَّفْقُ يَدُومُ لِصَاحِبِهِ
وَالْخَرَقُ يَصِيرُ إِلَى الْهَرَجِ (11)

(8) الشَّيْخُ: الْوَسْطُ أَوْ مَعْظَمُ الشَّيْءِ. يُقَالُ: يَرْكَبُونَ ثَبِجَ هَذَا الْبَحْرِ أَيِ مَعْظَمِهِ وَأَعْلَاهُ.

(9) مَاحِكٌ: خَاصِمٌ وَلَجٌ فِي الْخُصُومَةِ.

لَا حَكَّ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ: أَلْزَقَهُ بِهِ، تَدَاخَلَهُ، تَلَاخَمَ مَعَهُ. وَالْفَلَجُ فِي الْأَسْنَانِ: الْإِنْفِرَاجُ.

(10) عِيَابٌ: جُ عَيْبَةٌ: وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ تُصَانُ فِيهِ الْأَمْتَعَةُ كَالثِّيَابِ

وَالشَّرْحُ: فِي الْأَصْلِ السَّرَجُ. وَالشَّرْحُ: عَرَى الْعِيَابِ.

(11) الْهَرَجُ: بِسُكُونِ الرَّاءِ: الْفِتْنَةُ وَكَثْرَةُ الْفَسَادِ. وَالْهَرَجُ: نَفْثُ الرِّاءِ تَحْيِيرُ الْبَصَرِ.

(12) سَارِيَةُ الْخُلُجِ: سَارِيَةُ بْنُ حَصْنٍ أَوْ الْحَصِينُ الدَّيْلَمِيُّ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَخْطُبُ بِالْمَدِينَةِ فَرَأَى

وَأَقَمْعُ شَهَوَاتِكَ بِالزَّهْدِ وَاحْكُلْ أَجْفَانَكَ بِالسَّهْدِ
وَصَلِّ الصَّلَاةَ لِمَنْ يَهْدِي صَلَّاتُ اللَّهِ عَلَى الْمُهْدِي
الهادي النَّاسَ إِلَى النَّهْجِ

إِمَامُ الْخَلْقِ وَخَيْرِ تَبِئِهِ وَوَسِيلَتِهِ وَذَخِيرَتِهِ
وَعَلَى خُلَصَانِ عَشِيرَتِهِ وَأَبِي بَكْرٍ فِي سِيرَتِهِ
وَلِسَانِ مَقَالَتِهِ اللَّهُجِ

الشَّاهِرِ سَيْفِ صِرَاطَتِهِ وَمُجَهِّزِ جَيْشِ عَرَامَتِهِ
لِمُسْلِمَةٍ وَيَمَامَتِهِ وَأَبِي حَفْصٍ وَكِرَامَتِهِ
فِي قِصَّةِ سَارِيَةِ الْخُلُجِ⁽¹²⁾

قَالَ لِي الدُّنْيَا ذِي الطُّمْرَيْنِ وَمُزِيلِ الرَّيْبِ مَعَ الرَّيْنِ
وَمَذِيقِ الْكُفْرِ الْمُرَيْنِ وَأَبِي عَمْرٍو ذِي النُّورَيْنِ
الْمُسْتَحْيَى الْمُسْتَحْيَى الْبَهْجِ

جَلَا عَنْ جَيْشِ الْعُسْرِ أُنَى وَحَمَى عَنْ عَيْنِ الْحَقِّ قَسْدَى
وَأَخَا عَيْنِ رَمَقَتٍ وَقَدَا وَأَبِي حَسَنِ فِي الْعِلْمِ إِذَا
وَأَفَى بِسَحَائِبِهِ الْخُلُجِ

المصدر: رحلة العبدري: ص 52 - 59.

العسكر بنهاوند وجعل يصيح: يا سارية الجبل الجبل فصعد سارية وجنده الجبل وقاتلوا الكفار فهزمهم وكتبوا بذلك إلى عمر.

والخلج: قوم من العرب الحقههم عمر بن الخطاب بالحارث بن مالك.

مسيلمه ويمامته: هو مسيلمه بن ثمامة الكذاب متنبئ ولد ونشأ باليمامة في نجد توفي سنة 12 هـ مقتولا على يدي خالد بن الوليد .

الحسن بن محمد

(609 - 682)

أبو علي الحسن بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي، ولد بطرابلس وتوجّه الى المهدية وأخذ فيها عن أساتذتها وكانت مركزا تعليميا وأديبا مزدهرا زاخرا بالعلماء والأدباء. تولّى القضاء بباجة ثم بجاية، وقلّد بتونس منصب العلامة الكبرى بعد أحمد الغسانی، وكلّف بالاشراف على المكتبة الحفصية في عهد المستنصر ثم أقصي عنها وأرجع إليها في عهد الواثق بالله فوجدها تالفة. وكان نديما للمستنصر وامتنح عديد المرات في حياته وعرف السجّ والتعذيب ما نجد منه صورا في شعره. توفي في 2 جمادى الأولى سنة 682.

1 - شجون

(البسيط)

أَمَا تُرَدِّدُ لَوْ تَشْفِي لَنَا كَرْبَا
وَيَا لَأَمَانِي يَنَالُ الْقَلْبُ بُغْيَتَهُ
يَرْتَاحُ إِنْ لَاحَ بَرَقٌ مِنْ جَهَامَتِهَا
يُسْرُ إِنْ مَدَّ يَوْمًا حَبْلُ مُنْيَتِهِ
إِنْ عَزَّ مَا يَبْتَغِيهِ فَهَوَ فِي هَرَجٍ
وَارْحَمَتَاهُ لِقَلْبِي كَمْ أَجْشَمُهُ
وَكَمْ يَعَانِي مَلَمَاتٍ بِأَيْسَرِهَا
وَكَمْ يَلْجُلُجُ فِي أَفْكَارِهِ لُجْأً
وَكَمْ تَهَبُ سَمُومٌ مِنْ تَنْفَسِهِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا أَشْكُو الزَّمَانَ وَلَا
وَلَا أَتْنُ لِحَظٍّ مِنْهُ أَعُوزُنِي
أَتَى يُسْرُ لَيْبٍ إِنْ رَأَى حُلْمًا
وَيَا تَعْلَلَاتِ نَحْيَا لَوْ قَضَتْ أَرْبَا
وَقَدْ تَحَقَّقَ مِنْ مُعْتَادِهَا كَذِبَا
وَمَا تَرَاعَى لَهُ إِلَّا وَقَدْ ذَهَبَا
وَمَا تَطَاوَلَ إِلَّا جُدٌّ وَانْقَضَبَا
وَيَحْتَشِي الْفَقْدَ إِنْ مَا يَبْتَغِي قَرْبَا
أَمْرًا يَذِيبُ مِنَ الْأَصْلَادِ مَا صَلَبَا
يَهْوَنُ الْمَرْءُ مِنْ دُنْيَاهُ مَا صَعَبَا
سُودًا تَوَجَّجَ فِي أَحْشَائِهِ لَهَبَا
لَوْ اسْتَمَرَّتْ لَمَا هَبَّتْ نَسِيمُ صَبَا
أَبْدِي إِذَا طَرَقَتْ أَحْدَاثُهُ رَهَبَا
وَلَا أُسْرُ إِذَا مَاءُ الْمَنَى انْسَكَبَا
وَكَيْفَ يَطْرَبُ مَنْ خَمَرَ الْفَنَاءَ شَرِبَا

المصدر : رحلة التَّجَانِي: ص 279 - 280.

2 - تهنئة الخليفة

أنشد وقد أبلّ الخليفة المستنصر من مرضه:

(البسيط)

اللّهُ أنعم بعد اليأس بالفرج يا أزمة الدهر عند الشدّة انفرجي
شكْرُ الخلائق لا يكفي لأيسر ما كفى وسكن من هرج ومن رهج
أبقى الأنام بإبقاء الإمام فكم بصوّنه صان من مال ومن مهج
إذا رعى الله للإسلام راعيهم لم نأس من فقد ذي قدر ولا همج

المصدر: رحلة التّجاني: ص 278، وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 71.

3 - إخوانية

قال عبد الله التّجاني:

وفي مدة لزومه داره للجفوة التي كانت عرضت له قبل نفيه الى المهديّة قدم
من السفر صديق له ممن تلزمه زيارته فلم يمكنه ذلك فكتب إليه:

(الطويل)

كتبتُ ولولا الحكمُ كنتُ إليكمُ من الشّوق في متنّ الرّياح أطيّرُ
وإنّ يسيراً أن أسيرَ مسلّماً عليكمُ على وجهي وذاك يسيرُ
وما في صميم القلب من خالص الوفا فسيان فيه غيبة وحضور

المصدر: رحلة التّجاني: ص 277.

4 - مداعبة

وقال مخاطباً أبا المجد الصوفي المهدي يداعبه لولوعه بتزوّج العجائز وقال
البيتين بالاشتراك مع أحد أصحابه:

(الطويل)

أبا المجد كم تُغَرِّى بحبِّ العجائز وذلك في شرعِ النُّهى غيرُ جائزِ
كلفتُ بأطلالِ محبِّ الدَّهرِ رُسْمَهَا فأَصْبَحْتُ تبغي الفوزَ بينِ المفاوِزِ
المصدر: رحلة التَّجاني: ص 279.

5 - أسف

أنشد مرتجلاً مخاطباً صديقاً له سجنَ معه وكان ابنُ معمرَ أطلق سراحه
قبله:

(الطويل)

لئنُ سرَّني فكُ الإسارِ من الحبسِ لقد ساعني فقدي لما فيه من أنسي
ولو أنَّني خيَّرتُ فيما أريدُهُ لآثرتُ تقديمي سراحك عن نفسي
المصدر: رحلة التَّجاني: ص 277 وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 71.

6 - ذم الدنيا

قال متمماً بيتين لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي وهما الأولان في ذمِّ
الدنيا:

(الوافر)

«مَضَى زَمَنُ الْمَكَارِمِ وَالْكَرَامِ سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامِ
وَكَانَ الْبِرُّ فَعْلًا دُونَ قَوْلٍ فَصَارَ الْبِرُّ نَطْقًا بِالْكَلامِ»
وَزَالَ النَّطْقُ حَتَّى لَيْسَ تَلْقَى فَتَى يَسْخُو بِمَرْجُوعِ السَّلَامِ
وَزَادَ الْأَمْرُ حَتَّى لَيْسَ إِلَّا سَخِيٌّ بِالْأَذَى أَوْ بِالْمَلَامِ

المصدر: رحلة التَّجَانِي: ص 276 وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 71.

7 - أَرْق

(البسيط)

لَوْلَا أَحْوَارُ جَفُونٍ أَوْدَعَتْ سَقَمًا مَا أَمْطَرَتْ سَحْبٌ أَجْفَانِي الدَّمُوعَ دَمًا
وَلَا وَقَفْتُ أَصِيلَانَا بِرَيْعِكُمْ وَلَا سَقَيْتُ رِيَاهَ مِنْ دَمِي دِيمًا
وَلَا تَنَزَّرْتُ عَقِيقَ الدَّمْعِ فِي طَلَلٍ مِنْهُ أُذِيعَ الَّذِي قَدْ كَانَ مُكْتَنَّمًا
شَمَلُ السَّلْوِ شَتِيتٌ بَعْدَ بَعْدِكُمْ وَطَالَمَا كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَلْتَنَّمًا
الْبَيْنُ يَقْطَعُ مِنْهُ كُلُّ مَتَّصِلٍ وَالشُّوقُ يَنْثَرُ مِنْهُ كُلُّ مَا انْتَضَمًا
وَالْوَجْدُ شَادَ بِجِسْمِي مَا يُهْدِمُهُ آهَ عَلَى مَا بَنَى فِيهِ وَمَا هَدَمًا
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى مَا جَلَّ مِنْ أَسْفِي هَذَا الْيَسِيرُ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَتَمًا
مَا خَطَّطَ النَّوْمُ فِي جَفْنِي رَسْمَ كَرَى إِلَّا مَا السَّهْدُ مَا قَدْ خَطَّ أَوْ رُسِمًا
أَنْبِيَكُمْ أَنْتَنِي مِنْ يَوْمٍ بَيْنَكُمْ مَا زِلْتُ لِلْسَّهْدِ وَالتَّذْكَارِ مَلْتَرِمًا

أَرْتَاحُ إِنِّ هَبَّ رِيحٌ مِنْ جَنَابِكُمْ أَوْ لَاحَ بَرْقٌ بِذَاكَ الْأَفْقِ وَابْتَسَمَا
أَمَّا وَمَنْ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ مَقْتَدِرًا وَحُبُّكُمْ وَكَفَى بِالْحَبِّ لِي قَسَمًا
مَا رَأَى قَلْبِي اصْطِبَارًا بَعْدَ بَعْدِكُمْ وَلَا تَأْخَرُ بِي مِنْ وَجْدِهِ قَدَمًا

المصدر: رحلة التَّجَانِي: ص 277 - 278 ، وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 71.

أحمد واللبّبو

(ت 683)

أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد اللّخمي الكبيّو، كان من شعراء الدعيّ ابن أبي عمارة أحمد بن مرزوق المسيلي (تولى الحكم في تونس من سنة 681 الى سنة 683). توفّي أحمد مقتولا إثر هزيمة الدعيّ. يمتاز شعره بغنائية واضحة وبمعان رقيقة ناعمة، وكان يحسن الغناء والضرب على العود. نوّه به النقاد القدامى لكنّ المؤرّخين أغفلوه لنصرته للدعيّ.

1 - لست أسلو

(الرمل)

كُلُّ معْنَى من معانيه بدا	لست أسلو عن هواه أبدا
مُطْلَق الحسن خلا عن مشبه	وأنا في الحبَّ ممَّن قِيداً
شهد الكون له أجمعه	لا ترى في حبه من فئدا
إنَّ غيِّي في هواه رَشْدِي	وضلالِي فيه لا شكَّ هدى

المصدر: الوافي: ج 7 ، ص 336 - 337.

2 - ماذا يريد العذول متي

(مخلع البسيط)

ماذا يريدُ العذول مَنِّي	صمّت عن العاذلين أذني
بمهجّتي شادن ريبُ	يسبّي البرايا بكلّ فنّ
رشا كنّاس، قضيبُ أس،	رياضُ حسن، هلالُ دجنّ
قلبي مقيم على هواه إن	ضجّ أو لجّ في التجنّي
فحدّثوا بالدلال عنه	وحدّثوا بالخضوع عنّي

المصدر: الوافي: ج 7 ، ص 336 - 337.

عبد الحميد بن أبي الدنيا

(606 - 684)

أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا الصّدفي الطرابلسي، كان يعتبر رأس العلماء وشيخ الفقهاء، كان له باع في نظم الشعر. ولد في منتصف شعبان سنة 606 بطرابلس ثم ارتحل الى المشرق قبل أن يتوجّه الى تونس ويستكمل فيها تعلّمه. تولّى الخطابة بجامع الزيتونة وقضاء الأنكحة ثم قضاء الجماعة. من مؤلفاته:

- العقيدة الدينيّة وشرحها في علم الكلام.
- جلاء الالتباس في الردّ على نفاة القياس.
- مذكر الفؤاد في الحضّ على الجهاد.
- توفي بتونس في ربيع الأول سنة 684.

1 - طرق السلامة

(الكامل)

طُرُقُ السَّلَامَةِ وَالْفَلَاحِ قَنَاعَةٌ وَلَزُومُ بَيْتِ بِالتَّوَحُّشِ مُؤْنَسِ
يَكْفِيهِ أَتْسًا أَنْ يَكُونَ أَنْيسُهُ أَيُّ الْقُرَانِ وَنُورُهُ فِي الْجِنْدِسِ
وَإِذَا رَأَتْ عَيْنَاهُ إِنْسَانًا أَتَى فَلْيَنْفِرَنَّ نَفْوَ ظَبْيِي الْمَكْتَسِ
وَلَقَلَّمَا يَنْفُكَ صَاحِبُ مَقُولٍ مِنْ زَلَّةٍ أَوْ عَثْرَةٍ فِي الْمَجْلِسِ
تَحْصَى وَتُكْتَبُ وَالْجَهْلُ مَغْفَلٌ حَتَّى يَرَاهَا فِي مَقَامِ الْمَقْلِسِ

المصدر: رحلة التَّجَانِي: ص 273 وعنوان الأريب: ج 1، ص 69.

2 - استعطاف

كتب الى الخليفة الحفصي المستنصر يستعطفه:

(الطويل)

أَمْوَلَايَ مَازَلْتُمْ تُنِيلُونَ عَبْدَكُمْ ضَرْوبًا مِنَ النِّعْمَاءِ جَلَّتْ عَنِ الْمُثَلِّ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَفْوُ وَهُوَ أَجَلٌ مَا يُنَالُ فَانْكَمِلْ لِي بِهِ مَنَحَةُ الْفَضْلِ
فَمَا الْعِيشُ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ رِضَاكُمْ بِصَافٍ وَلَا طَعْمُ الْحَيَاةِ بِمَحْلُولِي
وَقَدْ كَدَّرَ الْإِعْرَاضُ صَفْوَ مَعِيشَتِي فَانْكَرْتُ أَحْوَالِي وَأَنْكَرَنِي أَهْلِي
وَلِي أَمَلٌ يَقْضِي بِغَفْرَانِ زَلَّتِي وَبِالْعَفْوِ عَنْ جُرْمِي وَبِالْصَّفْحِ عَنْ فَعْلِي
بَقِيَتْ تَزِيدُ الْمُلْكَ عِزًّا وَبِهَجَّةً وَتَحْيِي رِسْومَ الْفَضْلِ وَالْدِّينِ وَالْعَدْلِ
وَلَا يَخْطِئُنِي مِنْكَ عَفْوٌ وَرَحْمَةٌ فَإِنَّهُمَا مَا أَخْطَأْنَا أَحَدًا قَبْلِي
وَصَلَّى إِلَاهَ الْعَرْشِ بَدْءًا وَعُودَةً عَلَى الْمُصْطَفَى مِنْ خَلْقِهِ خَاتَمَ الرُّسُلِ

المصدر: رحلة التَّجَانِي: ص 273 - 274 وعنوان الأريب: ج 1، ص 70 (6 أبيات الأولى فقط).

مَحْدُّ بْنُ أُنْبِيَّ عَتِيمٍ

(ت 684)

أبو عبد الله محمد بن أبي تميم المعز بن سليمان الحامي، من فحول شعراء تونس. ولد ببجاية ونشأ بها ثم تحول إلى تونس حيث استقر. كان مملوك العذار في حياته ويذهب مذهب أبي نواس في شعره. كان له ديوان من الشعر قد تلف. قال في المدح والفخر والهجاء والغزل إلى جانب الخمریات.

1 - صفاقس

(البسيط)

صفاقس لا صفا عيشُ لساكنها ولا سقى أرضها غيثُ إذا انسكبا
ناهيك من بلدة من حلّ ساحتها عانى بها العاديين الرومَ والعربا
كم ظلّ في البرّ مسلويًا بضاعته وبات في البحر يشكو الأسر والعطبا
وليتّها فتولّتي الهموم ولقيتُ من سفري في أرضها نصبا
قد عاين البحرُ قبحاً في جوانبها فكلمّا همّ أن يدنو لها هربا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 69.

2 - مطل

وكتب إلى الأستاذ الأديب أبي الحجاج البيّاسي في شاعر مدح ممدوحا فلم
يصله شيء منه:

(السريع)

ما مذهب الأستاذ في شاعر أهدى إلى ممدّح مُدَبِّبه
فانقضت الأيام في مطله ولم ينل منه بها مطلبه
فهمّ أن يسلبه فخرها فهل يرى الأستاذ أن يُسلبه
فأفتنّا، واكتب بما يقتضي علمك في الآداب أن تكتبه

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 383.

3 - رثاء وهجاء

قال يرثي الأديب أبا الطيّب محمد الأريولي ويهجو ناعيه:

(السريع)

مات أبو الطيّب وأويلتاه مات النّدَى والجود والمكرمات
ولو نعوأ قائله قيل قد مات الخنا والفسق والمكر مات

المصدر: الوافي: ج 2 ، ص 278 - 279.

4 - نصر

قال عند تغلب المستنصر سنة 666 على بني رباح ووجه رؤوس رؤسائها على
الرمّاح إلى تونس:

(الطويل)

وهام جناة أبرزوها على القنا
فثق بنجاة عندها ونجاح
فيا حسن ما قرّت به أعين الورى
رؤوس رباح في رؤوس رماح

فهذي دماء المارقين مباحة
وهذا حمى الإسلام غير مُباح
بمستصر يرمي العدى بكتائب
تعم نواحي أرضهم بنواح

المصدر: الفارسية: ص 130، الأدلة البيئية: ص 65.

5 - فخر

وله معرّفًا بنسبه ومفتخرًا بحسبه:

(الخفيف)

أنا من نسل جعفر بن فلاح	وأهـب المال ناهـب الأرواح
فاتح الغرب والشام ومفني	ملك آل الطريد والسفاح
من علا قدره علو الداراي	وسرى ذكره مسير الرياح
سل قريض ابن هانيء فهوئذ	بيك بما بُث فيه من أمداح

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 383 - 384.

6 - رمضان

قال وقد قرب رمضان والناس يشترون الصبغيات بسوق الزجاج:

والصبغية نوع من القناديل:

(المتقارب)

بسوق الزجاج جرت عبرتي فوَلَيْتُ عَنْهُ بِقَلْبٍ قَرِيحٍ
لتبديل كأسٍ بصبغِيَّةٍ وإبريقٍ راح بقنديل ريحٍ

المصدر: الوافي: ج 2 ، ص 278 - 279.

7 - جارية

قال يصف جارية مملوكة له سوداء جميلة حسناء تدعى العنبر:

(الطويل)

وليلية، لولاَ تَبَسَّمُ ثَغْرِهَا لما شُكُّ في فضل الظَّلَامِ على الصَّبَحِ
معنبرة في اللَّوْنِ والاسْمِ والشَّذَا، غزالية في اللَّحْظِ والجيد والكشَحِ
أحبُّ مسائي لا ضحائي لأجلها وأمسي مشوقاً في هواها كما أضحي
تملكتُها رَقَا، وتملِكُنِي هَوَى ولكنَّ مملوكَ الهوى فاز بالريِّحِ

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 378.

8 - حنين

(الطويل)

نأى عن كناس البان والرند والسدر
غزال يروع الأسد حين يروقه
يميس بعطفه، ويرنو بطرقه،
ويجني، فتجني العين منه وتجلي
فبذر على غصن، وغصن على نقى،
لقد عاد فيه عاذلي وهو عاذري
فكم بيننا عند الكرى من تزاور
أحن إلى الليل الذي هو مسعفي
على أن حجب الليل ترفع حجبنا
فعوّضَ منها بالجوانح والصدر
يربها المنايا الحمر في الحل الخضر
فتغنيه عن بيض وتغنيه عن سمر
محاسن لم تجمع لزهر ولا زهر
وأس على ورد، وخمر على در
وأصبح مثلي فيه صبا بلا صبر
وبذل بلا منع ووصل بلا هجر
بقرب، كما حن الحمام إلى الوكر
فتسدها ما بيننا غرة الفجر

المصدر: ملء العيبة: ج 2، ص 382-383.

9 - طلب أضحية

وكتب إلى أبي العباس أحمد بن إبراهيم اللباني وقد قرب عيد الأضحى
يعرض له بالأضحية:

(السريع)

أمسيّت لا أملك ذا أربع
فالحمد لله على رحلتي
وليس لي أضحية حاضره
لا فارس الدنيا ولا الآخرة

المصدر: ملء العيبة: ج 2، ص 383.

10 - رقم العذار في التهنة بالختم والإعذار

قال يمدح أبا عبد الله محمد بن أبي علي يونس الهنتاتي وبهنة بختمة حفيده يونس وإعذاره. وسمى هذه القصيدة رقم العذار في التهنة بالختم والإعذار.

(الخفيف)

أيُّ يوم يفوق حدَّ التَّهاني
أرو عُنِّي به حديثًا صحيحًا
إن تسألني به تسائلَ خبيرًا
كلَّما رام عنه نطقي بيأنًا
ما حسبنا أن اللَّياليَ تسخو
قد غفرنا به ذنوبَ اللَّيالي
وافتحنا باب السَّعادة بـ
بعض ما نيل فيه محو الخطايا
ولعمري لأنفسُ العمر يومُ
لستُ أنسى مهابة أدهشتني
ومقامَ الحفيد يونسَ فيهم
مرَّةً منشداً، وأخرى خطيباً
والفتى من لسائهُ ساعة الـ
والبليغُ الشَّجاع أهدى سبيلاً

لم يقم وصفه مقامَ العيان
عن عياني لا عن قُلِّ وفلانٍ
لو يطيقُ البيانَ عنه لساني
أخرستني مهابة في جناني
قبلها بالأمان أو بالأمانى
ومحونا به خطوبَ الزَّمان
الإعذار فيه وختمَ القرآن
وامتنان المهيمن المَنَّان
يظفر المرء فيه بالغفران
حين عاينت محفل الأعيان
ساحبا ذيله على سحبان:
بلسانٍ أمضى شبا من سنان^(١)
قول كاسياقه لدى الميدان
للمعاني من البليغ الجبان

(١) الشبا: ج شبة ويجمع أيضا على شبوات: قدر ما يقطع به من السيف. أو حد كل شيء.

لم ير الناس قبله يافعا قد ظلَّ
إنْ شَأُوهُ سَنًا فلم يفضلوه
فلو أنْ العلى بسبق لجاعت
أيَّ يوم لم يَلْفِه مَهرجَان
أَلَف الدهرُ فيه شَمَلَ المعالي
كم رأت مقلتي به من زياد
وكم ابصرت واهبا مطعاما
وحسبنا بمجده ذا افتتان
كلَّهم طَلَّق الهموم ثلاثا
ما أَمَلنا الكؤوس إلا أَمَالت
وذهابَ العقول قد أشعرتنا
كم خليع سمعتُ مثلي ينادي:
وادعواني لشربها ودعاني
ما أبالي إذا هُديت إليها
هي رُوحِي، وإنْ أَشَأْ قَلت رُوحِي
فلو أَنِّي بلغت أدنى الأمانِي
فَتُرَوِّي المَدَامُ ظامِي عظامي
يا نهاراً نَهَى نُهَانَا عن النُّسْك

يزري بالشَّيب والشَّبَان
فالعلی لا تُتَال بالأسنان
ليلةُ القدر وهي في شعبان
جلَّ عن أن يقاس بالمهرجان
بكرام تخالفوا في المعاني
ياخذ الكأس من يد النِّعمان
جالسا حول ضارب مطعان
وأديبا في علمه ذا افتتان
هائما في مثالثٍ ومثاني
كلَّ عِطْف(2) إمالة الأغصانِ
حين تذهب كَأَسْنَا والبنان
أُسقياني يا عاذلي اسقياني
وَلِدَنُ المَدَامِ فَلَتنِيَانِي
ما يقول العذول من هنيان
فلتعيدا رُوحِي إلى جثمانِي
كان جسمي من بعض تلك الدَّنان
ويكون السرور حِلْف مكاني
فَدِنَّا فيه بِدِينِ ابْنِ هَانِي(3)

(2) عطفا الرجل: جانباه، وناحيتا عنقه.

(3) هو أبو نواس.

بين ورد ونرجس لم يكونا
 ودليل السعود لليونسى الند
 نرجس ما حكى العيون سواه
 فبياض حل فيه سواد
 ليس كالنرجس الذي لا يحاكى
 لم نزل نذمن التساقي إلى أن
 وسطا بالنهار ليل فحاكى
 فاجتلينا سنّى محيا الحميا
 وأزال الظلام عنا شمس
 وبشبه لما شربت وما نادمت
 يا لها ليلة أباحت قيادي
 بت فيها أفرغ القلب من هم
 وثاني السرور فيها صريعا
 وبعقلي لعين أوتار عود
 ثم لما نعى لنا الليل ناع
 مفرقاه تتوجا تاج ملك
 وإذا ما اعتلى بأعلى جدار
 لست أدري إذا قضى الليل نجبا
 مزق الأفق ما كسته الدياجي
 وحكى الليل والصباح غرابا

(4) البرقان: مرض يسبب اصفرار الجلد.

جمعا قبل في جنان لجان
 ب أن حل روضه ضدان:
 بدليل يصح أو برهان
 لم تخالف وصفيهما العينان
 غير عين تصاب بالبرقان(4)
 حكى الشمس أنمل الندمان
 بازيا في مخالب الغريبان
 وسنى نار شارك ابن سنان
 في ثياب يلحن أو في أوان
 يزهى ويزهر النيران
 للهوى، إذ سمعت شدو القيان
 بتفريغ جامي الملائن
 فاعجبوا من مجدل جذلان
 لعبت بينها بنان الغواني
 مؤذن بالصباح قبل الأذان
 ويأذنيه مثل قرطي حصان
 قلت كسرى علا على إيوان
 أنحب تغريده أم أغنان
 ونضا عنه ملبس الرهبان
 ناشبا في مخالب العقبان

فوصلنا غَبَوْقْنَا بَصْبُوح
وظفرنا بنَّيْل ما نَتَمَنَّى
ورتعنا ما بين رَوْضَيْنِ من زَهْ
نجتني بالبنان أزهار هذي
وَإِذَا هَذِهِ ارْزَهْتَنَا بِزَهْرِ
لا عدمنّا بنجل يونس مَغْنَى
سَيِّدُ إِنْ تُسْرِحِ الطَّرْفَ فِيهِ
إِنْ يَلْحُ جُلَيْتُ دِياجِي اللَّيَالِي
قَدَمُ سَامَتِ السَّمَائِينَ حَتَّى
وَيَدُ مَكَّنَتْ مِنَ الْجُودِ حَتَّى
ما وصلنا جنابه الرَّحْبِ إِلَّا
وَإِذَا أَمَّهُ مَقَارِنُ فَقَر
شَتَّتِ الْمَالَ جَامِعًا كُلَّ مَجْدٍ
وجدير بأن يعيش عزيزا
نكب النَّاسُ عَنْ طَرِيقِ الْمَعَالِي
سل بيميناه مرهفات يراع
كم أبانت بهنَّ من مشكلات
أُسَّسَتْ مَجْدَهُ الْجُدُودُ فَوَافَى
وَإِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرِثْ عَنْ جَدُودٍ
يا أَجَلَ الْأَنَامِ قَدْرًا كَفَانِي
ما ثناني لمدح غيرك ثان

وتركنا لَشَائِهِ كُلَّ شَانِي
وَأَمِنَّا طَوَارِقَ الْحَدَثَانِ
رَوْضَيْنِ فَحَبَّبَا الرُّوضَتَانِ
وَأَزَاهِيَرًا تَلَكُ بِالْأَذَانِ
سَحَرْتُ هَذِهِ بِسِحْرِ الْبَيَانِ
كم جنينا به المنى في أمان
تبصر الحسنَ منه في حَسَّانِ
أَوْ يَفْهَ حُلَّيْتُ نَحْوَرُ الْحَسَّانِ
غادرتَه اعْتَلَى عَلَى كَيَوَانِ
لم تدع من يد بلا إمكان
ورمتنا الْخَطُوبُ بِالْهَجْرَانِ
قَرَأَ ثُمَّ سُورَةُ الْفَرْقَانِ
هل تُتَالِ الْعِلَا بِلا أَثْمَانِ؟
من رمى الجودُ مَالَهُ بِالْهَوَانِ
وجرى نحوها طَلِيقُ الْعِنَانِ
فهي تُثْبِيكَ، أَوْ غَرَارَ يَمَانِي
وَأَبَانَتْ بِهِ طَلَى الْأَقْرَانِ
بَانِيَا بَعْدَهُمْ عَلَى بَنِيَانِ
مَجْدَهُ كَانَ وَاهِيَ الْأَرْكَانِ
مدحهُ أَنْ يَكُونَ مَدْحُكَ شَانِي
مَذْ تَيَقَّنْتُ أَنَّ مَا لَكَ ثَانِ

غير أَنِّي أَجِلُّ قَدْرَكَ عَنْ شَعْبٍ
 لَا أَوْفِي حَقًّا بِمَجْدِكَ عَمْرِي
 حَسَبَ قَلْبِي وَدُّ تَمَلُّاً مِنْهُ
 قَدْ كَفَانِي بَيَانُهُ لَكَ صَدَقِي
 فَاحْكُ فِي الرَّفْعَةِ الْكَوَكِبَ وَاصْحَبْ
 وَابِقَ وَالْعَزَّ فِي جَنَابِكَ بَاقٍ
 رَ وَلَوْ نَظَّمْتُ لَكَ الشُّعْرِيَانِ
 وَلَوْ أَنِّي اسْتَعْرَتُ كُلَّ لِسَانٍ
 لَكَ يَبْقَى وَيَذْهَبُ الْمَلَوَانِ
 وَدَلِيلُ الْكِتَابِ فِي الْعَنْوَانِ
 عِزَّةٌ مَا تَصَاحَبَ الْفَرْقَدَانِ
 وَأَعَادِيكَ عَرْضَةٌ لِلتَّقَانِي

المصدر : ملء العيبة: ج 2 ، ص 379 - 382.

11 - رثاء

قال يرثي بعض الاكابر من قصيدة:

(الخفيف)

كُنْ مِنَ الدَّهْرِ بَعْدَهَا فِي أَمَانٍ
 أَلَمْ لَا يَخَافُ لِقَا سِوَاهُ
 هَذِهِ مِنْكُمْ نَصِيبُ الزَّمَانِ
 وَأَسَى لَا يُرَى لَهُ بَعْدُ ثَانٍ
 لَيْسَ تُصْغِي مِنْ بَعْدَهَا لِيْ أُذُنُ
 فِي ذِرَاكُمُ لَغَيْرِ سَمْعِ التَّهَانِي

المصدر : ملء العيبة: ج 2 ، ص 384.

12 - مغن قبيح الغناء

أنشد في مغن قبيح الغناء:

(الكامل)

غَنَى فَصَحَتْ تَأَلَّمَا لَغْنَائِهِ:
 فَاعَادَ مَا غَنَى وَقَالَ لِيْ: اسْتَمِعْ
 يَا لِلرَّجَالِ فَظَنَّهُ اسْتِحْسَانَا
 هَذَا الثَّقِيلُ. فَقُلْتُ: مِنْ غَنَانَا

المصدر : ملء العيبة: ج 2 ، ص 378.

13 - بنزرت

وقال لما حلَّ أمير المؤمنين المستنصر بالله الحفصي ببزرت:

(مجزوء الرجز)

لَمَّا حَلَلْتُمْ بِاللَّوِي	بَيْنَ ظِلَالِ الْأَلْوِي
رَأَيْتَ فِي بَنْزَرْتِ مَا	لَمْ أَرْ فِي إِفْرِيقِيهِ
سَعْدَ السَّعُودِ قَادًا لِلـ	بِلَدَةِ سَعْدِ الْأَخْبِيهِ

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 384.

حازم القرطاجني

(608 - 684)

أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم الأنصاري القرطاجني، شيخ البلاغة والأدب في الأندلس ثم في تونس. ولد بقرطاجنة الأندلس ونشأ فيها وفي مرسية وأخذ العربية والفلسفة والمنطق والخطابة والفقه ودرس مصنفات ابن سينا وابن رشد والفارابي. غادر الأندلس وهو في سنِّ الثلاثين من عمره إلى المدن المغربية قبل أن يستقرّ بتونس ويتصل بملوك بني حفص واختص في مدحهم وتدريس البلاغة والأدب بتونس وتخرّج على يديه عدد كبير من أدباء تونس من تآليفه:

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء نشر بتونس.

- ديوان شعر

- كتاب التجنيس

- شد الزنار على جفلة الحمار: في الرد على ابن عصفور في النحو.

توفي حازم بتونس في 24 رمضان 284.

1 - بلغت في الأعداء كل مراد

مما قاله ارتجالاً يمدح الخليفة الحفصي أبا عبد الله بن أبي زكرياء ويذكر انتصاره على قبيلة رياح بالشمال التونسي:

(الكامل)

وَعَدَا لَكَ التَّيِّدُ ذَا إِسْعَادِ	بُلُغْتَ فِي الْأَعْدَاءِ كُلِّ مُرَادِ
هَبَّتْ بِنَصْرِكُمْ الرِّيحُ، كَعَادِ ⁽¹⁾	وَعَدَا الْأَعَادِي مِنْ رِيَّاحٍ، كُلَّمَا
وَسَطَا بِشِبْلٍ غَالِبِ الْأَسَادِ	أَضْحَى سِبَاعُ السِّبَاعِ فَرِيسَةً
دُهُمُ أَتَتْ مِنْ مَرَبَطِ الصَّدَادِ	وَكَبَّتْ بِحَدَادٍ وَسَائِرِ صَحَاةِ
إِلَّا امْتِطَاءً أَدَاهِمَ الْأَقْيَادِ	أَمْطَيْتَهُمْ غُرَّ الْجِيَادِ فَمَا ابْتَعَا
مَا طَوَّقُوا مِنْ أَنْعَمِ وَأَيَادِ	طَوَّقَتَهُمْ بِظُبَاكِ أَنْ لَمْ يَشْكُرُوا
فُتِحَتْ بِبَيْمَنِ الْبَيْضِ وَالْأَنْجَادِ	فَتَحَ بِهِ أَبْوَابُ كُلِّ بَشَارَةٍ
فَلَقَدْ غَدَا مِنْ أَكْرَمِ الْأَعْيَادِ	إِنْ كَانَ قَبْلَ الْعِيدِ قَدَمَ يَوْمِهِ

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 114، وديوان حازم: ص 37،
والفارسية، ص 130.

(1) رياح: قبيلة عربية ضاربة بسهول تونس الشمالية، وعاد: قبيلة بائدة.

2 - عيد بجودك

قال يهنى الخليفة المستنصر بعيد الأضحى:

(الكامل)

عيدُ بجودِك جيدهُ قد قلدا
فاهناُ بهِ، وبألفِ عيدِ بعدهُ
وابلغُ مرادَك في الزمانِ وأهلهِ،
وأمددُ لنا يدَك الكريمةَ نستلمُ
ونرى الغواذي كيف ينشأُ مرزُها
والبحرُ كيف يُنبِلُ أنفَسَ درهِ
بحرُ إذا لاقى العفاةَ رأيتهُ
وحيًا إذا جادَ الحياَ بِقطارِهِ
ما العيدُ في التَّحْلِيْقِ إلاَّ عادةُ
أضحى نَدَاكَ لِكُلِّ عيدٍ قادمِ
فلو أن ذا العيدِ احتدَى حِذْوُ الورى
عيدُ تَشَرَّفَ يومُهُ بل شهرُهُ
أيامُ تَشْرِيقِ، وإشراقِ بما
ووقوتُ حجٍّ قد علت لك حجةُ
وقومِ عيدِ عادَ بالبُشرى لكمُ

ويُمن جدَّك يُمنهُ قد أُكِّدا
واسعدُ بلقياهُ كما بك أسعدا
واخلدُ ودُمُ أبدأ دوماً سرمدًا
منها المكارمِ والعلا والسؤددًا
طلقَ الأسيرةَ لا عبوسًا أربدا
كرما، ويقذفُ لؤلؤًا وزبرجدا
رهوا، وإن لقي الأعادي أربدا
سقى رأينا القطرَ منه عسجدا
ليديك في منج الأيادي والجدِ
عيدًا مفيدًا للسُورِ مُجددًا
فِعلا، أهلٌ إلى سنك وعيدًا
بك، فاغتدى بين الشُّهور مُجددًا
أطلعتَ فيها من سنى شمسِ الهدى
فيه، وسلطان على كلِّ العدى
وَيَمِثِّلُ ما قد عادَ من خيرٍ بدا

وَسَمَتُهُ نِعَمًا كُمْ فَسَمِّيَ مَوْسِمًا
 ودعوه عيداً إذ غدا لك مُنْجِزًا،
 حشدَ الصَّنَائِعِ والمُنَى لك، والذي
 وِيدَأَتْ فيه وَعَدَتْ بالنُّعْمَى، وما
 سَمَتِ العِيونُ به لِغُرَّتِكَ التي
 وَسَمَتِ إِلَى تَقْبِيلِ راحتكِ المنى
 فاستقبلتْ، بَابَ القَبولِ مَفْتَحًا،
 لَنُمُوا يَدًا بِيضَاءَ مِنْكَ كَأَنَّهُمْ
 أَكْرَمَ بها من راحةٍ! إحسانها
 كَمْ مِنْ يَدٍ لِيَدِ الأَمِيرِ مُحَمَّدٍ
 مَلِكُ بَذَكْرَى مُنْجِيهِ، وذكره
 بَأَبِيهِ يحيى المُرْتَضَى، وبه جَرَتْ
 وَيَهْدِيهِ، وَيَهْدِي مُنْجِيهِ الرِّضَى
 أَبْقَى لَهُ العُمَرَانِ مَجْدًا لَمْ يَزَلْ
 عُمُرُ الذِّي ابْتَدَأَ الفُتُوحَ بِبَيْمِهِ
 لَا خَلْقَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ
 فِيهِ اقْتَدَى مِنْ بَعْدِهِمْ كُلُّ أَمْرِي
 وَبِهِ رَعَوْا رَوْضَ الأَمَانِي نَاضِرًا
 فِي كُلِّ يَوْمٍ يَرْتَجِي إِحْسَانَهُ
 إِنْ قِيلَ: مَنْ لَشِفَاعَةٍ وَمَعِيشَةٍ
 مَلِكُ غَدَا يُغْنِي الجَمِيعَ بِفَضْلِهِ،

إِنَّ الأَسَامِي قَدْ تُبَيِّنُ المَقْصِدَا
 فِي النُّصْرِ وَالْفَتْحِ المُعْجَلِ، مَوْعِدًا
 يَتْلُوهُ يَلْقَى للصَّنَائِعِ أَحْشَدًا
 زَالَتْ هَبَاتُكَ بَادِيَاتِ عَوْدًا
 أَضْحَتْ لِمَاءَ البِشْرِ مِنْهَا وَرْدًا
 فَغَدَتْ لِقَيْثِ الجُودِ مِنْهَا رُودًا
 أَعْمَالُ كُلِّ مَقْبَلٍ تَكُ اليَدَا
 لَنُمُوا بها الحَجَرَ الكَرِيمَ الأَسْوَدَا
 أَضْحَى مَرَادًا لِلْعُقَاةِ وَمَوْرِدَا
 عَادَتْ، فَكَانَ العَوْدُ مِنْهَا أَحْمَدَا
 يُسْتَفْتَحُ الذِّكْرُ الجَمِيلُ وَيُبْتَدَا
 لِلنُّصْرِ أرواحُ وَكَانَتْ رُكْدًا
 وَقَدَتْ مَصَابِيحُ، وَكَانَتْ حُمْدًا
 بِالبَيْضِ وَالسُّمْرِ الطَّوَالِ مُشِيدَا
 وَسَمِيَهُ عُمُرُ المَتَمِّ مَا ابْتَدَأَ
 أَعْلَى يَدًا مِنْهُ، وَلَا أَسْنَى يَدَا
 مُسْتَبْصِرٍ، وَمَنْ اقْتَدَى فَقَدْ اهْتَدَى
 سَرَقًا بِأَنْوَاءِ النَّدَى مُسْتَأْسِدَا
 مَنْ يَرْتَجِي بِنَبِيِّهِ الحُسْنَى غَدَا
 أَعْدَدَتْ؟ قَالَ: مُحَمَّدًا وَمُحَمَّدَا
 وَإِنْ اجْتَلَتْهُ العَيْنُ شَخْصًا مُفْرَدَا

أَضْحَى النَّدَى طَبْعًا لَهُ وَتَعَوَّدَا
وَالْفَضْلُ فِي الْإِنْسَانِ لَيْسَ بِكَامِلٍ
أَعْطَى فَأَعْنَى سَيِّئُهُ مَنْ قَدْ رَجَا،
أَرْغَى الْأَمَانِي خُضِرَ أُنْدِيَةِ النَّدَى،
فَإِذَا سَقَى أَرَى الْأَمَانِي جُودُهُ،
فَيَرُوهُمْ بِالْخَيْلِ انْقِاطًا، وَكَمْ
وَكَمْ اسْتَطَارَ قُلُوبُهُمْ بِطَوَائِرِ
وَخَوَافِقِ مَنُورَةٍ مَنُورَةٍ
وَسَوَائِعِ تَجْرِي، إِذَا تَجْرِي، لَهَا
خَيْلٌ تَخِيلُ بِهِمَهَا غَرًّا إِذَا
وَتَرَى الْأَغْرَ حَقِيقَةً فَتَخَالُهُ
فَإِذَا تَتَلَّعَ أَوْ تَطَلَّعَ غُرَّةً
تَغْشَى الْحُرُوبُ بِكُلِّ مُرْتَاحٍ لَهَا
مَا زَالَ مِنْ حَزْمٍ وَرَأَى يَكْتَسِي
فَتَرَاهُ أَكْسَى مِنْ أُحْيَا فِي الْوَعَى،
يَلْقَى الْوَعَى جَذَلًا بِهَا مُسْتَأْنِسًا
وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ، وَقَدْ خَرَّتْ بِهَا
أِمَامَنَا وَغَمَامَنَا الْغَادِي الَّذِي
فِي كُلِّ حَالٍ جُودٌ كَفَكَ سَائِلُ

فَغَدَا فَرِيدًا فِي الْمَكَارِمِ أَوْحَدًا
حَتَّى يَكُونَ طَبِيعَةً وَتَعَوَّدَا
وَسَطًا فَأَقْنَى سَيِّئُهُ مَنْ قَدْ عَدَا
وَكَسَا الْأَعَادِي حُمْرَ أَرْضِيَةِ الرَّدَى
وَإِذَا رَمَى غَرَضَ الْأَعَادِي أَقْصَدَا
قَدْ رَاعَ مِنْهُمْ بِالْخَيَالِ الْهَجْدَا!
هُدَيْتُ إِلَى قَلْبِ الْعَدُوِّ كَمَا هَدَى!
أَعَدْتُ بِطُولِ الْخَفَقِ قَلْبَ مَنْ اعْتَدَى،
فِي الْأَفْقِ سَابِجَةُ الْكَوَكِبِ أَسْعَدَا
ضَوْءُ الْأَسْنَةِ فَوْقَ أَوْجْهِهَا بَدَا،
بِالصُّبْحِ قُدَّادُ، وَالْأَهْلَةُ قُيْدَا
وَصَفَّ الْغَزَالَةَ وَالْغَزَالَ الْأَغْيَدَا
نَصَبَ الْقَوَاصِبِ وَالْقَضِيبِ الْأَمْلَدَا
فِي السَّلْمِ وَالْحَرْبِ الدَّلَاصِ الْمُخَضَدَا
وَأَتَمَّ حَزْمًا مِنْ يَزِيدَ وَازِيدَا⁽¹⁾
حَيْثُ الْأَسْوَدُ الْغُلْبُ تُلْفَى شُرْدَا
هَامُ الْعِدَى لِرُكُوعِ سَيْفِكَ سَجْدَا
كَمْ رَاحَ فِي طَلَبِ الْعُقَاةِ وَكَمْ غَدَا
عَنْ سَائِلِيهِ، وَمُجْتَدِرٍ أَنْ يُجْتَدَى

(1) أجيحة بن الجلاح: كان من أغنياء المدينة في الجاهلية، كانت عنده درع ليس يثيرب مثلها أعطاها لقيس بن زهير.

وزيد: يزيد بن معاوية، بن أبي سفيان كان اشتهر بالحزم.

أَضْحَتْ بِرِقِّكَ كُلَّ نَفْسٍ حُرَّةٍ
أَطْلَقْتَ مَنْطِقَ كُلِّ مَنْ أَنْطَقَتْهُ
أَضْحَى بِكُمْ رَوْضُ الْأَمَانِيِّ نَاصِرًا،
فَمَتَّى يَرِمُ إِيْقَادَ نِيرَانِ الْوَعَى
وَمَتَّى يَرِمُ إِيْقَاءَ أَنْوَارِ الْهُدَى
مَنْ كَانَ مُعْتَلِّ الضَّمِيرِ مَرِيضُهُ
كَمْ قَدْ شَفِيتَ بِبَاسِهَا وَمَضَانِهَا
عَلِمْتَ بِأَنَّ الْحَقْدَ أَمْرَضَهُمْ فَمَا
قَدْ أَحْمَدْتَ سِيرَ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ
مَلِكُ غَدَا بِالْمَشْرِفِيَةِ مُلْكُهُ
كَمْ قَدْ جَلَّ لَيْلِ الْخُطُوبِ! وَكَمْ جَلَّا
كَمْ حِكْمَةٍ جَلَّتْ، جَلَّتْهَا لِلنُّهَى
وَصَحِيفَةٍ قَدْ صُحِّحَتْ بِبِرَاعَةٍ
يَا نَاصِرَ الدِّينِ الَّذِي أَرَاؤُهُ
إِنَّ الْمُؤَيَّدَ دِينَهُ بِكَ قَدْ قَضَى
وَمُمَكِّنًا مِمَّا أَرَدْتَ مُخَيَّرًا،
وَدَعَاؤُنَا لَكَ أَنْ تَلُومَ مُهَنَّا

لَمَّا غَدَتْ أَحْرَارَهَا لَكَ أَعْبَادُ
شُكْرًا، فَأَصْبَحَ مُطْلَقًا وَمُقَيَّدًا
وَعَدَا بِكُمْ ظِلُّ الْأَمَانِ مُمَدَّدًا
عَاصٍ، فَبَاسُكَ مُحَمَّدٌ مَا أَوْقَدَا
بَاغٍ، فَهَدْيُكَ مُوقِدٌ مَا أَحْمَدَا
لَمْ تَأْتِهِ إِلَّا رِمَاحُكَ عُودًا
أُدْوَاءَ مَنْ لَمْ يَشْفِهِ مِنْكَ النَّدَى!
عَادَتْ مِنَ الْأَعْدَاءِ إِلَّا الْأَكْبَدَا!
عَدْلًا، وَحَقٌّ لِمِثْلِهَا أَنْ يُحْمَدَا
فِي الْخَافِقِينَ مُوْطَأٌ وَمُوْطَدَا
نُورَ الْخَطَابَةِ سَاطِعًا مُتَوَقَّدَا!
أَفْكَارُهُ، فَجَلَّتْ بِهَا عَنْهَا الصَّدَا!
قَدْ صُحِّفَتْ، فَشَفَّتْ تَبَارِيحَ الصَّدَى!
فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ تُورِي أَرْزُدَا
لَكَ أَنْ تَكُونَ مُظْفَرًا وَمُؤَيَّدَا
وَمُوقِفًا فِيمَا رَأَيْتَ مُسَدَّدَا
وَمُبَشِّرًا وَمَنْعَمًا وَمُخْلَدَا

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 115 - 118 ، والديوان: ص 38 - 41.

3 . تهنئة

قال يمدح أبا زكرياء الحفصي وبهنته بقدم ابنه أبي يحيى:

(الكامل)

أَزْكَى سَلِيلِ زَارٍ أَكْرَمَ وَالِدِ
قَمَرَانِ فِي أَفْقِ الْعَلَا، مَا مِنْهُمَا
فَعَدَّتْ لِعِزِّهِمَا النُّجُومُ سَوَاجِدًا
لَهُ يَوْمَ أَقْدَمْتُهُ سَعُودَهُ
نَاهِيكَ مِنْ يَوْمٍ كَرِيمٍ حَاشِرٍ
لَوْ أَنَّ غَسَّانًا رَأَتْهُ أَنْسَيْتْ
وَعَهْودَ جِلْقٍ، إِذْ تُحْيِيهِمْ بِهَا
عُنِّيَ الْغَمَامُ بِسَبِيلِهِ فَتَرَفَّتْ
سَارَى وَلِيُّ الْعَهْدِ عَهْدَ وَلِيهِ
وَكَسَا الْأَبَاطِيحَ وَالرِّيى مَا زَانَهَا
خَافُوا عَلَى لَحْمِ الْجِيَادِ تَقْطَعَا
وَحَشُوا عَلَى مَا أَنْعَلَتْهُ تَوَقُّدَا

أَكْرَمَ بِمَوْزُودٍ عَلَيْهِ وَوَارِدِ
عِنْدَ الثَّقَارِ، غَيْرَ نَامٍ زَانِدِ
فَوْقَ الثَّرَى مَعَ كُلِّ نَجْمٍ سَاجِدِ
نَعِمَ الْوَرَى مِنْهُ يُعِيدُ عَائِدِ
إِنْسٍ⁽¹⁾ الْوَرَى مِنْ كُلِّ أَوْبٍ حَاشِدِ
يَوْمَ السَّبَاسِبِ فِي الزَّمَانِ الْبَائِدِ⁽²⁾
وَسَطَ الْقُصُورِ الْحُمْرِ بَيْضُ وَلَانِدِ⁽²⁾
مِنْ خَضِرِ أَسْمِيَةٍ وَزَيْقِ مَوَارِدِ،
وَعَدَا لَهُ كَالزَّائِرِ الْمُتَعَاهِدِ
مِنْ كُلِّ نَوْرٍ تَوَامٍ أَوْ فَارِدِ
مِنْهَا بِزَيْقِ مَوَارِدِ كَمَبَارِدِ،
مِنْ كُلِّ نَوْرٍ لِلنَّوَظِرِ وَأَمِيدِ

(1) إشارة الى قول النابغة الذبياني يمدح بني غسان:

رَقَاقِ النَعَالِ طَيِّبِ حِجْزَاتِهِمْ يَحْيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ.

(2) إشارة الى قول النابغة أيضا:

تَحْيِيهِمْ بَيْضُ الْوَلَانِدِ بَيْنَهُمْ وَأَكْسِيَةِ الْأَضْرِيحِ فَوْقَ الْمَشَاجِبِ.

عَجَبًا يُخْشَى لَفْحُ مُخْضَرُنْدٍ
 فَسَرَتْ بِخَضِرِ حَمَائِلٍ، وَلَقَدْ تَرَى
 مَا إِنْ يَمَلُّ الرَّائِحُ الْغَادِي لَهَا
 فَكَأَنَّهُمْ فِي حَرِّ كُلِّ هَجِيرَةٍ
 هَلْ ذَاكَ إِلَّا لَاغْتِنَاءٌ يَفْتَضِي
 بَبْنِي أَبِي حَقَصٍ عَلَا عِلْمُ الْهُدَى
 تِلْكَ الْأَصُولُ الطَّيِّبَاتُ أَرَيْنَا
 قَدْ بَانَ طِيبُ الْأَصْلِ فِي طِيبِ الْجَنَى
 أَرْكَانُ مَلِكٍ رَاسِخٌ بَنِيَانُهُ،
 اللَّهُ شَيْدَهُ فِدَامُ، وَإِنَّمَا
 لَيْسَ الْحَيَاءُ أَوْ الْحَيَا لِمُؤَمِّلٍ
 مَلِكٌ نَدَاهُ سَائِلٌ عَنْ سَائِلٍ
 فَالْحَلُمُ مِنْهُ مُخْلِفٌ إِيْعَادُهُ،
 وَمُؤَيَّدٌ تَسْرِي أَمَامَ جِيُوشِهِ
 وَطِنَتْ سَنَابِكُ خَيْلِهِ هَامَ الْعِدَى
 مِنْ كُلِّ مُجْفَرَةٍ الضَّلُوعِ كَأَنَّمَا
 أَوْ كَالْحَلَقَةِ الصَّيُودِ مَطْلُهُمْ
 يَمْضِي فَيَسْبِقُ لَحْظَ نَاطِرِهِ وَيَزْ
 وَلَوْ أَنَّهُ مُتَجَفَّلٌ بِعِقَالِهِ

أَوْ أَنْ يُؤَثَّرَ ذَائِبٌ فِي جَامِدٍ!
 قَبْلَ الْحَيَا الْوَسْمِيِّ غَيْرُ قَدَافِدٍ
 مِنْ لَوْلُو الْأَنْدَاءِ صَوْعٌ قَلَانِدٍ
 يَسْرُونَ فِي سَحَرٍ بَلِيلٍ بَارِدٍ
 إِسْعَادَ آمَالٍ وَتُجَحُّ مَقَاصِدِ
 وَرَسَا بِنَاءُ الْمَلِكِ فَوْقَ قَوَاعِدِ
 مِمَّنْ نَمَتَهُ كُلُّ فَرْعٍ مَاجِدِ
 طِيبُ الْقُرُوعِ دَلِيلُ طِيبِ مَحَاتِدِ
 سَامُ، إِلَى زَهْرِ الْكَوَكِبِ صَاعِدِ
 يُخْشَى الْبَلَى مَا اللَّهُ لَيْسَ بِشَائِدِ
 إِلَّا نَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ
 صِفَرُ الْحَقَائِبِ، قَاصِدٌ لِلْقَاصِدِ
 وَالْجُودُ مِنْهُ مُنْجِزٌ لِلْوَاعِدِ
 أَبْدَأُ رِيَّاحُ النُّصْرِ غَيْرَ رَوَاكِدِ
 مِنْ قَبْلِ وَطْءِ مَنَازِلِ وَمَعَاهِدِ
 تَطْوِي عَلَى الْأَعْدَاءِ زَفَرَةَ حَاقِدِ(3)
 يَهْوِي بِمَقْتَنَصِ الْفَوَارِسِ صَائِدِ(4)
 جَعِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ طَرْفُ الرَّاصِدِ
 لَمْ تَلْفِهِ إِلَّا عِقَالُ الشَّارِدِ

(3) المجفرة: من الجفرة وهي جوف الصدر أو منحنى الضلوع. وفرس مجفرة: عظيمة الجفرة.

(4) المحلقة الصيود: العقاب، والصيود: التي تنقض بشدة على الصيد.

حَتَّى لَقَدْ نَسِيَ الْجَوَادُ اسْمًا لَهُ
 شَاتِ الْبَوَارِقِ غَيْرَ جَاهِدَةٍ، وَلَمْ
 سَهَدَتْ مِنْهُمْ كُلَّ جَفْنٍ نَاشِرٍ
 خَصَمَتْ سَيُوفُكَ عَنْكَ كُلَّ مُجَادِلٍ
 وَتَوَاضَعَتْ شَمُّ الْمَاعِزِ هَيْئَةً
 وَأَذَلُّ عِزِّ الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ الَّذِي
 وَلَيْكَ مِنْهَا رَوْضَةٌ مَطْلُوءَةٌ
 فَانْظُرْ بِعَيْنِ رِضَاكَ مِنْهَا أَعْيُنًا
 وَانْفَحْ بِجُودِكَ لِلْأَمَانِيِّ نَفْحَةً
 فَيَرَاكِجُ الْأَمَالَ صِدْقَ رَجَائِهَا
 وَاهْنًا بِمَقْدَمِ مُقْتَدِرِكَ فِي الْعَلَا
 مَنْ أَنْتَ مُنْجِبُهُ، فَمُضْطَلَعُ بِمَا
 يَزْهِي حُسَامُ الْمَلِكِ، إِذْ وَصَلَتْ بِهِ
 وَاسْعَدَ بِزَهْرِ كَوَاكِبِ أَطْلَعَتْهَا
 وَاخْلُدْ خُلُودَ الشُّهْبِ، وَأَبْقِ بَقَاءَ مَا

مِنْ طُولِ مَا سَمَّوَهُ قَيْدَ أَوَايِدٍ
 يَقْطَعْنَ نَوْمَ قَطَا الْفَلَاةِ الْهَابِدِ
 لَمَّا أَنْتَمْتُمْ كُلَّ جَفْنٍ سَاهِدِ
 أَلْوَى، وَقَدْ أَلَوْتَ بِكُلِّ مُجَالِدٍ
 مِنْ كُلِّ دَانٍ مِنْكَ أَوْ مُتَبَاعِدٍ،
 أَخَذَ التَّمَرُّدُ عَنْ أَخِيهِ مَارِدٍ (5)
 تُحْمَى بِهَا أَنْفَاسُ نَفْسِ الْحَاسِدِ (6)
 نَظَرْتَ إِلَيْكَ بِهَا عِيُونُ مَحَامِدٍ
 حَتَّى أَرَى كَيْفَ اهْتَزَّازُ الْهَامِدِ
 كَالضُّوءِ يَغْلُقُ بِالدُّبَالِ الْخَامِدِ
 حَذَوُ الشَّرَاكِ عَلَى مِثَالٍ وَاحِدٍ
 حَمَلَتْهُ، مِنْ كُلِّ عِبٍّ أَيْدٍ
 مِنْهُ يَدٌ وَصَلَتْ بِأَطْوَلِ سَاعِدِ
 يَقْذِفْنَ دُونَكَ كُلَّ غَاوٍ مَارِدٍ
 نَرَأَتْ هِبَاتَكَ مِنْ ثَنَاءٍ خَالِدٍ (7)

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 122 - 124، والديوان: ص 43 - 45.

(5) الأبلق الفرد: حصن بتيما، ومارد: حصن آخر.

(6) منها: يعود الضمير على قصيدة حازم.

(7) نرأت: أنشأت وخلقت.

4 - عيد الفطر

قال يهْنَى المستنصر بالله الحفصي بعيد الفطر:

(الطويل)

أَهْلُ هِلَالِ الْعِيدِ مِنْكَ أَلَى بَدْرِ
هَلِ الْعِيدُ إِلَّا مَوْعِدُكَ بِالْمُنَى
ثَلَاثَةُ أَعْيَادٍ تَجْمَعُنَ لِلْوَدَى
بِوَجْهِكَ شَهْرُ الْفِطْرِ يُهْدِي بِشَائِرًا
تَسَابِقُ أَيَّامُ الْمَسَرَّاتِ نَحْوَكُمْ
وَمِنْهُمْ يَوْمًا مَوْسِمٌ وَبِشَارَةٍ
فَهَبْتِ إِقْبَالَ الْفُتُوحِ وَلَا عَدَتْ
وَلَا زَلَّتْ تَحْمِي سَاحَةِ الدِّينِ وَالْهَدَى
كَتَائِبُ فِيهَا الْأَسَدُ فِي أَجْمِ الْقَنَا
عَلَى مُنْعَلَاتٍ بِالْأَهْلَةِ قُرْطُتْ
مَتَى مَا تَرِدُ مَاءً تُرِدُ مَا وَرَاءَهُ
وَيَغْنَيْنَ عَنْ وَرْدِ الْمِيَاهِ كَانَتْهَا
فَكَمْ بِهَوَادِيهَا رَمَى ثَغَرَ الْعِدَى
وَلَأَقَاكَ مِنْهُ بِالطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ
وَبِالْيَمَنِ، وَالْإِقْبَالِ، وَالْفَتْحِ، وَالنُّصْرِ
بِوَجْهِكَ، وَالْفَتْحِ الَّذِي جَلَّ، وَالْفِطْرِ
مُؤَدِّجَةِ الْأَنْفَاسِ عَاطِرَةِ النَّشْرِ
فَمِنْ سَابِقٍ مِنْهَا، وَمَوْفٍ عَلَى الْإِثْرِ
كَمَا شَاعَتِ الْأَمَالُ جَاءَا عَلَى قَدَرِ
عِدَاكَ الرِّزَايَا مِنْ عَوَانٍ وَمِنْ بِكْرِ
بِكَلِّ خَمِيسٍ مُسْتَبِيحٍ حِمَى الْكُفْرِ
قَدْ أَدْرَعْتُ بِالسَّابِرِيَّةِ وَالصَّبْرِ (١)
بِأَنْجُمٍ قَذَفَ مِنْ شَبَابِ الذُّبُلِ السُّمْرِ
وَلَوْ خَيَّمَتْ يَوْمًا عَلَى مَنْشَأِ الْقَطْرِ
مِنْ الْحَلَقِ الْمَازِيَّ يَكْرَعْنَ فِي غُدْرِ
إِمَامٍ هُدًى، مَا زَالَ يَحْمِي حِمَى الثُّغْرِ!

(١) السابرية: دروع منسوبة الى سابور

سُلَالَةُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْوَاحِدِ الَّذِي
إِمَامٌ بِجَيْشِ الرُّعْبِ يَغْزُو عُدَاتَهُ،
وَيَسْرِي إِلَى الْأَعْدَاءِ كَالْبَرْقِ عَزْمُهُ،
إِذَا بَثَّ فِي أَرْضٍ مَقَانِبَ⁽²⁾ جَيْشِهِ
وَبِالْمُنْشَأَتِ الْبَحْرِ كَالْبَرْقِ يَنْتَشِي
تَقْلَدَ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ بِحَقِّهِ
حَكَى عُمَرَ الْفَارُوقَ هَدِيًّا وَسِيرَةَ
جَرَى مِنْهُ جَرَى الْمَاءِ فِي الْغُصْنِ حِلْمُهُ
تَبَارَى يَدَاهُ فِي السَّمَاحِ، فَلِلْمُنَى
يُبِيدُ نَفُوسًا، أَوْ يَفِيدُ نَفَاسًا
غَمَامٌ بِلَا دَجْنٍ، وَصَبْحٌ بِلَا دُجَى،
تَلَوُّحٌ عَلَى أُنْبَانِهِ مِنْ صِفَاتِهِ
فَقَدْ شَمَلَتْهُمْ لِلْسَّمَاحِ شَمَانِلُ
فَمِنْ أَنْفِ شَمٍّ، وَمِنْ أَوْجِهِ زَهْرُ
فَمَا بَالِغُ أَدْنَى سَمَاحِكَ ذُو نَدَى،
وَلَوْ أَنَّهُ بِالشَّعْرَيْنِ⁽⁵⁾ مُصْرَعُ
وَكَمْ مِنْ يَدٍ يَنْضَاءُ مِنْكَ بَدَتْ لَنَا!

أَبُوهُ أَبُو حَفْصٍ، وَنَاهِيكَ مِنْ فَخْرٍ!
فَلَوْ شَاءَ لَاسْتَفْتَى عَنِ الْجَحْفَلِ الْمَجْرِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَجْمٌ لِهَوْلِ الدُّجَى يَسْرِي
ثَنَى الْوَعْرَ مِثْلَ السَّهْلِ، وَالسَّهْلَ كَالْوَعْرِ
إِذَا مَا غَزَا وَالْبَرْقُ بِالْجَيْشِ كَالْبَحْرِ
فَأَضْحَى مَطَاعَ النَّهْيِ مُمْتَلِكُ الْأَمْرِ
وَفِي دَهِيهِ الْأَعْدَاءُ أَرَبَى عَلَى عَمْرٍو⁽³⁾
فَلَمْ يَغْزِ حِلْمٌ لَابِنِ صَخْرٍ وَلَا صَخْرُ⁽⁴⁾
وَاللِّيمَنِ يُمْنَاهُ، وَيَسْرَاهُ لِلْيُسْرِ
بِسَبِّ لَهْ يَسْرِي، وَسَيْفِ لَهْ يَفْرِي
وَيَدْرُ بِلَا نَقْصٍ، وَيَحْرُ بِلَا جَزْدٍ
سِمَاتُ كَضَوْءِ الشَّمْسِ فَاضَ عَلَى الْبَدْرِ
أَمِيرِيَّةُ الْأَعْرَاقِ، حَفْصِيَّةُ النَّجْرِ
وَمَنْ نَعَمَ بِيضٍ، وَمَنْ شِيمَ غَرُ
وَلَا بِالْغُ أَدْنَى امْتِدَاكَ ذُو فِكْرٍ
فَوَاتِحَ مَا يُهْدَى إِلَيْكَ مِنَ الشَّعْرِ
فَجَلَّتْ سَوَادَ الْخَطْبِ وَالْحَادِثِ النُّكْرِ

(2) ج مقنّب: جماعات من الخيل تجتمع للفارة.

(3) عمر بن الخطاب وعمر بن العاص.

(4) معاوية بن أبي سفيان وصخر هو أبو سفيان

(5) الشعريان: كوكبان يطلعان في الجوزاء. واحداثها شعري.

وَكَمْ حِكْمَةٍ غَرَاءَ مِنْكَ قَضَتْ لَنَا
فَهَلْ آيَاتَا مُوسَى الْكَلِيمِ لَدَيْكُمْ
أَصَاخَتْ لِذَاعِي هَدْيِكُمْ أَنْفُسُ الْوَرَى
قَضَى اللَّهُ إِذْ وَلَّاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ
فَقَدْ ضَمِنْتَ تَمْكِينَ مَا اللَّهُ مُرْتَضٍ
إِمَامَ الْهُدَى، نُمُ لِلدِّيَانَةِ وَالْدُنَى،
وَلَا بَرِحْتَ غُرُ الْفُتُوحِ بِسَعْدِكُمْ
بِبَاطَالِ مَا أَبْدَى الْبَيَانُ مِنَ السِّحْرِ!
بِمَا حَزَّتْ مِنْ حُكْمٍ، وَمِنْ نَائِلِ غَمْرِ
وَأَشْعَرَتْ الْإِخْلَاصَ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
بِتَخْلِيدِ هَذَا الْأَمْرِ فِيكُمْ إِلَى الْحَشْرِ
مِنَ الدِّينِ بِاسْتِخْلَافِكُمْ عِدَّةَ الذِّكْرِ
وَلَا زِلْتَ مَحْفُوفًا بِأَنْجُمِكَ الزُّهْرِ
تَوَالَى اتِّسَاقًا مِثْلَ مُنْتَظَمِ الدُّرِّ

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 134 - 136 ، والديوان: ص 55 - 57.

5 - مَتَى النَفْسِ تُدْخِلُ مِنْكُمْ

قال يمدح أبا زكرياء يحيى الحفصي:

(الطويل)

مَتَى النَفْسِ تُدْخِلُ مِنْكُمْ، وَالنَّوَى تُقْصِي،
يُقَرِّبُ فِي حَالِ التَّنَائِي مَزَارِكُمْ،
فَيُنْقَادُ لِلْأَحْلَامِ فِيكُمْ، وَلِلْمَنَى،
وَكَمْ رُمْتُ أَحْصِي فِي نَوَاكُم فَلَمْ أَطِقْ
وَكُنْتُ تَأَوَّلْتُ النَّوَى أَنَّهَا ثَوَى
فَكَمْ حَجَبْتُ مِنْ مُجْتَلَى يَبْهَرُ الْحَجَا،
وَنَاطِرَتِي غِيْدَاءَ، مُنْتَمَةِ الطَّلَى،
وَفَرَعِ يُرِيكَ اللَّيْلُ يَفْشَى نَهَارَهُ،
فَمَا أَخْرَسَ الْقَلْبَ الَّذِي قَدْ أَغْصَهُ
وَمَا أَفْضَحَ الْوُشْخَ الَّتِي تَشْتَكِي النَّوَى
كَأَنَّ لَمْ تُمَدَّدْ بَعْدَمَا قَلَصْتُ بِكُمْ
وَلَمْ تَعُدْ بِي عَنَوَ الطَّلَا، يَمْسَحُ الْفَلَا
وَلَمْ تَخْتَدِعْ عَيْنَ الرُّقِيبِ وَسَمْعَهُ
تَخِفُ وَتُخْفِي الْوُطْءَ عَنْ كُلِّ مَسْمَعٍ

فَكَمْ ذَا يُطِيعُ الدَّهْرُ فِيكُمْ وَكَمْ يَعْصِي!
فَيَدْنُو، وَيَنَائِي بِالْخِيَالِ وَبِالشَّخْصِ
وَيَأْتِي عَلَى الْمُشْتَاقِ فِيكُمْ، وَيَسْتَعْصِي
خُطُوبًا، خَطَايَا الدَّهْرِ فِيهِنَّ لَا أَحْصِي
وَهَلْ بَعْدَ نَصِّ الْعِيسِ أَحْتَاجُ لِلنَّصِّ؟
يَبْدُرُ عَلَى غُصْنٍ، وَغُصْنٌ عَلَى دِغْصٍ؟
تَرِيْعُ إِذَا رِيْعَتْ، لِأَعْيَدَ مُنْتَصِرٍ
أَوْ الصَّبْحُ يَجْلُوهُ لَدَى الْحَلِّ وَالْعَقْصِ
تَمْلُؤُهُ مِنْ ذَلِكَ الْمِعْصَمِ الرَّخْصِ!
عَلَى حَالِ قُرْبٍ مِنْ خُصُوبٍ لَهَا خُمْصِ!
ظِلَالُ الْمُنَى - أَيْدِي النُّجَائِبِ وَالْقُلُوصِ⁽¹⁾
وَيَمْحَصُ فِي عَرْضِ الْمَلَا⁽²⁾ أَيْمًا مَحْصِ،
بِرُخْدٍ عَلَى وَخْدٍ، وَنَصٍّ عَلَى نَصٍّ
فَاتَّارَهَا تَخْفَى عَلَى كُلِّ مَقْتَصٍّ

(1) القلوص: ج قلووص: الناقة المفتية.

(2) الملا: ج ملاه: الرماد الحار.

وَكَمْ زُرْتُ رَبَّاتِ الْجِبَالِ، وَذُرْنِي بِرَأْيِ مُطَاعٍ فِي الْهَوَى، وَحَجَّى مَعْصِيًا
وَقَصْتُ، وَلَكِنْ مَا اهْتَدَتْ رُقُبَاؤُنَا إِلَى أَثَرَيْنَا، بِالْقِيَافَةِ وَالْقَصِّ،
فِيحْكِي انْسِيَابَ الصِّلِ طَرْفِي إِذَا سَرَى إِلَيْهَا، وَطَرْفِي، إِنْ سَمَاءَ، خِلْسَةَ اللَّصِّ
بِعَزْمِي أَسْتَدْنِي الْبَعِيدَ، وَإِنِّي، لِمَا النَّجْمُ مُسْتَقْصِرٌ لَهُ، غَيْرَ مُسْتَقْصِ
وَذَهَدْنِي فِي الْعَيْشَةِ الْخَفْصِ أَتْنِي عَلَى رِبْعٍ كُودٍ فِي ذَرَى الْعِيسِ نُو حِرْصِ
وَعَفْتُ مِنَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا، فَلَمْ أَشِرْ بِقَبْضِ إِلَى مَا عَنْ مِنْهَا وَلَا قَبْصِ⁽³⁾
سَاتَرُكَ فِي الدُّنْيَا ثَنَاءً مُخْلَدًا إِذَا غَدَتِ الْأَيَّامُ مُخْلَقَةَ الْقُمْصِ
عَقَائِلُ قَدْ عَزَّتْ عَلَى كُلِّ خَاطِبٍ، وَلَوْ حُلِيَتْ عِقْدُ الثُّرَيَّا لَدَى النَّصِّ
أَرَادَتْ وَحِيدًا فِي الْمُلُوكِ، فَلَمْ تَجِدْ كَيْحِي بِنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بِنِ أَبِي حَفْصِ
أَمِيرٍ لِأَقْدَامِ السُّعُودِ تَقْدَمُ إِلَيْهِ، وَأَقْدَامُ الْعِدَى عَنْهُ فِي نَكْصِ
لِخِرْصَانِهِ صِدْقُ الْجَلَدِ، الَّذِي بِهِ تَظَلُّ الْأَعَادِي فِي جِدَالٍ، وَفِي خَرْصِ⁽⁴⁾
بِحَيْثُ تَرَى زَهَرَ الْوُجُوهِ كَأَنَّهَا مِنَ الرُّوعِ عَلَّتْ بِالْعَبِيرِ، أَوْ الْحَصِّ⁽⁵⁾
وَبَحْرٍ تَهِيمُ الْمَكْرَمَاتِ بِهِ، فَمَا لَهَا الدَّهْرُ مِنْ خِلِّ سِوَاهُ وَلَا خِلْصِ
فَمَنْ يَعُدُّ شَطَّ الْحِلْمِ مِنْهُ مُلْجَجًا فَأَيْدِي الْمَنَآيَا فِيهِ نَاشِبَةُ الشَّصِّ
نَأَى وَدَنَا مِنْهُ عُلَاً وَسَمَاحَةً فَيُذِنِيهِ مِنْ جُودِهِ، وَالْعَلَا تَقْصِي
لِلِأَبِي حَفْصٍ مَاتَرُ لَمْ تَكُنْ لِتُحْصِيَ بِطُولِ الْبَحْثِ عَنْهَا وَلَا الْفَحْصِ
وَمَا لَيْسَ يَبْدُو مِنْهُمْ فَوْقَ مَا بَدَأَ مِنَ الْفَضْلِ، إِنْ أَحْصَى فَضَائِلَهُمْ مُحْصِ
فَلَيْسَ بِمُسْتَقْصٍ لَهَا وَأَصِفْ مَدَى، وَلَوْ أَنَّهُ فِيهَا مَدَى الْقَوْلِ مُسْتَقْصِ

(3) القبس: وجع يصيب الكبد من أكل التمر على ريق وشرب الماء عليه .

(4) الخرص: الكذب. والخرص: الرمح القصير السنان.

(5) الحص: الزعفران وجب الصنوبر ونحوه.

فَلَّهِ مَا لَمْ يَبْدُ مِنْهَا، وَمَا بَدَا
بَيُّوتُ الْمَعَالِي بِالْعَوَالِي مَشِيدَةٌ
فَتِلْكَ هَوَاهُمْ، لَا هَوَى الْبَيْضِ كَالدُمَى
سَمَوْتُمْ إِلَى الْعَلْيَا بِطُولِ قَوَادِمِ،
تَرَاثُ الْهَدَى. فَيْكُمْ، وَمَا لِسِوَاكُمْ
بِمَا حَزْتُمْ مِنْ هَدْيٍ أَفْضَلَ صَاحِبِ
أَبِي حَفْصِ الْبَحْرِ الْخِضَمِّ الَّذِي طَمَأَ،
بِهِ أَصْبَحَ الْمَهْدِيُّ قَدْ شُدَّ أَرْزُهُ،
وَكَمْ فِتْنَةٌ ضَلَّتْ، هَدَيْتَ إِلَيْهِمْ
وَعَرَّاصَةً قَدْ جَادَ فِي عَرَصَاتِهِمْ
وَمُخْتَلِيَاتٍ لِلْجَمَاجِمِ وَالطَّلَى،
تَزِيدُ حَيَاةَ الدِّينِ طُولًا قِصَارَهَا
كَسَوْتَ جَنَاحَ الْجَيْشِ مِنْهُ قَوَادِمًا
فَأَصْبَحَ مُنْهَضًا بِهَا كُلُّ كَاسِرٍ
وَأَضْحَتْ عَلَى غَيْرِ الْعَوَالِي رُؤُوسُهُمْ
فَكَمْ قَدَمٌ مِنْ صَادِقِ الْقَدَمِ مِنْهُمْ

(6) حص: مقطوعة

(7) الشقص: من شقص الذبيحة: فصل أعضائها معتدلة بين الشركاء.

(8) المهدي بن تومرت صاحب الدعوة الموحدية وأبو حفص عمر بن أبي حفص من أول رجاله.

(9) العرص: عرس البرق: اضطرابه واختلاجه.

(10) وقصت العنق: انكسرت وقص الرجل: اندقت عنقه.

(11) الدحص: دحص المذبذب برجله: فحسه. دحص الرجل: أسرع.

فَمِنْ مُنْسَرٍ مِنْهُمْ لِأَنْكَلٍ عَيْشَةٍ ، وَمِنْ مُعْجَلٍ مِنْهُمْ إِلَى مَيْتَةٍ قُصَصَ (12)
بِكُلِّ مُقَادٍ لِلْهُدَى بِغِرَارِهِ وَأَهْلِيهِ ، مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ مُقْتَصِرٌ
أَسَامَ الرَّدَى رَوْضَ الْمَنَآيَا ذُبَابُهُ وَقَالَ لِصُغْرَى النَّمْلِ: أَثَارُهُ قُصِّي
فَكَمْ قَوْنَسٍ قَدْ خَدَّ فِي الْخَدِّ بَعْدَهُ! وَكَمْ قَصُّ ، بَعْدَ الْفَرَى لِلْهَامِ ، مِنْ قَصِّ (13)
فَيَحْصِدْنَ مِنْ هَامِ الْعِدَى كُلِّ قَانِمٍ ، وَيَهْذِمْنَ مِنْ بُنْيَانِهَا كُلَّ مُرْتَصٍّ
وَكَمْ عَامِلٍ أَضْحَى بِنَافِذِ خَرْصِهِ حَصِيدًا وَقَدْ أَعْيَتْ عَلَى الْحَزَنِ وَالْخَرْصِ!
بِحَيْثُ ظَلَى الْأَجْفَانِ رُمْدٌ سَوَافِحُ دَمًا ، وَعَيُونُ السُّمْرِ كَالْأَعْيُنِ الرُّمَصِ
وَيَوْمَ كَيَوْمِ السَّبْتِ لَمْ تَرْجُ بَعْدَهُ عِدَاكَ أَوْ يُسْتَوْدَعُوا الرُّمَسَ مِنْ رَمَصِ (14)
فَإِنْ رَفَعُوا أَنَاظَهُمْ جَدِعتْ ، وَإِنْ فَرَوِيَتْ مِنْهُمْ كُلُّ ظَاظٍ كَعُوبَةٍ
بِأَيْدِي أُسُودٍ ، فِي مُتُونٍ سَوَاقِبٍ ، إِلَى الدَّمِ ، غَرَّتَانِ الشُّبَا خَرِصَ الْخَرْصِ
تَدُوسُ وَكُورَ الْعَقْرِ فِي ظِلِّ الْقَنَا سَوَاحِبَ فِي أَدْيٍ مَازِيَةٍ ، دَلَّصَ (15)
جَرَتْ أَنْجُمُ الْعَاصِي بِنَحْسٍ ، لَدُنْ جَرَتْ ، فَتَوَشَّكَ أَنْ تَعْزَى إِلَى الْعَصْمِ الْعَقْصِ (16)
أَطَلَّتْ عَلَيْهِ الْخَيْلُ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا عَلَى السَّهْلِ مِنْ أَرْجَانِهِ ، وَعَلَى النُّحْصِ (17)
وَأَصْبَحَ مِنْ أَمَالٍ دُنْيَاهُ - إِذْ جَرَى فَظَلَّ عَنِ الْمُنْجَاةِ أَحْيَرَ مِنْ دِرْصِ (18)
إِلَى أَمَدٍ شَحْطٍ - عَلَى أَمَلٍ شَحْصِ (19)

(12) قصص: قصص الرجل: قتله مكانه وأجهز عليه .

(13) القونس: ج قوائس: أعلى الرأس: أعلى بيضة الحديد.

(14) الرمص: الولادة.

(15) الأذى: التيار، المأذية: الدروع، الدلص: الملس .

(16) العصم: الوعل. العقص: التي التوت قروتها الى أذانها.

والعقر: الشجاع، الغليظ الشديد .

(17) النُّحْص: أصل الجبل أو سفحه ،

(18) الدرص: ولد الفارة والهرة والأرنب ونحوها...

(19) شحص: بعيد أو متعب .

فَلَيْسَ بِهَا مَا نَابَهُ الدُّهْرُ نَاسِيًا، وَمَا نَالَهُ مِنْ شِدَّةِ الْوَطْءِ وَالْوَهْصِ (20)
مَتَى يَفْرِسُ اللَّيْثُ الْقَنِيصَ وَيَنْقَلِتَ يَرْعُهُ مَتَى مَا يَلْتَفِتَ أَثَرُ الْفَرَسِ (21)
حَقِيقَةُ نَصْرِ أَكْذَبَتْ كُلَّ مُمْتَرٍ وَجَاعَتُهُ بِالْأَمْرِ الْيَقِينِ مِنَ الْفَصِّ
غَدَا صَفَرُ الْأَصْفَارِ مُمْتَلَأٌ بِهَا بِشَائِرُ قَدْ طَابَتْ لِمُصْنِعٍ وَمُقْتَصٍّ
فَلَوْ طَرَقَتْ قُسَا، وَقَدْ قَامَ خَاطِبًا، لِأَصْنَى لَهَا سَمْعًا، وَقَالَ لَهَا: قُصِّي (22)
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْتَاشَ أُنْدُلُسًا بِهَا، وَيَأْخُذَ فِيهَا لِلْهُدَى أَخَذَ مُقْتَصٍّ
فِيُضْحِي بِهَا شَرْقُ الْجَزِيرَةِ مَشْرِقًا وَتَطْلُعُ أَنْوَارُ الْبِشَائِرِ فِي حِمَصِ (23)
أَمِيرِ الْهُدَى مَنْ يَدْنُ مِنْكَ فَإِنَّهُ بِقُرْبِكَ مِنْ صَرْفِ الْحَوَادِثِ قَدْ أَقْصَى
إِلَيْكُمْ سَرَتْ بِي أَيْنُقُ حِمَصُ السُّرَى وَجَوَّبُ الْفَلَا أَنْضَاعًا أَيْمًا حِمَصِ (24)
قِلَاصُ كَخَيْطَانٍ مِنَ النَّبْعِ لَمْ تَزَلْ لَهَا الْبَيْدُ فِي هَصْرِ عَنيفٍ وَفِي رَهْصِ (25)
تَشْكَى السُّرَى، وَالشَّهْبُ لِلصَّبْحِ تَشْتَكِي سُرَى الْغَمَضِ عَنْهَا وَهِيَ كَالْأَعْيُنِ الْغَمَضِ
إِلَى بَحْرِكَ الطَّامِي عَلَى الْوَرْدِ أَوْرَدَتْ مِيَاهَا لَهَا غَوْرٌ عَنِ الرَّشْفِ وَالْمَصِّ
بَدُو تَمَلُّ الرِّيحُ فِيهِ مِنَ السُّرَى وَتَسَامُ فِيهِ الرَّاqَصَاتُ مِنَ الرَّقْصِ
مَهَيْبُ كَأَنَّ الطَّيْرَ مُوفِيَةً بِهِ عَلَى قَفْصٍ، وَالطَّبْيُ مُشْفٍ عَلَى الْقَفْصِ
تُجَلِّي دِيَاجِيهِ اللَّصُوصُ بِأَنْصَلِ حَدَادٍ كَأَنْيَابِ الْمُجْلَحَةِ اللَّصِّ (26)

(20) وهص الرأس: شدخه، وهص الحيوان: جبهه وخطاه .

(21) قرص القرصة: أصابها والقرصة: أوداج العنق .

(22) قس بن ساعدة: توفي نحو 23 هـ أحد فصحاء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية يضرب به المثل في البيان والخطابة.

(23) اشبيلية.

(24) حمص البطن: فرغ وخمر .

(25) ج قلوص: الطويلة القوائم من الإبل والرهص: العصر الشديد.

(26) المجلحة: الجريئة الشديدة في إقدامها، يعني الذئاب.

اللص: ج اللص: صفة من اللصص وهو تقاربهما بين الأضراس.

كَثِيرٌ شُخُوصُ الطَّرْفِ مِنْ أَيْتَقَى بِهَا وَمَنِّي قَلِيلٌ فَوْقَ أَظْهَرِهِ شَخْصِي
إِذَا رَقِيَ الْحِرْبَاءُ مِنْبَرٌ عُوْدِهِ لِيَخْطُبُ، وَالْجِرْبَاءُ وَقَادَةُ الْقُرْصِ (27)
كَأَنَّا إِذَا شِدْنَا بَنَى لِمَقِيلِنَا قَنَّا الْخَطَّ قِلْنَا فِي بَيُوتٍ مِنَ الْخَصِّ
أَقُولُ وَقَدْ خَبْتُ بِنَا أَرْحِيَّةُ عَدْتُ عَنْ وَرُودِ الْخُمْسِ تَشْكُومِنَ الْخُمْصِ (28)
وَمَاءُ رَوَايَاهَا كَمَاءٍ عِيُونِهَا، تَرَافِصُهُ أَيْدِي السُّرَى أَيْمًا رَقْصِ (29)
وَلَمْ تُبْقِ مِنْهُ الْبَيْدُ غَيْرَ صَبَابَةٍ، وَسُؤْرِ بِأَنْفَاسِ الْهَوَاجِرِ مُمْتَصِّ (30)
لِمُقَوَّرَةٍ أُجِرَ الْقِرَى غَيْرَ كَرَّةٍ وَلَآذَاتٍ نَبُو فِي الرِّمَامِ وَلَا قَمَصِ (31)
وَرَدَّتْ خَصِيْبًا، فَارْتَعِي وَارْتَعِي بِهِ وَدُونِكَ مِنْ صَرْفِ الْحَوَادِثِ فَاقْتَصِي
وَيَا فِكْرِي اعْتَامِي اللَّالِيَّ وَاسْتَقِي، وَفِي لَبَّةِ الْعَلْيَاءِ أَبْكَارَهَا نُصِّي
فَمَا بِسَوَى كُفَاءٍ تَقَرُّ عِيُونُهَا فَكَّرَمَ كُفَاءَ لِلْمَعَالِي بِهَا خَصِّي
وَلَا تَبْخَسِي حَقًّا لَهْنًا، فَإِنَّنِي أَرَى أَنْ بَخْسَ الْحَقِّ فِيهِنَّ كَالْبِخْصِ (32)
قَوَافٍ كَمَحْضِ الْوَدِّ يَزْدَادُ رَوْنَقًا وَحُسْنًا عَلَى اسْتِخْلَاصِهِ وَعَلَى الْمَحْصِ،
فَلَاخَتْ بِجَبِيدِ الْمَجْدِ أَسْنَى قِلَادَةٍ وَفِي خَاتَمِ الْعَلْيَاءِ أَتَهَى مِنَ الْفَصِّ
فَلَوْ كُنَّ مِمَّا يُحْسِنُ الْغَيْدُ نَظْمَهُ لَأَلَّتْ بِهَا غُرُّ اللَّالِيِّ إِلَى الرُّخْصِ
فَقَالَ لَهَا الْإِحْسَانُ: حَوْلِي وَلِلَّتِي عَدْتُ وَهِيَ فِي الْأَمْدَاحِ ضَرَّتْهَا: غُصِّي
شِفَاءَ لِمَنْ وَالْأَكْمُ، وَهِيَ فِي الْعِدَى سَقَامُ مُمِضُ الْقَرْحِ، مُسْتَأْلَمُ الْقُرْصِ

(27) الجرباء: السماء الدنيا .

(28) الأرحية: ابل منسوبة الى أرحب وهم بطن من همدان والخمس: ورود الابل كل خامس يوم من مرعاها. والخمص: الضمور من الجوع.

(29) الترافص: التناوب .

(30) السؤر: من سار الشارب في الإناء: أبقى فيه بقية وهو مفرد أنسار: ما يبقى في الإناء من الماء.

(31) المقورة: الضامر من الخيل.

(32) البخص: لحم تحت الجفن الأسفل يظهر عند تحديق الناظر اذا أنكر شيئاً أو تعجب منه.

يَصْبُ بِهَا أَهْلُ الْفُرَاتِ وَدِجَلَةَ، وَيَصْبُو إِلَيْهِنَّ الدِّمَشْقِيُّ وَالْحِمَصِيُّ
حَتَّى خَاطِرٍ يُضْفِي الثَّنَاءَ لِأَمَلِهِ، وَيُقْصِحُ عَنْ سِرِّ الْمَعَالِي فَلَا يُقْصِي
مَتَى أَثَرَ الْمَعْنَى الشَّرُّودُ بِهِ يَكْذُ يُبَادِرُنِي قَبْلَ الْإِثَارَةِ بِالْقَنْصِ
بِقَاؤُكَ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، قَدْ جَلَّتْ عَنِ الْغَمَطِ وَالْغَمَصِ
فَلَا أَقْصَتِ الْأَيَّامُ مَا شِئْتَ قُرْبَهُ، وَلَا قَرَّبَتْ مَا أَنْتَ مِنْهُ لَهُ مُقْصِ
فَمَا تَمَطَّلُ الدُّنْيَا بِدَيْنٍ مِنَ الْمُنَى سَعُودُكَ تَسْتَقْضِيهِ مِنْهَا فَتَسْتَقْصِي

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 146 - 153 ، وقد علق المحقق على هذه القصيدة بقوله:

من بدائع حازم - رحمة الله عليه - يمدح أبا زكرياء يحيى بن أبي حفص، والقصيدة إفريقية عارض بها الشاعر قصيدة الصابوني في الممدوح نفسه وقد أرسلها هذا إليه من الأندلس قبل قدومه إفريقية. وطالع قصيدة الصابوني:

شخصت لعزم البين فاخترمتُ شخصي

زيادة وجد تنهك الجسم بالنقص

وقد أورد مقدارا منها ابن الأبار في التحفة. وذكر أن لها معارضات كثيرة أثبتتها مستوفاة في كتابه "إيماض البرق".

والقصيدة أيضا في الديوان: ص 64 - 67 ولكن بيتا فقط.

6 - لم تدر ما أسلاكها

(الكامل)

لَمْ تَدْرِ، إِذْ سَأَلْتَكِ، مَا أَسْلَاكُهَا
فَغَدَتِ سَوَالِفَهَا تُحَلَّى لُؤْلُؤًا،
فَأَرْتَكِ سَفْحَ الطَّلِّ فِي مَوْلِيَّةٍ،
رَبًّا الْأَدِيمِ مِنَ النَّعِيمِ، إِذَا مَشَتْ
وَتُطِيلُ بَرْحَ صَدَائِي حِينَ تُحِيلُ مَا
كَمْ بَاتَ يُذَكِّرُكَ الْعُهُودَ خَيَالُهَا،
تَأْبَى اللَّيَالِي أَنْ تُرِكَ أَوَانِسَاءُ،
أَقْلَتْنِ أَشْرَاكِي، غَدَاةَ رَمِيئَتِهَا،
تَأْمِيلُهَا أَسْرُ النَّفُوسِ، وَإِنَّ، فِي
مَلِكِ الْهُدَى يَحْتِى الَّذِي فَاقَ الْحَيَا،
صَادَ الْقُلُوبَ، وَقَادَهَا حُبًّا، وَقَدْ
مَنْ لِلرَّيَّا أَنْ تَكُونَ نِعَالُهُ،
عَزَمَاتُهُ كَنُجُومٍ قَذَفَ تَرْتَمِي،
فَبَجُودِهِ تَرْجُو الْعَقَاةَ حَيَاتُهَا،
بَزَ الْكَوَكِبِ، فِي الثَّرَى عَزْمٌ لَهُ
وَمُشِيرَةٌ ظَلَمَ الْعَجَاجِ، مُنِيرَةٌ
مِنْ كُلِّ مُعْتَادٍ لِغَارَاتِ الضُّحَى،
وَكَلَّتْ لِغَارَاتِ الضُّحَى أَعْرَابُهَا
إِنَّ الْبَرِيَّةَ قَدْ أَرَادَ صَلَاحُهَا
عُلَمَاءَهَا حُلَمَاءَهَا صَلَاحُهَا

أَبَكْتَ أَسَى، أَمْ قَطَعْتَ أَسْلَاكُهَا؟
مِنْ أَدْمَعٍ، لَمْ تَسْتَطِعْ إِمْسَاكُهَا
عُنِيَ الْحَيَا بِرُودِهَا، إِذْ حَاكُهَا
فَوْقَ الْحَرِيرِ تَخَالُهُ قَدْ شَاكُهَا
بَيْنَ الْبَوَارِقِ وَالْحَيَا، مِسْوَاكُهَا
وَيَظُنُّ أَنْ الدَّهْرَ قَدْ أَنْسَاكُهَا!
كَمْ قَدْ أَزَارَكُهَا الْكَرَى، وَأَرَاكُهَا!
وَعَلَقْتُ، حِينَ رَمَيْتَنِي، أَشْرَاكُهَا.
تَأْمِيلُ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ، فَكَاكُهَا
بِمَوَاهِبِ، وَالتَّ يَدَاهُ دِرَاكُهَا
جَعَلَ الْهَيَاتِ قِيُودَهَا وَشِبَاكُهَا
مَنْ لِلْهَلَالِ بَأَنَّ يَكُونَ شِرَاكُهَا؟
وَقَدْ اغْتَدَتِ أَرَاؤُهُ أَفْلَاكُهَا
وَيَبَاسِهِ تَخْشَى الْعَدَاةَ هَلَاكُهَا
أَبْدًا يُبَارِي نَسْرَهَا وَسِمَاكُهَا
مِنْ فَوْقَهَا شَهْبُ الظُّبَا أَحْلَاكُهَا
لَاكَتْ نَوَاجِذُهُ الشُّكِيمَ وَلَاكُهَا
وَلَرَمَى أَحْدَاقِ الْعِدَى أَثْرَاكُهَا
رَبُّ أَرَاهَا مِنْكُمْ أَمْلَاكُهَا
سَمَحَاءَهَا سَجَحَاءَهَا نُسَاكُهَا

أَذْرَكْتُمْ فِي الْعِلْمِ كُلَّ حَقِيقَةٍ،
أَعْطَى الْخِلَافَةَ كُلَّهَا الْأَوَّلَى بِهَا
عَلِيًّا أَبِيكَ أَبِي مُحَمَّدٍ الرِّضَى،
فَلَقَدْ جَمَعْتَ أُمُورَ طَائِفَةِ الْهُدَى
كَمْ مَوْطِنٍ أَضْحَى حُسَامَكَ حَاقِنًا
رَاعَتْ نَفُوسَ الشُّرَكَ مِنْكَ عَزَائِمُ
قَدْ أَوْطَنْتَ نَارَ الْجَحِيمِ نَفُوسَهُمْ
حَتَّى لَقَدْ كَادَتْ قُلُوبُ الرُّومِ أَنْ
وَيَارِضَ أُنْدَلُسَ عَزَّتُهُمْ رَوْعَةٌ
وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ رَوْعَ عِدَائِهَا،
عُصِمَتْ بِأَوْثَقِ عُرْوَةٍ مِنْ أُمَرِكُمْ
بِكَ أَحْيَيْتَ أَمَالَهُمْ، وَنَفُوسَهُمْ،
فَجَمِيعُهُمْ - مِنْ وَافِدٍ، أَوْ قَاعِدٍ -
سَكَنْتَ بِظِلِّكَ فِي الْأَمَانِ نَفُوسَهُمْ،
كَمْ وَافِدٍ مُسْتَبْدِلٍ بِمِهَادِهِ
فَرَعُوا بِشُكْرِكُمْ الرِّحَالَ كَمَا عَلَتْ
إِنْ جَبَّ قَصْدُ ذَرَاكَ ذِرْوَةَ عِزْمِسٍ،
قَدْ أَوْشَكَتْ تَقْدُ الْمَغَارِبُ كُلُّهَا
كَمْ مِدْحَةٍ أُرْجَتْ بِذِكْرِكَ مِسْكَةً،
وَإِذَا غَقِبِلَةُ مِدْحَةٍ زَفَتْ إِلَى
لَا زَالَ صَنَعُ اللَّهِ فِي مُسْتَقْبَلِ
مَا قَلَتْ لِلْأَيَّامِ: هَاتِ تَقَاضِيًا

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 176 - 178 ، والديوان: ص 87 - 88، وقد

ولع الشعراء بمعارضتها.

7 - حديقة الأزهار وحقيقة الاختار في مدح النبي المختار

سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأبرار

قال مصدراً معلقة امرئ القيس بأشعار مصرفاً إياها الى معاني المدح النبوي الشريف:

(الطويل)

لِعَيْنَيْكَ، قُلْ إِنْ رُزْتُ أَفْضَلَ مُرْسَلٍ: قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ
وَفِي طَيِّبَةٍ فَاَنْزِلْ، وَلَا تَغْشَ مَنْزِلًا تَسْقِطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْلٍ
وَزُدْ رَوْضَةً قَدْ طَالَمَا طَابَ نَشْرُهَا لَمَّا نَسَجْتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ
وَأَتَوَاكَ اخْلَعْ، مُحْرِمًا، وَمُصَدِّقًا لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضِّلِ
لَدَى كَعْبَةٍ قَدْ فَاضَ دَمْعِي لِبُعْدِهَا عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِي مَحْمَلِي
فَيَا حَادِي الْأَمَالِ سِرِّ بِي، وَلَا تَقُلْ: عَقَرْتَ بَعِيرِي - يَا امْرُؤَ الْقَيْسِ - فَاَنْزِلْ
فَقَدْ حَلَفْتَ نَفْسِي بِذَلِكَ، وَأَقْسَمْتَ عَلَيَّ وَأَلْتَ حَلْفَةً لَمْ تَحْلَلْ
فَقُلْتَ لَهَا: لَا شَكَّ أَنِّي طَائِعٌ، وَأَنْتَكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلْ
وَكَمْ حَمَلْتُ فِي أَظْهَرِ الْعِزِّ رَحْلَهَا فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمِّلِ
وَعَاتَبْتَ الْعَجْزَ الَّذِي عَاقَ عِزْمَهَا، فَقَالَتْ: لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي
نَبِيٌّ هُدًى، قَدْ قَالَ لِلْكَفْرِ نُورُهُ: "أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ، أَلَا أَنْجِلْ
تَلَا سُورًا: مَا قَوْلُهَا بِمُعَارِضٍ، إِذَا هِيَ نَصَّتُهُ وَلَا بِمُعْطَلٍ
لَقَدْ نَزَلَتْ فِي الْأَرْضِ مِلَّةً هَدِيهِ نَزُولَ الْيَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحَمِّلِ
أَتَتْ مَغْرِبًا مِنْ مَشْرِقٍ، وَتَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفْضَلِ
فَقَارَتْ بِلَادَ الشَّرْقِ مِنْ زِينَةٍ بِهَا بِشِقٍ، وَشِقٌ عِنْدَنَا لَمْ يُحَوَّلْ

فَصَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا لَاحَ بَارِقُ
سَرَى بِجُنُودِ اللَّهِ بَيْنَ تَهَانِمِ
فَكَمَ مَلِكٌ وَأَفَاهُ فِي زِيٍّ مُنْجِدِ
وَكَمَ مِنْ يَمَانٍ رَامِحٍ جَاءَهُ، اِكْتَسَى
وَمِنْ أَبْطَحِيٍّ، نَيْطَ عَنَّةٍ نِجَادُهُ
أَزَلُوا بِيَدِهِ عَنْ سُرُوجِهِمِ الْعِدَى
وَنَادُوا ظَبَاهُهمْ: لَا يَفْتِكُ فَتَى، وَلَا
وَفُضِّي جُمُوعًا، قَدْ غَدَا جَامِعًا لَهُمِ
وَأَحْمَوْا وَطِيسًا فِي حَنِينٍ، كَأَنَّهُ
وَنَادُوا بَنَاتِ النَّبْعِ: بِالنَّصْرِ أَثْمَرِي،
وَمِمَّنْ لَهُ سَدَدَتْ سَهْمَيْنِ، فَاضْرِبِي
فَمَا أَغْنَتْ الْأَبْدَانُ دِرْعَ بِهَا اِكْتَسَتْ
وَقَرُّ ابْنِ عَوْفٍ مِثْلَمَا قَرَّ خَاضِبُ
وَكَمْ قَالَ: يَا لَيْلَ الْوَغَى طَلْتُ، فَاثْبَلَجِ
فَلَيْتَ جَوَادِي لَمْ يَسْرِ بِي إِلَى الْوَغَى،
وَكَمْ مَرَّتْ أَوْطَاسُ مِنْهُمْ بِمُسْرَجِ،
وَقَرَطَهُ خُرْصًا، كَمِصْبَاحِ مُسْرَجِ،
فَقِرْنُو، لِهَادٍ فَوْقَ هَادِيهِ، طَرْفُهُ،
وَيَسْمَعُ مِنْ كَافُورَتَيْنِ بِجَانِبِي
تَرْفَعُ أَنْ يُعْزَى لَهُ شَدُّ شَادِنِ،

"كَلَمَعَ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مَكَالٍ"
"وَبَيْنَ إِكَامٍ بَعْدَ مَا مَتَامَلٍ"
"بِمُنْجِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ"
"بِضَافٍ فَوَيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلٍ"
"بِجِيدٍ مَعِمٍ فِي الْعَشِيرَةِ مَخُولٍ"
"كَمَا زَلَّتِ الصُّفْرَاءُ بِالْمُنْتَزَلِ"
"كَبِيرُ أَتَانَسٍ فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ"
"بِنَا بَطْنُ حَقِيفِ ذِي رِكَامٍ عَقَنْقَلٍ"
"إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيَّةٌ - غَلِيٌّ مَرْجَلٍ"
"وَلَا تُبْعِدِينَا مِنْ جَنَّاكِ الْمَعْلَلِ"
"بِسَهْمَيْكِ فِي أَغْشَارِ قَلْبٍ مَقْتَلٍ"
"تَرَانِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ"
"لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٌ حَنْظَلٍ"
"بِصُبْحٍ، وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمَثَلٍ"
"وَبَاتَ بَعِيتِي قَانِمًا غَيْرَ مُرْسَلٍ"
"مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسْهَلُ"
"أَهَانَ السَّلَيطُ فِي الدُّبَالِ الْمُقْتَلِ"
"بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مُطْفَلٍ"
"أَثْبِثْ كَقِنُو النُّخْلَةَ الْمُتَعَذِّكِلِ"
"وَأِرْخَاءُ سِرْحَانٍ، وَتَقْرِيبُ تَنْفُلٍ"

وَلَكِنَّهُ يَمْضِي كَمَا مَرَّ مُزِيدٌ
وَيَغْشَى الْعِدَى كَالسَّهْمِ، أَوْ كَالشَّهَابِ، أَوْ
وِظَلِّ لَوَالِيهَا وَمَالِكِهَا الْعِدَى
جِيَادًا أَعَادَتْ رَسْمَ رُسْتَمِ دَارِسًا،
وَرَبِيعَتَ بِهِ خَيْلُ الْقِيَاصِرِ، فَأَخْتَفَتْ
سَبَتْ عُرْبًا مِنْ نِسْوَةِ الْعَرَبِ تَسْتَبِي
وَكَمْ مِنْ سَبَايَا الْفُرْسِ وَالصُّفَرِ أَسْهَرَتْ
وَحَزَنَ بُدُورًا مِنْ لِيَالِي شَعُورِهَا،
وَأَبْقَتْ بِأَرْضِ الشَّامِ هَامًا، كَانَهَا،
وَمَا جَفَّ مِنْ حُبِّ الْقُلُوبِ بِغُورِهَا
وَكَمْ جَبَنَ مِنْ غِبْرَاءَ لَمْ يُسَقِّ مَتْنَهَا
لِخَضْرَاءَ، مَا دَبَّتْ وَلَا نَبَّتَتْ بِهَا
شَدَا طَيْرُهَا فِي مَثْمَرِ ذِي أُرُومَةٍ،
فَشَدَّتْ بِرَوْضٍ، لَيْسَ يَذْبُلُ بَعْدَهَا،
وَكَمْ هَجَرَتْ فِي الْقَيْظِ، تَحْكِي دَوَارِعَا
وَكَمْ أَدْلَجَتْ، وَالْقَرُ يَهْفُو هَزِيزَةً،
وَحُضْنَ سَيُولَا، فِضْنَ فِي الْبَيْدِ بَعْدَمَا
وَكَمْ رَكَزُوا رُمَحًا بِدِعْمِ، كَانَتْ
فَلَمْ تَبْنِ حِصْنًا، خَوْفَ حِصْنِهِمِ الْعِدَى،
فَهَدَّتْ بِقَضْبٍ شَلَنَ بَعْدَ إِمَالَةٍ

يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحُ الْكَتْهَبِ
كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ
يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكْ أَسَى، وَتَجْمَلُ
وَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعُولٍ
جَوَاحِرُهَا فِي صِرَةٍ لَمْ تَزِيلِ
إِذَا مَا اسْبَكُرْتَ بَيْنَ دَرْعٍ وَمِجُولٍ
تُؤْوِمُ الضُّحَى، لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلٍ
تَضِلُّ الْمَدَارِي فِي مَثْنَى وَمُرْسَلٍ
بَارِجَاتِهَا الْقُصُوصَى، أَنَابِيشُ عُنْصَلٍ
وَقِيَعَانِهَا، كَانَتْ حُبُّ فَلَقْلٍ
دِرَاكَا، وَلَمْ يَنْخَضِ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ
أَسَارِيْعُ ظَبْيِي، أَوْ مَسَاوِيكِ إِسْحَلِ
وَسَاقِي كَأَنْبُوبِ السَّقْيِ الْمَذَلِ
يَكُلُّ مَغَارِ الْفَتْلِ شَدُّ بِيذْبُلِ
عَذَارَى دَوَارٍ فِي الْمَلَأِ الْمَذِلِ
وَيُلَوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثْقَلِ
أَثَرْنَ غِبَارًا بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ
مِنْ السَّيْلِ وَالْأَغْنَاءِ - فَلَكَّةَ مِغْزَلِ
وَلَا أَطْمَأ إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلِ
بِأَمْرَاسٍ كَتَانٍ إِلَى صَمِّ جَنْدَلِ

وَجَيْشٍ، بِأَقْصَى الْأَرْضِ، أُلْقَى جِرَانُهُ
يَدُكَ الصَّفَا دَكَا، وَلَوْ مَرَّ بَعْضُهُ
دَعَا النَّصْرُ وَالتَّائِيدُ رَايَاتِهِ: اسْحَبِي
لِوَاءَ مُنِيرِ النَّصْلِ سَامَ كَأَنَّهُ
كَأَنَّ دِمَا الْأَعْدَاءِ فِي عَذَابَاتِهِ
صِحَابُ فَرَوْا هَامَ الْعُدَاةِ، وَكَمْ قَرَوْا
وَكََمْ أَكْثَرُوا مَا طَابَ مِنْ لَحْمِ جَفَرَةٍ
حَكَى طِيبُ ذِكْرَاهُمْ، وَمَرُّ كِفَاحِهِمْ،
لِإِمْدَاحِ خَيْرِ الْخَلْقِ قَلْبِي قَدْ صَبَا
قَدْغُ مَنْ لَأَيَّامِ الصَّبَابَةِ قَدْ صَبَا
وَأَصْبَحَ عَنْ أُمِّ الْحَوِیْثِ مَا سَلَا،
وَكُنْ فِي مَدِيحِ الْمُصْطَفَى كَمَدِيحِ
وَأَمْلُ بِهِ الْأُخْرَى، وَدُنْيَاكَ دَغْ، فَقَدْ
وَكُنْ كَمُنِيبِ الْفُؤَادِ، مُؤَنَّبِ
يُنَادِي: إِلَهِي، إِنَّ ذَنْبِي قَدْ عَدَا
فَكُنْ لِي مُجِيرًا مِنْ شَيَاطِينِ شَهْوَةٍ
وَيَنْشِدُ نَبِيَّاهُ، إِذَا مَا تَدَلَّتْ:
فَإِنْ تَصَلِّيَ حَبْلِي بِخَيْرٍ وَصَلَّتْهُ
وَأَحْسَنَ بِقَطْعِ الْحَبْلِ مِنْكَ وَبَنَتْهُ،
أَيَا سَامِعِي مَدَحِ الرُّسُولِ تَنْشَقُّوا

وَأُرْدِفَ أَعْجَازًا، وَنَاءَ بِكُلِّكَ
وَأَيْسَرُهُ عَلَيَّ السِّتَارِ فَيَذْبُلُ
عَلَى أَثَرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحِّلٍ
مَنَارَةٌ مُمَسِّي رَاهِبٍ مُتَبَلِّلٍ
عُصَارَةٌ حِنَاءٍ بِشَيْبٍ مُرْجَلٍ
صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ
وَشَحْمَ كَهْدَابِ الدِّمَقْسِ الْمُفْتَلِّ
مَدَاكَ عَرُوسٍ، أَوْ صَلَايَةَ حَنْظَلٍ
وَلَيْسَ فُؤَادِي عَنْ هَوَاهَا بِمُنْسَلٍ
وَلَا سِيمَا يَوْمَ بِدَارَةِ جُلْجُلٍ
وَجَارَتِهَا أُمُّ الرِّبَابِ بِمَأْسَلٍ
يُقَلِّبُ كَفِّهِ بِخِيطٍ مُوَصَّلٍ
تَمَتَّعْتَ مِنْ لَهْوِهَا غَيْرَ مُعْجَلٍ
تَصِيحَ عَلَى تَعْدَالِهِ غَيْرَ مُؤْتَلٍ
عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
عَلَيَّ حِرَاصٍ لَوْ يُسَرُّونَ مَقْتَلِي
أَفَاطِمُ، مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ
وَلَنْ كُنْتُ قَدْ أَزْمَعْتَ صَرْمِي، فَأَجْمَلِي
فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلِ
تَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَا الْقَرْنَفَلِ

وَرَوْضَةٍ حَمْدٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحَلَّلِ
وَيَا مَنْ أَبِي الْإِسْفَاءِ، مَا أَنْتَ مِنْتَهُ وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْعِمَايَةَ تَنْجَلِي
فَلَوْ مَطْفِلاً أَنْشَدْتُهَا لَفْظَهَا ارْعَوْتُ، فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُحُولِ
وَلَوْ سَمِعْتَهُ عُصْمٌ طَوْدٍ أُمَالَهَا، فَأَنْزَلَ مِنْهَا الْعُصْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلِ

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 178 - 184 ، والديوان: ص 179 - 184.

8 - بشرى بالبيعة

قال من قصيدة يمدح أبا زكرياء الحفصي عندما صارت الخلافة إليه:

(البسيط)

بُشْرَى بَيْعَةِ مَوْلَانَا ابْنِ مَوْلَانَا، فَكَمْ أَيَادٍ بِهَا الرُّحْمَانُ أَوْلَانَا؛
جَلْتُ بِهَا عِنْدَنَا نِعْمَى الْإِلَهِ، فَمَا أَحَقَّنَا بِمَسْرَاتٍ وَأَوْلَانَا
خِلَافَةُ اللَّهِ صَارَتْ مِنْ إِمَامٍ هُدًى إِلَى إِمَامٍ هُدًى، بِالْعَدْلِ أَحْيَانَا
جَاءَتْ إِلَيْهِ لِمِيقَاتٍ، وَجَاءَ لَهَا، كَمَا لِمِيقَاتِهِ جَاءَ ابْنُ عِمْرَانَا
وَعِنْدَمَا قُدِّرَ الْوَقْتُ السَّعِيدُ لَهَا، جَاءَتْ عَلَى قَدَرٍ تَلْقَاهُ لُقْيَانَا
كَمْ قَائِلٍ، قَالَ لَمَّا أَنْ تَقْلُدَهَا، قَدْ قُلِدَ الْمَلِكُ دَاوُدُ سُلَيْمَانَا
وَقَدْ أَقَامَ لِرَعِي الْخَلْقِ خَالِقُهُمْ خَلِيفَةً، قَدْ أَقَامَ الْعَدْلَ مِيزَانَا
كَأَنَّمَا اللَّهُ قَدْ أَحْيَا خَلِيفَتَهُ لَنَا، بِخَيْرِ إِمَامٍ، قَدْ تَوَلَّانَا
بِالْوَاتِقِ الْمَلِكِ الْمُحْيِي خَلِيفَتَهُ يَحْيَى أَبِي زَكَرِيَاءَ ابْنَ مَوْلَانَا
أَلْقَى لَكَ اللَّهُ مَوْلَانَا مَقَالِدَهَا لِكِي تَقْلُدَهَا دُرّاً وَعَقِيَانَا

فَقُلَّدْتُ عِقْدَ فَخْرٍ، إِذْ غَدَتُ لَكُمْ
وَأُنَجِّزَ اللَّهُ وَعْدًا مِنْ خِلَافَتِهِ
حَبَاكَ رَبُّكَ أَوْصَانًا، حَبَاكَ بِهَا
عِلْمًا، وَعَدْلًا، وَبَاسًا فِي الْعِدَى، وَنَدَى
وَمَنْصِبًا عُمَرِيًّا^(١). قَدْ سَمِعْتُ شَرَفًا
لَمَّا جَمَعْتُ الشُّرُوطَ الْمُوجِبَاتِ لَهَا،
وَأَصْبَحْتُ، وَهِيَ حَقٌّ لِلْحَقِّ بِهَا،
سَمِعْتُ بِعَلِيَّاهُ، وَازْدَانَتْ بِهِ شَرَفًا،
أَحْرَزَتْهَا عَنْ أَبِي هَادٍ رِضَى قَائِمٍ
فَقَدْ أَخَذْتُ صَحِيحَ الْمَلِكِ مِنْ سَنَدٍ
مُقَدَّمَاتٍ بِإِنتَاجِ لِمَلِكِكُمْ
وَمُنْتَجَاتٍ قَضَايَا بِالْخِلَافَةِ قَدْ
وَحِينَ أَضَحْتُ لَكُمْ بِالْحَقِّ وَاجِبَةً
هَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَالْبُرْهَانُ يَعْضُدُّهُ
شَادَتْ عَلَاكَ مِنَ الْأَمْلَاكِ أَرْبَعَةٌ
شَادَ الْإِمَامُ أَبُو حَفْصٍ لِمَلِكِكُمْ
وَمَا حَكَى بَيْتُ مَلِكٍ بَيْنَ مَلِكٍ أَبِي
وَشَادَ مِنْ بَعْدِهِ الْهَادِي الْأَمِيرُ لَكُمْ

تَاجًا يَفُوقُ مِنَ الْأَمْلَاكِ تِيجَانَا
لَهُمْ، كَمَا قَدْ أَتَى فِي الذِّكْرِ إِتْيَانًا
خِلَافَةً، رَدَّتْ الْأَمْلَاكُ عِيدَانَا
سَحَا، وَصَفَحَا عَنْ الْجَانِي، وَغَفَرَانَا
بِهِ عَدِيٌّ إِلَى عَلِيٍّ عَدْنَانَا
جَاءَتْ تَحْنُ إِلَى عَلِيَّكَ تَحْنَانَا
تَعْلُو بِهِ مِثْلَمَا يَعْلُو بِهَا شَانَا
كَمَا تَسَامَى بِهَا فِي الدَّهْرِ وَازْدَانَا
نُخْرًا يَدُومُ عَلَى الدُّنْيَا وَقُنْيَانَا
عَالٍ، وَأَحْكَمْتُهُ ضَبْطًا وَاتِّقَانًا
قَضْتُ، وَأَعْطْتُ بِهِ عِلْمًا وَإِقَانًا
قَضْتُ لَكُمْ، وَغَدْتُ فِي الصَّدَقِ بُرْهَانًا
لَمْ تَلَفْ فِيهَا مُلُوكُ الْأَرْضِ إِمْكَانًا
وَأِنَّمَا يُنْكَرُ الْبُرْهَانُ مَنْ مَانَا
أُئِمَّةً، أَصْبَحُوا لِلْهَدْيِ أَرْكَانَا
بَيْتًا، وَأَعْلَى لَهُ سَمَكًا وَحِيطَانًا
مُحَمَّدٌ نَجْلُهُ الْهَادِي، وَلَا دَانِي
رَوَاقَ مَلِكٍ عَلَى الدُّنْيَا وَإِيوَانَا

(١) نسبة إلى عمر بن الخطاب لعدله ورجاحة رأيه أو إلى أبي حفص جد آل الحفصيين الذي تنسب إليه النولة الحفصية، وكان صاحب ابن تومرت مؤسس الحركة الموحدية.

وَبَعْدَهُ شَادَ مَوْلَانَا الْإِمَامُ لَكُمْ مُلْكًا، يُسَامِي مِنَ الْخَضِرَاءِ أَعْنَانَا
وَشَادَ سَعْدُكَ، مَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا، مُلْكًا يَفُوقُ دَرَارِيًا وَشُهَبَانَا
وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَزِدَّادَ مُلْكُكُمْ تَعَالِيًا، وَيَطُولُ الزُّهْرَ بُنْيَانَا

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 212-213 والديوان: ص 212-214.

جلي بن سعيد

(610 - 685)

نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد الغرناطي التونسي. ولد بغرناطة في شوال 610 في قلعة يحصب ونشأ بها ثم ارتحل عنها الى الشّام ثم جاء الى تونس وأقام فيها فترات طويلة من 652 الى 655 ومن 675 الى سنة وفاته 685 . كان ولي منصب المظالم بتونس وكان مرتبطا ارتباطا وثيقا بعدد من شعراء تونس أمثال محمد بن أبي الحسن قريبه وأحمد الغساني وأحمد اللياني.

من مؤلفاته المطبوعة:

- القدح الملقى في التاريخ المحلى .

- المغرب في حلى المغرب .

- رايات المبرزين وغايات المميزين.
- الغصون اليبانة في أدباء المائة السابعة.
- المقتطف من أزاهر الطرف .

1 - نثار الجُئَنار

قال ابن سعيد في الوصف من مقدمة إحدى مدائحه لأبي زكرياء يحيى
الحفصي:

(الكامل)

الأفقُ طلقُ والنسيم رُخاءُ	والروضُ وشَّتْ برده الأنواءُ
والنَّهرُ قد مالت عليه غصونُه	فكأنَّما هو مقلَّةٌ وطفاءُ ⁽¹⁾
ويدا نثارُ الجُلَّانار ⁽²⁾ بصفحه	فكأنَّما هو حيَّةٌ رقطاءُ
والشمسُ قد رقت طرازاً فوقه	فكأنَّما هي حلَّةٌ زرقاءُ
فألبرُ كؤوسك كي تتمَّ لك المنى	واسمع إلى ما قالت الورقاء ⁽³⁾
تدعوك حيَّ على الصُّبوح فلا تنم	فعلى المنام لدى الصُّباح عفاءُ

المصدر: نفح الطَّيب: ج 2 ، ص 263 وابن سعيد المغربي: ص 158.

2 - خيلاء الخيل

وقال من قصيدة يصف خيلاً ضوامر مختلفة الألوان:

(الكامل)

(1) المقلَّة الوطفاء: العين الكثيرة شعر الحواجب.

(2) الجلَّانار: زهر الرمان

(3) الورقاء: الحمامة. أو الحمامة الضارب لونها إلى الخضرة.

ولكم سرينا في متون ضوامر⁽¹⁾ تَنِّي أَعْتَهَا من الخيلاء
من أدهم كالليل حُجْل بالضحي فتشَقَّ غرته عن ابن ذكاء⁽²⁾
أو أشهب يحكي غدائر أشيب خلعت عليه الشهبُ فضلَ رداء⁽³⁾
أو أشقر قد نمقته بشعلة كالمزج ثار بصفحة الصهباء⁽⁴⁾
أو أصفر قد زينته غرة حتى بدأ كالشمعة الصفراء
طارت ولكن لا يهاضُ جناحها هبت ولكن لم تكن بِرُخاء⁽⁵⁾

المصدر: ابن سعيد المغربي: ص 158 - 159.

3 - رثاء الوزير أبي العلاء إدريس

قال يرثي أبا العلاء إدريس بن علي وزير أبي زكرياء الحفصي:
(الطويل)

بَكَتْ لَكَ حَتَّى الْهَاطِلَاتُ السَّوَاكِبُ وَشَقَّتْ جُيُوبًا فِيكَ حَتَّى السَّحَابُ
فَكَيْفَ بِمَنْ دَافَعَتْ عَنْهُ وَمَنْ بِهِ أَحَاطَتْ - وَقَدْ بُوْعِدَتْ عَنْهُ - الْمَصَائِبُ
أَلَا فَانْظُرُوا دَمْعِي فَأَكْثَرُهُ دَمٌ وَلَا تَذْهَبُوا عَنِّي فَإِنِّي ذَاهِبُ
وَقُولُوا لِمَنْ قَدْ ظَلَّ يَنْدُبُ بَعْدَهُ وَقَاوُكَ لَوْ قَامَتْ عَلَيْكَ النَّوَابِ

(1) الخيل الضوامر: جمع ضامر وهو الحصان النحيل الخفيف. والأعنة جمع عنان وهو لجام الفرس، والخيلاء: العجب والتيه.

(2) الفرس المحجل: الذي في قوائمه بياض. والغرة، بياض في جبهة الفرس يقال: فرس أغر. وابن ذكاء: كناية عن القمر. لأن ذكاء هي الشمس، ابنها هو القمر.

(3) الأشهب: الذي يتخلل بياضه سواد. والغدائر: جمع غديرة، وهو المصفور من شعر النساء.

(4) الأشقر: ذو اللون الجامع بين الحمرة والصفرة. والاسم منه الشقرة. الصهباء: الخمر.

(5) يهاض جناحها: أي يكسر جناحها. والريح الرخاء: اللينة الهادئة.

لَعَمْرُكَ مَا فِي الْأَرْضِ وَافٍ بِذِمَّةِ
دَعْوَتِكَ يَا مَنْ لَا أَقْوَمُ بِشُكْرِهِ
أَيَا سَيِّدًا قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
لِمَنْ أَشْتَكِي إِنْ جَارَ بَعْدَكَ ظَالِمٌ
لِمَنْ أَرْتَجِي عِنْدَ الْأَمِيرِ بِمَنْطِقٍ
أَيَصْنُمْتُ إِنْ دَرِسُ وَمِثْلِي يُخَاطَبُ
فَهَلْ أَنْتَ لِي بَعْدَ الدُّعَاءِ مُجَابُ
تُرَابٌ حَوَتْ ذِكْرَكَ مِنْهُ التَّرَائِبُ (١)
عَلَيَّ وَإِنْ نَابَتْ جَنَابِي النَّوَائِبُ
تَحْفُ بِهِ حَوْلِي الْمُنَى وَالْمَوَاهِبُ

وهي طويلة، ومنها قبيل الختم:

وَقَدْ كُنْتُ أَخْتَارُ التَّرَحُّلَ قَبْلَ أَنْ
وَلَكِنْ قَضَاءُ اللَّهِ مِنْ ذَا يَرُدُّهُ
يُصِيبُكَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَّةِ صَائِبُ
فَصَبْرًا فَقَدْ يَرْضَى الزَّمَانُ الْمَغَاضِبُ

ومنها، وهو آخرها:

وَأَنِّي لَأُدْرِي أَنَّ فِي الصَّبْرِ رَاحَةً
وَأَنْ لَمْ يَوُبْ مَنْ كُنْتُ أَرْجُو انتِصَارَهُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ عَلَيَّ مَتَالِبُ
عَلَيْكَ فَلُطْفُ اللَّهِ نَحْوِي آيِبُ

المصدر: نفح الطيب: ج 2، ص 280 - 281.

(١) الترائب: ج تريبة وهي واحدة عظام الصبر والمعنى أن ذكراك قد احتوتها الصدور وإن كنت مودعا في التراب.

4 - حنين إلى الأندلس

قال ابن سعيد: لما قدمت مصر والقاهرة أدركتني فيهما وحشة وأثار لي تذكر ما كنت أعهد بجزيرة الأندلس من المواضع المبهجة التي قطعت بها العيش غصاً خصباً، وصحبت بها الزمان غلاماً وليست الشباب قشيباً، فقلت:

(الرمل)

هذه مصرُ فأين المغربُ؟	مُدْ نأى عني دُموعي تُسْكِبُ
فأرقتهُ النفسُ جهلاً إنمّا	يُعرفُ الشيءُ إذا ما يذهبُ
أين حمصُ؟ أين أيامي بها؟	بعدها لم ألق شيئاً يُعجبُ
كم تقضى لي بها من لذةٍ	حيثُ للنهرِ خيرُ مطربُ
وحمامُ الأيكِ تشنُّ حولنا	والمثاني في ذراها تصخبُ
أيُّ عيشٍ قد قطعناه بها	نكرهُ من كلِّ نغمي أطيبُ
ولكم بالمرجِ لي من لذةٍ	بعدها ما العيشُ عندي يعذبُ
والنواويرُ التي تذكارها	بالنوى عن مهجتي لا تسلبُ
ولكم في شنتبوسٍ من منى	قد قضيناها ولا من يعتبُ
حيثُ هاتيك الشرابيبُ التي	كم بها من حسنِ بدرٍ معصبُ
وغناء كلِّ ذي فقرٍ له	سامعُ غصبا ولا من يغصبُ
بلدة طابت وربُّ غافرٍ	لنتني ما زلتُ فيها أذنبُ
أين حسنُ النيلِ من نهرٍ بها	كلُّ نغماتٍ لديه تطربُ
كم به من زندقٍ قد حلّه	قمرُ ساقٍ وعودُ يضربُ

لَذَّةُ النَّاطِرِ وَالسَّمْعِ عَلَى
كَم رَكِبْنَاهَا فَلَمْ تَجْمَعْ بِنَا
طَوَعْنَا حَيْثُ اتَّجَهْنَا لَمْ نَجِدْ
قَدْ أَثَارَتْ عَثِيرًا يُشْبِهُهُ
كَلَّمَا رَشْنَا لَهَا أَجْنَحَهُ
كَطَيُورٍ لَمْ تَجِدْ رِيًّا لَهَا
بَلْ عَلَى الْخَضِرَاءِ (١) لَا أَنْفَكَ مِنْ
حَيْثُ لِلْبَحْرِ زَيْبِرٌ حَوْلَهَا
كَمْ قَطَعْنَا اللَّيْلَ فِيهَا مَشْرِقًا
وَكُنَّا الْبَحْرَ ثَوْبٌ أَرْزَقُ
وَأَلَى الْحَوْرِ (٢) حَبِيبِي دَائِمًا
حَيْثُ سُلَّ النَّهْرُ عَضْبًا وَانْتَنَتْ
وَتَشَقَّتْ أَعْيُنُ الْعُشَّاقِ مِنْ
مَلْعَبُ لِلْهُوَ مَذْ فَارَقْتُهُ
وَأَلَى مَالِقَةَ يَهْفُو هَوَى
أَيْنَ أَبْرَاجُ بِهَا قَدْ طَالَمَا
حَفَّتِ الْأَشْجَارُ عِشْقًا حَوْلَنَا
جَاءَتِ الرِّيحُ بِهَا ثُمَّ انْتَنَتْ

شَمَّ زَهْرٍ وَكُفُوسٍ تَشْرَبُ
وَلَكُمْ مِنْ جَامِعٍ إِذْ يُرْكَبُ
تَعَبًا مِنْهَا إِذَا مَا تَتَعَبُ
نَثَرُ سُلُوكٍ فَوْقَ بَسْطٍ يُنْهَبُ
مِنْ قِلَاعٍ ظَلَمَتْ مِنْهَا تَعَجُّبُ
فَبَدَا لِلْعَيْنِ مِنْهَا مَشْرَبُ
زَفَرَةٍ فِي كُلِّ حِينٍ تَلْهَبُ
تُبْصِرُ الْأَغْصَانِ مِنْهُ تَرْهَبُ
بَحْيِيبٍ وَمُدَامٍ يُسْكَبُ
فِيهِ لِلْبَدْرِ طِرَازُ مَذْهَبُ
وَعَلَى شَنْبِيلٍ (٣) دَمْعِي صَيِّبُ
فَوْقَهُ الْقَضْبُ وَغَنَى الرَّبْرُ
حُورٍ عَيْنٍ بِالْمَوَاضِي تُحْجَبُ
مَا ثَنَانِي نَحْوَ لَهْوٍ مَلْعَبُ
قَلْبُ صَبٍّ بِالنُّوَى لَا يُقْلَبُ
حَثَّ كَأْسِي فِي ذَرَاهَا كَوُكْبُ
تَارَةً تَنَائَى وَطَوْرًا تَقْرُبُ
أَثَرَاهَا حَذَرْتُ مَنْ تَرْقُبُ

(١) يعني الجزيرة الخضراء، وقد قضى ابن سعيد فيها جانباً من حياته إذ كان والده والياً عليها، وكان هو ينوب عنه أحياناً.

(٢) الحور: حور مؤمل وهو من منتزهات غرناطة.

(٣) شنبيل هو نهر غرناطة.

وَعَلَى مُرْسِيَةٍ أَبْكِي دَمًا
 مَعَ شَمْسٍ طَلَعَتْ فِي نَاطِرِي
 هَذِهِ حَالِي، وَأَمَّا حَالَتِي
 سَمِعْتَ أَذْنِي مُحَالًا، لَيْتَهَا
 وَكَذَا الشَّيْءُ إِذَا غَابَ انْتَهَوْا
 هَا أَنَا فِيهَا فَرِيدٌ مُهْمَلٌ
 وَأَرَى الْأَحَاطَ تَنْبُو عِنْدَمَا
 وَإِذَا أَحْسَبُ فِي الدِّيَوَانِ لَمْ
 وَأُنَادِي مَغْرِبِيًّا، لَيْتَنِي
 نَسَبُ يَشْرُكُ فِيهِ خَامِلٌ
 أَتُرَانِي لَيْسَ لِي جَدُّ لَهُ
 سَوْفَ أَتُنِي رَاجِعًا لَا غَرْنِي

مَنْزِلٌ فِيهِ نَعِيمٌ مُعْشَبٌ
 ثُمَّ صَارَتْ فِي فُؤَادِي تَغْرُبُ
 فِي ذَرَا مِصْرَ فَفَكَّرْتُ مُتَعَبٌ
 لَمْ تُصَدِّقْ وَيَحَهَا مَنْ يَكْذِبُ
 فِيهِ وَصْفًا كَيْ يَمِيلَ الْغَيْبُ
 وَكَلَامِي وَلِسَانِي مُغْرِبُ
 أَكْتُبُ الطَّرْسَ أَفِيهِ عَقْرَبُ؟
 يَذِرُ كُتَابَهُمْ مَا أَحْسَبُ
 لَمْ أَكُنْ لِلْفَرَبِ يَوْمًا أَنْسَبُ
 وَنَبِيَّهُ، أَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرَبُ؟
 شَهْرَةٌ أَوْ لَيْسَ يُدْرِي لِي أَبُ
 بَعْدَ مَا جَرَيْتُ بَرَقَ خَلْبُ

المصدر: نفح الطيب: ج 2 ص 281-283.

5 - تهنئة ابن أبي الحسين بالقدوم

قال المقرئ في "نفع الطيب": قد كنت وقفت على بعض ديوان شعره المتعدد الأسفار، ونقلت منه قوله من قصيدة يهنئ ابن عمه الرئيس أبا عبد الله بن أبي الحسين بقدومه من حركة هوارة.

(الطويل)

أَمَّا وَاجِبٌ أَنْ لَا يَحُولَ وَجِيبُ	وَقَدْ بَعْدَتْ دَارُ وَخَانَ حَبِيبُ
وَلَيْسَ أَلِيفٌ غَيْرَ ذَكَرٍ وَحَسْرَةٍ	وَدَمَعٌ عَلَى مَنْ لَا يَرِقُّ صَبِيبُ
وَحَقُّ قُودٍ إِنْ هَافَا الْبَرْقُ خَافِقًا	وَشَوْقُ كَمَا شَاءَ الْهَوَى وَحَبِيبُ
وَيَعْذِلُنِي مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَا الْهَوَى	وَعَذْلُ مَشُوقٍ فِي الْبُكَاءِ عَجِيبُ
أَلَا تَعْسَ اللَّوَامُ فِي الْحَبِّ قَدْ عَمُوا	وَصَمُّوا وَدَائِي لَيْسَ مِنْهُ طَبِيبُ
يُرْمُونَ أَنْ يَبْتَنِي الْمَلَامُ صَبَابَتِي	وَلَيْسَ إِلَى دَائِي الْمَلَامُ أُجِيبُ
وَقَائِي إِذَا مَا غَبْتُ عَنْكُمْ مُجَدِّدُ	وَعِيرِي ذُو غَدْرِ أَوَانَ يَغِيبُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي الْوَفَاءُ سَجِيَّةُ	لَكُنْتُ لِغَيْرِ ابْنِ الْحُسَيْنِ أَتِيبُ
سَمَوَالُ هَذَا الْعَصْرِ حَاتِمُ جُودِهِ	مُهَلِّبُهُ ^(١) إِنْ مَارَسَتْهُ حُرُوبُ
فَتَى سَيْرَ الْأَمْدَاحِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا	أَبُو دَلْفٍ ^(٢) مِنْ دُونِهِ وَخَصِيبُ

(١) المهلب بن أبي صفرة أبو سعيد أمير جواد ويطاش، نشأ بالبصرة وولي أمارتها لمصعب بن الزبير، كان يقاتل الأزارقة ولاء عبد الملك بن مروان خراسان سنة 79 ومات فيها سنة 83 هـ. كان شعاره في الحرب: "هم لا يتصرون".

(٢) أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي من بني عجل، أمير الكرخ وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء، كان من قادة جيش المأمون، توفي ببغداد سنة 226 هـ وللشعراء فيه امداح كثيرة وله مؤلفات.

إِذَا رَقَمَ الْقِرْطَاسَ قُلْتَ ابْنُ مُقَلَّةٍ⁽³⁾ وَإِنْ نَثَرَ الْأَسْجَاعَ قُلْتَ سَمِيَهُ
وَإِنْ سَرَدَ التَّارِيخَ قُلْتَ عَرِيبُ⁽⁴⁾ وَمَا أَحْرَزَ الصُّوْلِي⁽⁵⁾ آدَابَهُ الَّتِي
وَإِنْ نَظَّمَ الْأَشْعَارَ قُلْتَ حَبِيبُ إِذَا مَا تَلَاهَا لَمْ يُجِبْهُ أُدِيبُ

ومنها:

وَأَمَّا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَخْمَدَ نَارَهَا فَكَمْ قَارَعَ الْأَبْطَالَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
وَكَاثِنٌ لَهُ بِالْغَرْبِ مِنْ مَوْقِفٍ لَهُ بِمِرْكَسٍ سَلَّ عَنْهُ تَعَلَّمَ غَنَاءَهُ
إِذَا مَا ثَنَى الرُّمْحَ الطَّوِيلَ كَأَنَّهُ وَإِنْ جَرَّهُ أَبْصَرَتْ نَجْمًا مُجَرِّدًا
يَهِيمُ بِهِ مَا إِنْ يَزَالُ مُعَانِقًا مُحَمَّدٌ، لَا تُبْدِ الَّذِي أَنْتَ قَادِرُ
نُقُودُ سِهَامِ الْعَيْنِ أَوْدَى بِمُصْنَعٍ أَلَا فَهَنِيئًا أَنْ رَجَعْتَ لِتُونِسٍ
وَقَدْ سَاءَ لَهُمْ يَوْمَ هُنَاكَ عَصِيبُ فَفِيهِ تَلَطَّى مَارِجٌ وَلَهِيْبُ
مَدِيرُ لِفْصَنِ الْخِيزَانِ لَعُوبُ نَحَاها وَكَمْ لَفَّتْ عَلَيْهِ حُرُوبُ
نَوَابِتُهُ، مِنْهُ الْكِمَاءُ تَنُوبُ حَدِيثُ إِذَا يَتْلَى تَطِيرُ قُلُوبُ
لَهُ رَاكِعَاتٍ مَا تَحُوزُ كَعُوبُ وَقَدْ سَاءَ لَهُمْ يَوْمَ هُنَاكَ عَصِيبُ
عَلَيْهِ، وَخَفَ عَيْنًا عُلَاكَ تَصِيبُ مَدِيرُ لِفْصَنِ الْخِيزَانِ لَعُوبُ
وَطَاحَ بِهِ بَعْدَ الشُّبُوبِ شَبِيبُ نَوَابِتُهُ، مِنْهُ الْكِمَاءُ تَنُوبُ
فَاطَلَعَتْ شَمْسًا وَالسَّفَارُ⁽⁶⁾ غُرُوبُ لَهُ رَاكِعَاتٍ مَا تَحُوزُ كَعُوبُ

(3) ابن مقلة: محمد بن علي بن الحسين بن مقلة أبو علي وزير للعباسيين يضرب بحسن خطه المثل. مات في السجن سنة 328 هـ ولقي نكبات عديدة في حياته.

(4) عريب بن سعد القرطبي، طبيب مؤرخ من أهل قرطبة اختصر تاريخ الطبري وأضاف إليه أخبار إفريقية والأندلس فسمي "صلة تاريخ الطبري". توفي سنة 369 هـ.

(5) الصولي: محمد بن يحيى أبو بكر ويعرف بالشاطرنجي، من أكبر علماء الأدب. نادى ثلاثة من خلفاء بني العباس، وله تصانيف كثيرة. توفي سنة 335 هـ.

(6) السفار: أي السفر.

كواكبها تبدو إذا ما تركتها
إذا سُدَّتْ في أرضٍ فقيرك تابعٌ

ومنها:

كفاني أني أستظلّ بظلكم
فأصلك أصلي والفروعُ تباينتُ
وحسبي فخراً أن أقول محمدُ
تركتُ جميعَ الأقربين لقصده
رأيتُ به جناتِ عدنٍ فلم أبلُ
فقبلتُ كفاً لا أعابُ بلثمها
وكيف وليس الرأسُ كالرجل، فرقت
ولو كان قدري مثل قدرك في العلا
ولولا الذي أسمعُ من مكرٍ حاسدٍ
لما كنتُ محتاجاً لقولي أنفاً
إذا كنتُ ذا طوعٍ وشكرٍ وغبطةٍ
لقد كنتُ معتاداً ببشرٍ فما الذي
إن رفع السلطان سعيي بقدركم
فأحسبُ ذنبي ذنبَ صخرٍ⁽⁷⁾ بدارها

وقد جعلتُ مهما حضرت تغيبُ
علاك، ومهما ساد فهو مريبُ

ومن هاب ذاك المجد فهو مهيبُ
بعيدٌ على من رامه وقريبُ
نسيبُ عليّ جلّ منه نصيبُ
على حين حانت فتنةٌ وخطوبُ
إذا وصلتنا للخلود شعوبُ
وأيدي الأيادي لثمنٌ وجوبُ
شياتٌ لعمرى بيننا وضروبُ
لحقٌ بأن يعلو الشباب مشيبُ
أتاك بقولٍ وهو فيه كدوبُ
تخلّيتُ من ذنبٍ وجئتُ أتوبُ
فمن أين لي يا ابن الكرام ذنوبُ
تقلدته حتى يزال قطوبُ
أحلأ عن وريدٍ لكم وأخيبُ
إلى البرِّ عند الخابرين معيبُ

(7) ذنب صخر: مثل، وذلك أن لقمان بعد أن قتل زوجته لقيته ابنته صخر فقتلها أيضاً قائلاً وهل أنت إلا امرأة؟ دون ذنب جنته، فضرب بذلك المثل.

وحاشاك مِنْ جودِ عليٍّ، وإنَّما
صحابُ هم الداءِ الدفينِ فليتني
كلامُهُمْ شَهِدٌ ولكنَّ فعلهم
سأرحلُ عنهم والتَّجاربُ لم تدعُ
إذا اغترَبَ الإنسانُ عَمَّنْ يسوءه
فداركُ برأبٍ منك ما قد خرقتُهُ
ولا تستمعُ قولَ الوشاةِ فإنَّما
فيا ليتَ أَنِّي لم أكن متأنِّباً
وكنْتَ كبعضِ الجاهلينِ محبباً
وما إنْ ضربتُ الدَّهرَ زِيداً بعمره
أَشْكوكَ أمْ أَشْكُو إِلَيْكَ فما عدتُ
سأشْكُرُ ما أولي وأصبر للذي
قدَّم في سرورٍ ما بقيتُ فأبنتي

أخاطبُ مَنْ أَصْفِي له فيشوبُ
ولم أدنُ منهم، للذئابِ صُحوبُ
كَسَمَّ له بين الضُّلوعِ ديبُ
بِقَلبي لهم شيئاً عليه أثيبُ
فما هو في الإبعاد عنه غريبُ
ليحسنَ مِنِّي مشهدٌ ومغيبُ
عدوُّهم بين الأنامِ نجيبُ
ولم يك لي أصلُ هناك رَسوبُ
فما أنا للهَمِّ المَلَمِّ حبيبُ
ولم يك لي بين الكرامِ ضريبُ
عداتي حتَّى حان منك وثوبُ
توالى، على أن العزاء سليبُ
وحقَّكَ مذ دَبَّ الوشاةُ كئيبُ

المصدر: نفح الطيب: ج 2، ص 274-277.

6 - لهو وطرب

(البسيط)

إذا الغصون غدت خفاقة العذب⁽¹⁾ فاسجد هُديتَ الى الكاسات واقترِبِ
وطارح الودق في أوراقها طربا ومل إذا مالت الأغصانُ من طربِ
وانهض إلى أم دفر⁽²⁾ بنت دسكرة تجلي عليك بإكليل من الذهب
وانظر إلى زينة الدنيا وزخرفها في روضة قد وشتها أنملُ السُحب
ولالأزاهر أصداقُ محدقةً قد كحلتها يمينُ الشمس بالذهب

المصدر: فوات الوفيات: ج 2 ص 90.

7 - لولاندي يحيى

وقال يمدح أبا زكرياء يحيى الحفصي:

(الرجز)

من ذا الذي يبخل في تونس والملاح فيها صار عذبا قراح؟
وأصبحت أرجاؤها جنة مبيضة الأرجاء خضر البطاح

(1) العذب: ج عذبة: أغصان الشجرة.

(2) أم دفر هي الدنيا والداية ويقال أم دفار أيضا والدفر: النتن، وهنا يعني الخمرة.

لولا ندى يحيى وتدبيره ما برحت تَغِيرُ منها النّواح⁽¹⁾
لكن يدها سحْبُ كُلِّما حَلَّتْ بأرض حلّ فيه النّجاح
هذا وقد أَمَنَ من حلّها وحفّها من غربة وانتزاح
يا سائرا يرجو بلوغ المُنَى باكر ذرّا يحيى وقل: لا رواح⁽²⁾
وحية بالمدح فهو الذي يهتز كالهنديّ حين امتداح
بالشرق والغرب غدا ذكره يحثُّ من حمدٍ وشكرٍ جناح
ساعده السَّعْدُ وأضحت له آمالنا تجري بغير اقتراح...

المصدر: ابن سعيد المغربي: ص 171 - 172.

8 - العزوبية

قال في حياة العزوبية:

(البسيط)

أنا شاعر أهوى التخلّي دون ما زوج لكيما تخلّص الأفكار
لو كنتُ ذا زوج لكنتُ منغصاً في كلّ حين رزقها أمتار
دعني أريح طول التفرب خاطري حتّى أعود ويستقرّ قرار
كم قائلٍ لي ضاع شرخُ شبابه ما ضيعته بطالة وعقار

(1) تغير أي تفرّج من الغيرة، والنواح: النواحي جمع ناحية .

(2) ذرا الشيء : كفه وجانبه، وباكر نراه أي انهض مبكرا إلى كنف الممدوح يحيى.

إذ لم أزل في العلم أجهد دائماً حتى تأتت هذه الأبيكار
 مهما أُرُم من دون زوج لم أكن كلاً ورزقي دائماً مدارُ
 وإذا خرجتُ لفرجةٍ هنيئتها لا صنعة ضاعت ولا تنكارُ

المصدر: نفح الطيب: ج 2 ، ص 268.

9 - طلب

كتب الى أبي عبد الله محمد بن أبي الحسين:

(المتقارب)

أخا الجود طال شوقي إلى شمسٍ بواطنها مُقْمِرَه
 تجيء مع الورد في فصله وأوجُّها للمنى مُسْفِرَه
 وتصحيفها يقتضي حُبَّها وبالضدَّ يَقْضِي لمن غَيْرَه
 وأكثرُ وجدي بها عندما تُعْضُ فتضحكُ مُسْتَبْشِرَه

المصدر: القدح: ص 10.

10 - حنين إلى جِلْقَ

(الكامل)

لله من أقطار جِلْقَ روضةٍ راقَت لنا حيث السحاب يراق
 وتلوّنت أزهارها فكأنما نزلت به الأحبابُ والعشاق

أنا من علّمتُ بشوقه ذَكَرَ الحِمَى وتساق رُوحِي والرَّكاب تساق
أخلصتُ في حَبِيٍّ وكم من عاشق فيما ادّعاه من الغرام نَفَّاق
يدعو الحَمَامُ وترقص الأغصانُ من طرب بهم وتصفّق الأوراق
وحدي جمعت من الهوى مثل الذي جمعوا كذلك تُقَسِّم الأرزاق

المصدر: فوات الوفيات: ج 2 ، ص 90.

11 - السفر إلى تونس

قال ابن سعيد:

حللت في بعض سفراتي بطرابلس فبكرت يوما إلى المدرسة التي أنشأتها
بها الهمّة العلية الامامية المنتصرية فدخلت إليها، وقعدت مسرّحا طرفي في
روضة حبق حبّست حاستي البصر والشمّ عليها، ثمّ قلت:

(البيسيط)

يا حبذا نسمةً هبّت لناشقتها غبّ الكرى سحرًا من روضة الحَبَقِ
حسبْتُها عندما هبّت وقد نَعَشَتْ ببِلّةٍ من نداها رُوحَ منتَشِقِ
قَرَنْقُلَ الهند قد وافى التجارُ به محافظين على نشرٍ له عِبَقِ
فعندما فضّه الداويُّ ذَكَرني بطيبه طيبَ عيش مرٍّ لي أنَقِ
بتونس أنْسَ الرّحمان ساحتها وسُقَيْتُ أبدا بالعارض الغدِقِ
ولا أموت إلى أن ألتقي قمرًا للحسن مطلعَه من ذلك الأفَقِ

المصدر: رحلة التجاني: ص 252.

قال مجيباً أحمد الغساني من المشرق عن قصيدة:

(الكامل)

أُطْلَعْتَ فِي لَيْلِ الشَّوْقِ أَنْجُمًا
لَمَّا بَعُثْتَ مُسَائِلًا وَمُسْلَمًا
لَوْلَا كِتَابُكَ ظَلْتُ فِيهِ حَانِرًا
حَيْثُ اتَّجَهْتُ رَأَيْتُ جُنْحًا مُظْلَمًا
وَأَفَى وَأُفْقِي حَالِكٌ فَأَنَارُهُ
وَأَوَامُ شَوْقِي مُؤَلِّمٌ فَشَفَى الظُّلْمَا
أَوْدَعَتْهُ قَلْبِي فَفَاحَ نَسِيمُهُ
فَكَأَنَّمَا نَدَى^(١) بِجَمْرِ ضُرْمَا
فَرَدَدَتْهُ فِي نَاطِرِي فَكَأَنَّمَا
زَهْرُ الرِّيَاضِ سَقَيْتُهُ مَاءَ السَّمَاءِ
فَرَدَدَتْهُ فِي مَسْمَعِي فَكَأَنَّمَا
طَيْرٌ أَمَالَ الْغُصْنِ حِينَ تَرَنَّمَا
عَهْدِي بِصَدْرِكَ مِثْلُ بَحْرِ زَاخِرٍ
لَا غَرَوْ أَنْ أُرْسِلْتَ دُرًّا نَظْمًا
عَهْدِي بِكَفِّكَ مِثْلُ غَيْثٍ هَاطِلٍ
لَا غَرَوْ أَنْ أَهْدَيْتَ زَهْرًا نُمْنًا

(١) بالمقتطف، نور.

مَا طَرُسُهُ إِلَّا كَجَمْرِ سَاطِعٍ
 رَقَمَ الْعَذَارُ بِصَفْحَتَيْهِ أَرْقَمًا⁽²⁾
 إِلَيْهِ أَبَا الْعَبَّاسِ بَعْدَكَ لَمْ أَزَلْ
 مَهْمًا تَدُرُ مَشْمُولُهُ مُتَجَهَّمًا
 مُتَمَنِّعًا مِنْ شَرِبِهَا إِذْ خَلَتْهَا
 سَمًا إِذَا مَا خَلَتْ كَأْسُكَ عَلَقَمًا
 وَلَقَدْ بَكَيْتُ فَلَمْ أَجِدْ فِي الْجَفْنِ مَا
 أَبْكِي بِهِ إِذْ كُنْتُ أَبْكِيَتِ الدَّمَ
 وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ شَوْقَكَ جَانِبُ
 مَهْمًا رَأَيْتَ مَكَانِي الْمُتَوَهَّمًا
 أَوْ مَا تَدُلُّ عَلَى الْوَفَاءِ رِسَالَةً
 قَطَعْتَ عَلَى حَالِ التَّقَاطُعِ خِضْرًا⁽³⁾

المصدر: القدح ص5، والمقتطف من أزهار الطرف: ص 163 - 164.

13 - سبب خروجه من تونس

قال لما خرج من حدود افريقية:

(الطويل)

رفيقيّ جاوزنا حدود موطنٍ
 وما إن تركناها لجهلٍ بقدرها
 صحبنا بها الأيَّامَ طَلَقًا مَحْيَاها
 ولكن ثُنْتُ عَنَّا أَعْنَةً سُقْيَاها
 فسرنا نَحْثُ السَّيْرِ عَنْهَا لغيرها
 إلى أن يَمُنَّ اللَّهُ يَوْمًا بَلْقِيَاها

المصدر: نفح الطيب: ج 2 ، ص 327.

(2) بيت مضاف عن القدح.

(3) الخضرم: البحر الواسع الكثير الماء.

أحمد بن السَّكَّان

(ت بعد 688)

أبو العباس أحمد بن محمد بن ميمون الأشعري المالقي المعروف بابن
السَّكَّان عالم وشاعر مطوّل. من تأليفه:

- خلاصة الصِّفا من خصائص المصطفى: قصيدة تأثية في 320 بيتاً.

- كتاب اكمال تذييل ابن فتحون على كتاب الاستيعاب لابن عبد البر في
تراجم الصحابة.

- كتاب الاطلاع على ما يلزم في رفع الأيدي في الصلاة من الاتباع.

- برنامج شيخه أبي بكر بن حبيش.

1 - أعجب العجائب

(مخلع البسيط)

وَتَرَكِي الذُّنْبَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ أَكْذُ مِنْ فَعْلِي الرَّغَائِبِ
فَمِيلَ نَفْسِي لِعَكْسِ هَذَا النَّـ عَظَامَ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ

2 - مطلب

(المتقارب)

أَيَا خَالِقَ الْخَلْقِ لِي مَطْلَبُ وَمَا لِي سَبِيلُ لَأَسْبَابِهِ
غِذَاءُ حَلَالٍ بَلَا مِئَةٍ وَثَوْبُ وَبَيْتُ لَأَثْوِي بِهِ
وَجُودِكَ أَمَلْتُ يَا خَالِقِي فَقَدْ جِئْتُكَ لِلْبَيْتِ مِنْ بَابِهِ

3 - مدح النبيء

قال من قصيدة في 320 بيتا استوعب فيها معجزات النبيء صلى الله عليه وسلم وعنوانها: "خلاصة الصفء من خصائص المصطفى" أولها:

(الطويل)

لأحمد خيرِ الخلقِ أهدي تحيَّتي محمَّدُ الْآتِي بِحُكْمٍ وَحِكْمَةٍ
مدحتُ رسولَ اللهِ والمدحُ دونه ولو ملأَ المَدَاحُ كُلُّ صَحِيفَةٍ
ولو كان كالبحرِ المحيطِ مدادُه وكالشجرِ الأقلامُ ما قَطُّ جَفَّتْ

يُمَدُّ مَدَى الدُّنْيَا بِسَبْعَةِ أَبْحَرٍ لَمَّا بَلَغَتْ مِنْ مَدَحِهِ عَشْرَ حَبَّةٍ
 كَفَاهُ ثَنَاءُ اللَّهِ فِي الْفَتْحِ وَالضُّحَى^(١) وَتَكَرَّرُهُ إِيَّاهُ فِي غَيْرِ سُورَةٍ
 فَمَاذَا يَقُولُ الْعَالَمُونَ وَرَبُّهُمْ كَسَاهُ مِنَ الْأَمْدَاحِ أَسْبَغَ حُلَّةً
 وَلَكِنَّ فِي جَهْدِ الْمَقَلِّ لِنَفْسِهِ رَجَاءً وَحُسْنُ الظَّنِّ بَيْتُ قَصِيدَتِي

المصدر: رحلة العبدري: ص 269 - 270.

4 - باب الله

(الكامل)

مَنْ كَانَ يَرْجُو الْخَلْقَ فِي حَاجَاتِهِ خَانَ الَّذِي يُرْجَى وَخَابَ الْمُرْتَجَى
 فَاقْصِدْ إِلَهَ الْخَلْقِ إِمَّا حَاجَةً عَرَضَتْ فَبَابِ اللَّهِ غَيْرُ مَرْتَجٍ

5 - فكرة

(البسيط)

تَقَرَّبَ النَّاسُ لِلْمَوْلَى بِجَهْدِهِمْ مِنْ مَدَحٍ مِنْ سَادِ كُلِّ الْخَلْقِ فِي الْأَزَلِ
 أَمْوًا الْجَنَابَ بِأَمْدَاحٍ وَمَعْذَرَةٍ وَحُمْتُ حَوْلَ الْحَمَى فِي غَايَةِ الْخَجَلِ
 ثُمَّ أَطَّلَعْتُ عَلَى تَقْصِيرِ مُطَنِّبِهِمْ فَالْعَجْزُ عَنْ مَبْدَأِ الْإِدْرَاكِ مِنْ عَمَلٍ

(١) يريد سورتي الفتح والضحى.

6 - أَرْكَى الْخَلِيقَةَ

(البسيط)

أَرْكَى الْخَلِيقَةَ خُلُقًا عِنْدَ خَالِقِهِمْ نَوَ حَرْفَةً عَنِ سَوَالِ النَّاسِ تُغْنِيهِ
وَخَيْرَ مَا اتَّصَفَ الْمَرْءُ التَّقِيُّ بِهِ فِي دَهْرِهِ تَرْكُهُ مَا لَيْسَ يَغْنِيهِ

7 - الشَّهَادَةُ

(الطويل)

يَقُولُونَ لِي إِنَّ الشَّهَادَةَ مَكْسَبٌ وَلَمْ تَشْتَغَلْ يَوْمًا بِصَرْفِ الْمَنَى لَهَا
فَقُلْتُ لَهُمْ: لِي فِي الشَّهَادَةِ مَذْهَبٌ أَنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَرْجُو مَنَالَهَا

مصدر هذه المقطوعات: رحلة العبدري: ص 270 - 271.

يُوسُفُ بْنُ السَّمَّاطِ

(613 - 690)

أبو يعقوب يوسف بن علي بن عبد الملك بن السَّمَّاط البكري المهدوي، ولد ونشأ بالمهدية وأخذ عن علمائها أمثال أبي زكرياء البرقي وانتقل الى تونس واشتهر فيها بالمدح النبوي، وكان ديوانه منتشرا لما فيه من نفس ديني رقيق وروحانية سامية. توفي بتونس في شعبان سنة 690 .

1 - مدحیة نبویة

(الطویل)

سریتم وطرْفی فی کرّی العزم ما هبّا وطرف انتهاضي في مدى الحزم ماخبّا⁽¹⁾
وثرتم طلاب العزّ من دون ناصر قصاراه ذیل الذلّ يسحبه سحبّا
وأخلّیتُم هالاتکم من بُدورها فما عوّضتْ إلّا الغیاهبَ والسُحبّا
وعاني هواکم لا معین له سوى صدی صوته في الربیع ما ردّد النّدبا
وما كان ندب يستلذّ وإنّما یلذّ سماع النّذب من فارق النّدبا
ولي مهجة تفنی لتذکارکم أسی وجفن یراعي في مراكزها الشّهبّا
لیالی تسري لي صباکم علیة فیا لعلیل منه ألتمس الطّبّا
رحلتُم وغادرتُم غریبا غرویه تصبّ مصوّن الدّمع مذ بنتم صبا
وخلّفتُم داء التّواني محالفي وأنّی لبادي السّقم أن یصحب الرّکبا
وهیجتُم هیج الغرام فأنتجت لکم من فحول الصّدق في تصدکم نُجبا
فسارت وحاديها احتدام زفیرها فما میّزت وعرا ولا فدفا رجا
وسیقت وما قاست کلّالا ولا وجی وقد سقتمُ مع کلّ راحلة قلبا
وما أدلجت تشني إلى العشب لیّتها ولکنّ في وادي العقیق لها عشبّا
فهم جيرة أخلّق براجي جوارهم ولو باد في البیداء أن یحمد الغبّا
منیف علی السّبع الطّباق علاؤهم وإن أسکنوا فیما یراه الوری التّربّا
دعوکم ولم یرضوا سماعی دعاءهم ولو أسمعونی کنت أوّل من لّبی

(1) الطّرف: ج طرفوف وأطراف: الکریم الطرفین أي الأب والام من غیر النّاس کالخیل ونحوها.

ومن كان حفظ العهد سيماه أقبلوا
ومن كُلفت عينُ العناية رعيه
ومن عاقه نيل المقادير لم تطق
على أنني لا أنزل اليأس ساحتي
وقد جاء أن المرء مع من أحبه
فحسبي رجائي أن يمنوا بعطفهم
ولم لا ونيران القرى في ذراهم
ولا غرو أن يلقي الطفيلي ماجد
وإن هم جفوني سوف أهدي إليهم
ومن صد عنه الحب فليفس مدحه
وما القصد والمعني بالرمز والكنى
ومن شاهدت عيناه من ملك ربه
فسبحان من أعطى النبي محمدا
فيا غوث من غال الحمام حماته
أحاشيك يا كلّ المنى أن تنودني
ودب كريم غض عن ورد واغل
لئن قصرت خطوي إليكم خطيئتي
فمن شيمة العبد الفرار لربه

عليه وإلا أسبلوا دونه الحجا
حمته المقام الدحض والمرتقى الصعبا
بأرض المنى أقدام إقدامه ضربا
وقلبي على بعدي يهيم بهم حبا
عن الصادق المصدق فيما به أنبا
وأن يعقبوا للبعد من وصلهم قريبا
تنادي إلى ناديم العجم والعربا
بوجه به يلقي المعارف والصحبا
سلامي لعلّي بالرّضى منهم أحتبى
فإن امتداح الحب يستنزل الحبا
سوى من على كلّ النبيين قد أربى
وآياته ما يعجز الكتّاب والكتّبا
من الفضل ما لم يعطه قبل من نبا
ويا خير من أوى اليتامى ومن ربى
عن الحوض يوم العرض أو أمتع الشربا
حياء إذا وافاه يتبع السربا
وذبتني الأوزار عن بابكم ذبا
ومن شيم السادات أن يغفروا الذنبا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 381 - 384 ومنها مقاطع بعنوان الأريب: ج

1 ص 78.

2 - تشوق إلى زيارة النبي

(الكامل)

وَالصَّبْرَ عَنْ وَادِي الْعَقِيقِ عُقُوقُ	رَعْيُ الْحَقِيقِ كَمَا عَلِمْتَ حَقِيقُ
شَغَفٌ يَسُوقُ نَفُوسَنَا وَيَشُوقُ	وَلَأَهْلَ ذِيكَ الْحَمَى بِقُلُوبِنَا
تَشْفَى بِهِ مَرْضَاهُمْ وَتَفِيقُ	وَلَذِكْرَهُمْ بَرْدٌ عَلَى طَيِّ الْحَشَى
فَلَنَا صَبُوحٌ بِاسْمِهِ وَغُبُوقُ	وَإِذَا ثَنَى عِطْفُ النَّزِيفِ صَبُوحِهِ
حَتَّى انْتَنَى كَالْمَسْكَ وَهُوَ فَتِيقُ	قَوْمٍ لَهُمْ طَابَ النَّسِيمُ بِطَيِّبَةِ
وَبِقَاعِهَا كُلِّ الْبَقَاعِ تَفُوقُ	وَعِذَا ثَرَاهَا لِلشِّفَاءِ مَرَاشِفَا
مَنْ شَاطِئُ يَأْوِي إِلَيْهِ غَرِيقُ	وَمَزَارِعُ أَشْهَى إِلَى عِشَاقِهَا
شَرُفَتْ بِهِ فَنَّةٌ وَعَزُّ فَرِيقُ	شَرَفًا بِأَشْرَفِ مُرْسَلٍ وَأَعَزُّ مِنْ
خَلْقٍ بِكُلِّ الْمَكْرُمَاتِ خَلِيقُ	هُوَ صَفْوَةُ اللَّهِ الشَّفِيعُ وَمَنْ لَهُ
وَنَبَا أَبٍ وَأَخٍ وَفَرٌّ رَفِيقُ	سَدَّدُ الْعَصَاةِ إِذَا الصَّحَائِفُ أَفْصَحَتْ
وَالْمَجْتَبَى وَالصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ	هُوَ أَحْمَدُ وَمُحَمَّدٌ وَالْمُصْطَفَى

ومن أبيات هذه القصيدة :

وَالْحِظُّ يَكْبُو وَالْقَضَاءُ يَعُوقُ	كَمْ ذَا أَوْمَلُ أَنْ أَزُورَ ضَرِيحِهِ
فَاخْلَوْلَقْتُ وَفْشًا بِهَا التَّمْرِيقُ	وَيَدُ الْمَشِيبِ تَنَاوَلَتْ حُلَّ الصَّبَا
وَمُضَاجَعَاهُ الصِّهْرُ وَالْفَارُوقُ	لَكِنَّهُ ذَخْرِي لِمَوْقِفِ فَاقْتِي

صلى عليه الله ثمّ عليهما ما زان جيدَ حمامةٍ تطويقُ
وأرت تباشيرُ الصّباح تبسّما وانقاد غصنُ النّسيم وديقُ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 384 - 385. والمجمل: ص 208 - 209
وأسقطت منها أبيات ومنها أبيات في عنوان الأريب: ج 1، ص 78 - 79.

3 - لعلّ نسيمات الضحى

(الطويل)

لعلّ نسيماتِ الضّحى والأصائلِ	تؤدّي إلى مَغْنَى الحبيبِ رَسَائِلِي
وتُهدّي إذا مرّت سُحيراً بربّعه	سلامي إلى بدرٍ بِطَيِّبَةِ أَقْلِ
عليّ لدى الأعلى لذلك أصبحت	منازلُهُ تعلو مَجَرُّ المنازلِ
وكلّ الأمانِي في غدوّ رواسمِ	إلى رسمه أو في رواحِ رواحِلِ
إذا يَمّ الحادي بها حضرةَ العلا	أرثك انسيابَ الفلّك تحت المحاملِ
وألقت إلى كفّ السرى مفقود الكرى	كما بالطوى طابت لِطَيِّ المراحلِ
وإنّ مال ذو وجد الى شعبه هوى	تجدّها لذاك الشّعب أوّل مائلِ
وما سَوَّقها بل شوقها يستحثّها	حنيثَ أخي الإملاق يدعى لنائلِ
ومن عَجَبِ هُوجٍ تهيجُ لها الصّبا	صباةً عُدْرِيّ لطيفِ الشّمائلِ
وتهوى بروقا بالعقيق تألّقت	كما جرّدت بيضُ بأيدي الصّيّاقلِ
حنينا لمن في كفّه سَبَّحِ الحصى	وأنسى خطابُ النّصبِ سَحْبَانِ وائلِ
وكم آية دَلّت على صدقه فما	ألَبَّ لها الإنكار في لبّ عاقلِ
وكم قاصد أقصى مدى معجزاته	تلقاه بحرٌ لا يُحدُّ بساحلِ
رسول أتى والغنيّ وارت غيومُهُ	تجوم الهدى والرّشدِ عن كلّ غافلِ

ووافى ودين الكفر قامت دعائه
فلما بدت آياته وهباته
وضاق الفضاضيق اللحد عليهم
تلقى كتاباً شرعُ ذي العرش شرعه
تولى أمينُ الوحي جبريلُ حملَه
حوى وعد وهاب وإنفاذَ قاهر
ووعظاً بأهوال المعاد مخوفاً
ودينا الى دار المقامة مديناً
وزجراً بما يلقاه مَنْ زاغ مِنْ لظى
وفي كلِّ ما يتلو الرسولُ دلالةً
هو المصطفى من قبل تكوين آدم
حبيبٌ وحبأتُ القلوب كناسه
له غابة من صحبه هو ليثها
صدورُ اذا حلوا بنادٍ وفي الوغى
أشداءُ والهيحاء حامٍ وطيسها
فكم من عديم صار فيهم كمترف
كذا فليكن حسنُ الثناء لِسادة
على من به سادوا الورى وعليهم
فحتى متى اشتاقهم وتغرّني
وما المرءُ إلا ظاعنٌ مترحلٌ
وإسفار صبح الشيب عن ليل لتي

بباطال تحقيق وتحقيق باطل
بدا النقص فيما أبرموا في المحافل
فلا بال إلا وهو رهن البلبال
وحدُ المناص فيه حدُ المخاضيل
فأكرم بمحمول إليه وحامل
وتتزيه قنوس واحكام عادل
وعلماً بأنباء القرون الأوائل
ويشربى بشكر السعي من كلِّ عاقل
إذا قيد قومٌ نحوها بالسلاسل
على صدقه من واضحات الدلائل
على الخلق من آبائهم والحلائل
إذا بؤى المحبوبُ خيرَ المنازل
لديهم مريزُ الموت عذبُ المناهل
صدورهم تلقى صدورَ العوالم
نور رحمةٍ بالبائسات الأرامل
وكم من غريب صار فيهم كأهل
متى أملوا لم يخلفوا ظنَّ أمل
سلامٌ كنور الروض بين الخمائل
أمانى وإمهالٌ بتسويق باطل
معارُ لأوقات تمرّ قلائل
دليل على ظلُّ من العمر زائل

ولما تقضت في التواني شبيبتي وأصبحت من جرأتها في حباثل
 ولم يبق لي إلا التفاني بأدمع على طول تفريطي هوامِ هواملِ
 وكلُّ يرى أن المديح وسيلة لكل كريم من أجلِّ الوسائل
 مدحتُ الشفيع المصطفى غير قائم بمعشار ما يُحصى له من فضائل
 وما المدح فيمن يحسن المدح باسمه وأوصافه إلا كتحصيل حاصل
 ولكنه جهدُ المقلِّ لِقاصر عن الفرض في تعظيمه والنوافل
 ألم يك قولُ الله في رفع ذكره وهل بعد قولِ الله قولُ لقائل

المصدر: رحلة التَّجاني: ص 385 - 388.

4 - أَعِيدَ الْحَدِيثُ

(الكامل)

أَعِيدَ الْحَدِيثُ فَلَيْسَ بِالْمَلُولِ عَنْ خَيْرِ مَبْعُوثٍ وَخَيْرِ رَسُولٍ
 وَأَمَلًا مَسَامَعَنَا بِطِيبِ حَدِيثِهِ فَهُوَ الشِّفَاءُ لِحَرٍّ كُلِّ غَلِيلٍ
 وَادَابُ عَلَيْهِ مَصْلِيًّا وَمَسْلَمًا فَكَذَا أَتَى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ
 وَأَخْصَصُ بترداد السَّلامِ ضَرِيحَهُ فِي كُلِّ شَارِقَةٍ وَكُلِّ أَصِيلٍ
 وَإِذَا رَأَيْتَ الْعَيْسَ تُحْدِي نَحْوَهُ فَاخْتَرِ مَوَاطِنَهُنَّ لِلتَّقْبِيلِ
 وَاشْفَعْ بَمَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَكْوَارِهَا مِنْ حَامِلٍ لَغْرَامِهِ مَحْمُولٍ
 وَأَصْحِبْهُمْ بِالْقَصْدِ إِنْ وَنْتَ الْخَطِيَّ وَرَأَيْتَ بَاعَ الطَّوْلِ غَيْرَ طَوِيلٍ
 فَعَسَى يَنَالُكَ مِنْ زَكَاةِ زَكَائِهِمْ مَا قَرَّرَ الْقَرَأْنُ لِابْنِ سَبِيلٍ
 وَمَنْ اقْتَدَى بِالصَّدَقِ فِي انْحَائِهِ قَادَتُهُ عَزَمَتْهُ بَغِيرُ دَلِيلٍ
 وَمَنْ اشْرَأَبَ إِلَى لِقَاءِ حَبِيبِهِ جَذَبَ الْمَقَادَةَ مِنْ يَدِ التَّعْلِيلِ
 وَأَمَاطَ سَوْفَ وَمَجَّ رِيقَهُ رِقِّهِ بِلَهَا الْعَزِيمَةَ مِنْ فَمِ التَّأْمِيلِ

حتى يرى البيداء وثبة خائف
كلُّ الجمال متى أرى لك زائراً
فرحاً بمغناك المقدس تربه
مترنحاً طرباً ترنح منتش
فهناك أظفرُ بالأمانى والمنى
وتهزني من طيب طيبة نفحة
وإذا أسأتُ تأدباً بجماكم
من ذا يرى حرمَ الحبيب فيهندي
قمر له هضبات مكة مطلع
جاءت نعوتُ كماله منصوصة
وبه تشفع آدمُ لإلاهه
وأتى بمبعثه المسيحُ مبشراً
وبليلة الإسراء أُكِّمَ فضلُه
وإليه نلجأ في المعاد لأننا
ما زال في الأصلاب يُنقلُ نوره
من نبعة للوجود روض نبتها
صيد تحلّ من الأكابر هامها
فانجاب غيمُ الغي عند ظهوره
وأذلّ من بالكفر حاول عزّة
ألفَ الجميلَ فما يقابل سائلا
لا يُعدّمُ السّارون إن نزلوا به
سمّحُ يشاكل حسنه إحسانه
يلقى الأرامل واليتامى إن نات
ويبيحهم من حبه وحيائه

والميلُ من قصرِ دوين الميل
متبوّناً بذراك خير مقيل
فرحَ المحبِّ مبشراً بقبول
هرّت معاطفه شمالُ شمول
وعلى الوجود أصولُ حين وصولي
فيطيب لي مرّجي وجرّ ذيولي
عفوا فإني غبتُ عن معقولي
لتميزَ المعلوم والمجهول
والروضة الفيحاء أفقُ أقول
في الذكر والتّوّاة والإنجيل
لما أحسنَ بحالة التّحوّل
يوصي به للجيل بعد الجيل
ناهيك من فضلٍ ومن تكميل
ناوي لظلّ للنّجاة ظليل
حتّى تبلّج في أعزّ قبيل
وفروع مجد فأرعِ وأصول
وتحلّ منها مفرق الإكليل
كالشمس في جوّ تلوح صقيل
وأعزّ بالإيمان كلّ ذليل
إلا بوجه كالسراج جميل
رياً لصاد أو قرى لنزّل
لا تعتريه ملالة المسؤول
عنهم عشيرتهم بكفّ كفيل
ما يحمل المثري على التّطفيل

هذا الفخارُ ومن يكن ذا وصفهُ فالمدح فيه كقُطرة في النّيل
وعلى أُولي الألباب طُراً أن يروا بذل النفوس له أقلّ قليل
فعليه من ذي العرش كلُّ تحيةٍ وعلى صحابته نوي التّفصيل
ما أمرع الروضَ الحيا وتضوّعت رياً نسيم في الغوّ عليل

المصدر: رحلة التّجاني: ص 388 - 390، ومنها جزء بالمجمل: ص 209 -

.210

5 - مولدانية

(الكامل)

أعلمتَ أنّك يا ربيع الأوّل تاج على هام الزّمان مكلّل
مستعذبُ الإلام مرتقبُ اللّقا كلُّ الفضائل حين تُقبِلُ تقبِلُ
ما عدتَ إلّا كنتَ عيداً ثالثاً بل أنت أحلى في القلوب وأجملُ
شرفاً بمولد مصطفى لما بدا أخفى الأهلة نورهُ المتهلّلُ
وحويتَ مذ أصبحتَ ظرفَ زمانه ظرفاً به في برد حسنك ترفلُ
وملكتَ أنفسنا بلطف شمائل بنسيمها نفسُ العليلِ تعلّلُ
وإذا حدا الحادي بمنزلة الحمى فالقصد سكّان الحمى لا المنزلُ
فطلّ الشّهورُ علأً وفاخرها فإن شمختُ بأطولها فانتَ الأطولُ
واستثن منها ليلةُ القدر التي بثنائها نزل الكتابُ المنزلُ
وأصخّ لقول الله فيها إنّها من ألف شهر في الإنابة أفضلُ
واستكمل البشرى فإنّك لم تنزل لك في القلوب مكانةٌ لا تُجهلُ
لِمَ لا وعُشرك واشتتاه أريننّا قمرا به شمسُ الضّحى لا تُعدلُ
ومن العجائب بدرُ تمّ يستوي لتمام عشر واشتتين ويكملُ
ويفوت أقمارُ السّماء لأنّها للنّقص من بعد الزّيادة تنقلُ
وكمال هذا البدر لا يعزى إلى نقص ولا عن حاله يتحوّلُ

بل نورهُ يزداد ضِعْفاً كَلَمَّا
 ويقي عثارَ الغيِّ واضعُ رُشدِهِ
 وتُراعُ أفندَةُ العِداةِ له كما
 فمتى تحيط بوصف بدر نبوةٍ
 فجلا عن الآفاق غَيْهَبَهَا كما
 وهدى إلى كَفِّ النِّجاةِ سراجُهُ
 وتظافرت أيدي الرِّفاقِ فصيرت
 وشَدَّتْ بِالسُّنَنِ حالها الاكوانُ من
 هذا الذي هو للمُنَاصِبِ عَلَقَمٌ
 وعلى الأرامِلِ واليتامى إن خَشَوْا
 وإذا انثنى الأقران عن وقع القنا
 وهو الشَّفيعُ المستجارُ بجاهِهِ
 قَسَمًا بِمرسلِهِ إلينا رَحْمَةً
 لا أدْعِي عِلْماً ولا عَمَلًا
 فلربما صَدُّ الكَرِيمِ حياؤُهُ
 صَلَّى عليه اللَّهُ ما هَبَّتْ صَبَا
 وعلى صحابته وصفوةِ آلِهِ

طَفِقَ المِحَاقُ سَنَى البِدورِ يُبْدِلُ
 وَيُبَيِّنُ من سبَلِ الهدى ما يُشْكَلُ
 يَرْتاعُ من شاكِي السِّلَاحِ الأَعزَلُ
 وافى وليل الكفر داج أَلِيلُ
 يجلو صدا العَضْبِ الحُسامُ الصيقلُ
 فَعشَا المَحِقُّ به وُضِلَ المَبْطَلُ
 شيع النفاقِ وضعفهنَّ مَذَلُّ
 طرب له هذا النَبِيُّ المرسلُ
 وَلِمَاحِضِ الوُدِّ الرَّحِيقُ السُّسْلُ
 أن تَبْدُو الصَّفَحَاتُ سِترُ مرسل
 فهو الملائكُ لمن كَبَا والمَعْقِلُ
 والأُمُّ عَمَّنْ أَرْضَعَتْهُ تَذَهَلُ
 إِنِّي عليه مَعوْلٌ ومَعوْلُ
 وَلَكِنِّي بجاهِ مُحَمَّدٍ أَتَوَسَّلُ
 إن كان في نَدَمائِهِ متَطَفِّلُ
 لَيْلا وما نَفَحَتْ سُحَيْرًا شَمالُ
 ما لاح بَرَقٌ أو ترنَّم بَلْبَلُ

المصدر: رحلة التَّجاني: ص 390 - 392.

أحمد بن الغمّاز

(609 - 693)

أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن الأنصاري الخزرجي الأندلسي المعروف بابن الغمّاز، شاعر وأديب وفقه. ولد ببلنسية وأخذ على أيدي علمائها ثم هاجر إلى تونس وبقي فيها حوالي ربع قرن. كان له في الوسط العلمي والأدبي التونسي تأثير كبير إذ كان يدرّس القراءات والتأريخ والأدب والحديث النبوي. وكانت دروسه في شكل مفاوضات ومطارحات علمية وكان يحضر مجالس السلطان. كان إماما وخطيبا بجامع الزيتونة وتولّى قضاء الجماعة بتونس مرّات عديدة بعد أن تولّى القضاء في مدن عديدة بإفريقية، كما عين صاحباً للعلامة الكبرى سنة 669 وتروى أشعاره خاصة في الوعظ والارشاد الأخلاقي.

وحين توفي في عاشوراء سنة 293 رثي بشعر كثير جمع في دواوين.

1 - مقطوعة

(الكامل)

من كان يعلم لا محالة أنه لا بد أن يودى وإن طال المدى
هلاً استعدّ لمشهدٍ يجزي به من قد أعدّ من اهتدى ومن اعتدى

المصدر: نفح الطيب: ج 4، ص 321 - 322.

2 - نصائح

(البسيط)

يا منفقَ العمر في حرصٍ وفي طمعٍ إلى متى؟ قد تولى وانقضى العمر؟
إلى متى في التماذي في الضلال أما تنبيك موعظةً لو تنفع الذكر؟
بادر متاباً عسى ما كان من زللٍ وما اقترفت من الآثام يُفتقرُ
وجنبَ الحرصَ واتركه فما أحدٌ ينال بالحرص ما لم يعطه القدرُ
ولا تؤمل لما ترجو وتَحذرُهُ من ليس في كفه نفعٌ ولا ضررُ
وفوض الأمر للرحمان معتمداً عليه في كل ما تأتي وما تذرُ
واحذرْ هجومَ المنايا واستعدّ لها ما دام يُمكّنك الإعدادُ والحذرُ

المصدر: درة الحجال: ج 1 ص 80 وعنوان الأريب: ج 1، ص 58.

3 - حساب النفس

(المتقارب)

أما أن للنفس أن تخشعا	أما أن للقلب أن يُقلعا
أليس الثمانون قد أقبلت	فلم تُبق في لذة مطمعا
تقضى الزمان ولا مطمع	لما قد مضى منه أن يرجعا
تقضى الزمان فواحسرتي	لما فات منه وما ضيعا
ويا ويلتاه لذي شية	يطيع هوى النفس فيما دعا
ويعدا وسحقا له إذ غدا	يسمع وعظا ولن يسمعا

المصدر: نفح الطيب: ج 4، ص 316-317، وعنوان الدراية: ص 121.

4 - هو الموت

(الطويل)

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة
وأنت على سوء من الفعل عاكف
وليك أن تمضي من الدهر ساعة
ولا لحظة إلا وقلبك واجف
وبادر بأعمال تسرك أن ترى
إذا نُشِرت يوم الحساب الصائف
ولا تياسن من رحمة الله إنه
لرب العباد بالعباد لطائف

المصدر: عنوان الدراية: ص 121 ونفح الطيب: ج 4، ص 316-317.

5 - صن النفس

(الطويل)

صن النفس واحملها على ما يزينها تعيش سالما والقول منك جميل
وَأَنْ قَلَّ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ عسى نَائِبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ
يَعَزَّ غَنَى النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ وَيَغْنَى فَقِيرُ النَّفْسِ وَهُوَ ذَلِيلُ
وَمَا أَكْثَرَ الْأَحْبَابِ حِينَ تَعُدُّهُمْ وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ

المصدر: نفح الطيب: ج 4 ، ص 316-317. والأبيات تنسب أيضا لعلي بن أبي طالب مع 3 أبيات أخرى انظرها في ديوانه ص 104، طبعة بيروت، د. ت.

6 - رجاء

(الطويل)

وقالوا أما تخشى ذنوباً أتيتها
ولم تك ذا جهل فتعذر بالجهل
فقلت لهم: هبني كما قد ذكرتُم
تجاوزتُ في قولٍ وأسرفتُ في فعل
أما في رضى مَوَلَى الموالى وصفحه
رجاءٌ ومسلاةٌ لمقترفٍ مثلي

المصدر: عنوان الأريب: ج 1 ، ص 68.

7 - يا صاحب الهم

(البسيط)

يا صاحب الهم إن الهم منفرجُ كم من أمور شداد فرج الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه لا تياسنْ فإن الفاتح الله
الله حسبك فيما عذت منه به وأين يأمنهم من حسبه الله؟
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ما لامرئ حيلة فيما قضى الله
سلم إلى الله فيما شاء وارض به فالخير أجمع فيما يصنع الله

المصدر: نفح الطيب: ج 4 ، ص 316 - 317.

8 - هلال الشهر

قال في ابن صغير له رأى هلال الشهر بصومعة جامع الزيتونة فأراه لعدول
الرؤية فلما أخبروه بذلك أنشد ارتجالاً:

(الطويل)

تواری هلال الأفق عن أعين الوری
وأرْخي حجاب الغيم دون محياه
فلما تصدئ لارتقاب شقيقه
تبدئ له دون الأنام فحياه

المصدر: عنوان الأريب: ج 1، ص 68.

عبد الرحمن بن عبد الله

(605 - 699)

أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله الأنصاري الأسدي القيرواني المعروف بابن الدبّاغ مؤرخ وشاعر. ولد بالقيروان ونشأ بها وأخذ من علمائها ثم سافر إلى تونس وأفاد من أساتذتها وأدبائها ثم رجع إلى مسقط رأسه حيث انتصب لتدريس العلوم خاصة الأدب والتاريخ.

من تأليفه:

- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: طبع بتونس مرتين .
- مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب: نشر ببيروت سنة 1959 .
- واسطة النظام في تواريخ ملوك الإسلام .
- جلاء الأفكار في مناقب الأنصار .
- سراج المتّقين المنتخب من كلام سيّد المرسلين .

1 - فخر

(الكامل)

إِنِّي امرؤٌ نو همةً ملكيةً ما إن لها تحت الكواكب موضع
مالي إلى غير الفضائل مسلك يوما ولا دون المعالي منزع
أشبهتُ آبائي الكرام فإنهم أبدا بغير الفضل لم يتصلعوا
ما فيهم إلا بعيرٌ شاردٌ رقّ الندى، سمحُ اليدين، سمنع
وأبي أُسيدُ بنُ الحُضيرِ كفى به فخرا ومجدا فضله لا يُدفع
ذاك الذي نزلت ملائكة السماء لقراءة القرآن منه تسمع
وأضاعت المنسأة⁽¹⁾ في غسق الدجى من كفه لما ادلهم المهيعُ
نسبُ كأنَّ الصبحَ منه تنفّست أنواره والشمسُ منه تشعشع
من مُبلغِ الأنصارِ عني أنني أحمي الحمى وأذبُ عنه وأدفع

المصدر: معالم الإيمان: ج 4، ص 89 - 90.

2 - مقطوعة

(الطويل)

كتبت «جلا الأفكار» في فضل معشرٍ بهم عزّ دينُ الله في الشرق والغرب
إلهي فحقّق للأسيديّ ما رجا بتأليفه واغفر لنا سائر الذنب
وبؤنه والقاري ومن هو سامع وكتبه أعلى المقامات في القرب

المصدر: معالم الإيمان: ج 4، ص 89.

(1) المنسأة كمكسنة - ومنسأة كمربّبة ويترك الهمز فيهما: العصا، وفي التاج: العصا العظيمة التي تكون مع الراعي.

في أقسام المحبة الجنسية والتفسية

اعلم أن المحبة تنقسم إلى قسمين: أحدهما بحسب جنسها والثاني بحسب ما في نفسها. أما قسمتها الجنسية فإنها تنقسم أولا إلى ذاتية وعرضية، فالذاتية هي التي يُحبُّ المحبوب فيها لذاته، والعرضية هي التي يُحبُّ المحبوب فيها لغيره. أما العرضية فممنها محبة الإحسان وذلك كمن يُحبُّ من أحسن إليه وهذا معلوم لا ينكر، وكذلك ما في معنى الإحسان من جلب المنافع ودفع المضار والإعانة على الأغراض وتيسير المطالب. فالانسان مجبول على هذه المحبة لأنها مركوزة في طباعه، وإذ حاصلها يرجع إلى محبته لنفسه التي جُبل عليها ولا يُشكَّ أن محبة الانسان لنفسه وكمال وجوده ودوامه أمرٌ متحقق، فجميع ما يُعِينه على ذلك من صحة جسمٍ أو صلاح حال أمرٍ محبوب عنده مندرجٌ في ضمن محبته لنفسه. ومن هنالك كانت محبة الانسان لولده لأن فيه نوع خلفٍ منه عند فناء جسده إذ في بقاء النوع ضربٌ من بقاء الشخص، وولد الانسان أقربُ نوعه شَبَهًا به، ولهذا قالوا: "الولد سرُّ أبيه"، فمن أجل هذا كان المحسن محبوبا لأنه مُعِين على نوام البقاء الذي هو محبوب. قال عليه السَّلام: "جُبِلَتْ القلوب على حبٍّ من أحسن إليها". وكذا محبة الصديق من أجل أنه مُعِين على جلب المنافع ودفع المضار، وكذلك أيضا محبة المعلم لأنه سبب الافادة المكملة للوجود الانساني، ومحبة الطبيب لأنه مُعِين على حفظ صحة الجسم ودفع المرض عنه، وجميع ما في هذا المعنى..

فهذه المحبة كلّها عرضية، وكلّما كانت هذه الصفة المحبوبة في شخص أتم وأنوم كانت محبته لأجلها أنوم وأكمل، ويقدر نقصانها فيه تنقص المحبة له. وقد

تتضاعف هذه المحبة باستجماع هذه الخصال كلها في شخص واحد وتُعدَم بعدمها فيه، ولا يُشَكُّ أَنَّ هذه المحبة مجازية، لأنَّ من أحبَّ شخصا لصفة تعود منه عليه فما أحبَّ على الحقيقة إلَّا نفسه. ومثل هذا يقال فيه أَنَّهُ محبٌ لنفسه حقيقةً وبغيره مجازاً، وليس غرضنا يتعلَّق بهذه المحبة إذ حاصلها يرجع إلى محبة الأجسام وبقاتها، وقصدنا صَرَفُ النَّفْسِ عن ذلك إلى ما هو أشرف، فهي ضدَّ مقصودنا.

وأما المحبة الذاتية ونعني بها التي تراد لذاتها فهي تنقسم إلى قسمين: أحدهما ما يُعَقِّلُ سببه والآخر ما لا يعقل له سبب. فالتى لا يعقل لها سبب هي محبة المناسبة الخفية عن الأذهان، والتي يُعَقِّلُ سببها هي محبة الجمال والكمال الذاتيين للمحبوب. وقد انحصر مقصودنا من المحبة إلى ثلاثة أقسام: محبة الجمال، ومحبة الكمال، ومحبة المناسبة الروحانية. أما محبة الكمال فهي مزادة للجمال إذ الكمال مظهر للجمال، وأما محبة المناسبة فهي أيضا خارجة عن مقصودنا من السلوك إذ لا يتوصل إليها بسبب مكتسب وإنما هي شيء وُضِعَ في الجملة بحسب القسمة الأزلية فلا يُفْتَقَرُ فيها إلى طلب ولا رياضة، لكننا ننبه على طرف منها من حيث الجملة لأنها إذا وُجِدَت كانت أشرف أنواع المحبة وأنومها.

فصل: وأما أقسام المحبة بحسب ذاتها فإنها تنقسم بحسب المبادئ والغايات إلى عشرة أقسام: خمسة منها مقامات المحبين السالكين. فأولها الألفة ثم الهوى ثم الخلّة ثم الشغف ثم الوجد. وأما مقامات العشاق فأولها الغرام ثم الافتتان ثم الوله ثم الدهش ثم الفناء. واسم المحبة يشتمل على الكل إلَّا أن المحب لا يخلو إمَّا أن يستعمل المحبة أو تستعمله، فإن استعملها وكان له

فيها كسبٌ واختيارٌ سَمِيَّ محبًّا اصطلاحا، وإن استعملته المحبة بحيث لا يكون له فيها كسبٌ ولا اختيار ولا نظراً لنفسه بما تصلحه فهو عاشق، فالمحب مريد والعاشق مراد.

فصل: وأما الألفة فهي أول مقام من مقامات المحبين، ومعناها إثارة جانب المحبوب على كل مطلوب ومصحوب ويستدعيها الإنسان باستقراء محاسن المحبوب وإدامة الفكرة في لطافة شمائله وما هو عليه من بديع الصنعة وغريب الحكمة الإلهية، ويتأكد ذلك بملازمة الصحبة وطول العشرة واستماع الأشعار المرققة للطبع التي تدرك فيها شمائل المحبوب وتدقيق الفكر في معانيها اللطيفة.

واعلم أن أصل التآلف التعارف الأزلي في عالم الغيب، فمن تحققت نسبته هناك ظهرت هنا، إذ العالم الأسفل ظل للعالم الأعلى، وهذه الأشباح أمثلة لتلك الأرواح، فما من صورة في عالم الشهادة إلا وهي مثال لذات روحانية من عالم الغيب، فإذا تحركت تلك الحقيقة هناك لزم أن يتحرك مثالها هنا، كما أن الظل تابع للشخص في حركته وسكونه، فالتعارف هنا ثمرة ما هناك.

(من الكامل)

بينني وبينك زمةً مرعيةً بدأت هناك وكان آخرها هنا

وهذه الألفة تكون عموماً وخصوصاً: أما العموم فهي نسبة تؤلف جميع الموجودات لاشتراكها كلها في نور الوجود المشرق عليها من موجدٍها.

(من الطويل)

خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبى . لفارقت شيبى موجد القلب باكياً^(١)

(١) البيت لأبي الطيب: ديوان أبي الطيب شرح العكبري، مصر 1963، ج 4، ص، 284

وأما الخصوص فهي التي يوجبها الاشتراك في أخص وصف الانسان وهي المعرفة المعبر عنها بالايمان المنتج للمحبة الحاصلة عن النور التام، ولهذا كان المؤمنون بهذا الاشتراك الخاص كالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو اشتكى سائرهم، إذ السرّ القائم بهم واحد فهم شيء واحد بذلك الاعتبار.

فصل: فأما مقام الخلّة فمعناها تخلّل شمائل المحبوب روحانيّة المحب حتّى تتكيّف بها النّفس والروح وسائر الجملة الانسانية فتتحرك أعضاء المحب عن إرادة المحبوب المتحرّك بها القلب فتستحيل المخالفة، كما قيل (من الخفيف):

وتخلّلت مسلك الروح منّي ولذا سمّي الخليلُ خليلًا
فإذا ما نطقْتُ كنتُ حديثي وإذا ما سكْتُ كنتُ الغليلاً

ولهذا قال عليه السلام: "المرء على دين خليله". يعنى أن الذي أشرق في هذا من النور الإلهي هو الذي أشرق في الآخر لاتحاد محلّهما فكان دينهما واحداً أي مطلوبهما وفهمهما الذي يدركان به الحقائق واحداً، ولا يكون هذا التخلّل إلاّ تابعا للصفاء والخلوص الذي معناه زوال العوارض الزائدة عن النوات حتّى تبقى مجردة واحدة فتتطبع فيها صورة الوجود الكلّي.

فصل: وأما مقام الهوى فمعناه ميل القلب بالكلية إلى وجهة المحبوب والإعراض عمّا سواه وتجريد القصد له في كلّ حين وصرف الهمة إليه، وفيه تستحكم المحبة وتشتدّ صورتها وينبسط سلطانها ويستولي لاجع الشوق. ثمّ إنّ الهوى وإن كان وضعا لازما للمحبّ فهو بتجدّد النظرات إلى الصور الجميلة، والمحاسن الرائقة النّبيلة، والشمائل اللطيفة المعاني، وفتور الألحاظ الذي يلحق الطليق بالعاني، فيجلب له الهوى من كلّ صوب، ويجدّد له الأشواق من كلّ ناحية وأوب، فهو رهين غرام، وأسير سقام. (من الطويل):

عيون المها بين الرُصافةِ والجسرِ جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
أعدن لي الشوقَ القديمَ ولم أكن سلوتُ ولكن زدن جمرأً الى جمرِ
فالهوى سلطانه يستعبد الأرواحَ والأجساد، وتنقاد لعزته القلوب غاية
الانقياد، فلا يبقى له معها اختيار ولا مراد، ولا يصحّ الاتّصاف بالهوى إلّا لمن
خرج عن هواه، وأثر طاعة حبيبه على ما سواه، فلا يسمع إلّا منه، ولا يتحدّث
إلّا عنه.

المصدر: مشارق أنوار القلوب: ص 30 - 35.

عبد الله بن هارون

(603 - 702)

أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي الأندلسي التونسي، شاعر ومؤلف ومدرس، ولد في رمضان 603 بقرطبة ونشأ فيها وتعلم وتكون خاصة في الأدب ثم وفد إلى تونس واستقر بها طويلا يدرس ويؤلف وينظم الأشعار. اشتهر بتأليفه : "اللائي المجموعة من باهر النظام وبارع الكلام في وصف مثال نعلي رسول الله عليه الصلاة والسلام ويحتوي على مجموعة من الأشعار تصف نعلي النبي.

1 - تقرير كتاب "الشفاء" للقاضي عياض

قال في كتاب "الشفاء" للقاضي عياض :

(البسيط)

جَازَى إِلَهُ الْعِيَاذِيَّ الْإِمَامَ بِمَا
يُجْزَى بِهِ كُلُّ مَنْ يُحْيِي بِهِ الْأَكْثَرُ
أَنْوَارُ ذِكْرِ الرُّسُولِ الْمُصْطَفَى انْتَلَقَتْ
تَجَلُّو الدِّيَاغِي مِنْهَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
شَمْسُ الضُّحَى أَشْرَقَتْ مِنْ نُورِهِ وَذَكََا
مِنْ عَرَفِ رَوْضِ الرَّبِّي لِلنَّاشِقِ الزُّهْرُ
سِلْكُ بِهِ اِزْدَانٌ جِيدُ الْعِلْمِ وَانْتَضَمَتْ
فِيهِ لَجَامِعِهِ الْيَاقُوتُ وَالْدُرُّ
أَرْوَتْ ظِمَاءَ الْوَرَى غُرَّ الْغَمَامِ بِهِ
بِوَكَفِ الْحَيَا سَحَتْ بِهِ الدُّرُّ
جَدِيدُهُ لَيْسَ يَبْلَى الذِّكْرُ مِنْهُ عَلَى
مَرَّ الْجَدِيدَيْنِ تُسْتَجَلَى بِهِ صَوْرُ
غَضُّ يَلْذُّ عَلَى الْأَسْمَاعِ يَمْلُؤُهَا
مِنْهُ السُّرُورُ إِذَا تَلَّى لَهُ سُورُ
لِلَّهِ دَرْ نَوِي الْأَلْبَابِ قَدْ عَمَرُوا الدَّ
أَعْمَارَ مِنْهُ بِمَا قَدْ بُورِكَ الْعُمُرُ

يُرَدُّونَ عَلَى الْأَسْمَاعِ مَا قَرَأُوا
 مِنْهُ فَيَا نِعَمَ مَا الدُّنْيَا بِهِ عَمَرُوا
 الشَّعْرُ شَاخٌ وَكُلُّ الْفَكْرِ حِينَ مَضَى
 عَصُرُ الشَّبَابِ وَشَابَ الرَّأْسُ وَالشَّعْرُ
 تَمْضِي الْحَيَاةُ وَأَبْنَاءُ الزَّمَانِ بِهِ
 فِي غَفْلَةٍ بِأَنْصِرَامِ الْعُمُرِ مَا شَعَرُوا
 إِنَّا لَمِنْ بَشَرٍ جَلَّتْ ذُنُوبُهُمْ
 وَاللَّهُ يَصْفَحُ عَمَّا قَدْ جَنَى الْبَشَرُ
 الْفَضْلُ وَالْكَرَمُ الْجَمُّ الْعَمِيمُ لَهُ
 جَاءَتْ بِهِ لَعِبِيدُ أَذْنَبُوا الْبَشَرُ

المصدر: برنامج الوادي أشي: ص 217 - 218.

2 - شكوى

(مجزوء الوافر)

رَمَانِي بِالنَّوَى زَمَنِي	فَشَمَلُ الْأَنْسِ مُفْتَرِقُ
وَلَيْلِي كُلُّهُ فِكْرُ	فَقَلْبِي مِنْهُ مُحْتَرِقُ
وَلِلْآدَابِ أَبْنَاءُ	بِيْخَرِ الْفَقْرِ قَدْ غَرِقُوا
وَكُلُّ مِنْهُمْ وَجِيلُ	بِمَا يَلْقَاهُ أَوْ فَرِقُ
يَغْصُ بِرَبِّقِهِ مِنْهُ	كَمَا فِي النُّطْقِ أَوْ شَرِقُ

وَقَدْ صَفَرَتْ أَكْفُهُمْ فَلَا وَدَقُّ وَلَا وَدِقُ
وَأُطِفَ اللَّهُ مُرْتَقِبٌ بِهِ الْعَادَاتُ تَنْخَرِقُ

المصدر: نفع الطيب: ج 5- ص 201 - 202.

3 - مقطوعة

(الكامل)

لَا تَطْمَعَنَّ فِي نَفْعِ آلِكَ إِنَّهُ
ضَرَرٌ وَقَلَّ النِّفْعُ عِنْدَ الْآلِ
أَقْصِرْ رُوَيْدَكَ إِنَّ مَا أُعْلِقَتْهُ
بِالْآلِ مِنْ أَهْلِ كَمِثْلِ الْآلِ

المصدر: نفع الطيب: ج 5 ، ص 200 - 202.

إسحاق بن حُسينة

(ت بعد 707)

أبو ابراهيم اسحاق بن حسينة، من أبرز شعراء العهد الحفصي كان شاعر السلطان أبي يحيى بن اللحياني وسافر معه في رحلته إلى الجنوب سنة 707 . واشتهر بوصفه لسبحة التاكمرت. نشأ بتونس واشتغل كاتباً بديوان الرسائل وكانت تربطه بعبد الله التجاني صاحب الرحلة علاقة أدبية متينة. يتّصف نثره بالبلاغة والتّرف الفكري، وشعره بالرقّة واللّطف وحسن الدّيباجة.

1 - إخوانية

مما راسل به عبد الله التّجاني:

(الوافر)

أعبدَ اللهَ فقتَ ذوي المعالي حباكَ اللهَ أيّاماً سعيده
ونلتَ منالَ آباءِ كرام لهم في المجد أثارُ حميده
أردتُ إليك إرسالاً بشعر لأسمعَ من جوابك لي مديده
فإنّك مستمِدٌّ من بحور سواحلها غدت منّي بعيده
فإن جاوبتَ عن نظم بنظم بعثتُ بقطعة أيضاً جديده
فلا أبقي لأطلب منك نظماً ولا أبقيتَ تطلب لي قصيده

المصدر: رحلة التّجاني: ص 171 - 172.

2 - سخا بنفسي

قصيدة خاطب بها السلطان ابن اللّحياني عندما غادره راجعا الى تونس
وودّع صاحبه بالركب:

(البسيط)

سَخا بنفسي على إثثار صحبتكم يومُ الوداع ومالي منكمُ خَلْفُ
إلا فؤادا كطير حلّ في شرك ودمعةٌ مثلُ منهلٍ الحيا تكِفُ
أَكفُّها عن مجاريها فيبعثها حاد من الوجد يُجْريها فلا تقفُ
خلالها زفرةٌ تشتدّ طالعةٌ تكاد من حرّها الأضلاعُ تنقصُ
علمُ اليقين بأنّي إن صحبتكمُ أردى وشيكا ولم يُمهّلني التّفُ

فقلت: ما صحبةً دَانٍ تصرُّمُها بعدي بفرقةٍ وقتٍ ماله طَرَفُ
وفي رجوعي رجاءٌ للبقاءِ به أرجو حصول التَّلَاقِي حين تنصرفُ
فاختار عبدُك بعداً بعده صلةُ على اتِّصالٍ ببعده الدَّهْرُ يكتنفُ
فانظر بعين اعتبارٍ ما أتيتُ به يَقُمُ لي العذرُ في عليك النِّصْفُ
واترك مقالة أقوامٍ نوي غرض يردُّهم قصدُهم عن بعض ما عَرَفُوا

المصدر: رحلة التَّجَانِي: ص 204 - 205 ومنها 5 أبيات بعنوان الأريب: ج

1- ص 93.

3 - شكوى

مدح عبد الله التَّجَانِي وشكاه حاله فقال:

(الوافر)

أعبد الله قد حزتَ المعالي وفُتَّتَ كِبَارُ أعلامِ الرِّجَالِ
مِلِئْتُ نِباهَةً ومِلِئْتُ علما وأكثرُ من ترى من ذاك خَالِي
فأنتَ إمام أهل العلم طُرّاً لك التَّقْدِيمُ في هذا المجالِ
ولمَّا أن أتاني منك كُتُبٌ سُرِرْتُ بأنَّ حالكَ خيرُ حالِ
وأن عمادنا في حال نُعمى وقاه الله من عين الكمالِ
وأبقاه لإسداء الأيادي وتشبيد المكارم والمعالي
وقلتم كيف حالكم وحالي وقد فارقْتُكم بعدَ اتِّصالِ
فحالي كلّها غمٌ وكرب فوا أسفِي لما قضت اللَّيالي
فدمع العين لا يرقا وقلبي له وجدٌ حكى وخزَّ النَّبالِ

وكنْتَ أَظُنُّ أَمْرَ الصَّبْرِ هَيْئًا	وَأَنْ الْوَجْدَ عَنَّا ذُو انفصال
وَأَنْ فِرَاقَكُمْ يَبْلَى فَيُنْسَى	سوى ذكْرَى إِذَا خَطَرَتْ بِبَالٍ
فكانَ بَعكسَ ما قَدَرْتُ فِيهِ	فلا تَبْخُلُ بِتَكَرِيرِ السَّوَالِ
فقلبي لا يَفارِقُهُ التَّياعُ	كما يَصْلَى بِحَرِّ النَّارِ صَالِي
فلولا أَنَّ سَنِيَّ لَمْ يُعْنِي	وَأَنْ بِنَاءَ جِسْمِي ذُو اخْتلالِ
لكانَ الجِسْمُ عِنْدَكُمْ كقلبي	ولم أَحْفَلْ بِأَهْلٍ أَوْ بِمالِ

المصدر: رحلة التَّجَانِي: ص 232 - 233.

4 - سِبْخَةُ التَّكْمَرِ

(الوافر)

قطعنا التَّكْمَرُ سُرَّى وسرنا	صبيحة يومنا حتَّى الزَّوالِ
فلا تسأل لما قاسيتُ فيه	من الأهوالِ والكُربِ الثَّقَالِ
عناء ليس يشبهه عناءُ	يَضِيقُ لَدِيهِ مَتَسَعُ المَقَالِ
وليل لا تسير به نجومٌ	كأنَّ نِيْطَتْ إِلَى بعضِ الجبالِ
وأرياح تصمَّ الآن منْها	تهبُّ عن اليمين مَعَ الشِّمالِ
تصدَّ عن طريق القصد قصدي	وتضرب حرَّ وجهي بالرِّمالِ
ولا أَسْطِيعُ فَتَحَ العَيْنِ فِيْها	لبعض الأمرِ إِلَّا باحتيالِ
وأجهدُ في دَفَاعِ النُّومِ عَنِّي	لخوفي من سقُوطِ أَوْ ضلالِ
وما زلنا نكابد في سُرانا	مهاالك لا تُقَابِلُ بِالْمِحَالِ

إلى أن لاحت الغابات ظُهِراً بظاهر تَوَزَّرَ مثَلُ الخيالِ
فهناً بعضُنا بعضاً سروراً وتلنا راحةً بعد الكلالِ

المصدر: رحلة التَّجاني: 156 - 157 وعنوان الأريب: ج 1 ص 93.

5 - بيت شعر

أول بيت من قصيدة خاطب بها السلطان ابن اللحياني يثنيه عن السفر إلى
المشرق ويطلب منه العودة إلى تونس:

(المتدارك)

عَرَجَ يا صاحِ على الطَّلَلِ واسكب أجفانك في الحِلَلِ

المصدر: رحلة التَّجاني: ص 192.

5 - يانسمة الروض

قال مخاطباً عبد الله التجاني:

وأما قصيدتك القافية فلاشراق معانيها، واتقان أصولها ومبانيها، وعجزي
عما يضاهاها، أغرت على كلِّ ما فيها، ولم أغير منها غير قوافيها، ثم رددتها
إليكُم القهقري، بعد أن جرى في أمرها ما جرى، وهي هذه:

(الكامل)

يا نسمة الروض الذي نظمت له زهرا تحلاه يدُ الأمواه
سيرى مبلغة على شحط النوى طيب السلام لمجد عبد الله

الفاضل الأسمى الرضا الأسنى الذي حاز العلى والفضل دون مضاهي
 وتحملي عني إليه تحية كالمسك أو ذكراه في الأفواه
 وصفى الذي قاسيت بعد فراقه فلقد دهنتي من نَوَاهُ دواهي
 الله - عبدَ الله - يعلمُ أنني بوداد مثلك في الأنام أباهي
 ويعثُ هذا الطرس نحوك قاصداً تقريرَ ودِّ فيك ليس بواهي
 لا زلتَ في نِعَمٍ تُجَلُّ وعِزَّةٍ وعلوِّ مقدارٍ ورفعةٍ جاهِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 233 - 234، وعنوان الأريب: ج 1، ص 93-

94.

أحمد التّجاني

(حي سنة 707)

أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن أحمد التّجاني شقيق عبد الله صاحب الرّحلة، كان ماهرا في التصرّف في المعاني الشعريّة خاصّة في مدح السّلطان أبي يحيى بن اللّحياني الحفصي وقد اشتهر بيت التّجاني بالعلم وخدمة الأدب والكتابة الفنيّة وقرض الشعر.

1 - لأهل الحمى أصبو

قصيدة خاطب بها أخاه عبد الله التّجاني ومدح في آخرها السلطان أبا يحيى زكرياء بن اللّحاني:

(الطويل)

وأني على ورد به الدهر حائم	لأهل الحمى أصبو وإن جدّ لائم
وإن أقفرت منهم وأقوت معالم	وما القلب خال من هوى ساكن اللوى
وقلب على حكم الصّباة هائم	عليّ لهم جفن من الدّمع مترع
ويطربّه عهد اللقا المتقادم	حمى الله قلبي كم يحنّ إلى الحمى
إذا لاح ضحكك من البرق باسم	يحنّ اشتياقاً أو يحنّ صباة
يميل بها غصن من الأيك ناعم	وإن غرّدت ورقاء في غسق الدّجى
كان لياليه المواضي مواسم	تذكّر عهداً قد تقضى نعيمه
يشبّ عليه من لظى الشّوق جاحم	ألا في ضمان الله قلبي فقد غدا
فلا القلب مرتاح ولا الجفن نائم	وبالنفس أفدي جيرة قد تحمّلوا
وأيّ اصطبار بعد حبّ يلزم	نأوا فنأى صبر المتيم إثرهم
كأنهم فيه نجوم عوائم	سروا يقطعون البید واللّيل عاكف
سواء لديها سهلها والمخارم	على كلّ فتلاء الذّراعين جسرة
قوائمها عند النّجاء قوام	تباري عليها القفر جدّاً كأنما
سليمة ما نيّطت إليه القوائم	جديلة الآباء موثوقة القوى

ويا قَاتَلَ اللهَ المَطِيُّ وَإِنَّمَا
لقد خَلَفُوا من بعدهم ذَا صِبَابَةٍ
إِذَا مَا جَرَى ذَكَرَ العَقِيقَ جَرَتْ لَهُ
فِيَا جَبِرَةَ الوَادِي نَدَاءً مَتِيمَ
أَعْنَدَكُمْ أَنِّي عَلَى الْعَهْدِ ثَابِتٌ
وَأَنِّي عَلَى رَغْيِ الذَّمَامِ مُحَافِظُ
وَيَا مُزْمِعَ التَّرْحَالِ تَحْمِلْ كُورَهُ
لَكَ اللَّهُ عَوْنٌ وَالنَّجَاحُ مُوَافِقُ
تَحْمِلُ رِعَاكَ اللَّهُ عَنِّي تَحِيَّةً
تَضَوُّعُ فِي وَسْطِ النَّدَى كَأَنَّمَا
وَإِنْ صِرْتَ مُجْتَازًا بِأَرْبَعِ دَمَرُ
فَخُصُّ بِهِ عَنِّي شَقِيقِي وَإِنِّي
وَصَفُّ مَا أَلَاقِي بَعْدَهُ مِنْ تَشَوُّقٍ
تَمَثَّلُهُ الْأَشْوَاقُ لِي فَكَأَنَّمَا
وَمَا ظَبِيَّاتِ ضَرَمَ الْقَيْطُ لُوحَهَا
إِذَا لَاحَ بَرَقَ فِي عَنَانِ سَحَابَةٍ
رَأَتْ نَظْفَةً زَرْقَاءَ فِي قَلْبِ صَخْرَةٍ

نَأَتْ بِأَحْبَابِي المَطِيُّ الرِّوَاسُ
يُرُوحُ وَيَغْدُو وَهُوَ بَانٍ وَهَادِمُ
دَمُوعُ حَكَتْ لَوْنَ العَقِيقِ سَوَاجِمُ
تَعْدَى عَلَيْهِ الذَّهْرُ وَالذَّهْرُ حَاكِمُ
إِذَا ضَيَّعَ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ مَصَارِمُ
وَأَنِّي عَلَى حِفْظِ الْوَدَادِ مَدَاوِمُ
عَلَى بَعْدِ مَا يَنْوِي قِلَاصُ سَوَاهِمُ
وَبُلَّغْتَ فِي دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ رَائِمُ
كَمَا انشَقَّ عَنْ زَهْرِ الرِّيَاضِ كَمَاثِمُ
تَنْشَقُّ مَسْكَانَ مِنْ شَذَاهَا الْعِرَاتِمُ^(١)
وَلَا حَتَّ بِهِ لِلْعَيْنِ مِنْكَ الْمَعَالِمُ
بِحُكْمِ النَّوَى وَالْبَعْدِ فِيهِ لِرَاغِمُ
وَوَجَدَ غَدَتَ تَنْقَدُّ مِنْهُ الْحِيَازِمُ
وَإِنْ كَانَ نَاءً بَيْنَ عَيْنِي قَائِمُ
فَهَنْ عَلَى وَرْدِ الشَّرَابِ حَوَائِمُ
فَهَنْ لَمَّا يَلْتَا حَ مِنْهُ شَوَائِمُ
مَمْنَعَةٍ قَدْ غَادَرَتْهَا الْحَمَائِمُ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّهَا الْبِرَاعِمُ -

يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ كُلَّ عَشِيَّةٍ
بِأَعْظَمَ مِنْ شَوْقِي لِرُؤْيَتِهِ الَّتِي
أَحْبَابُنَا بِالسَّخَطِ مِثِّي لَا الرِّضَا
لَقَدْ طَالَ هَذَا الْبَعْدُ وَاشْتَطَّتْ النَّوَى
إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ اللَّيَالِي الَّتِي مَضَتْ
أَحْنُ لِمَسْرَى الْبَرْقِ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ
وَكَمْ هَيَّجَتْ شَوْقِي سَوَاجِعُ أَيْكَةٍ
أَطَارِحُهَا رَجَعَ الْحَنِينُ صَبَابَةً
فِيَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ يَعُودُ بِقَرَبِكُمْ
وَيَا حَبْدَا دَهْرٍ قَضَى بِاجْتِمَاعِنَا
بَحَيْثُ قَطَعْنَا الْعَيْشَ وَهُوَ مَهْنَأُ
وَكَمْ قَدْ أَدْرْنَا أَكُؤُسَ الْمُنَى وَالْمَنَى
فَهَلْ مَبْلَغُ ذَاكَ السَّرُورِ الَّذِي مَضَى
إِذَا حَمَلْتَهُ عَطَّرَ الْجَوَّ عَرْفُهُ
سَقَى اللَّهَ صُوبَ الْمِزْنِ أَعْلَامَ دَمَرٍ
وَلَا زَالَ مِمَطُورَ النَّرَى مُخْصَبَ الذَّرَى
إِذَا السَّحَبُ أَذْرَى فَوْقَهُ الدَّمَاعُ أَصْبَحَتْ
وَمَا طَلَبِي سَقِيَاهُ إِلَّا رَعَايَةً
وَمِنْ أَجْلِ مَنْ حَلَّ الْحَمَى يُذَكِّرُ الْحَمَى

وَتَسْتَرُّهَا أَغْصَانُ دُوحِ نَوَاعِمُ
بِهَا أَمْلِي يَدْنُو وَسَعْدِي يَلَانُمُ
عَدْتَنِي نَجُودُ عَنْكُمْ وَتَهَانُمُ
وَجَارَ عَلَيْنَا الدَّهْرُ وَالذَّهْرُ ظَالُمُ
تَخَيَّلْتُ أَنِّي فِي ادِّكَارِي حَالُمُ
إِذَا مَا سَرَى وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ سَاحُمُ
يَجَاوِبُهَا إِلْفُ لَهَا وَيَنَاقُمُ
وَأُعْرِبُ عَنْ وَجْدِي وَهَنْ أَعَاجِمُ
زَمَانُ نَعِمْنَا فِيهِ وَالشَّمْلُ نَاقِمُ
كَرِيمُ وَأَيَّامُ تَوَلَّتْ كِرَائِمُ
وَلَنَا الْأَمَانِي وَالزَّمَانُ مَسَالِمُ
عَلَيْنَا وَمَا غَيْرُ السَّرُورِ مَنَادِمُ
سَلَامًا تَوْدِيهِ الرِّيَّاحُ النَّوَاسِمُ
كَمَا خَطَرْتُ يَوْمًا عَلَيْكَ لَطَائِمُ
وَرَوَى رُبَاهُ الْعَارِضُ الْمُتَرَاكِمُ
تَرَدَّدَ فِيهِ اللَّحْنُ وَدَقَّ حَمَائِمُ
تَضَاحَكُ لِلْأَزْهَارِ فِيهِ مِبَاسِمُ
لِمَنْ حَلَّهُ وَالذَّهْرُ مَعْطَرُ وَحَارِمُ
وَالَا فَمَا تَجْدِي الرَّبُوعَ الطَّوَاسِمُ

فيا نانيا عني ومثواه في الحشا
إلام نوى لا يُستطاع احتمالها
ألا زودة تهدي الشفاء على النوى
ومن لي باللقيا وبدون منالها
أروح وأغدو والصبا متنسّم
وكم لي على بعد النوى من تحية
فيا ليتني طارت بكوري على النوى
لأحظى بحظّ لي بروياك مقنع
أحنّ إذا ما مرّ ذكرك خاطراً
عسى الله أن يديني إياك عاجلاً
ومما يسلي النفس أنّك مُودع
ومن يك بالمولى العماد اعتقاله
همام توقاه الأسود مهابة
عماد بني الدنيا ومولاهم الذي
من آل أبي حفص الذي قد غدا به
حمى حوزة الإسلام قدماً بعزمه
لقد شمخت تلك الربوع بماجد
يقاسمه في ماله كلّ مجتد
ومنها في مدح ابن الأحيان:

ومن أعجب الأشياء ناء ملازم
وحتى م بُعد حوْله متقاهم
ويُهدي لنا منها المسرة قادم
فيا في تحامى جوبهنّ المناسم
عسى خبر يأتي به منك ناسم
تحملها عني البروق البواسم
خواف شديداً القوى وقوادم
وأنّي إذا ما نلت ذاك لغانم
بقلبي كما حنّت نياق روائم
فيحسم هذا البعد والبين حاسم
بحيث تحامك الخطوب الهواجم
فقد نكبت عنه الدواهي الرواسم
وتحسد كفيه البحور الخضارم
يصادِم عنهم من عدا ويصارم
حمى الدين في أمن وذللّ المراعِم
فعرّت له بالله تلك العزائم
نمته الى العليا جدود أكارم
وليس له في مجده من يقاسم

كريم إذا ما السَّحْب ضُنَّتْ بقطرها
 يرى البخل عصيَانًا إذا سال سائل
 يذكر يوم الجود والرَّوع حاتما
 حوى قَصَبَ العلياء والغاية التي
 فمن كآبي يحيى ندى وشجاعة
 هو الجود حتى لو تخلف مجتد
 لقد غاب عن ترشيش⁽¹⁾ إذ غاب أنسها
 تغير منها كلَّ حسن وأصبحت
 حياة أبي يحيى حياة بني الدنى
 فلا زال في عزٍّ وسعد مجدّد
 ودأب على مرّ اللّياالي وكرها
 حليم إذا ما حفّ بالحلم راقم
 كأنّ عطاياه فروض لوازم
 وعمروا ومَنْ عمرو لديه وحاتم؟
 يرى كلُّ خلق بونها وهو فاحم
 إذا أمّه عاف ودارت ملاحم
 لسارت إليه من نذاه المكارم
 ولاقت من الأشواق ما لا تنادم
 يلوح لها وجه من الشّوق قاتم
 وأراؤه من كلّ خطب عواصم
 تقابله الأيام وهي خوادم
 ينادي مجيبا للمنى وينادم

المصدر: رحلة التّجاني: ص 198 - 203، وعنوان الأريب: ج 1، ص 84 - 87
 (بعض مقطوعات منها فقط).

(1) تونس.

أمّ عليّ والتجانيّة

(القرن السابع)

أمّ عليّ وعمر ومحمّد وكلّهم شعراء، وزوج ابراهيم وهو أديب شاعر، وكانت تدرّس أولادها النّحو والشّعر والأدب. شاعرة مطبوعة على قول الشّعر عفو الخاطر تبتّ قصائدها الرّقيقة لواعج نفسها وبواطن حالها.

مقطوعتان

- 1 -

قالت ملفزة في اسم تميم:

(الطويل)

يقولون لي: هذا حبيبك ما اسمُه؟

فما اسطَّعتُ إفشاءً وما اسطعتُ أكتُمُ

فقلت: اسمه ميم وحرف مقدَّم

فهذا اسم من أهوى فديتكم افهموا

المصدر: رحلة العبدري: ص 262.

- 2 -

قالت في صفة شعر:

(الطويل)

كغصن أراك، عانقَ الغصنَ أرقمُ

إذا نَزعت عنه الملابسَ أسحمُ

بثأرٍ فأضحى بالدُّجى يتكتَّمُ

إذا انسدلت منه عليها نؤابةٌ

أثيثُ طويلُ فهو يسترُ جسمها

كأنَّ الصَّبَّاحَ ارتاعَ من خوفِ طالبٍ

المصدر: رحلة العبدري: ص 262.



مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبُتِّيَّانِي

(توفي في حدود سنة 710)

هو والد الرحالة عبد الله. أخذ عن ابن الأبار وحازم القرطاجني وغيرهما من الأندلسيين والعلماء والأدباء المقيمين بتونس. تولى الكتابة في ديوان الانشاء ودرس الأدب وكان يمدح السلطان زكرياء بن اللحياني.



1 - يانسمة الفجر

كتب إلى السلطان ابن الأحياني من تونس جواباً على رسالة منه:

(البسيط)

يا نسمة الفجر والأزهارُ قد رويت	مما أدار عليها الوابلُ السَّاقِي
والرَّوضُ قد أمسك الإمساكُ منه ثرى	نمت عليه به أنفاسُ أحباق
ولا قرارة إلا قررت خبراً	بأن دارين منا رأيَ أحداق
لو أنه نشرُ طيبٍ للتجارة قد	سيقت لطانمه منه بأوساق
والنور تسري إلينا من محامده	أنفاسُ ندى ولكن دون إحراق
بالله هُبِّي على ناد تبوأه	من اللدى في يديه سحب أرزاق
فإن ظفرتِ بقربٍ منه فلتصفي	بالسنِّ الورق في الأوراق أشواق
ولتسالي لي وعدا باللقاء عسى	وعد التلاقي يجلي ما أنا لاقِي
وقبلي يا نجومَ الأفق راحته	عني فبين الدارِاي قدرها الرَاقِي
يا راحلين وقلبي راحلٌ معهم	عني وإن كان لي جسم هنا باقي
لولا رجاءُ التداني لم أعشُ زمناً	فرداً ولا وصفتُ بالصبر أخلاقي
عسى اللبالي التي بالبعد قد حكمت	يُجلى دجاها من اللقيا بإشراق
لله رقعة مولى قد علفت بما	أولت من النعمة العظمى بأعلاق
تضمنتُ ذكر مملوك ووالده	من مالك لهما بالفضل سباق
فالأمن واليمن والإقبال ما بقيت	دنياهما لهما من أجلها باقي

المصدر: رحلة التَّجاني، ص 194 - 195 وعنوان الأريب: ج 1، ص 80 -

2 - مقطوعة

كتب يخاطب ابنه عبد الله وهو في رحلته:

(البسيط)

حملتم القلب إذ جدّ الرّحيلُ بكم	من الصّباة ما لا تحمل الإبلُ
فلو سلكتم سبيل الحزم ما عجزت	إذاك منّي على دفع النّوى الحيلُ
لكن عراني زهولٌ يوم بينكمُ	كما يكابد منّ أحبّاهُ رحلوا
فالله يجمع منّا الشّملَ عن عجل	فالخير أجملُ ما في نيله العجلُ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 117.

3 - على ذلك المجد الصّميم سلام

قال يمدح ابن اللحياني في صدر رسالة إليه:

(الطويل)

على ذلك المجد الصّميم سلامُ	كما فضّ عن أذكى المسوك ختامُ
ومازجه نشر من الرّوض قد جرى	عليه نسيمٌ واستهلّ غمام
والآ كما قصّ الرّواة حديثكم	ورُدّد منه في التّديّ كلامُ
فكلُّ يوافي عنكمُ بمحاسن	إذا كلّ عنها النثر ناب نظامُ
فكم قابلٍ قد شكّ إذ شمّ طيبه	أدارينُ أم دارُ لكم ومقامُ
فليت الصّبا تهديه عنّي إليكمُ	وتشّو به فوق الغصون حمامُ
ولمّا توجّهتم وجدّت ركا بكم	وسرّحَ للجُرْدِ العِتاقِ لجامُ
أقمنا وللسلوان عنا ترحلُ	وللشّوق ما بين الضّلوع مقامُ

فلو كانت الآمال أجنحةً لنا	لطرنا ولكن لا جناح يرامُ
أمولاي كلَّ النَّاسِ يشكو بشوقكم	ولكنني للمشتكين إمامُ
يذكرنيكم كلُّ شيءٍ رأيته	جميل به يُعنى وفيه يهامُ
ولكنني ألقاه في النَّاسِ ناقصاً	وفيكُم زيادات له وتامُ
وبي للتلاقي شوقُ سِرْبِ ظوامي	رأين قَرَّاح الماء وهو جمامُ
وقد صدها عن ورده خوفُ صائد	فهنَّ حيامُ حوله وهيامُ
فيا ليتني أدري متى الدهرُ مسعفي	بذاك فتنشفي لوعة وغرامُ
أجاهدُ أشواقِي جهادك للعدى	فكلُّ يلاقي الجيشَ وهو عرامُ
ولكنَّ لك السيفُ المصمَّم في الوعى	وسيفي في تلك الحروبِ كهامُ

المصدر: رحلة التَّجاني: ص: 129 - 130 وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 80.

4 - ألا أيها المولى

أبيات خاطب بها ابن اللّحياني السلطان الحفصي:

(الطويل)

ألا أيها المولى المبارك سعيه	تنبه لما خولتَه من محاسن
كفيتَ قديما أهلَ قابس فتنة	غوتهم بسعي منك للنَّجح ضامن
ولما أقمت الآن في يغمراسن	إقامة مجتاز به غير قاطن
وحسبي تلمسانُ التي أبصرتُ بها	عجائبَ صنع الله عينُ المعاین

المصدر: رحلة التَّجاني: ص 198.

5 - يانفحة الزهر

قصيدة خاطب بها الفقيه أبا محمد عبد الله الأزدي العسيلي حين وروده
على تونس:

(الكامل)

يا نفحة الزهر الجني إذا سرت	غِبْ انسكاب السُّحْب بالأمواه
زيدي بحمل شذا المسوك تعطرًا	ثُمَّ اقصدي الأزدي عبد الله
بتحية تصف التشوق عن أخ	عَقْدُ الوداد لديه ليس بواهي
وصفي له وصفي له بمحاسن	هي حليّة الأسماع والأفواه
القادم المتقدم الحبر الذي	جلّت مناقبه عن الأشباه
أدب يهز السامعين ومنطق	عذب وظرف حاز كلّ تناهي
وافي فكلّ لفظه أسماعنا	بجواهر هي في البلاغة ما هي
اعلم - فديت أبا محمد - أنني	منّ نهاه عن السلو نواهي
إنّ التناهي والتواصل ممكن	دأء يعزّ دواؤه ودواهي
هب أنّ قريك عاق عنه عوائق	إنّ الترسل للدنو مضاهي
ولقد بعثت لك النظام لأنني	أدريه عندكم وجية الجاه
فعلّ فكرك أن يعلنني بما	يُهديه من ذاك الطراز الباهي

المصدر: رحلة التّجاني: ص 234 - 235.

6 - سلام من الرب

(الطويل)

سلام من الرب الرحيم ورحمة
وإني لمعمود الفؤاد بذكره
مجددة تترى على عابد الله
إذا مألها عن ذكر أحبابه اللاهي
فيا ربنا اجمع شمل أحبابه به
فلا منية تُدني الأمانى إلا هي

المصدر: رحلة التجاني: ص 294.

علي والتجاني

(635 - 713)

أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد التجاني من أشهر شعراء تونس في عصره. كان يدرس الأدب واللغة والبلاغة والشعر والنحو وعرف بأنه "شيخ الأدباء وواحد البلغاء وزين النّاطمين الشعراء" تكون على أيدي أبويه إبراهيم وأمه الشاعرة والعائلة في النحو. كان الثاني عشر مدرّسا من آبائه وأحد شعراء عائلة التجاني. وكان يقول الشعر عفو الخاطر، قال عنه أحد النقاد: "كان سريع البديهة في نظم الشعر، ربّما سبق الكاتب فيما يقترحه عليه النّاطم في أي عروض وروي .

1 - إلى ابني

قال مخاطباً ابنه الشاعر الأديب أبا الفضل من طرابلس:

(الخفيف)

يا لساني عجزتَ عن وصف ما بي	من جليل الأوجال والأوصاب
وإذا لم يُوفَ لفظي بحالي	ما عليّ أن أخطئه في كتاب؟
لم تعادل مصيبتني بفراقي	أهل وُدِّي مصيبتني بالشَّباب
قد تجرَّعتُ بالنَّوى كلَّ صاب	حسبي الله ما أجلُّ مُصَابِي
أه لم يدر ما العذاب فؤادُ	لم يذق طعم فرقة الأحباب
وعسى من قضى بتقطيع قلبي	بالنَّوى أنْ يلمَّه باقتراب
أهل وُدِّي إنِّي على البعد مقيد	مُ موجَّع القلب من أليم العتاب
وحياة الهوى، وطيب التذاذ،	وصفاء الرِّضا، وحرِّ التَّصَابِي
إنكم عن سمعي ولحظي	ونفسي وضميري، لستم من الغياب
فإلى ذلك الجمال اشتياقي،	وإلى ذلك الجناح انتسابي
اعلموا أنني بخير ورفق	ونعيم ألقاه من كلِّ باب
قد أتاني، والحمد لله، لطفٌ	لم يدعني عند الأمور الصَّعَاب
كيف يخشى من الإضاعة عبداً	حلَّ ضيفاً بالمالك الوهاب

المصدر: رحلة ابن رشيد، النشرة العلمية: ص 273 - 274.

2 - جهل الرواة

(السريع)

إنَّ الذي يروي ولكنَّه يجهل ما يروي وما يكتبُ
كصخرةٍ تنبع أمواهُها تسقي الأراضِي وهي لا تشربُ

المصدر: بغية الوعاة: ج 2، ص 141.

3 - صديق كالدينار

(الوافر)

صديقُ المرء كالدينار طبعاً وكيف يخالف المرءُ الطبَّاعاً؟
تراه ما أقام يقيم جاهاً وإن فارقتَه أُجدى انتفاعاً

المصدر: رحلة العبدري: ص 261.

4 - ذيع السر

(السريع)

يا من إذا أُودع سرّاً فلا دينَ له عن نشره يردُّعه
كالبوق إن أُودِعَ فيه فمُ أَلطفَ ربيع ذاع مستودُّعه

المصدر: رحلة العبدري: ص 261.

5 - مثال نعل النبي

قال في مثال نعل النبي :

(الكامل)

لمثال نعل الهاشمي محمد	جادت جفوني بالدموع الرغف ⁽¹⁾
ويكاي من فرط الأسى ولو انتي	أقضى وحق جلاله لم أنصف
أوطائه خدي، وقلت: تعززي	ما شئت، يا نفسي، بهذا واشرفي
وتمسكي أبدا بحب محمد	فعساك أن تنجو به في الموقف
صلى الإله عليه ما جنّ الدجى	وبدا النهار ولاح نجم أو خفي

المصدر : ملء العيبة: ج 2 ، ص 199 .

6 - هجو

قال يتفكّه في بخيل:

(الوافر)

رغيف أبي علي حلّ خوفاً	من الأضياف منزلة السّمك
إذا كسّروا رغيف أبي علي	بكي يبكي بكاءً فهو باك

المصدر : رحلة العبدري: ص 262 .

(1) أرغف: أسرع في السير.

7 - الفخر للذراهم

قال مخاطباً الدهر:

(الطويل)

بماذا رشاك الجهلُ حتى خدِمتهُ
وأعزّزتهُ فالعلمُ للجهلِ خادمٌ
وقد كان فيك الفخرُ بالمجد والنّدى
فزال فليس الفخرُ الا للذّراهم؟

المصدر: سبك المقال. مخطوط

8 - أهل طرابلس

(المتقارب)

لأهل طرابلس عادةٌ من البرِّ تُنسي الغريبَ الحميماً
حلّت بها مكرهاً ثمّ إذ أقمتُ بها أبدلوا الهاء ميماً

المصدر: رحلة التّجاني: ص 258 ، وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 87.

9 - حبّ الديّار

(الوافر)

يهيم النّاسُ بالديّار حبّاً وما فيهم سوى من يصطفيه
فدو الوجهين عندهمُ وجيه^(١) وذاك نقيضُ ما قد صحّ فيه

(١) يعني قوله صلى الله عليه وسلّم: ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً.

المصدر: رحلة العبدري ص 261.

10 - أنكد ما في الدهر

(السريع)

أنكدُ ما في الدهر إذلالهُ حرّاً لنذل يبتغي ما لديه
والنذلُ معذورٌ على بخله من هو لولا عَرَضُ في يديه؟

المصدر: سبك المقال مخطوط.

محمّد بن إبراهيم التّجاني

(توفي بعد سنة 717)

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم التّجاني أخو عليّ وعمر الأديبين الشّاعرين، ولد بتونس ونشأ بين أيدي والديه الأديبين الشاعرين فأخذ عنهما الأدب واللّغة والنحو.

كان كاتب العلامة لأبي زكرياء الحفصي، وكان نديماً للمستنصر بالله الحفصي وصديقاً لأشهر أدباء تونس في عصره أمثال محمد بن الأبار وحازم القرطاجني وعلي بن سعيد وأحمد الغساني وأحمد اللّياني، كان يعقد معهم مجالس الأنس والشّراب. ويتبيّن مما بقي له من النّماذج الشعريّة أنّه في مستوى أبلغ شعراء الأدب العربي وأرقّهم. يختلط اسمه باسم سميّه ابن عمّه محمد بن أحمد والد عبد الله صاحب الرّحلة إذ جاء ذكره في المصادر منسويًا إلى أبيه إبراهيم ولعلّه أكبر في السنّ من أخويه عليّ وعمر.

1 - قطف بالخط

(البسيط)

قطفتُ بالخط من بستان وجنته
تفاحةً ضرجتها حمرة الخفرِ
وقلت: هذا أمانٌ من قطيعته
فالشرع قد نصَّ أن لا قطع في ثمرِ

المصدر: الوافي: ج 2 ، ص 15 - 16 .

2 - جذوة قابس

كتب بالاشتراك مع أبي عبد الله محمد بن يحيى بن أبي بكر بن همّشك
التّلملي إلى ابن مكّي أمير قابس يطلبان منه هدية:

(الطويل)

وأورق ⁽¹⁾ منسوب لغابة قابس	بقلبي من ذكراه جذوة قابس
يردد فوق الباسقات هديله	فيرقص أعطاف الغصون الموائس
فكم صفقت أجنأه وهو طائر	كتصفيق دارٍ للتلاحين دارس
يريك من المرجان حمر أناملٍ	ومن رائق الفيروز زرق ملابس
وينظر عن ياقوتتين تودّ لو	حوتهن أجباد الحسان الأوانس
إلى مثله تصبو النفوس محبةً	ففيه غنى عن مطرب ومجالس
عسى ابن همّشك أن يرى ما نرى به	فليس وإن شطّ المزار بأيس

(1) أورق: مذكر ورقاء حمامة يضرب لونها إلى الخضرة وتشبه بها النفس.

ولم لا ولي عند ابن مكي الرضا
 سيهدي مع الملاح زوجين منه أو
 فكم من كريم أقبلت منه تحفة
 فوجه أبا مروان لي متفضلا
 يسلي همومي حسنه وغناؤه
 عليكم سلام من محبكم الذي
 نخيره دار رسمها غير دارس
 سيعث لي زوجين صحبة فارس
 على نائي دار واتصال بسابس
 به فلقد عودت بذل النفاس
 فيصبح من بعد الحبيب مؤانسي
 يحلي بعليكم صدور المجالس

المصدر: القدح: ص 105 - 106.

3 - تورية

(مجزوء الرجز)

كم قلت إذ عذر من
 وعطلت من فتكها
 يا شعري خده
 كان الفؤاد منزله
 تلك العيون الغزله
 أني من المعتزله

المصدر: الوافي: ج 2 ، ص 15 - 16.

4 - سلام

قال كاتباً إلى صديقه ابن همشك التتلي:

(السريع)

بلغ سلامي يا أبا القاسم
 التتلي أكرم به من ذي اع
 وفي الزجاجات وإهدائها
 لابن همشك أوجد العالم
 تقاد سالف سالم
 ما شئت من سعد له قائم

من بلد الحبشان قد أُهديت للعربي الفاضل العالم
فأقدم . الرسل عليه بها حثاً فجاءت تحفة القادم
والكتب تأتيه جواباتها خطوطها تدرى على الراقم

المصدر: القدح: ص 105 .

5 - استجازة

قال مخاطباً ابن الأبار طالبا منه الاجازة:

(الخفيف)

إن رأى سيدي الذي حاز في العلـ	م مع الطم والعلا كل غاية
وحوى المجد عن جدود كرام	كلهم في السّماح والفضل آية
أن أرى عنه بالإجازة أروي	كل ما فيه لي تصحُّ الرواية
من حديثٍ وكلّ نظمٍ ونثرٍ	وفنون له بهنّ دراية
فله في ذاك الثّواب من اللـ	ه ومنّا الثّناء دون نهاية
دام في رفعةٍ وعزٍّ وسعدٍ	وأمانٍ ومُكنةٍ وحماية
ما تولّى جيشُ الظّلام هزيماً	وعلتُ للصّباح في الأفقِ راية

المصدر: نفح الطيب: ج 4، ص 120 - 121 .

أبو الفضل التّجاني

(657 - 718)

أبو الفضل محمد بن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن محمد التّجاني شاعر
وكاتب بديوان الانشاء ثم رئيس له سنة 707. من تأليفه:

- ديوان شعر لنا منه عدد من القصائد حفظها لنا ابن رشيد وعبد الله
التّجاني في رحلتيهما.

- حشر الأمم الخالية ونشر الرّمم البالية في التاريخ .

- الناسم في تاريخ السلطان الحفصي أبي يحيى زكرياء بن اللحياني.

- الحلى التّجانيّة والحلل التّجانيّة: في التّرجمة لآل التّجانيين.

1 - إلى أبي

قال مجيبا والده أبا الحسن علي في رسالة:

(الخفيف)

يا فراقَ الأصحاب والأحباب قُذْتُ نحوِي الأوصابَ من كل باب
أنت شكواي إن أطلتُ اشتكائي، أنت بلواي إن ذكرتُ مصابي
ما أقاسيه منك قلبي يدير وتديره لوعتي واكتئابي
زفرةٌ إثر زفرة، وولوعٌ في فؤادي، وحرقةٌ في التهاب
أنا لله أشتكي ما ألقى وأقاسي، فقد تعاظم ما بي
وأتاني من التفرّق أمر، عذب القلب، فهو سوط عذاب
ما أتيت الزمان مني بذنوب فيقيم النوى مقامَ العقاب
ويشبّ القلب المعذب نارا تترك الصبر من وراء حجاب
غيرَ أني شرفته بمقال ومعانٍ زانته من آداب
فلماذا يا ليت شعري، جفاني، وسقاني من كأسه كلّ صاب
إنها الحيرة، الذين تناؤوا عن جفوني وذكرهم في اقتراب
بنتمُ بالشباب عنّي، فعوبوا أو أعيدوا عليّ منكم شبابي
شاب رأسي، واسودّ صبحي فما أجد وج رأسي من صبغة لخصاب
أقبسوننا من نوركم، إننا من ذلك النور لم نزل في ارتقاب
والحظوها، لكم رسالة عانٍ ليس يجديه غيرُ ردّ الجواب

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 274.

2 - شوق

كتب الى ابن عمه عبد الله التّجاني معبرا عن حنينه إليه:

(مجزوء الرمل)

لمع البرقُ فشمتهُ	وبدا سرُّ كتمتهُ
وسرّي نحوي بسرِّ	ويعنّي ما فهمتهُ
مُعْلِمًا خَلْعَةً وَدَّ	من وداد قد علمتهُ
كاشفا عني قناعًا	بدموعي قد رَقَمْتُهُ
همل الدمع لبرق	بلاطى ناري وَسَمْتُهُ
وأطار القلبَ مِنِّي	ويؤدّي لَوْ زَمَمْتُهُ
فهو للوجد مضيّف	وعلى الشّوق ضَمَمْتُهُ
أفرد التّركيب بالتّحدُّ	ليل لما أن قسمتهُ
فلديّ الجسمُ والقلْبُ	بُلدى خلّ عَدَمْتُهُ
سار شرقا فمدحت الشـ	رقّ من غرب نَمَمْتُهُ
ثمّ حيّاني برّوحٍ	وبريحان شَمَمْتُهُ
بكتاب صبحٍ في الوُ	د دليلا فاقَمْتُهُ
كم سرحت الطرف مرّ	تاحا إليه ولثَمْتُهُ
رُسِمَت أحرفه فيـ	هـ خلوصا قد رسمتهُ
يعلم الّله اعتقادا	واتّحادا ما حرمتهُ
وانتسابا وانتسابا	لهوى مِنّي أدَمْتُهُ

وبعين القرب في سنَّ الهوى بالنفس سمته
فإذا صبحَ بشيء فهو ما بيئت رمته

المصدر: التجاني: ص 221-222 وأبيات منها في عنوان الأريب: ج ١ ص

90-89.

3 - روض كما شاء الربيع

قال مادحا أحد الوجهاء وكنيته أبو الحسن:

(الكامل)

روض كما شاء الربيع مدبج	وأزاهر مسكياً يتأرج
وخمائل خضر حكين كتابا	راياتها ظل عليها سجع
والأرض تكشف للعيون جمالها	مثل العروس لبعها تتبرج
وقد اكتست من سندسي نباتها	حلا تريك الحسن مما ينسج
والزرع والنعمان في أثنائها	بسط يزین حشوها ويهرج
تحكي شقائقه خدود معاشق	هي من دماء العاشقين تضرج
والزهر في أعلى الثمار كأنه	زهر، وتلك على الحقيقة أبرج
أو كالعرائس، والغصون قدودها	والزهر در مسطح ومدحرج
تجلي من الأوراق في حل لها	مرأى يروق الناظرين ويهيج
مهما ثنت من قضبها أعطافها	وشدت عليها ساجعات تهزج
أنسك أعطاف الغواني وازدرت	بنسب من يغري بهن ويلهج
ما كلت من نورها أغصانها	إلا ليفسخ عقدتها والدملج
كلأ ولا أهدت لنا أرواحها	إلا ليفسخ عطرها المتأرج

ساد الفصولَ ربيعُها فكأنَّه
 أو كالغلام وقد تكامل حسنه
 لُقِحَتْ جميعُ ثماره فكمامها
 فاجِلُ بملعبه خيولك لاهيا
 وادلج عشاياه، ففي إشراقها
 لا تُكْنِ عزمَكَ عن نديمك، واقتبس
 حيث الأباطحُ والرُّبى في حلتي
 والنهر كالسيف الصقيل يلوح أو
 وتخال ذاك النهرَ شَبَهَ الدهرِ في
 وإذا اعترت ظلمُ الهموم فجَلَّها،
 ومتى خَشِيت من الزَّمان فلذ بمن
 ومنه في وصف الممدوح:

ذات معظَّمَة، ومجد طائل،
 ومكارمُ أحيا بها أباؤه
 يا من تعجَّب من مكارمه التي
 صَحَّتْ مقدمتا الأصالةِ والجدا
 لمَ لا تعمَّ الخلقَ جدواه؟ وفي
 فمتى رأينا قبل رؤية كَفَّه
 إن ضلَّ عن سبل الفضائل سالك
 قلم على الإقليم طاعة أمره
 وإصابةً في الرأي والنطق الذي

مَلَكَ بئزهار الرُّبى متوجَّج
 والخذُّ وردُّ والعِذارُ بنفسج
 شَبَهَ الكُرات، وكلُّ غصنٍ صولج
 واركبُ خيول الأُنس ساعة تُسْرِج
 نُورُ الحياة وسرُّها المستخرَجُ
 من كَفِّه نارا بها تتأجج
 نُورٍ ونُورٍ، صبحُه متبَلج
 كالصلِّ ساعة يلتوي ويعرِّج
 حالیه فهو مقومٌ ومعوج
 وذبالُ كأسِك في يمينك مُسْرِج
 يحييك من عدوانه ويفرِّج

وحلا مكرمة، وحسن مُبهج
 كرما، فمن هو حاتم والحشرج؟!
 يتموّل الغادي لها والمدلجُ
 عند القياس له، فلمَ لا ينتج؟
 كلتا يديه زواخرُ تتموج
 كَفَّا بها لجج الندى تتدحرج؟!
 فله إلى سُبُل الفضائل منهجُ
 فإلى أوامره السديدة يزعج
 في موقف الإقناع لا يتلجج

وإذا أقام الرأي من هو كامل،
إيه بنفسي من خمولي لوعة،
سأبوح بالشكوى وأنها لمن
وأريح نفسي بالكلام لعلها
ما للزمان يسومني صبرا؟ وفي الـ
ويروم مني أن أريم مُنكبًا
يا سائلا عني وعن أحداثه،
ألقيت في دهري سلاحي ذلة،
وعلمت حقًا أنه لي مدرك
كيف السبيل إلى ورود مطالب
ما زلت أعجب من تحول حالتي،
أخفى وأظهر تارة، فكأنني
لولا ابن يحيى، وهولي أسنى المنى،
صدقت ظني حين لذت بجاهه
وأنال قصدي من علاه، ومن يلذ
هو من تفتح بابه للمرتجي،
وأنارت الأمداح لما صغفها
أهديتها مثل العروس، وحليها
وعلي أن أهديكها، وعليك أن
هذا ثناؤك قد بعثت به وفي
لا زلت في حل وفي سفر ترى،

فالرأي منه كامل لا يخدج
ولها من الزمن البخل مهبج
في البوح بالشكوى إليه تفرج
يقضى لها فرج بذاك ومخرج
أحشاء منه توقد وتوهج
عن ذمه، وهو الذميم المخرج
هل يدفع النيران عنه العرفج
فمتى أرد الدهر وهو مدجج؟
ولو أن مركبي الضييب وأعوج
أضحت بأقذاء القواطع تمزج؟
إذ لم أزل في كل طور أخرج
بصحيفة العلياء سطر مُدمج
ما كان لي نحو الحياة معرج
أنني إلى أفق المعالي أعرج
بجنابه فلفيره لا يحوج
فلذاك باب ثنائه لا يرتجج
حليا له، فالحق فيها أبلج
تلك الحلى، وجميل قصدي هودج
تهدي قبول هدية لا تسمج
أثنائه من صدق ودي مدرج
ما بتغنيه، ولا أخافك مرهج

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 265 . 267.

4 - بِحَقِّكَ أَعْلَمَنِي

قال مادحا الرحالة ابن رُشيد مجيبا إياه على قصيدة نظمها فيه:

(الطويل)

بِحَقِّكَ أَعْلَمَنِي حَقِيقَةً مَا تُبْدِي أَهَذَا الضُّحَى الْوَضَّاحُ، أُمْ قَمَرُ السَّعْدِ
فَمَا رَوْضَةً بِالْحَزَنِ لِلْمَزْنِ عِنْدَهَا يَدِ قَصَرَتْ عَنْ أَلْسِنِ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ
تَفْتُ عَلَيْهَا مِنْ ثَرَاهَا لَطَائِمُ مِنْ الْمَسْكِ، لَا كَالنَّدَى وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ
وَسَرَقُ مِنْ ذَاكَ الشُّذَى نَسْمَةُ الصَّبَا فَتُنْشِقُ مِنْ قَرَبٍ، وَتَنْشِقُ مِنْ بَعْدِ
دَعَاها هَوَاءُ لِلْهَوَى فَكَأَنَّمَا تَعَانَقَتْ الْأَغْصَانُ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ
وَقَدْ نَثَرَتْ أَزْهَارَهَا عِنْدَمَا التَقَتْ كَمَا تَنْثُرُ الْحَسَنَاءُ مُنْتَظِمَ الْعَقْدِ
وَسَامَتْ وَجَهَ الشَّمْسِ غَيْمٌ مَفْرُقُ كَمَا تَبْصُرُ الْخِيلَانُ فِي صَفْحَةِ الْخَدِ
وَأَلْقَى عَلَى بُسْطِ الرِّيَاضِ ضِيَائُهَا دَنَانِيرَ نَوْرِ، لَيْسَ تَحْصُرُ بِالْعَدِ
وَأَضْحَى حَمَامُ الْأَيْكِ يَشْدُو مَغْنِيَا مَغَانِي شُكْرِي، مَا لِمَجْدِكَ مِنْ وَرْدِي
مَآثِرُ مِنْ قَرطَاسِكَ الْمَوْنِقِ الَّذِي غَدَا رَوْضَةُ الْأَفْهَامِ بَلْ جَنَّةُ الْخُلْدِ
تَضْمَنُ مِنْ أُبْيَانِكَ الْغَرَ قِطْعَةً لَهَا مَوْقِعٌ فِي النَّفْسِ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ
وَأُورِدَ مِنْ سُلْسَالِهَا الْعَذْبِ كَوْثُرَا عَلَى ظَمَأٍ مَنِيٍّ إِلَى ذَلِكَ الْوَرْدِ
وَحَيَّاكَ مِنْ حَيًّا بَوْرْدًا، وَمَا عَلَى رَبِيعِ الْمَعَانِي أَنْ يُحْيِيَ بِالْوَرْدِ
خَطْبَتَ - فَدَتِكَ النَّفْسِ - مَنِيٍّ عَقِيلَةٍ بِشُكْرِكَ تَسْتَغْنِي عَنْ الْمَهْرِ وَالنَّقْدِ
وَأَمْهَرْتُهَا مُحَضَّ الْوَدَادِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيُطْلَبَ أَنْهَى مِنْهُ فِي مِثْلِ ذَا الْعَقْدِ
وَهَا هِيَ تَبْغِي مِنْكَ عَيْنَ الرِّضَا فَجَدَ عَلَيْهَا بِمَا تَبْغِي، وَعَدَّ عَنْ النَّقْدِ
وَزَدَ يَا مُحَبُّ الدِّينِ مَنَّا مُحَبَّةً وَيَا ابْنَ رُشِيدٍ لَا بَرَحَتْ أَخَا رَشْدِ

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 277 - 278.

5 - تقديم الأصفار على الأعداد

قال مخاطباً لبعض من آخر عن خطئه وقدم غيره في مرتبته:

(الرجز)

إن أخروك وقدموا من أثروا هذا وهم في نسبة الأضداد
لا تقلقن فإنما تقديمهم تقديم أصفار على أعداد

المصدر: رحلة ابن رشيد، النشرة العلمية: ص 273.

6 - شكوى

قال أبو الفضل: صرفني صارف من الدهر عن رؤية بعض الكبراء مع
ترادف الحال فخاطبته بهذه الأبيات ليفهم منها غير معنى الغزل:

(البيسط)

قولاً لعلوة: إنني بعد فرقتها أمسي وأصبح لا ألوي إلى أحد
وعرفاها بقلبي أنها سكنت فيه، كسكنى الهوى والشوق في خلد
وإن يكن عاقني عن وصلها قدر، فحبها ذاك، لم ينقص ولم يزيد

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 271.

7 - برق أنار

(الرجز)

برق أنار فهاج عندي النارا وأثارها منذ نكر الآثارا
وأسال أمطار الدُموع فلم يبن هل ذاب قلبي عندها أم طارا؟
فغدا لخفق البرق قلبي خافقا متقلباً ما أن يقر قرارا
أمسي تذكرني رسوما باللوى أقوت، وجاراً لي بسلع جارا

ومغانيا، ومغانيا قضيتها
يا بين قد بينت ما أخفيت من
أظهرت منه فوق ما أضمرته،
وازداد بي شوق، فلو لم تُبده
أخفيته ما استطعت قبل فراقنا،
وظننت أن الحب طور واحد
لله وقت بالعديب قطعته
واصلت فيه الوصل دون قطيعة
ونعمت فيه بمن أحب، ولم أخل
وهم الأوبة أنعموا بنعيمهم
غابت ديارهم فلم أقدر لهم
وجعلتهم نصبا لإنساني وإن
يا حاديا بل حائدا عن لعل
يممت غربا، والغرام مشرق،
أو ما رفقت بها ضعائن لم تزل
حملت قلوبا طائرات فوقها،
لولا الذي صحبتته في فلواتها

هي كانت الاوطان والاطارا
وجد أجد فأوضح الاسرار
وتركت سري في الوري سيارا
أبداه دمع قد جرى مدارا
وسدلت دون حديثه أستارا
فأبان لي بعد النوى أطوارا
أنساني الأوقات والأعصارا
وجنيت من روض المنى أزهارا
ذاك النعيم يديلي إسماعرا
أو أضرموا بين الجوانح نارا
إلا بأن صيرت قلبي دارا
حجبت دموع قد جرين غزارا
وربى العقيق، أما نويت مزارا؟
فتركت بحر مدامعي زخارا
ترمي بها الانجاد والأغوارا
قد صيرت أكوارها أوكارا
رامت إلى مغنى الحبيب مطارا

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 264.

8 . وصف الدهر

قال في وصف الدهر وبنيه، والتزم ما لا يلزم ٢

(البسيط)

ما أجور الدهر إلا أنني رجلٌ قُطِعْتُ باليأس منه عندما جارا
جاريته طلقا خبراً، فأطلعني على تنقصه من بعد ما جارا
وقد نظرت بنيه، واختبرتهم فعندما زرتهم ألفت أحجارا
فلا أصادق من أبنائه أحدا لو كان طوع يدي، أو كان لي جارا

المصدر: رحلة ابن رشيد: الفثرة العلمية: ص 271.

9 . يومٌ بقباس جنة الدنيا

قال يصف إحدى عشيّاته بساحة عنبر وهي مكان بين مدينة قابس والبحر:

(الكامل)

اذكُر عشيّتنا بساحة عنبرٍ والجو يتحفنا بنكهة عنبر
حيث النّخيلُ عرائسُ بسط الحيا بسطاً لها من أخضرٍ أو أصفرٍ
والشمس تستحي فتستر وجهها عنا بسترٍ للعروس محبّرٍ
والنور بين مفضضٍ ومذهب والنور بين مدرهم ومدنرٍ
والنهر والغدرُ ادرعن تحصناً إذ صفت الغابات صفّ معسكرٍ
والبحرُ يرمقنا بمقلة أزرق والبرُ يرمقنا بمقلة أغفرٍ
في جنة لو نلت من خلد بها قصدي بلغت إلى النعيم الأكبر
ومحلّ أنس قلتُ بين رياضه برياضة قادت لأبهى منظرٍ
ملنا بمنعرج المصلّى نحوه حذر الرقيب ولّيته لم يحضر

وَجَرَى لَنَا فِيهِ حَدِيثُ كُلِّهِ
تَجْرِي أَحَادِيثُ الصَّبَابَةِ وَالصَّبِيِّ
وَتُنْدِيرُ كَاسَاتِ الْمَحَبَّةِ بَيْنَنَا
حَتَّى إِذَا وَلَّى الْعَشِيَّ وَأَنَّ أَنْ
قَمْنَا نَجْرًا مِنَ الْعَفَافِ سَوَابِغَا
يَوْمٍ بِقَابِيسَ جَنَّةِ الدُّنْيَا وَفِي
لَطْفٍ حَضَرْنَا مِنْهُ أَطْيَبَ مَحْضَرٍ
بَارَقَ مِنْ مَسْرَى الصَّبَا الْمُتَعَطَّرِ
فَقَنَمِيلُ مِنْهَا بِالْحَلَالِ الْمُسْكِرِ
نَمْتَازُ عَنْ نَظَرِ الْمَرَادِ الْأَنْضَرِ
لَمَّا نُغَيِّرُهَا بِصَبْغَةِ مَنْكَرِ
قَلْبِي لَوْشَكَ الْبَيْنِ حَرْقَةً مِسْعَرِ

المصدر: رحلة التجاني، ص 88-89، وعنوان الأريب: ج 1، ص 91.

10 - نَعَمُ اللَّهُ

قال في وصف نعم الله تعالى عليه ولطائفه الجميلة:

(البسيط)

لِلَّهِ فِي حَالَتِي سِرٌّ أَسْرُ بِهِ
وَلَسْتُ أُحْصِي وَإِنْ عَدَدْتُ أَيْسَرَهُ
مَا عَنْ لِي وَجَلٌّ إِلَّا وَأَمْنِي،
وَلَا اعْتَرَى عُسْرٌ إِلَّا وَيَسْرَهُ

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 271.

11 - اسْتِدْعَاءُ لِلْإِجَازَةِ

(الخفيف)

أَيُّهَا السَّادَةُ الْأَبَاعِدُ عَنَّا
صَلَّتِي عَائِدَ السُّؤَالِ مَجَانَا
لَمْ يَحْصُلْ إِلَّا حَقِيقَةُ عِلْمٍ
وَعَدَدْتُنَا آمَالُنَا بِلِقَاكُمْ
وَعَلَى الْفِكْرِ أَنْ يَقُومَ بِمَدْحٍ
أَقْبِسُونَا مِنْ نُورِكُمْ بِالْإِجَازَةِ
فَنَجِيزُوا لَكِي تَجُوزُوا مَجَازَهُ
قَرَبِكُمْ، فَابْعَثُوا إِلَيْنَا مَجَازَهُ
وَلَعَلَّ الْأَيَّامَ تُدْنِي نَجَازَهُ
فِيهِ أَرْضَى تَقْصِيدَهُ وَارْتَجَازَهُ

مع أَنِّي حُرِّمْتُ مدح بني الدُّف — ر فشعري مذ جازه ما أجازَه
وعُلاَكُمْ تقضي امتداد امتداحي واعتلالُ الأفكار تقضي الوجازَه

المصدر : رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 284.

12 - سلوك

وقال وأصفا حالته مع الصديق، وقيامه في موافقته بواجب الحقوق:
(الطويل)

إذا ما جفا خِلُ جفوتُ، وإن رأيتُ مصادقتي أولى قضيتُ بما قضى
وما ذاك زهدا في الصديق، وإنما أوافقُه في حالة السَّخَط والرِّضا

المصدر : رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 271.

13 - حرف الواو

قال متمكلاً بالنحو :

(الطويل)

وكنْتُ أَظُنُّ الواوَ واوَ عِذاره تجيء لمعنى العُطْف، فامتنع العُطْفُ
وما صحَّ إلاَّ أَنها حرفُ عِلَّة لوجدتي، ولكن في فؤادي هو الحذف

المصدر : رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 272.

14 - أهدي سلام الود

كتب إلى عبد الله التّجاني مجيباً على تهنئة له بالترقية في ديوان الإنشاء:

(الكامل)

أَهْدِي سَلَامَ الْوُدِّ خَيْرَ رَفِيقٍ
وَمَقَامَ عَبْدِ اللَّهِ نَجْلِ مُحَمَّدٍ
نَدْبَ تَحَلَّى مِنْ جَلَالَةِ سِنْدَسٍ
وَأَزْدَانٍ بِالْفَضْلِ الَّذِي هُوَ مُرْضِعُ
زَانَتِ فَتَاةِ السَّنَنِ مِنْهُ فَتَوَّةٌ
وَمَعَارِفُ تُدْرَى لَهُنَّ عَوَارِفُ
أَمَّا مَوَاقِيقُ الْعُهُودِ فَإِنَّهَا
وَمَشَارِعُ الْوَدِّ الَّتِي أُرَوَّى بِهَا
هِيَ مَا عَلِمْتُ مَوَالِدُ وَمَرَاضِعُ
وَدَلِيلُ تَاكِيدِ الْوُدَادِ رَسَائِلُ
تَدْنُو عَلَى شَحْطِ الرُّبُوعِ كَأَنَّهَا
أَوْ كَالْحَيَا الْهَتَّانِ يَرُوي مُمَحِلًا
وَلَرَبَّ قَافِيَةٍ أَتَتْ قَافِيَةً
فَلَنْ تَمَكَّنَ مِنْ طَرِيقَتِهِ أَمْرُ
أَنْتَ الَّذِي تَجْلُو الْمَعَانِي حُلُوءَ
وَلَكُلِّ مَعْنَى زَانَهُ اللَّفْظُ الَّذِي
وَأَنْتَ تَهْنِي لِي بِأَسْعَدِ رَتْبَةٍ

مَنْ عُدَّ أَوْحَدَ أُسْرَتِي وَفَرِيقِي
فِي قَوْمِهِ سَامٍ عَلَى الْعِيَاقِ
وَأَقَامَ لِلْعَلِيَاءِ أَنْفَقَ سُوقِ
لِبْنِي الْأَفْضَلِ لَيْسَ بِالْمَذْذُوقِ
قَدْ ضُمَّخْتُ أَخْلَاقَهُ بِخُلُوقِ
فِيهَا حَقِيقُ مَجْدِهِ بِحَقُوقِ
أَبْدًا لَدَيْهِ مَمِيزَةٌ بِوُثُوقِ
مَا أَمْطَرَتْهَا خُلْبَاتُ بُرُوقِ
وَزَكَاءُ فَرْعٍ مِنْ زَكَاءِ عَرُوقِ
تَقْضِي بَعْدَ فِي الْوُدَادِ وَثِيقِ
شَمْسُ تَعُمُّ بِبَهْجَةٍ وَشُرُوقِ
فَيَعُودُ بَعْدَ الْمَحَلِّ جَدِّ أَنْيَقِ
تَقْفُولُهَا الشَّعْرَاءُ نَهْجَ طَرِيقِ
فَلَهَا مَكَانٌ لَيْسَ بِالْمَطْرُوقِ
يَصْبُو الْحَجَى لِجَمَالِهَا الْمَرْمُوقِ
يَكْسُو كَفْصَنَ فِي الرِّيَاضِ وَرِيقِ
رُقِعَتْ بَحْرٌ سَوَابِغُ التَّوْفِيقِ

ومقدّم بالآله شرط قضية
وأجل ما أثرته حظاً أتى
هي نظرة من نحو خير خليفة
ما كنت لولا أن عين رضاهم
سودت أن طوّقت نِعْماء التي
وكفاية الآثار قد قابلتها
هو مشرب أنا منه صاحب نشوة
لا اشتكي إلا نواك فأنتني
سحقاً لدهر لو قضى بتألف
أقصى فلولا ما دعوه أبا الوردى
أعليه نذر لا يزال يفي به
لم أنس سيل الدُمع يوم فراقنا
ما إن ذكرت البين إلا بان من
فالآله أسأل أن ينظم شملنا

قُرِنتُ بها الآمال بالتصديق
عفوا بدون الظن والتعليق
غاضت أبا زيد بخير عتيق
نظرت بأيسر ما جرى بحقيق
قد قام فيها شاهداً تطويقي
بفصيح قول في الثناء طليق
ومواصل لصبوحة بغبوق
من أجل حادثها أغص بريق
لغدا مكان الإلف غير سحيق
لعقته ويقل فيه عقوقي
أن يعقب التجميع بالتفريق
وغريقنا مستمسك بغريق
نفسي ومن نفسي دخان حريق
عقداً ويجمع نازحاً بمشوق

المصدر: رحلة التّجاني: ص 281 - 283، وعنوان الأريب: ج 1، ص 87 -

15 - رثاء ابن أبي رقيقة

قال يرثي أبا العباس أحمد بن محمد الخزجي بن أبي رقيقة يوم 7 رجب سنة 681 هـ.

(مجزوء الرجز)

قالوا: ارتدى ثوب الردى أستاذنا ابن أبي رقيقه
فأجبتهم هذا نعي — في العلم والنكت الرقيقه
إن كان مات فلم تمت إلا المعارف في الحقيقه
المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 412.

16 - رثاء ابن أبي الدنيا

قال يرثي الأديب الفقيه أبا محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي:

(الرجز)

أطلق دموعك ولتدع إمساكها قد حل خطب ناثر أسلاكها
وأتى الزمان بنيه بالرز الذي أسر النفوس، فما تطيق فكاكها
من بعد موت أبي محمد الرضا حييت لواعجها، وكن هلاكها
عم البرية بالريّة، واغتندي عدم التآسي غالبا نسّاكها
يا دهر قد فاجأنا بعظيمة بوأت من نيرانها أدراكها
ما خلت أنك، واقتدارك بين، تأتي بها أو تدعي إدراكها

أَو لست تدري أَنَّ من أُعْذِمْتَهُ
حَالُكَ من أسلاكه بجواهر،
وحباك من أحكامه وعلومه
وأقام للعليا منارة راهب
ما كان إلا حين أن كَمَلْتَ به
وَقَبَضْتَ بعد البسط نَفْسَ مَجْدٍ
سترى سماء المجد بعد فراقه
وَتَقَلَّبَ الدُّنْيَا لِيَالِيهَا على
من للمَعَارِفِ بعده، وهو الذي
من للأصول وللِفروع جميعِها
من للشُّكُوكِ يَحِلُّهَا ويَحِلُّها
من للعوارف، وهو إن أهداكها
لم يُسَدِّ يوما من منائحها يدا
أسفا على قاضي القضاة، ومن به
عبدِ الحميد نتيجة الأعلى أبي الـ
كم نال من خِطَطِ فَصَيَّرَ قُطْبَهَا
وأباحها خطابها ككواعب
حتى إذا قُضِيَ الحِمَامُ أعاده
لله ما أعداه من رزء على
قد أوشكتُ نفسي تنوب كآبة
وبكيتُ من جزع عليه، كما بكيت

قد كان كلُّ فضيلة أعطاكها:
خَطْبُ النوى من بعده أسلاكها
حفظا، فقل: من ذا سواه حباكها؟
فهذاك نحو سبيلها وأراكها
الدُّنْيَا نسيَتْ صنائعها وأولاكها
فقدت على إثر السكون حراكها
تسودُّ لَهَا أن سترت سِمَاكها
أَيَّامَهَا وتَعِيرُهَا أخلاقها
ما زال مالك رَقَّهَا وملاكها
يرمي عليها من نُهاه شِبَاكها؟
ويصدَّ عنها ناصبها أشراكها؟
فكأنَّه طَرِيًّا بها استهداكها؟
إلا، بأخرى عاجلا، أنساكها
وبعلمه، كَنَّا نرى استمساكها
ببركات مَنْ عَجَمَ الأمورَ ولَاكها
تدبيره، وسعوده أفلاكها
جعل الندى متوليا إملاكها
خبرا، وأعدم ذاته إملاكها
مُهَيِّج، أحلَّ حلوله إهلاكها
ورأى وفائي يقتضي إيشاكها
ورُقُّ الحَمَامِ الرَّاقِيَاتُ أراكها

وسالت فكري أن يُجيد رثاءه، فُأجابني، من قبل هات، بهاكها
فأتت كمقصدها الجميل قصيدة حاكي البرود بنسجها إذ حاكها
لم لا أُعيرُ الدهر منها مسكة، وأنا الذي اتَّخذُ القريضَ مداكها

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 269 - 270.

17 - سقى الله هاتيك المعاهد والرُّبى

(الطويل)

له عند سكّان الغُويرِ وسائلُ يدلّ بها في الحبِّ راجِ وسائلُ
أحاط به وجد، وفي رمل عالج⁽¹⁾ علاجُ لداء الوجد، والبعد عاجلُ
وعن سائل ما زال دهرًا مسائلًا وفيها له لو أن تقضى مسائل
سرت نحوه بالسّر من حاجرٍ⁽²⁾ صبا، صبا نحوها والريح في الدُّوحِ فاعلُ
وراحت إليه شمائل برسائل فلاحَت على تلك الشّمال شمائل
ومذ صبحته نسمَةُ الصُّبحِ أقبلت تخبره أن الرضا عنه حاصل
تنسم من ذاك التّسيم شذا الرضا، فيا طيب ما أسدت قبول تُهايلُ
وذكّره سلعا⁽³⁾ فسل عن خياله، وخبر عن سلمى فسل ما يحاول
سقى الله هاتيك المعاهد والرُّبى عهادا يحييها فتحيّا الجنادل
ولست لها مستسقىا وكفّ الحيا، كفتها دموعُ هامياتِ هوامل
ليسقى الحيا وادي العقيق⁽⁴⁾، وأدمعي مذابُ عقيقٍ فوق خديّ سائلُ

(1) رمل عالج: جبال متواصلة يتصل اعلاها بالدهناء ويتسع اتساعا كبيرا حتى قيل رمل عالج يحيط بالكثير أرض العرب.

(2) حاجر: موضع في ديار بني تميم.

(3) سلع: جبل متصل بالمدينة.

(4) وادي العقيق: وادي بالمدينة المنورة.

وتسحب في نجد وغور⁽⁵⁾ ذيلها
 إذن لا تقلدتُ الحسام الذي به
 فكم أنستني من دُمَاهَا أوانس
 نواعمُ أجسام، موانع سلوة
 هززن قدودا لا يشك بأنّها
 يحركن من أعلى القدود نوائبا،
 ويسمن عن درّ، إذا لم يكن لمن
 ليالي وردُ الحبّ صاف، وعهده
 ولا قلبَ إلّا وهو خال من الأسى،
 وليّنة الأعطاف بيني وبينها
 سرّيت إليها في ليال عواقم
 يدلّ ليّ الطرق اعتلاق ولوعة
 وراحلي قد أضعف السيرُ والسرى
 تحمل جسمي، وهي في ضعف ضعفه
 إلى أن طرقت الحيّ من آل عامر،
 فأبصرت من أبطالهنّ طوائفا
 وكانوا أخافوني الردى فعصيتهم،
 وكيف يخاف الحين أو يُحرّم المنى

سحاب، وفي الأجفان سُحْبُ هواطل
 أصول، ولا هُزّت بكفي عوامل
 بهنّ الذي بي من هوّى هو شامل
 بواذل وصل، بالصّدود بواخل
 عوامل للصّابي المصابِ قاتلُ
 حكّت عذّباتٍ حرّكتها النّوايل
 تقلّد درّا مثله، فهو عاطل
 قديم، ولم ينقله بالبعد ناقل
 ولا وقتَ إلّا وهو بالوصل أهل
 عقود هوّى فيها تحارّ العواذل
 وبى شغل من شدّة الوجد شاغل
 ويخفّرني فيها حسام وذابل
 قواها، وعن جهدٍ تكلّ الرّواحل
 كما حمّلت جسمَ الحسام الحمائل
 ولا عامرُ إلّا الجياد الصّواهل
 طوائفٌ تحميها القنا والقنايل
 وبِتْ وَمَنْ أهواه دان مواصل
 فتّى، وله في خدمة المجد طائل

المصدر : رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 262 - 263.

(5) الغور: غور تهامة.

18 - يا طالب الأموال

(السريع)

يا طالبَ الأموال أقصر، ففي حرصِكَ إهمالُ لأعمال
اطلب غنى النفس تَقَرُّ بالمتى، ليس الغنى عن كثرة المال

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية، ص 272.

19 - شمعة

قال أبو الفضل:

ارتجلت وقد أرقّت ذات ليلة، وبين يدي شمعة، لا تغيض لها دمعة:

(الرجز)

يا شمعةً قامت على ساق، وقد جنّ الدُّجَى، واشتاق قلبي الهائم
بينني وبينك نسبة، وتشابه فكأنّ شخصي في الحقيقة قائم
لوني، وسقمي، وانسكاب مدامعي وسهاد جفني، واللّهيب الدائم

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 271.

قال أبو الفضل:

سألني صاحبنا المحدث الزاهد أبو العباس أحمد بن محمد بن ميمون الأشعري، حفظه الله، أن أذيل له على هذا العجز:

ربّ سهم أصاب من غير رام

فقلت:

(الخفيف)

ورشا غرني بلين القوام،	وفتور بلحظه، وسقام
جنته أحسب المرام قريبا	فرمتني ألاحظه بسهام
لم أخل أنها من الضعف تسطو	فإذا قلبي المعذب دام
فاحذروا أسهم اللواظ تنجوا،	ربّ سهم أصاب من غير رام

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 272.

21 - رثاء الأدبيين ابن أبي تميم وحازم القرطاجني

قال راثيا الأدبيين محمد بن أبي تميم الحميري وحازم القرطاجني وقد توفيا ببتونس سنة 684 هـ:

(الوافر)

ثوى ابن أبي تميم، ثم حازم	فحزني بعد دفنهما ملازم
هما الشيوخان، إن ذكرت شيوخ	تشد إلى لقائهم الحيازم
هما العلّمان، إن ذكرت علوم	تعرفها يعد من اللوازم
حذفت الصبر بعدهما، ولم لا	وخطبهما لفعل الصبر جازم

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 270.

قال مادحا أحد الرؤساء الوجهاء بتونس:

(البسيط)

عَوَّلَ على واحد الدُّنيا أبي الحسن
ولذَّ بخدمته، واركنَ لحرمة
وردٍ ورْدُ مورداً أو روضةً بهراً
فهو المؤمِّلُ من قربٍ ومن بُعدٍ
يحبو البعيد بما يحبو القريب كما
فتنتني نحوه الأرواحُ رائحةً
وتجتني كلَّ حينٍ من معارفه
من كان أمله يوماً وأُمٌّ له
ومن شكَا سوءَ حظٍّ في غنى وعُلا
طبع له ليس يخشى من تطبَّعه،
وشيمة شامٍ منها برقٌ مُنيته
كلتا يديه إذا فاضت أناملها
هي البحار بلا شكٍّ تفيض على
يا سابقين إلى عليائهم ولهم
أنتم هم النَّاسُ، والدُّنيا لكم تبع
لأنت بكم، ففعلتم في حميتِها
علت على الدهر من أمداحكم خَلَعُ
عَدْنِيَّةِ الحسنِ وشَتَّ في جوانبها

نحو المنى بالغنى والجاه في قرن
تركنَ لحصن يقي من سطوة الزَّمن
من جوده العدَّ أو من خلقه الحسن
وهو الممدِّح في سرٍّ، وفي علن
يسلي الغريب - بما يسدي - عن الوطن
كأنَّها قطٌّ لم تسكن إلى سكن
أزاهرَ الفنِّ تُنسي مُزهرَ الفنِّ
أناله المنَّ والسلوى من المن
نال الرُّغائب واستعلى على القن
وسنةً قد جرى فيها على سنن
من سامها فحوَّأها دون ما ثمن
لم يكفها أن تُرى كالواكف الهتن
سطح الدُّنْيا، وجميع النَّاسِ كالسَّقَن
جدَّ بنيل الأمانى جدَّ مرتَهَن
ملكتموها برأي منكمُ حسن
فعل الكرام، فلم توهن ولم تهن
أبهى وأبهر ممَّا خصَّ باليَمَن
يدُ البديع بديعا ليس في عدَن

تجلى وتجلب إن قيلت وإن قبلت
 فيا مؤملي الأسنى الأجل، ومن
 إنني فزعت إليكم شاكيا زمتا
 دهر متى ما أراني ودّه كشفت
 والنّاس فيه كما قد قال شاعره
 وليس لي أبدا في غيركم أمل
 هاك القوافي خذها، إنّها امتزجت
 ثنى الثّناء له أبياتها جمعا
 ومدح مجدك فرض عند ذي أدب
 وأنت أفضل من ترجى عنايته
 فاستقبل العيد في عزّ يدوم، وفي
 ودم لنا جنّة تُجنّي أزاهرها
 ما أشرقت غرر الدنيا محاسنكم

على المسامع فوق الألسن اللّسن
 صددت في مدحه جفني عن الوسن
 جرعت كاساته الملأى من الشّجن
 أيّامه لي عن ما فيه من دخن
 يخلو من الهمّ أخلاهم من الفطن
 إن لم أوّلكم في مقصد فمن؟
 بها حلاك امتزاج الماء باللّبن
 وقد جرى مثل جري الرّوح في البدن
 وشكر ودك عندي أكّد السنن
 بكلّ ممتهن بالدّهر ممتحن
 سعد يقابل بالإقبال والهدن
 وجنّة هي أوقى سائر الجن
 وأصبحت وهي ملء العين والأذن

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 267 - 268.

23 - إخوانية

كتب يتشوق لصديقه عبد الله التّجاني ملتزما تشديد حروف الرّوي ويلي
 الأبيات نثر:

(مجزوء الرمل)

من لشغفوف معنّى
 راعه الدهرُ بيّين
 نكر العهد فحنا
 بعدما كان اطمئنا

أَبْصَرَ الرَّبَّ بَعْدَ قَوَاءٍ
وَتَمْشَى مَشْيًى وَلَهَا
وَشَجَاهَا هَاتِفٌ فَوْ
إِلْفِهِ دَانَ فَلَوْ فَاءِ
أَطْرَبَ الرُّوحُ وَأَبْرَ
فَهِيَ مِنْ فَرْطِ ارْتِيَاكِ
وَتَذَكَّرْتُ زَمَانًا
وَحَدِيثًا مَا أُحْيَلَا
وَيَصْدِرِي مَيِّتٌ سَرَّ
لَسْتُ فِيهِ بَضْنَيْنِ
أَيُّهَا الْأَحْبَابُ مَا بَنَى
أَطْلَعُوا مِنْ قَرَبِكُمْ صَبْرًا
وَانْظُرُونَا نَقْتَبِسُ مِنْ
مَا عَلَيْكُمْ لَوْ نَظَرْتُمْ
وَسَمَحْتُمْ لِقَرِيحِ الْقَلْبِ
لَمْ يَزَلْ فِي كُلِّ مَعْنَى
رَاكِبًا فِي كُلِّ فَنٍّ
لَا يَحَاشِي مِنْ فَنُونِ الْوُ
هَلْ أَمَانٌ مِنْ زَمَانٍ
سَنَ أَغْيَارًا وَغَارًا
وَرَمَانًا بِسَهَامٍ

فَبَكَى شَوْقًا وَأَنَا
نَ بِهِ يَقْرَعُ سَنَا
قِ الرُّبَى غَنَى فَعَنَى
رَقِ الْفَا مَا تَغَنَى
دَتِ شَجُونِي حِينَ ثَنَى
دُونَ رَاحِ تَتَثَنَى
بِالتَّدَانِي مَرَّ عَنَّا
هُ وَسَرًّا مِنْهُ صَنَّا
مُذَرَجًا فِيهِ أَجِنَّا
عِنْدَمَا يَعْمَلُ ظَنَّا
تُمْ وَلَكِنْ نَحْنُ بِنَّا
حَا فَلَيْلُ الْبُعْدِ جَنَّا
نُورِكُمْ مَا نَتَمَنَّى
نَظْرَةَ الْإِشْفَاقِ مَنَّا
بِالسَّلْوَانِ ضَنَّا
يَجْلِبُ الْوَدَّ مَعْنَى
مِنْهُ ذِيَالًا وَفَنَّا
دَّ وَالْإِخْلَاصَ فَنَّا
فَرَضَ الْبُعْدَ وَسَنَّا
تِ النَّوَى وَالْبَيْنَ شَنَّا
بَعْدَمَا كَانَ مِجَنَّا

عَهْدٍ وَالْمِيثَاقِ خُنًّا	خَانَنَا الْعَهْدَ وَمَا لَلْـ
لِلنَّوَى لَا يَتَأَنَّى	وَجَرَى جَرَى سَبُوقِ
بَعْدَمَا كَانَ أَمِنَّا	نَالَ مِنَّا بِافْتِرَاقِ
دَانَ وَهَيَّا حِينَ عَنَّا	وَعَنَاءِ تَرَكَ الْأَبْـ
حِ مَنَاصَاتِ فَجَنَّا	عَقْلَ الْعَقْلِ بِتَسْرِـ
ضَعْفِ الصَّبْرِ فَإِنَّا	عِنْدَمَا شَدَّتْ رِحَالُ
بِجَمِيلِ الصَّبْرِ أَتَى	كَيْفَ بِالصَّبْرِ وَأَتَى
سَخِ مَا قَدْ كَانَ سَنَا	وَلَعَلَّ الدَّهْرَ يَنْـ
مَا كَمَا كُنْتُمْ وَكُنَّا	وَيَعِيدُ الشَّمْلَ مَنْظُورِ
عَقْدَ أَمْرٍ يَتَسَنَّى	وَإِذَا مَا اللَّهُ سَنَى

المصدر: رحلة التَّجَانِي: ص 288 - 290.

24 - شَكْوَى

قال معرِّفاً بنفسه مشتكياً من الزَّمان:

(الخفيف)

وطوتني الآدابُ بالنَّشْرِ طَيًّا	أَنَا مِنْ قَدْ عَلِمْتَهُ مِتُّ حَيًّا
وَمَكَانٍ لَمْ أُمَسِّ فِيهِ هَنِيًّا	فِي زَمَانٍ بَنُوهُ أَجْوَرُ مِنْهُ،
لَمَكَانٍ سِوَاهُ شَيْئًا فَشِيًّا	هَبَّكَ أَنْ الْمَكَانَ أَنْقَلَ رَحْلِي
أَنْتَنِي أَصْلَحُ الزَّمَانَ الدُّنْيَا؟	مَا احْتِيَالِي، وَكَيْفَ يُجْدِي احْتِيَالُ

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 262.

25 - رثاء ابن أبي الدنيا

قال مرتجلا حين دفن العالم الأديب أبو محمد عبد الحميد بن أبي الدنيا:

(الوافر)

عَدِمْتُ صبري، ووجدت الأسى لما فقدت ابن أبي الدنيا
وكيف لي صبرٌ ومن بعده قد أظلمت في عيني الدنيا

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 270.

26 - نصيحة

(السريع)

عليك بالأعمال تجني بها ما تشتهي من كل أمنية
وأخلص النية في فعلها، فإنما الأعمال بالنية

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 272.

- نصوص نثرية:

1 - رسالة إلى والده أبي الحسن علي

أخصّ والدي السيّد المكرّم، الموقّر المبجل المعظّم، قدوة الآباء، وفخر الأبناء، أحسن الله بغياء، ويسّر عن قريب لقياء، بتحية عرفها من ذكره. وخلوصها من خلوص نجره، وسلام سلامته مستعارة من صدره، وفخامته مستقادة من قدره، وأعرفه عرفه الله ما يسره، وصرف عنه من صروف الزمان ما يضره.

إنّا بعد بعده، ووجود فقده، كرسوم فقدت ناسها، وجسوم عدمت أرواحها وإيناسها، وما ظنك بالرّسوم بعد الجسوم، والأشباح بعد الأرواح، ولولا - يعلم الله - ذكرٌ تبقّى الرّمق، وفكرٌ تسكّن القلق، ومنى تطفي حريق الحرق، وتفرّق مجتمع الفرق، وكلّها في ذهاب الغيبة، واقتراب الأوبة، ودفع الشتات، وجمع الشمل بتلك الذات، لذابت أجزاء النّفس، وأصبحت كأن لم تغن بالأمس، إلّا أن في الأمانى، بعض الدّاني، وفي الأمل، تشكياً للوجل.

وأما ما لدينا من التّوق، وشدة الحنين والشّوق، فاسألوا النّسيم إذا سرى عنه، واستخبروا النّجوم فعندها خبر منه، واحترزوا من هبات تلك النّسمات فإنّا بعد أن نشرّت صباها نسيما، أعادها زفيري سموما، وإن وجدتم نارها بردا وسلاما، فلأنّها تحملت إليكم سلاما، واستلمت تمنّياتي عنّا استسلاما، فاستخبروها فخبّرها صدق، وسألوها فحديثها حق. وأما أخباركم فإنّ الأوهام تمثّلها، والأفكار تصوّرها وتخيّلها، إذ لم يصلنا من قبلكم إلّا كتابان اثنان، تلقّيناهما باليمين تلقّي عرابة، وأعجزنا ما ضمّناه من غريب في معانيهما وغرابة، أحدهما الذي استفتحت به أبيات. بل أبيات من الفصاحة بيّنا، عبّرت فيها عمّا يجنّه جنانك من الشّوق والوجد، ويضمّره ضميرك من ألم النّأي والبعد، بعبارة أشرق من جمع الشّيتين، ولفظ أحلى من القرب بعد البين، وقد جعلته لنفسى لزيما، واتّخذته سميرا ونديما. ولكثرة استعماله، وعدم إبعاده وإهماله، لم يبق إلّا رسمه، ولا صحّ بيدي منه إلّا اسمه. وذلك الرّسم قد أحرقتة

حرارة الضلوع، ومحت أسطره غزارة الدَّموع، فهو بيدي خلق رث، وهباء منبث،
ولو لم يعبر عن حالك، ويخبر عما ترومه في ارتحالك، لدريناه دراية ما نكابه،
وعرفناه عرفان ما نزاوله ونشاهده.

وأنتم وإن بنتم عن الأبصار، فما بنتم عن الأفكار. وإن غبتم عن العيان، فما
غبتم عن الجنان. والله أنت حيث قلت:

لئن تناعت بنا ديار، لقد تذاثت بنا قلوب
وهل يعدُّ الفتى بعيدا مَنْ وُدُّه حاضرٌ قريب

وحاشا لله أن تُحسب نائيا، وقد غبوت بالذِّكر دانيا، أو يصفر من معنك
مغناك، وفي القلب مثواك وسكناك. وما غاب في الحقيقة مَنْ ذكرناه حاضرة، ولا
أوحش معناه من صدور أهله به عامرة. وكيف يؤلمها ذلك الألم رحيلك، وأثناها
نزولك، ومنها وفيها ظعنك وققولك، غير أنها ألفت حضورك جسما، فلم تقنع به
وهما، واعتادته للعين عيانا لا خيالا، فلم تعدَّ به بعد ذلك تصوِّرا ومثالا. وما
كنت أحقق أن سهام النوى تشقَّ سدف الأجساد، إلى هدف الأكباد، وتصيب
بعرض البعاد، غرض الفؤاد، حتى رماني الدهر منها بسهم فراقك، وأظلمت
ربعي في تشريقك بعد إشراقك. فلما أصاب من قلبي بسهمه سويداءه، وأطال
زمن البعد بهذا الحادث داءه، تيقنت أنه فوق ما يظن، وأشفقت على جناني ممَّا
يجن، فقد كاد لما به يجن.

(البسيط)

يُجَنُّ شوقا فلولاً أن رائحةً تزوره في رياح الشوق ما عقلا

وصرت مهما خلوت دعيت نيتي ودعوت سائلا ربَّ المشرقين والمغربين، ألا
تصيب القريبين أسهمُ البين، وأن يدفع عن الأكباد، مكابدات البعاد، ويمنع عن
الفراق، أرياب الرفاق، حتَّى لا تخذ مطية إلا لقرب، ولا يخطر خاطرُ بعدٍ بقلب.
وأنا أسأل من أغناك إلا عنه، وأبعدك منَّا لتقرب منه، أن يبسرَّ مرامك، ويقضي
حجك واستلامك، ويعود بك إلينا صالح الأعمال، ناجح الآمال معافى في النفس
والمال، لينجير صدعُ الشَّمْل، ويستبشر جميع الأهل، والسَّلام.

2 - من رسالة إلى ابن عمه

من رسالة الى ابن عمه عبد الله التّجاني، أولها قصيدة من مجزوء الرمل:

وهل أعزكم الله للقلب ارتياح، الا اذا كان لشمس القرب التياح، فحينئذ
تتجلّى ظلمه، ويشهر بناره علمه، فنور القريب لا يبقى ظلاما، وينادي نار القلب
يا نار كوني بردا وسلاما، وسيأتي عند جسم نداه جوهره، ولم يغب عن القلب
مظهره، وروح انتلف مع البعد متعارفها، واتخذ بالذم في أهل النهى معارفها،
والأسباب التي تدني الشاسع، وتنفي القاطع، شوق من خافق الجناح أو كتب
تتصل به أشعة شمس، أو سر لا ينشر دفينه من رسمه، وأقواها سببا، وأقربها
نسبا، تعارف الرّوحين في مبدأ أول، وتوحد الاثنيتية بقلب غير قلب وحال غير
حول، وهذا هو النسب، الذي تحمد فيه النسب، على كل حال، ولعلّ حال مودتنا
بحسب هذا الاتصال يتّصل، فهذا هو الفصل المميّز الذي لا يمتاز عن جنسه ولا
يفصل، وأطلب منكم أن تبلغوا أُملي المعظم سلمه الله سلامي، وتؤدّوا له ما
يجب من توقيري وإعظامي، ولو كنت عنده أعزّه الله سليم العقد، سالما من
النقد، لأقدمت على مخاطبة جلّاله، وجريت على عادتي في ترسيل الكلام
وارساله، وفي التّأليف الذي رفعت الى مجده المرفّع محفوظه ومخفوضه، وأديت
الى مقامه المحمود معروضه ومفروضه، وهو المصنّف الذي خصصته بسيادة
العلماء، وسمّيته "الناسم"⁽¹⁾ وأستحي أن أذكر الاحياء، دليلي على العادة، في
تلك العبادة، زمن اسعاد السعادة، ولا جرم أن الحزم (لا يرفع) الحظ المنفمس،

(1) مبحث في لفظة الاحياء كان بينه وبين عبد الله التّجاني.

وأن الفراسة لا تردّ بطش الدهر المفترس، والأمر لله وحده، وحتى الآن ليس لي عيش إلا في بركته، ولا دعاء إلا بكلاءة الله في سكونه وحركته، فهو مبدأ الحياة لي وتمامها، وكفّه بؤكفها طالما رواني غمامها، وقد اتّصلت من نحو برقة بروق، لا تنبض معها عروق، غير أنكم وإن أجريتم في مرعى خصيب، ومسعى للخير مصيب، قد أحضركم السّفَر في مكان مكين، واستندتم إلى ربوة ذات قرار ومعين، فمن اليقين أنك لا تظلم فيها ولا تضحي، وأنك تقطع كل يوم بسيما فطر وأضحى، كلّ ذلك بمقاربة ذلك الجنب، وأعمال السير والسرى في مصاحبة ذلك الرّكّاب، والله تعالى يصحبكم الخير والخيرة، ويصون لحفظ محاسن الجود تلكم الذّخيرة، ويديم اليمن المصاحب لأمركم مدبراً ومديراً، ويقيم لكم في كلّ أرض تحلونّها روضة وغديراً.

المصدر: رحلة التّجاني: ص 222 - 224

3 - رسالة إلى أحد الأدباء

قال مراسلاً أحد الأدباء وهو أبو عبد الله بن أبي القاسم بن الحكيم :

(الطويل)

هنيئاً لأدبٍ ملكت زمامها بأن عزّ مرقاها، وأنت زعيمها
وصحّت معانيها اللّطافُ وكيف لا تصحّ المعاني، والمعاني حكيمها

لله رسائلك الغرّ، وكلماتك التي يخجل منها الدرّ، لقد حلّت من الفصاحة سحراً، وأفاضت من البلاغة بحراً، وأشرقّت ملامحها، ونطقت بالسّحر الحلال خواتمها وفواتحها، فآياتها باهرة. وآياتها ظاهرة.

أشهد أنك أعلى الكتبة مرتبة، وأفرس الطّلبة إذا اعتقلت يمينك قصبّة، وأنك أطولهم باعاً. وأكملهم انطباعاً، وأسلمهم طبعا، وأسلسهم قافية وسجعا، كريم الأب، جمّ الطّلب، قد جمعت بين الحسب الشّريف، والأدب التّليد والطّريف، قلنا أن ندعوك ذا الحسين، وربّ الأدبين، والفائز بكلتا الحسنيين، فيا ذا الثلاثة

أعزنا قليلا من أدابك، وامن على هذه البقية من الكتاب أن تتعلق بأهدابك، فما
نثروا إلا وأنت منشيهم ومنسيهم، ولا فخر إلا وكنت مجيرهم ومجيرهم، حزت
الرأية بسبقك دون لحاق سابقهم، وجزت الغاية مغيرا ومغيرا في وجه وجيههم
ولأحقهم. فمن ذا يحيط من الأدب بما به أحطت، أم من يجاريك فيه وعلى
الخبير سقطت.

لقد أقرت لي في هذا الفن زعماؤه وأتابه زعيم، لكنني وصلني خطابك
وخطابك فنظرت نظرة في النجوم، فعلمت أنني سقيم، وقلت لأدبي لقد جئت
شيئا فرياً، وأيقنت أن في صدور الصدور خبايا تظهر شيئا فشيئاً.

(الخفيف)

والليالي كما علمت حبالي مغريات يلدن كل غريب

ولا أغرب من رسالتك البديعة المساق، المخجلة كل قلادة بما رزقته من حسن
الانتظام والانساق، فقد أغربت وأشرققت، وغربت وأشرققت، وتهادتها النواسم
العطرية، وافتقرت إليها المواسم السرية والمباسم الخمرية، هذي لتبتهج بتلاوتها،
وهذي لتمتزج بحلاوتها.

وافت تخلع علي فرائدها، وتجلب إلي فوائدها، وتذكرني في أمر التصنيف،
وتعرفني وإياه بغير لام التعريف، وتشرف هذا المجموع غاية التشريف.

فتارة تخاطبه بالعقيلة الحسنة، وتارة تخاطبه بالخميلة الغناء، تنتظر بعين
الرضا، وعين الرضا كليلة عن كل عيب لا يرتضى، وأنا أعلم أن هذا المجموع
لولا من تحلى باسمه، وصنع برسمه، لكانت عقيلته عاقلة للألباب، وخميلة خاملة
في الآداب، وبرسالتك هذه كمل له التصنيف، وحرم فيه المطل والتسويق، ومسك
الختام، دليل الكمال والتمام.

أبقاك الله متلعبا بالأقلام، مبرزاً في حلبة الأدباء الأعلام، بقاء الأيام
والأعوام، وأخصك مع هذا بأفضل السلام، وأكمل وجوه التحية والإكرام.

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 280 - 281.

عبد الله التّجاني

(ولد في حدود سنة 670 هـ - ت 721)

أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن أحمد التّجاني صاحب الرّحلة في ركب السلطان أبي يحيى زكرياء بن اللّحياني غادر تونس سنة 706 ورجع إليها سنة 708 . من كتبه بالإضافة إلى الرّحلة المطبوعة بتونس طبعتين الأولى سنة 1958 ، والثانية سنة 1981 :

- تحفة العروس ومتعة النفوس: طبع طبعتين غير منسوبتين إلى مؤلفها الأصلي الأولى بمصر سنة 1301 والثانية بمصر أيضا عن مكتبة التراث الاسلامي، د. ت وهي طبعة محرّفة جدّا .

كما طبعت طبعة ثالثة عن دار الرّيس بلندن غير منسوبة الى مؤلفها أيضا .

- أداء اللّازم في شرح مقصورة حازم القرطاجنيّ .

- علامة الكرامة في كرامة العلامة .

- الوفاء ببيان فوائد الشّفاء .

- الدرّ النّظيم .

- تقييد على صحيح البخاري ومسلم .

- ديوان شعر

1 - أحملت عرف المسك

كتب مجيباً صديقه الشاعر عبد الرحمن بن نزار السهمي على رسالة فيها نظم على نفس القافية والوزن:

(الكامل)

أَحْمَلْتُ عَرَفَ الْمَسْكِ يَا رِيحَ الصَّبَا	أَمْ سَاقَ نَشْرُكَ لِي حَدِيثًا طَيِّبًا
فَلَقَدْ أَعَادَ الرُّوحَ رَوْحُكَ إِذْ سَرَى	مَنْ بَعْدَ مَا قَدْ قَارَبْتُ أَنْ تَذْهَبَا
هِيَ تُحْفَةٌ وَقَدْ بَنَوْسَهُمْ بِهَا	سَهْمِي وَأَوْلُونِي الْحِبَاءَ الْمُحْسِبَا
دَعَتِ الْحَيَاةَ فَأَقْبَلْتُ مَنْقَادَةً	وَاسْتَدْنْتُ الْأَمَلَ الْقَصِيَّ فَانْكَبَا
وَأَتَتْ إِلَيَّ وَقَدْ حَوَى إِضَاحُهَا	جُمْلًا أَعَادَتْ لِي السُّرُورَ مَقْرَبَا
يَا مَاجِدَا أَعَدَدْتُهُ لِي سَيِّدَا	وَأَعُدَّهُ كِبَرًا وَإِجْلَالَا أَبَا
هَآكِ السَّلَامَ عَلَى النَّوَى مِنْ ذَاكَرِ	لَكَ بِالْجَمِيلِ مَشْرِقًا وَمَغْرِبَا
وَاصْحَبَ أَبَا زَيْدٍ جَدِيدَ سَعَادَةٍ	تُنْنِي الْأَبْيَّ مِنْ الْمَطَالِبِ مُصْحَبَا

المصدر : رحلة التَّجَانِي: ص 140.

2 - الزَّمن الذي ولتي

قال مجيباً صديقه ابن يعيش عن أبيات له في اقرار الود:

(الوافر)

فقد سَمِيتُ من الشَّوْقِ القُلُوبُ
 قضى بِتَفَرُّقٍ خَطْبُ يَنْوِبُ
 حبيبٌ قد نأى عنه حبيبُ
 هَوَاكَ له من الدُّنْيَا نصيبُ
 وإن طال التَّبَاعُدُ والمَغِيبُ
 بها للفضل قد جُمِعَتْ ضُرُوبُ
 وطيب حديثها عيشًا يطيبُ
 ففرت بعد كَرَّتِهَا الكُرُوبُ
 جديد ليس تَبْلِيهِه الخطُوبُ
 فَيُرْجَى بعدها الفرجُ القَرِيبُ

عسى الزَّمَنُ الذي وَلَّى يُووبُ
 إذا ما قلتُ قد قَرُبَ اجْتِمَاعُ
 وأعظمُ من ترى أَسْفًا وحرزًا
 أبا عبدِ الإلهِ نِدَاءَ خِلُ
 رعاك اللّهُ من راعٍ لِعَهْدِي
 أتتني منك أبيات حسانُ
 أفادتني مِن اسمك حين وافت
 وأهدت لي الودادَ على التَّائِي
 فثِقُ مِنِّي بإخلاص وودُ
 وإن تك مدَّةُ البُعْدِ استطالت

المصدر: رحلة التَّجَانِي ص 295.

3 - شوق

كتب مجيباً صديقه محمد الهواري:

(الكامل)

فرطُ إِشْتِيَاقٍ وابتعادُ حبيبٍ
 إلَّا وجدَّه جديدُ خطوبٍ
 وأثار أشجاني وهاج كربوي

إن أقصر من أسف فغيرُ عَجِيب
 ما قلتُ قد بَلَى التَّفَرُّقُ فانقضى
 ولقد شجا نفسي وأضرَمَ لَوْعَتِي

برقُ بدا والليلُ أرخى سجفهُ
 أجرى حديثَ القُربِ صادقُ فالهُ
 يا بارقًا أعدى الفؤادَ بخفّةٍ
 الله والعهد القديم ونسبة
 فلقد تشابهنا انسكابَ مدامِ
 إن أنت جُزّت على ربوعٍ أحييتي
 وأخصص أبا عبدِ الإلهِ محمدًا
 أبلغهُ أن القلب بعد بَعاده
 ذا السيرةِ المثلى الذي قد جلّ عن
 كم من يد أسدى إليّ على النوى
 متضمّنًا نظمًا ونثرًا أزرّيًا
 قد أودعتْ جُمْلَ المحاسن منه في
 وأراد منّي أن أجيبَ وإنّه
 فأجبتُهُ ولو استطعت توقّفا
 لكن لوازمُ حقّه وفروضه
 فبعثته والخوف يُقصر خطوه

والبدْرُ شمّر ذيله لِغُروبِ
 ففهمته من لفظه المقلوبِ (1)
 وطوى الضلوع على لظى ولهبِ
 يرعى نسيبٌ مثلها لنسيبِ
 ولزوم سهد واجتناب سهُوبِ
 فاشرح لهم شوقي وفرط وجيبي
 بتحية كثنائه في الطيبِ
 لم يخلُ من حزنٍ ولا تعذيبِ
 مثلٍ يرى فيها له وضربِ
 لم يسله عن ذاك طول مغيبِ
 حسنًا بكلّ مخيلٍ وخطيبِ
 لفظٍ وفي معنًى وفي أسلوبِ
 لدئٍ يقصر عنه كلُّ أديبِ
 فيما أرادَ لكنّك غير مجيبِ
 حكمت عليّ بذاك حكمٌ وجوبِ
 يرنو بلحظ الحياءِ مريبِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 297 - 298.

(1) أي القرب مقلوب البرق

4 - رأى بارقا

كتب الى ابن عمه أبي الفضل التّجاني الكاتب متشوّقا إليه:

(الطويل)

فَنَاحَ اشْتِيَاقًا وَالْكَئِيبُ يُنُوحُ	رَأَى بَارِقًا تَحْتَ الظَّلَامِ يُلُوحُ
فَحَنُّ فَوَادٍ بِالْبُعَادِ قَرِيعُ	تَأَلَّقَ مِنْ أَرْضِ الْأَحْبَةِ مَوْهِنًا
فَلَمْ يَكُ مِنْهُ لِلسُّلُوكِ جُنُوحُ	وَطَالِبُهُ أَهْلُ الْمَلَامِ بَسَلُوعُ
تَسَابَقَ دَمْعُ الْعَيْنِ وَهُوَ سَفُوحُ	رَعَى اللَّهَ إِخْوَانًا إِذَا مَا ذَكَرْتُهُمْ
مَدَى الدَّهْرِ عَنْ قَلْبِي الْمَشُوقِ نَزُوحُ	لَنْ نَزْحُوا عَنْ نَاطِرِي فَمَا لَهُمْ
مَرْدَدَةٌ تَغْدُو لَهُ وَتَرْجُحُ	وَبَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ عَنِّي تَحِيَّةُ
لَهُ خَالِصٌ مِنْ وَرْدِهَا وَصَرِيحُ	سَمِيِّي الَّذِي أَصْفِيَّتُهُ بِمَوْدَّةِ
سِوَاهَا غَبُوقٌ دَائِمٌ وَصَبُوحُ	شَرِينَا مَعَ كَأْسِ الصَّفَاءِ فَمَا لَنَا
وَمَنْ دُونَ مَا أَرْجُو مَهَامُهُ فَيَحُ	أَعْلَلُ أَمَالِي بِقَرَبِ مَزَارِهِ
فَهَلْ بَعْدَهُ مِنْ أَوْبَةِ فَتْرِيحُ؟	لَقَدْ أَتَعَبَ الْبَيْنُ الْمَشْتِ قُلُوبَنَا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 293.

5 - يا نسمة الرّوض

قال مرتجلا مجيبا الشّاعر أبا بكر الغماري النّفزاوي عن قصيدة له:

(السّريع)

يا نسمة الرّوضِ سَقَّتْهُ العِهادُ
وَحَدَقَتْ أَزْهَارُهُ أَعْيُنًا
أُنْهِيَ إِلَى عَلَيِّ ابْنِ فَتَحٍ إِذَا
قَوْلِي لِمَنْ أَفْرَدَتْ عَلَيْهِ
إِنْ لَمْ نَكُنْ قَبْلُ اجْتَمَعْنَا فَقَدْ
وَجَّهَ نَحْوِي رَقْعَةً بَرَّةً
نَظْمٌ بَدِيعُ اللَّفْظِ مُسْتَحْكَمٌ إِلَى
قَرَرٍ فِيهِ بَيْنُنَا ذِمَّةٌ
فَثِقُ بَوْدٌ مِنْ أَخٍ مَخْلُصٍ
وَهَاكُهَا مِنْ شَاعِرٍ لَمْ يَزَلْ
مُسْتَغْلٍ الْخَاطِرِ قَدْ قَسَمْتَ
مَا بَيْنَ تَحْنَانٍ إِلَى مَوْطِنٍ
وَفَرَطٍ وَجِدٍ بِأَنْفَاسٍ بِهِ
وَابَقَ مَدَى الْأَيَّامِ فِي عِزَّةٍ
مَا غَرَّدَتْ وَرَقَاءٌ فِي أَيْكَةٍ

صوب حيا رَوَى الرَّبِّي وَالْوِهادُ
مُرَادُهَا رُؤْيُ ذَاكَ الْمُرَادُ
بَلْغَتِهِ عَنِّي السَّلَامُ الْمُعَادُ
مَنْي بَوْدٍ صَادِقٍ وَاعْتِقَادُ
رَأْتَهُ قَبْلُ الْعَيْنِ عَيْنُ الْفَوَادُ
قَدْ نَظَّمْتُ نَظْمًا يَهْزُ الْجَمَادُ
مَعْنَى شَدِيدُ الْأُسِّ سَهْلُ الْقِيَادُ
بَاقِيَةُ الرَّسْمِ لِيَوْمِ التَّنَادُ
يَرَاكَ أَسْتَنِي صَاحِبِ مُسْتَفَادُ
يَهِيمُ مِنْ حَبِّكَ فِي كُلِّ وَادُ
أَفْكَارُهُ أَيْدِي النَّوَى وَالْبِعَادُ
قَدْ طَوَّحْتَنِي عَنْ ذَرَاهِ الْبِلَادُ
مَحْضَتُهُمْ مَنِّي صَرِيحُ الْوِدَادُ
وَأَنْعَمَ لَيْسَ لَهَا مِنْ نَفَادُ
وَهَزَّتْ الرِّيحُ قَضِيْبًا فَمَادُ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 148 - 149.

6 - فخارهم فخاري

مما كتب إلى ابن عمه أبي زكرياء بن أبي الحسن علي التّجاني:

(الطويل)

يُقَصِّرُ عنها المسكُ في الطَّيِّبِ والنَّدُ	إِذَا اللَّهُ حَيَّيْ مَعْشَرًا بِتَحِيَّةٍ
فَخَارِي ومَجْدِي حينَ أَسْمُو لَهُمْ مَجْدُ	فَحَيَّ بَنِي عَمِّي الَّذِينَ فَخَارُهُمْ
بِأَوْصَافٍ فَضْلُ لَيْسَ يَحْصُرُهَا الْعَدُ	وَحَصَصَ مِنْهُمْ مَنْ تَخَصَّصَ فِيهِمْ
لَهُ مِنِّي الشُّوقُ الْمَجْدُ والودُ	أَبَا زَكْرِيَاءَ الرُّضَى الْأَرْفَعِ الَّذِي
فَقَدْ طَالَ هَذَا النَّأْيُ وَاتَّصَلَ الْبُعْدُ	أَحْبَبْنَا هَلْ يَجْمَعُ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
وَعَهْدُ ابْتِلَافٍ حَبْذَا ذَلِكَ الْعَهْدُ	يَذَكِّرُنِيكُمْ أَنْسُ يَوْمَ مَضَى لَنَا
وَفِي الْقَلْبِ لِلْأَشْوَاقِ أَضْعَافُ مَا يَبْدُو	فَيَبْدُو قَلِيلًا مِنْ غَرَامِ أَحْبَبْتِي
فَفِي أَدْمُعِي وَدَقُّ وَفِي أَضْلَعِي وَقَدْ	فَقَدْ بَلَغَتْ مِنِّي النَّوَى كُلُّ مَبْلَغٍ
وَيُنْجِزُ لِلْأَمَالِ مِنْ قَرِيبِكُمْ وَعَدُ	فَهَلْ تَقَرُّبُ اللَّقِيَا وَيَنْصَرِمُ النَّوَى
فَقَدْ تَمَّتِ النُّعْمَى وَقَدْ كَمُلَ السَّعْدُ	لَنْ جَمَعَتْ أَيْدِي التَّفَرُّقِ بَيْنَنَا

المصدر: رحلة التّجاني : ص 191.

7 - إخوانية

قال مجيباً صديقه محمد بن رأس الحجلة:

(الطويل)

سلام يحاكي المسك في الطيب والنذا	على ماجدٍ قد فاق أهل العلا مجداً
حباني بطرسٍ منه مشتملٍ على	معانٍ معالٍ لست أحصرها عدداً
فقرّر ودّاً لم يزل متقرراً	وأهدى من الإخلاص والبر ما أهدى
إذا الناس عدواً كان أحلامهم حلى	وأفضلهم ذاتا وأكرمهم عهداً
أدام له الله السيادة والعلى	وأصعبه التوفيق واليمن والسعداً

المصدر: رحلة التّجاني، ص 302.

8 - دم في عزة

مما أجاب به صديقه أبا ابراهيم بن حسينة:

(الوافر)

أُخْرِزَ كُلُّ مَنْقَبَةٍ حَمِيدَةٍ	وَمَنْ لَمْ تَلَفِ فِي الدُّنْيَا نَدِيدَهُ
أَعْنَتَ عَلَى النِّظَامِ بِحَسَنِ طَبِيعٍ	وَأَفْكَارٍ مُؤَيَّدَةٍ سَدِيدِهِ
وَتَسَأَلُنِي الْجَوَابَ وَإِنَّ فِكْرِي	لِيَقْصُرَ عَنْ مَجَارِيكِ الْمَدِيدِهِ
فمُهِدٍ لِي عَلَى التَّقْصِيرِ عُدْرًا	وَهُوَ مِنْ مَطَالِبِكَ الشَّدِيدِهِ
وَدُمُ فِي عِزَّةٍ وَيُلَوِّغُ قَصْدَ	وَسَعْدٍ دَائِمٍ وَحُلَى جَدِيدِهِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 172.

9 - يانسهمة

مما كتبه إلى أبي محمد عبد الواحد بن يغمور الهنتاتي:

(البسيط)

يا نَسْمَةً صدرت عن رَوْضَةٍ ظهرت	في بُرْدٍ رَقْمٍ وشَتَّه السُّحْبُ مَنْثُور
فكَلَمًا يَمَمْتُ في سَيْرِهَا جهة	مَرَّتْ بِذِيلٍ على الأزهار مجرور
أنهي اشتياقي وتسليمي لمجد أبي	محمد بن أبي زيد بن يغمور
وأعلميه بما يطوي الضمير له	من اعتقاد وتعظيم وتوقير
وأُنْثِي بين قلبٍ للوداد له	مفرغ وفمٍ للشكر مقصور
وقرري ذاك تقريراً أثبتُّه	ولستُ فيه بمحتاجٍ لتقرير
لا زال في نَعَمٍ موصولةً وعُلاً	باقٍ وحظٌّ من الإسعاد موفور

المصدر: رحلة التَّجَانِي: ص 171.

10 - إخوانية ثالثة

قال مجيباً صديقه أحمد الرصافي على رسالة شعرية:

(الطويل)

رَعَى الله من أجلو الأسى بادكاره	ومن قَرَبِ آمالي بقرب مزاره
خليلٌ رعى عهدي وإنْ أَقْصَتِ النَّوى	دياري بماضي حُكْمها عن دياره
أتى نظمه صَبَاً به شيقاً له	يعاني الأسى في ليله ونهاره
فأَذْهَبَ عنه حزنُهُ وأَنَالَهُ	من البرِّ والتَّائِسِ فوقَ إختياره

ومن كأبي العباس فضلا ووصفه ؛ يزيدُ على الأخبار عند اختباره
فاسألُ ربِّي أن يَمُنَّ بقربه وينظِمَ مِنَّا الشَّمْلَ بعد إنتشاره

المصدر: رحلة التَّجاني: ص 300.

11 - توديع

قال مودعا شيخه أبا فارس عبد العزيز بن عبيد في طرابلس:

(البسيط)

سقى ربوعك يا مغنى طرابلس	حيا يُحييكَ منه كلُّ منبجس
فكم يدُ لك في تأنيس مغترب	شطُت به الدَّارُ عن أنس وعن أنس
أقمتُ فيك على حكم النوى زما	كانتني فيه للسرءاء في عرس
أثوب من أهلك الغرُّ الكرام إلى	قوم أوافي لديهم كلُّ ملتمس
ما بين جدٍ وتأنيس بمثلها	نأى عن خاطر استيحاشه ونسي
لو لم يكن لك عندي في الزمان يدُ	أنني عليك بها ما امتدَّ في نفسي
إلا ملاقة من حُزْتُ الفخار به	عبد العزيز الإمام العالم النديس
مُحِبِّي العلوم ومُحْظِيهَا ومُبْرِزها	من حَلَى أَلْفَاظِهِ فِي أَحْسَنِ اللُّبْسِ
ومُحَرِّزِ الشَّيْمِ الغرُّ التي كَرُمَتْ	فَقَاهَ بِالْمَدْحِ فِيهَا كُلُّ ذِي خَرَسِ
يَجْلُو إِذَا أَشْكَتْ فِي الْعِلْمِ مَسْأَلُهُ	زَهْنًا يُجَلِّي سَنَاهُ كُلُّ مُلْتَبِسِ
نَعِمْتُ مِنْ قُرْبِهِ لَمَّا اتَّصَلْتُ بِهِ	بِوَقْتِ أَنْسٍ مِنْ الْأَيَّامِ مُخْتَلَسِ
والله يحفظه غوفاً لمستيق	لكشف نازلة نوراً لمقتبس

المصدر: رحلة التَّجاني: ص 306-307، وعنوان الأريب: ج 1، ص 82-

12 - رعى الله من راعى ذمامي على التوى

كتب مجيباً صديقه محمد البلوي بن أبي سلام على سلامه وشوقه إليه:

(الطويل)

أَتَى فَاتَى الْقَلْبَ الْمَشُوقَ بِأُنْسِهِ	نَظَامُ رَأَيْتُ الدُّرَّ فِي طَيِّ طَرْسِهِ
كَمَا زَارَ حُبُّ عَاشِقًا بَعْدَ بُعْدِهِ	وَعَادَ رَجَاءٌ أَمَلًا بَعْدَ يَأْسِهِ
كِتَابُ أَتَى مَنْ لَمْ يَزَلْ مَتَشَوِّقًا	لِإِتْيَانِهِ وَالذَّهْرُ يَقْضِي بِحَبْسِهِ
فَقَبْلَهُ تَقْبِيلَ ذِي كَلْفٍ بِهِ	وَنَقْلَهُ مِنْ رَاحَتَيْهِ لِرَأْسِهِ
رَعَى اللَّهَ مِنْ رَاعَى ذِمَامِي عَلَى النَّوَى	وَمَنْ يَوْمُهُ فِي الْوَدِّ لِي مِثْلُ أَمْسِهِ
أَبَا عَابِدِ اللَّهِ الْأَجَلَ الرُّضَا الَّذِي	سَمَا قَدْرُهُ عَنِ قَدْرِ أَبْنَاءِ جَنْسِهِ
لَقَدْ حَازَ أَشْتَاتَ الْفَضَائِلِ وَاكْتَسَى	مَلَابِسَ حَمْدِ زَانِهِنَ بَلْبُسِهِ
إِذَا ضَيَّعَ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ مَضِيعُ	وَبَاعَ وَدَادًا مِنْ أَخِيهِ بِيخْسِهِ
فَلَابَنَ أَبِي زَاكَ عَهْدُ زَكِيَّةٍ	تَرْفَعُنْ عَنْ شَكِّ السُّلُوِّ وَلَبْسِهِ
أَدَامَ لَهُ اللَّهُ السِّيَادَةَ وَالْعُلَا	وَيَلْغَهُ أَقْصَى أَمَانِي نَفْسِهِ

المصدر: رحلة التَّجَانِي: ص 299.

13 - قل لبرق

قال مجيبا الأديب عبد الله الأزدي العسيلي على رسالة:

(الخفيف)

قل لبرق جَلَا الظَّلَامَ بومضٍ
غير مستشعر لقلبي سكونا
أيها البرقُ أَنَّهُ نحو العُسيلِ
ولتبلغه أَنتني ذو اشتياق
لستُ أَرْضَى على البعاد لعهد
وصنيعُ الإلاه عندي سما عن
مع مولى فاق البرية طولا
أحرز المجد بين جود بعرض
من أتاه يشكو بجذب وبؤس
رائداً بارضَ الجميم لديه
وهو يهدي إليك منه سلاماً
لم يزل عنك سائلاً كل حين
زاده الله مكنة وسعودا
يا صفيري الذي محضتُ علاه
هاكها أقبلت إليك حياء

ذاهب في السرى لأرض فأرض
لا ولا لاند لجفني بغمض
سي سلاماً تؤد أكّد فرض
قد قضى لي أليمه أن ساقضي
مبرم العقد أن يشاب بنقض
أن تقوم الشفاه منه ببعض
نتعاطى المنى فيعطى فيرضي
مستباح الحمى ويخل بعرض
أب في عيشه بخصب وخفض
وارداً من جمامه غير برض
ينسك المسك عرفه إثر فض
وعلاه بمثل ذلك تقضي
يأمر الدهر كيف شاء فيمضي
كل صفو من السواد ومخص
ترتجي أن تعيرها لحظ مقضي

المصدر: رحلة التّجاني: ص 130 - 131.

14 - هل يرجع الدهر ما مضى؟

كتب مجيبا الفقيه الأندلسي أبا بكر محمد بن شبرين الجذامي الغرناطي من كتاب "نفحات النسرین في مخاطبة ابن شبرین" مشيراً الى ما حدث بالأندلس:

(الكامل)

حدث عن الحادث الذي وقعا
وهاك ما قد سمعت منه وإن
هل معهد الأنس كيف كان فقد
وهل حمي العز فيه محترم
وأين ناس هناك أعهدهم
من كل طلق اليمين مبتسم
تلفيه كالنجم رفعة وسنا
باكرهم حادث ففرقهم
وجر عدوانه فجرعهم
يا ليت شعري وفي المني سعة
هل يرجع الدهر ما مضى فلكم
أم لا يرى عائدا فوا أسفي
هيهات تم القضاء وارتفعت
فلسست ممّا طلبت عودته
عهدي بهم والشجون تقلقهم

تلف مصيخا إليك مستمعا
تركت قلبي بذاك منصدعا
عهدته للكمال مجتمعا
أم سلب العز منه وانتزعا
على المعالي جميعهم طيعا
أرضع درّ السّماح فارتضعا
لا بل كبدر الدجى إذا طلعا
وأذهب الناس والبلاذ معا
به من الهم والأسى جرعا
إن أبقت الحادثات مستمعا
قد عاد من ذاهب وكم رجعا
على زمان مضى وواجزعا
مطامع النّفس عندما ارتفعّا
أول من في المحال قد طمعا
لا جنب منهم يزور مضطجعا

مِنْتُّرَا فِي الْبِلَادِ نَظْمُهُمْ
 أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لَا مَرَدَّ لَهُ
 وَخُدْعَةٌ تَمَّ أَمْرُهَا فَمَضَتْ
 هَاكَ سَلَامِي عَلَى الْبِعَادِ أَبَا
 وَثْقَ بُوْدَ أَدِينُ فِيكَ بِهِ
 إِنْ حَالِ خِلٍّ عَنِ الْمَوَدَّةِ أَوْ
 فَاعْلَمْ بِأَنِّي وَالصَّدْقُ مِنْ شَيْمِي
 وَإِنِّي مَا قَطَعْتَ ذَكَرَكَ بَلْ
 أَقْسَمْتُ بِالرُّكْنِ وَالْمَقَامِ وَمَنْ
 مَا طَابَ لِي بَعْدَكَ الْبَقَاءُ وَلَا
 يَا مَنْ رَأَى السَّلَكَ بَعْدَمَا انْقَطَعَا
 لَمْ يَبْقِ كَهْلًا مِنْهُمْ وَلَا يَفْعَا
 وَكَمْ سَدِيدَ الْآرَاءِ قَدْ خُدِعَا
 بِكَرِّ فَقَلْبِي إِلَيْكَ قَدْ نَزَعَا
 مَلْتَزِمًا مِنْهُ كُلَّ مَا شُرِعَا
 أَجَابَ دَاعِي السُّلُوكِ حِينَ دَعَا
 مِمَّنْ رَأَى حَفْظَ عَهْدِهِ وَرَعَا
 مَا زِلْتُ لِلشُّكْرِ فِيكَ مُنْقَطِعَا
 قَدْ طَافَ بِالْبَيْتِ نَحْوَهَا وَسَعَى
 وَجَدْتُ لِي فِي الْحَيَاةِ مُنْتَفَعَا

المصدر: رحلة التَّجَانِي : ص 169 - 171.

15 - يانِسْمَةُ الرُّوضِ

قال مخاطباً أبا إبراهيم بن حسينة :

(الكامل)

يَا نَسْمَةَ الرُّوضِ الَّذِي حَاكَتْ لَهُ
 سِيرِي مُبْلَغَةً عَلَى شَحْطِ النَّوَى
 الْفَاضِلِ الْأَسْمَى الرُّضَا الْأَسْنَى الَّذِي
 وَتَحْمَلِي مَنِّي إِلَيْهِ تَحِيَّةً
 أَيْدِي الْغَمَامِ مَلَابِسَ الْإِيرَاقِ
 طَيْبَ السَّلَامِ إِلَى عَلَا إِسْحَاقِ
 حَازَ الْعُلَا وَالْفَضْلَ بِاسْتِحْقَاقِ
 كَالْمِسْكِ نَمَّ شَذَاهُ فِي الْأَفَاقِ

يزداد منها من تنشق عرفها
وصفي له بعد التفرق قدر ما
الله يا إسحاق يعلم أنني
وبعثت هذا الطرس نحوك قاصدا
فأتى يبين إليك صدق مودتي
لا زلت في نعم تجل ورفعة
طيبا متى ما زاد في استنشاق
لاقيت من وجد ومن أشواق
للشكر في عليك نؤ استغراق
تقرير ود مبرم الميثاق
إن الخطاب على البعاد تلاقي
ولك الإله من المكاره وأقي

المصدر: رحلة التّجاني : ص 231 - 232.

16 - أهدي السلام

قال مهتئا أبا الفضل التّجاني حين ضوعف له مرتبه وأعليت رتبته على
الكتاب:

(الكامل)

أهدي أبا الفضل السلام مرددا
وأقرّر الود الذي أنا سالبك
وسمعت أخبارا أدار بذكرها
أنبتت أنك قد خصصت برتبة
فسررت أن نال السيادة والمعلا
ما العز عندي أن أعز وإنما
لعلك عن قلبك إليك مشوق
فيه من الإخلاص خير طريق
منهي الحديث التي كاس رحيق
أسميت مقامك فوق كل رفيق
من فخره فخري لدى التحقيق
عزّي المكمل أن يعز فريقي

إِنَّ أَكْرَمَهُمْ فَقَدْ أَتَىٰ إِكْرَامَهُمْ فِي مَوْضِعٍ بِالْمَكْرُمَاتِ حَقِيقٍ
 طَوَّقَتْ لِلْإِنْعَامِ مَا تَشَدُّو بِهِ وَالشَّدُو شِمَّةٌ كُلَّ ذِي تَطْوِيقٍ
 وَاللَّهُ يَرْزُقُكَ الزِّيَادَةَ حَاكِمًا لَكَ بِالْعُلَا وَالسَّعْدِ وَالتَّوْفِيقِ

المصدر: رحلة التَّجَانِي: ص 280 - 281.

17 - كَمْ أَنْتَ فِي اللَّذَاتِ ذُو اسْتِغْرَاقٍ

قال في مدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(الكامل)

كَمْ أَنْتَ فِي اللَّذَاتِ ذُو اسْتِغْرَاقٍ وَنَذِيرُ شَيْبِكَ مُؤَذِّنُ بَفِرَاقٍ
 وَلَقَلَّمَا يُجْدِي الْمَتَابُ إِذَا أَتَى دَاعِي الْحِمَامِ وَقِيلَ هَلْ مِنْ رَاقٍ
 يَا صَاحِبَ دَعْوَةٍ نَاصِحٍ لَكَ مَشْفِقٍ وَالنُّصْحُ يُقْبَلُ مِنْ ذَوِي الْإِشْفَاقِ
 بَادِرْ إِلَى التَّقْوَى بِدَارٍ مُسَارِعٍ وَانْهَضْ إِلَى الطَّاعَاتِ نَهْضَ سَبَاقٍ
 وَاغْنَمْ مِنَ الْأَيَّامِ مُهْلَةً سَاعَةٍ قَبْلَ التَّفَافِ السَّاقِ مِنْكَ بَسَاقٍ
 حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالْبَقَاءِ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِيَبْقَى بَاقٍ
 كُلُّ بِهَا فَنٍ وَمَنْقَرَضٌ وَلَا بَقِيَا لَغَيْرِ الْوَاحِدِ الْخَلَاقِ
 وَاتْرَكَ أَنْسَا أَثَرُوا لَذَاتِهِمْ وَاسْتَمْتَعُوا مِنْ دَهْرِهِمْ بِخَلَاقٍ
 عُلِقَتْ نَفُوسُهُمْ بَنْزَرٍ عَاجِلٍ فَاسْتَبَدَّلُوهُ بِأَنْفُسِ الْأَعْلَاقِ
 عِوَضُ كَلَا عِوَضٍ وَبِيعَ كُلُّهُ غُبْنٌ، وَسَعْيُ ظَاهِرُ الْإِخْفَاقِ

يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ
وَالْمَرْءُ مُجْزِيٌّ بِمَا هُوَ فَاعِلٌ
فَنَعِيمٌ ذِي الطَّاعَاتِ غَيْرُ مُكَيِّفٍ
لِلَّهِ أَقْوَامٌ أَطَاعُوا رَبَّهُمْ
عَظُمَتْ لَهُمْ هِمَمٌ وَعَزَّتْ أَنْفُسُهُمْ
قَوْمٌ لَوْ اطَّلَعَ الْمُلُوكُ عَلَيْهِمْ
مِنْ كُلِّ بَدْرٍ أَفْقَهُ مُحَرَّابُهُ
يَسْمُو إِذَا نَامَ الْأَنْبَامُ لِوَرْدِهِ
خَطَبُوا النَّعِيمَ بِبَذْلِهِمْ لِنَفْسِهِمْ
لَمْ تَحْصَلِ الْآخِرَى لَهُمْ إِلَّا وَقَدْ
إِنْ لَمْ أَكُنْ بِالْفِعْلِ مُلْتَحِقًا بِهِمْ
يَا رَبِّ بِالْهَادِي الَّذِي أَرْسَلْتَهُ
هَادِيًّ أَتَى وَالْجَهْلُ قَدْ عَمَّ الْوَرَى
فَجَلَّ لَهُمْ سُبُلُ الْهُدَى وَأَقَالَهُمْ
وَلَقَدْ حَبَاهُ اللَّهُ كُلَّ فَضِيلَةٍ
بَنَزَلَ طَسَّتْ فِيهِ طُهُرَ فَوَادِهِ
وَكَفَى لَهُ شَرْفًا بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ
يَسَّرَ لَنَا فِيمَا بِهِ كَلَّفْتَنَا

كَدَحًا وَأَنْتَ لِمَا كَدَحْتَ مُلَاقِي
وَجَزَاؤُهُ جَارٍ عَلَى اسْتِحْقَاقِ
وَعَذَابُ ذِي الْعَصِيَانِ غَيْرُ مُطَاقِ
وَوَفُوا بِمَا أُعْطَوْهُ مِنْ مِيثَاقِ
فَسَمَتْ بِهِمْ نَحْوُ الْمَحَلِّ الرَّاقِي
لَسَعُوا لَخِدْمَتِهِمْ عَلَى الْأَحْدَاقِ
لَا يَخْتَشِي أَبَدًا لِحَاقٍ مُحَاقِ
فَيَعُودُ مِنْهُ اللَّيْلُ ذَا إِشْرَاقِ
وَالْخِطْبُ لَا تُعْطَى بِغَيْرِ صَدَاقِ
خَرَجُوا عَنِ الدُّنْيَا خُرُوجَ طَلَاقِ
فَالْحَبُّ فِيهِمْ مُقْتَضٍ لِلْحَاقِي
نُورًا أَقْضَتْ سَنَاهُ فِي الْأَفَاقِ
وَالْكَفَرُ قَدْ غَطَّاهُمْ بِرِوَاقِ
مِنْ غُرَّةٍ كَانَتْ بِهِمْ وَشَقَاقِ
وَأَنَالَهِ الْعُلْيَا عَلَى الْإِطْلَاقِ
وَعُرُوجِ جِسْمٍ وَامْتِطَاءِ بُرَاقِ
أَتَى عَلَى مَا حَازَ مِنْ أَخْلَاقِ
عَوْنًا لِنَمَثِيلِ امْتِثَالِ وَفَاقِ

فَهُوَ الشِّفَاءُ لِقَلْبِي الْمَشْتَاكِ	وَأَمْنُنْ عَلَيْنَا بِالْوَصُولِ لِقَبْرِهِ
فِي شِدَّةِ أَكْوَارٍ وَحَدُونِيَاكِ	يَا لَيْسَتْ شَعْرِي هَلْ أَرَانِي سَاعِيَا
فِرْقٍ تَسِيرُ لِقَبْرِهِ وَرِفَاقِ	فَلَكُمْ تَوَخَّرَ عَزَمَتِي الْأَقْدَارُ عَنْ
إِنِّي لَزَوْرَتِهِ لِبِالْأَشْوَاكِ	قَسَمًا بَعَزَّتْهُ وَرَفَعَتْهُ قَدْرُهُ
عَنْهُ وَقَيَّدَ عَزَمَتِي بِوَثَاقِ	لَكِنْ سَيِّءٌ مَا جَنَيْتُ أَقْرَنِي
فَهُوَ الشَّقِيعُ لَنَا وَأَنْتِ الْوَاقِي	لَا هُمْ إِنَّا لَا نَذُونُ بِجَاهِهِ
وَتَرَنَّمْتُ وَزَّقُ عَلَى أَوْرَاقِ	صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّتْ صَبَا

المصدر: رحلة التَّجَانِي: ص 393 وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 83 - 84.

18 - أَيُّهَا الْخُلُ

قال مخاطباً في رسالة أبا عبد الله محمد الجزري:

(الخفيف)

مَبْدِيًّا مَا مِنَ الْوَدَادِ لَدَيْكَ	أَيُّهَا الْخُلُ إِنَّ نَظْمَكَ وَافَى
فِيكَ شَاكِ نَوَاكِ مُثْنٍ عَلَيْكَ	فَتَأْمُلْ جَوَابَ خِلٍّ مُحِبٍّ
طَيِّبُ الْعَرْفِ قَدَرُ شَوْقِي إِلَيْكَ	وَعَلَى مَجْدِكَ الصَّمِيمِ سَلَامٌ

المصدر: رحلة التَّجَانِي: ص 303.

19 - لله درك

كتب بهذه الأبيات الى الفقيه أبي محمد عبد الله الأزدي العسيلي:

(الكامل)

أبا محمد الذي أخباره	في الفضل ترويهما الثقاتُ مسلسله
لله دركٌ من وحيدِ بلاغةٍ	ساق الكلامَ منظماً أو رسله
لا زال في الأفواه ذكرُك طيباً	وإذا أحبَّ الله عبداً عسله
وإليكها أبياتٌ خلٌ مخلص	قد ضمنَ الطرسَ الودادَ وأرسله
وأتى بها عن خاطرٍ متوحشٍ	ومتى أجبتَ فقد أتحتَ الأنسَ له

المصدر: رحلة التَّجاني: ص 236.

20 - أرى الأيام تمنعني مرادي

مما أجاب به أبا بكر بن فتح:

(الوافر)

أحمرزَ غاية الشُّرفِ الأثيلِ	ومن قد جلَّ عن سعيٍ مهيلِ
أنتني منك أبياتٌ حسان	شمانتها أرقُّ من الشُّمولِ

يعز علي ما قد بينت من
فأقسم بالهدايا مشعرات
إذا اشتكت السرى بلسان حال
تؤم بسيرها أسنى محل
لو أنك بالذي استحققت تجزى
وها أنا أشتكي لعلاك شكوى
أرى الأيام تمنعني مرادي
وأطلب للعلا فيها وُصولاً
ويُمضي الأمر غيري وهو دوني
وإن تك قد أنالتي قليلاً
وما طلبي لها إلا لعلّي
وليس يُنال حظُّ باجتهاد
فحسب المرء تسليمٌ وصبر
ولكن لي على الأقدار دين
وإن هي بلغتني فكم لي
خرجت عن المراد إلى حديث
أودع ودك الأصفى فإني
وأطلب منك زاداً من دعاء
وقد أصفيت نحوك باعتقاد

وقوفك وقفة الرجل الذليل
تجوب الأرض ميلاً بعد ميل
تقرر بالوخيد أو الذميل
به نزل الكتاب على الرسول
لما جوزيت إلا بالجزيل
تبك بعض ما بي من غليل
وتلقي بي لقصدٍ مستحيل
فيصعب للعلا فيها وصولي
وأمرى لابس ثوب الخمول
فمثلي ليس يقنع بالقليل
أسوء عداي أو أرى خليلي
ولا تجري على قدر العقول
يُمم منها أهدى سبيل
لوت بقضائه لي المطول
من الأيام من خبر طويل
نفثت بشرحه نفث العليل
دعاني للنوى داعي الرحيل
تواصله ومن ذكر جميل
صحيح من فؤاد لي عليل

قصيدة خاطب بها عبد الله التَّجاني ابن اللَّحياني الحفصي يثنيه عن مواصلة السَّفر الى المشرق ويرجو منه العودة الى تونس. وهذه القصيدة معارضة لقصيدة أبي ابراهيم بن حسينة التي ذكر منها التَّجاني أول بيت:

(المتدارك)

طلعت كالبدْر المَكملِ	فتواري البدرُ من الخجلِ
وأمال اللَّحْظَ تمايلُها	عن غصنِ البانِ المعتدلِ
حوراءُ يحارُ الصَّبُّ بها	ويخلَى السَّكوةُ كلَّ خلي
حكمتُ بهواها في فلم	يعدلُ في الإمرة حينَ ولي
فأبحتُ النَّفْسَ لِمَا احتكمت	وحميتُ السَّمْعَ عن العذلِ
جمعتُ أَشْتاتَ الحسنِ فقد	زادت في الحسنِ على المثَلِ
كأبي يحيى تلقى منه	أشْتاتَ الفضلِ لدى رجلِ
مولى زهتِ الأَيامَ به	وتحلَّت من بعدِ العَلَلِ
ينميه أبو العبَّاسِ إلى	حَسَبٍ في مرقى المجدِ علي
شرفُ بالإرث تملُكُه	فتنقَّل أحسنَ منتَقَلِ
بأسُ كالنَّارِ إذا اضطرمت	وندى كالغيثِ المنهمَلِ
قد ألقى الله بحكمته	بيديه مقاليدَ الدُّولِ
يُضِي الأراءَ مسددةً	في قول أنْفَذَ أو عملِ
مولاي قصيدة ممتدح	واقاك بشعرٍ مرتجَلِ

طلبت إيضاح فضائلكم
 فإذا أحسنتُ فذاك لكم
 وافيت عليك معارضةً
 مع أن قصيدة أولنا
 وارجع لحلّ حال بما
 فاقم للدين تجدده
 واخلف أثواب السقم بما
 فشروط الحج قد ارتفعت
 عهدي بعييدك فيه وقد
 يرجون ثوابك عن كتب
 كانوا من عهدك في ظلّ
 فأنلهم منك مرادهم
 واجمع شملًا بالأهل فقد
 واسعد واصعد وتسام وزد
 والله يوفق رأيك في

فحكت منها بعض الجمل
 وإذا قصرتُ فذلك لي
 "عرج يا صاح على الظلّ"
 فانت سبقت شأؤ الأول
 يشكو لفراقك من علّ
 في عزّ باقٍ متصل
 تكسى للصحة من حلّ
 لزوال القدرة والسبيل
 مدّوا يد داعٍ مبتهل
 ودنّوا لقائك عن عجل
 فغدوا من بعدك في خلّ
 وانقع بالقرب صدى الغلّ
 ماتوا شوقًا قبل الأجل
 وترقّ ونلّ أقصى الأمل
 حلّ أزمعت ومرتحل

المصدر: رحلة التّجاني: ص 192 - 194.

22 - ألم الفراق على النفوس عظيم

كتب مراجعا صديقه محمد بن يعيش:

(الكامل)

من ذا بعبء الصبر فيه يقومُ
فلدي قلب بالشجون عليم
زمننا وأيام الوصال نعيم
بعدا فشتت شملنا المنظوم
شاء الإله وحسبنا التسليم
إنني لقلبي بعدهم لرحيم
صبري بحكم وجوده معدوم
أنسى يكون لهنم تهويم
قلبي سليماً منه وهو سليم
عبد الإله فقربه مغنوم
صرفاً فلا لغو ولا تأثيم
وجه الزمان بحسنها موسوم
للفضل فهو أخ لها وحميم
أبدأ على حفظ الوداد مقيم
يصل الوداد وصولها ويديم
جمع الفضائل طرسه المختوم
ورسوم ود عهدن قديم
وينيل له ما يتغني ويروم
منها ورود نحوه وقدم
سحراً على زهر الرياض نسيم

ألم الفراق على النفوس عظيم
سلني بما أحببت من أنبائه
لله إخوان نعمت بقربهم
غاظ الزمان دنونا فأعاده
لكنها الأقدار تجري بالذي
قسماً بما أضمرته من ودّه
ولقد وجدت وقد فقدتهم أسى
ومنعت جفني بعدهم سنة الكرى
ويظن من لم يدر ما بي من أسى
وأشد من أسى بفرقه أبو
فهو الذي نازعته كاس الهوى
نو الفضل والعلواء والشيم التي
ذات قد انتسبت بزكي طبعها
أخذ الوفاء سجية فضميره
ودليل صدق وداده كُتب له
ولرب نظم جاغي من نحوه
وافى فقرزمة مرعية
فأله يحفظ مجده وكماله
وعلى علاه حية لا ينقضي
تسري معطرة إليه كما سرى

المصدر: رحلة التّجاني: ص 304 - 305.

وكتب لأبي الفضل محمد التّجاني مقرّراً للود ويلي القصيدة نثر:

(مخلّع البسيط)

حبُّكم في الحشا مقيمُ	فما يرومُ الذي يلومُ؟
أما درى العاذلون جهلاً	أَنْ عذابَ الهوى نعيم
هل عند من عنده فؤادي	إنَّ غرامي به عيمُ
يبيت من لوعتي خلياً	ومنه بي المقعدُ المقيمُ
أحبابنا هل ينالُ حظاً	مِنْ وِصْلِكُمْ من بكم يهيم
هَبُّوا لأجفانتنا مناماً	فعهدُها بالكرى قديم
لازمها بعدكم سهلاً	تعرفُ مقدارَه النُّجوم
وعَلُّوا بالرّضى فؤادا	به لهجرانكم كلوم
يظنّه عدُّلي سليماً	وهو لفرط الأسى سليم
إن حَكَم الدهر بافتراقٍ	موقعُه في الحشا أليم
فكلُّ شيءٍ إلى كتاب	قدّره القادر الحكيم
هاك أبا الفضل من سلامي	مسكا رسولي به التّسيم
واعلم بما بي من اشتياق	إليك مقداره عظيم
وإن طلبت بعلم حالي	وأنت عندي بها عليم
فإنّني في اتّصال نُعمي	بشكرها الدهر لا أقوم
منعم في جناب مؤلى	بقربه تبعُدُ الهُموم
لله منه غمامُ جود	عمّ الورى صوبُه العيمُ

كم كفَّ بؤسَ الورى بكفَّ
 ينتثر أمواله ولكن
 إليه نداءً حواه قلبُ
 هل ترتجي للزمان عدلاً
 قد علم الله من ودادي
 وإنَّ عندي لحفظ عهدِي
 وإنَّ تحلَّ بيننا فياف
 فإنَّ نكراك كلَّ حين
 لقد تداننت لنا قلوبُ
 فنسأل الله جمع شمل
 تعجز عن جوده الغيوم
 شملُ المعالي بها نظمُ
 مازجه ودك الصميمُ
 فإنَّه في النوى ظلوم
 ما أنا راع له مديمُ
 طريقةً نهجها قويمُ
 يقصر عن جوبها الرسيم
 في الفم والقلب لا تريم
 وإن تناعت لنا جُوم
 فهو لطيف بنا رحيم

المصدر: رحلة التَّجاني: ص 285 - 288.

24 - من مبلغ عني

كتب مخاطباً أبا عبد الله محمد البلوي وأبا عبد الله محمد الهواري:

(الكامل)

إن لم تَقْضُ بدمائها أجفاني
 أو لم أوصل نكر إخواني فقد
 من مبلغ عني السلو بأن لي
 عندي لأحكام الوداد شريعة
 لفراق من أهوى فما أجفاني
 أصبحت معدوداً من الخوان
 في الحب قلباً غير ذي سلوان
 أضحي القصي بحكمها كالداني

لا أرتضي إلا الوفاء طريقة
ولئن نسيت فلست أنسى صاحباً
خلي الذي عزت به هواره
من قد صرفت إليه وجه مودتي
ذا المنزع الأحلى الذي أجرى به
ذات قد اختصت بكل فضيلة
يسدي تفضله إلى إخوانه
كم خصني من نصحه بفوائد
ولكم أبان لي الحقائق فكره
ولقد أثناني من لدنه على النوى
قد وقفت فيه البلاغة حقها
جمع الصنعة والصناعة مازجا
ورأيت في أقصى الصحيفة أسطرا
من ماجد أسدى إلي أياديا
جاءت تقرّر من كريم وداده
لما قرأت خطابها ففهمته
قد أتحتني بالوداد بنو أبي

ما الغدر من خلقي ولا من شاني
يصل التذكر لي ولا ينساني
عزّي بصحبته على أخذاني
وصرفت لحظي عن قل وفلان
في الناس حالته على ميزان
فاختصها بالشكر كل لسان
ويعدّ فيه الفضل للإخوان
أهدى إليّ حليها فهداني
فاقام صورتها مقام عيان
كتب أثناني الأنس حين أثناني
ما بين ألفاظ وبين معاني
تبيين إحسان بحسن بيان
ألفن بين الحسن والإحسان
مالي بواجب شكرهنّ يدان
ما حلّ من قلبي أجل مكان
ناديت والسراء ملء جنّاني
زاك ففخرأ يا بني تيجان

المصدر: رحلة التّجاني: ص 228 - 230.

مما خاطب به ابن عمه أبا الفضل:

(مجزوء الرمل)

مَا مِنَ الدَّمْعِ سَجْمَتُهُ
لَمْ يُطْعِنِي حِينَ أُمْتُهِ
وَجَدُّ عَمَّا مِنْهُ سُمْتُهِ
وَأَنْ ذَنْبٍ مَا اجْتَرَمْتُهُ
مِذ تَفَرَّقْنَا لَزِمْتُهُ
بَعْدَكُمْ إِلَّا رَحِمْتُهُ
ذَكَرَكُمْ لَيْلًا فَنِمْتُهُ
بَارِقُ الْغَرْبِ شِمْتُهُ
مَعَ مَنْ أَهْوَى نَعِمْتُهُ
قَلْبُهُ^(١) لَمَّا فَهَمْتُهُ
سَ وَقَدْ كُنْتَ عَدِمْتُهُ
غَنَمَهَا حِينَ غَنِمْتُهُ
بَعْدَ بُعْدٍ قَدْ سِئِمْتُهُ
كُنْتُ مِنْ قَبْلُ عَلِمْتُهُ
كَرَّ عَلَيْهِ وَأَدِمْتُهُ
رَسَمْتُهُ فَلَنِمْتُهُ

نَمَّ عَمَّا قَدْ كَتَمْتُهُ
وَشَجَا الشَّوْقُ فَوَادَا
سُمْتُهِ الصَّبْرُ فَحَالَ الْ—
أَيُّهَا الْإِخْوَانُ وَالسَّلَا—
قَسَمُ فَيَكُم بِشَوْقِ
مَا تَذَكَّرْتَ فَوَادِي
لَا وَلَا مَرَّ بِفِكْرِي
وَلَقَدْ جَدَّدَ وَجْدِي
هَاجَ لِي ذِكْرِي نَعِيمِ
وَأَفَادَ الْقَلْبَ قَرُبَا
مِنْ كِتَابٍ أَوْجِبَ الْآنَا
أَحْرَزْتُ كَفَّيَّ مِنْهُ
جَاءَ فَالَا بَاقْتِرَابِ
مُعْلِمَا لِي بِوَدَادِ
فَمَدَدْتُ الْقَوْلَ فِي الشَّ—
وَتَمَثَّلْتَ يَمِينَا

(١) مقلوب البرق هو القرب .

يا إمامي وفقيدي عِلْمُ ما فيه انتمته
فُزْ وحُزْ كلَّ علاء واخْدُ ما رمت ورمته
وابق مخصوصا بفضل أنت منحاه وسمته

المصدر: رحلة التَّجاني: ص 224 - 226.

26 - حَيَّيْ الْفُؤَادَ

قال مجيباً صديقه الشاعر أبا القاسم محمد بن ملجوم:

(البسيط)

حَيَّيْ الْفُؤَادَ عَلَى بَعْدِ فَأَحْيَاهُ خِلْ أُبْتُ غَيْرَ حَفْظِ الْعَهْدِ عَلَيْهِ
أَهْدِي إِلَيَّ سَلَاماً مِنْ لَدِيهِ فَقَدْ أَهْدَى إِلَيَّ الْأَمَانِي حِينَ أَهْدَاهُ
وَقَدْ كَسَانِي ثِيَابَ الْأَنْسِ ضَافِيَةً طَرَسُ كَسْتِهِ ثِيَابَ الْوَشْيِ يَمَنَاهُ
دَنَا فَادَنِي سُرُوراً كَانَ قَبْلُ نَأَى وَصَادَفَ الْحَزْنَ ذَا قَرَبٍ فَأَقْصَاهُ
قَدْ اسْتَوَى النَّاسُ فِي اسْتِحْسَانِ جَمَلَتِهِ لَمَّا اسْتَوَى لَفْظُهُ حَسَنًا وَمَعْنَاهُ
يَا غَائِبَا حَاضِرَا فِي حَالِ غَيْبَتِهِ فَكَلَّمَا شِئْتُ أَنْ أَلْقَاهُ أَلْقَاهُ
أَمَّا الْوُدَادُ الَّذِي قَرَّرْتُ صَحَّتَهُ فَأَبْنَيْ مِثْلَ مَا تَرَعَاهُ أُرَعَاهُ
مَا حَلَّتْ عَنْ حَبٍّ مِنْ أَحْبَبٍ مُنْقَلِبًا وَلَا نَسِيتُ هَوَى مِنْ كُنْتُ أَهْوَاهُ
فَتَقَّ بَوْدٌ صَحِيحٌ مِنْ أُخٍ ثَقَّةٍ بَاقٍ عَلَى حَفْظِ عَهْدٍ لَيْسَ يَنْسَاهُ
وَدُمُ أبا الْقَاسِمِ الْأَسْنَى حَلِيفَ عَلَا وَأَسْعَدَ وَقُرْ وَاحُوْ أَقْصَى مَا تَمَنَاهُ

المصدر: رحلة التَّجاني: 301.

نصرت نريت

1 - رسالة إلى ابن عمه أبي الفضل

لماً وصلني كتاب سيدي الذي اعترف بإحسانه، وأغترف من بحر بيانه، وصل الله سعوده، وأنجز من الآمال موعوده، قابلته بما يجب له من إجلال وتعظيم، وظفرت يداي منه بكتاب كريم، وعندما حلت طبعه، وحلت ريعه، علمت أن من البيان سحراً، وأن من الدرّ ما يكون له بعض الصدور بحراً، فثلثته عوضاً عن اليمين التي رسمته، ووسمته من المحاسن بما وسمته، واتخذته سميراً مناجي، أرفعه طوراً على رأسي تاجاً، وأتخذته تارة إماماً فيما أحاول من صياغة هذه الصنّاعة ومنهاجاً، ثمّ لماً فهمت خطابه، وأردت أن أكتب جوابه، استشعرت بقصور، فارتبكت بين جواب لا أرتضيه جواباً، واغفال ليس في حكم التاذب صواباً، فقلت الأول تعرض للاقتضاح، وإبانة لقصور ذي اتضاح، والثاني وبالله العصمة، اخلال بحقوق، ووقوع في عقوق، فرأيت أن خطب الأول أقرب، وأنّ المعترف بقصوره لا يثرب، مع أنّ إغضاء المخاطب عن المعترف معروف، وطرف رضاه عن المساوي مصروف، فأحببته بما أحببت وكتبت، وما أدري أنخطأت أم أصبت، غير أنني لم أفعل إلا وأنا على ما ذكرت معول، ولم أقدم إلا وأنا على ما قدمت وحقّ لمن شغلت النوى فكره، واستلب فراق الأخلاء الاجلاء مثلك صبره، أن يتجاوز عن هفواته، ويقبل ما صدر منه على علاته، ومعاذ الله أن تكون هذه شكوى من تبرّم بحاله، أو سئم من حله وترحاله، فقد أصبحت بحمد الله بملازمة من رفهتني أيادي، ورفعتني خدمة نادية، بين مراد مكثب، ومراد مخصب، غير أنّ الإنسان يقوم بعزّره، ويقوم بزعمه سبباً لقصور فكره، وضعف نظمه ونثره، وأعرف سيدي أنني بلغت مخدمونا أعزه الله سلامه، وأوضحته له اشارته في ذلك الفصل أمامه، فذكر أن العقد كما كان سليم، وأنّ النقد نبذ بالعراء وهو سقيم، وهو مثن عليكم، ومهد سلامه اليكم، والله يحفظ على سيدي كماله، ويبلغه آماله، ويحرس اجتواءه على الفضل واشتماله.

المصدر : رحلة التّجاني : ص 226 - 227 .

2 - باب ذكر أوصافهن على التفصيل

الشعر:

أبو الفرج في كتاب النساء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إذا تزوج أحدكم المرأة فليسال عن شعرها، فإن الشعر أحد الجمالين".

حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتاب الأوصاف له قال: كان يقال استجيدوا من المرأة شعرها، فإن الشعر أحد الوجهين.

وقال خالد بن صفوان: الشعر الأسود برنس الجمال .

أبو منصور الثعالبي في كتاب فقه اللغة له قال: كمال الحسن في الشعر.

وقال في فصل من الكتاب المذكور عقده لتفصيل أوصاف الشعر: يقال: شعرجفال إذا كان كثيراً ووجف إذا كان متصلاً، وكث إذا كان كثيفاً مجتمعاً، ومعلنكس ومعلنك إذا زادت كثافته، ومنسدر إذا كان منبسطة وسبطاً، وسبط إذا كان مسترسلاً، ورجل إذا كان بين السبط والجعد، وسحام إذا كان حسناً ليناً، ومغدودن إذا كان طويلاً ناعماً. انتهى ما ذكره أبو منصور.

وقال غيره: وجثل إذا كان ضخماً غليظاً، وأثيث إذا كان كثيراً ملتقاً، ووارد إذا كان طويلاً مسترسلاً. واشترط فيه بعضهم أن يصل إلى الكفل.

ومن أوصاف الذم فيه: شعر جعد بسكون العين إذا كان منكسراً غير مسترسل، وقطط بفتح الطاء وكسرهما إذا اشتدت جعودته، ومقلعط بسكون القاف وفتح وكسر العين المهملة إذا زاد على القطط، ومقلقل إذا كان في نهاية الجعودة كشعر الزنج.

ومن الشعر في هذا الباب قول امرئ القيس:

وشعر يغشي المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعكل
غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العذارى في مثنى ومُرسَل⁽¹⁾
يغطي المتن أي يكسو الظهر لطوله وجثولته.

والمتعكل المتداخل، ومستشزرات كناية عن ضفرهن.

وأنشد أبو علي في الامالي لبكر بن النطاح وهو من أشعار الحماسة قوله:

بيضاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو وخف أسحم
فكأنها فيه نهار مشرق وكأنه ليل عليها مظلم
قوله: تسحب من قيام: يريد من بعد قيامها، وذلك هو الغاية في الطول
والسبوغ.

قال أبو علي: ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي أنشده
الناجم عنه :

وفاحم وارد يقبل ممشا ه إذا اختال مرسلا عذره
أقبل كالليل من مفارقه منحدرأ لا تدم منحدره
حتى تناهى إلى موطنه يلثم من كل موطن عفره
كأنه عاشق دنا شغفا حتى قضى من حبيبه وطره⁽²⁾

العذر: بضم العين المهملة وفتح الذال المعجمة جمع عذرة وهي الخصلة من الشعر.

المصدر: تحفة العروس الطبعة 1: ص 111، 112.

(1) ص 150 من ديوان امرئ القيس تحقيق حسن السندوبي، القاهرة 1953. في الديوان: وفرع يزين المثن.

الاثيث: الكثير المتراكب والقنو: العنق. المتعكل: الذي دخل بعضه في بعض لكثرت أو المتدلي.

(2) انظر ص 41، 42. ج 2. من ديوان ابن الرومي. تحقيق عبد الأمير علي مهنا. بيروت 1991.

محمّد بن القويّعة

(664 - 738)

وليّ الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن القويّعة الجعفري القرشي التّونسي. ولد بتونس في رمضان سنة 664 وهاجر الى المشرق سنة 690 وعمره 26 سنة. رحل الى دمشق وحماة ثم رجع الى القاهرة واستقرّ فيها. كان يدرّس في مدارسها الأدب والتفسير ويعلم الطبّ في البيمارستان المنصوري. وتولّى في القاهرة نيابة القضاء مدّة من الزّمان وحظي فيها بجاه علمي وأدبي عريض. من مؤلّفاته:

- ديوان شعر

- شرح ديوان المتنبي في عدّة أجزاء : ضائع.

- تفسير سورة ق وعدد من الآيات : ضائع.

1 - جوى يتلظى

(الطويل)

جوى يتلظى في الفؤادِ استعاره
يحاول هذا برد ذاك بصوبه
ولوعاً بمن حاز الجمال بأسره
كلفتُ به بدريّ ما فوق طوقه
فحاز الفؤادُ المستهَامَ إيساره⁽¹⁾
ودعصيّ ما يثني عليه إزاره⁽²⁾
ومن حبّ قلبي شيحه وعراره⁽³⁾
إذا ما بدا ياقوته ونُضاره⁽⁴⁾
فأزهر فيه ورده وبهاره⁽⁵⁾
فيبدو بأنفاسي الصّعاد شراره
كنور الأقاحي حقه جلناره⁽⁶⁾
تفأوح فيه مسكه وعقاره
يحير فكري غنجه واحوراره
وخصراً نحيلاً غال صبري اختصاره
حكانيّ ضعفاً أو حكى منه موثقاً

(1) الإِسَار: القبض والأخذ.

(2) الدَعَص: قطعة من الرمل مستديرة أو الكُتَيْب منه المجتمع أو الصغير. شبه الكفل بالدَّعَص لكثرة ما عليه من اللحم.

الطوق: حلي للعنق يحيط به وكلّ ما استدار بشيء. ج أطواق.

إِزار: كل ما يستر ويقال له أيضاً المنذر. ج مآزر.

(3) الشَّيْح: نبات ينبت في بلاد العرب ترعاه المواشي.

العرار: بهار ناعم طيب الريح ج عرارة. قال الشاعر:

تَمَتَّعَ من شَهِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فما بعد العشيّة من غَرَارِ

(4) النُضَيَار: الذهب أو الفضة أو الجوهر الخالص من التبر.

(5) البهار: نبت طيب الريح يعد ينبت أيام الربيع ورده أصفر الورق أحمر الوسط.

(6) الجلنار: زهر الرمان، ج جلنارة.

معنى بردف لا ينوء بثقله
على أن ذا مثرٍ وذلك معسرٍ
تألف من هذا وذا غصنٌ بانهٍ
تجمع فيه كلٌ حسنٍ مفرقٍ
زلال ولكن أين مني وروده
وسلسال راح صدّ عني كأسه
وبدر تمام مشرقُ الضوء باهرُ
دنا ونأى فالدّار غير بعيدة
وحين درى أن شدّ أسري حبه

ومنها:

حكمت ليلتي من فقدي النّوم يومها
كتمت الهوى لكن بدمعي وزفرتي
توالت سجلاتٌ عليّ بأنّني
أوردني بنظمي في العذار وتارة
وجلّ الذي أهوى عن الحليّ زينةً
أراحة نفسي كيف صرت عذابها

كما قد حكى ليلي ظلاما نهاره
وسقمي تساوى سرّه وجهاره
إمام غرام قل فكيف استتاره؟
لمن إن تغنى القُرطُ أصغى سواره
ولما يقاربُ أن يدبّ عذاره
وجنّة قلبي كيف منك استعاره؟

المصدر: الوافي ج ١، ص 238-247 وفي درّة الحجال: ج 2، ص 847
وفيه تحريف كثير.

2 - ولو غيّر الزّمان

قال من قصيدة يمدح بها الشيخ تقي الدّين ابن دقيق العيد وبدأها بالفخر:
(الوافر)

ولو غير الزمان يكون قرني
تحاماه الكماء إذا ادلهمت
وطبقت الفضاء فلا ضياء
وأرمدت العيون وكل طرف
بحيث عباب بحر الموت يرمي
عليها كل أروع هبرزي
تراه يرى الظبى ثغراً شنيئاً
ويعتقد الرماح قدود هيف
هناك ترى الفتى القرشي يحمي
وتعلم أن أصلاً هاشمياً
ولو أن الجعافرة استبدت

للاقى الحنف من ليث جري
نجى الهبوات في ضحك حمي⁽¹⁾
سوى لمعان أبيض مشرفي⁽²⁾
عم إلا لاسمر سمهري⁽³⁾
بموج من بنات الأعوجي⁽⁴⁾
يغالِب كل أغلب شمري⁽⁵⁾
من الإفرند في ظلم شهى
فيمتحها معانقة الهدى⁽⁶⁾
حماة المجد والحسب السني
تفرع بالنضار الجعفري
به يُمْنى الهمام القوبيعي؟

وقال في المدح:

إلى صدر الأيمة بانقاع
ومن بالاجتهاد غدا فريدا

وقدوة كل جبر ألمعي
وحاز الفضل بالقذح العلي

-
- (1) الهبوة: ج هبوات وأهباء: القبرة .
(2) مشرفي: نسبة الى قرى من أرض العرب تدنو من الريف اسمها مشارف الشام، وقيل إلى موضع في اليمن منه السيوف المشرفية.
(3) سمهري: الرمح الصلب، من اسمهر: اشتد وصلب
(4) الأعوج: القوس، ومؤنثه: عوجاء
(5) الهبرزي: الأسد أو الأسوار من أساور الفرس، والشمري: الماضي في الأمور. المجرب.
(6) الهدى: العروس

وما هو والقдах وتلك بخت
صبا للعلم صباً في صباه
فاتقن والشباب له لباسُ

ومنها:

ونورُ جلاله يرتدُّ عنه
ومن كثرت صلاة الليل منه
ومنها:

وهذا نال بالسعي الرضي
فأغل بهمة الصب الصبي
أدلة مالك والشافعي

رسول الطرف بالحسن الحي
سيحسن وجهه قول النبي

تساوى فيه دان بالقصي
إلى رأي وحلم أحنف
فحط بنو الرضا ملقى العصي
رمت لم تخط شاكلة الرمي
دجى الإشكال في غوص خفي
بليغ القوم كلفة العبي
يروق بحلة اللفظ البهي

بعدل عم أصناف البرايا
ضمنت⁽⁷⁾ ندى وجوداً حاتماً
لديك دعائم المجد استقرت
بحيث طوامحُ الآمال مهما
أيا قمر الفهوم إذا ادلهمت
وسحبان المقالة حين يلقى
لكم أبديت من معنى بديع

(7) في الدرر: جمعت

فأقسم ما الرِّياض حنا عليها ملث الودق⁽⁸⁾، هطال الحبي
فألبسها المزخرفَ والموشى حيا الوسمي منه أو الولي
وأضحك نبتها ثغر الأقاحي فما نظم الجمان اللؤلؤي
وعطر جوها بشذا أريج من المسك الفتيق التُّبِّي
فلاحت كالخرايد يزدهيها حلِّي الحسن أو حُسن الحلي
بأنهج من كلامك حين تُفتى سؤالا بالبدية أو الروي

المصدر: الدرر الكامنة: ج 4 ، ص 299 - 302 وبغية الوعاة: ج 1 ، ص 226

..228

3 - مقطوعة

(الطويل)

تأمل صحيفات الوجود فإنها من الجانب السامي إليك رسائل
وقد خُطَّ فيها إن تأملت خطها ألا كل شيء ما خلا الله باطل

المصدر: الدرر الكامنة: ج 4 ، ص 299 - 302 وبغية الوعاة: ج 1 ، ص 226

..228

(8) في رواية: القطر.

أَبُو الْبَرَكَاتِ أَيُّمَنُ

(ت 743)

أبو البركات أيمن بن محمد التُّونسي ولد بتونس وأخذ عن علمائها وأدبائها
ثم هاجر إلى المشرق واختار المدينة المكرمة ليقيم بها. كان هجاءً ثم تاب وأخذ
ينظم الشعر في المديح النبوي حتى سمي بعاشق النبي، ألح عليه بعض أمراء
بني حفص للرجوع إلى تونس فأبى.

1 - مقطوعات

- 1 -

(الطويل)

بلغتُ بشعري في الصَّبَا وعَفَّتْهُ جميعَ الأمانى من جميع المطالب
فلما رأتُ عيناى سبعين حَجَّة قريبا هجرت الشعرَ هَجْرَ الأجنب

المصدر: الدرر الكامنة: ج 1 ، ص 460 - 462.

- 2 -

(الطويل)

فررتُ من الدُّنْيَا إلى ساكن الحمى فرارَ محبٍّ عائدٍ لحبيبه
لجأتُ إلى هذا الجنب وإِنَّمَا لجأتُ إلى سامي العباد رحيبه

المصدر: الدرر الكامنة: ج 1 ، ص 460 - 462

- 3 -

قال في مقص:

(مخلع البسيط)

نحن محبان ما رأينا في الحب أَشْفَى من العناق
فمن يحل بيننا نبادر بقطعه خشيّة الفراق

المصدر: الدرر الكامنة: ج 1 ، ص 460 - 462

- 4 -

(المجتث)

لقد صدق الباقر المرتضى سليلُ الإمام عليه السّلام
بما قال في بعض ألفاظه "سلاحُ اللّئام قبيحُ الكلام"

المصدر: الدرر الكامنة: ج 1 ، ص 460 - 462.

- 5 -

قال لصديق له:

(المتقارب)

أنا المحبّ إذا ما أراك برّاً تقياً
وعنك أسلو إذا ما أراك تسلك غيّاً
فاختر لنفسك عندي زيّاً به تزيّياً

إِذَا عَفَاكَ وَصَوَّنَا أَوْ فَاطُو مَا كَانَ طَيًّا
وَابْعُدْ إِلَى أَنْ تَرَانِي مِنْ الثَّرَى كَالثَّرِيَّا
لَا حَسَنَ إِلَّا بِتَقْوَى دَع عَنْكَ حَسَنَ الْحَيَّا

المصدر: الدرر الكامنة: ج 1 ، ص 460 - 462.

أَبُو يَحْيَىٰ أَبُو بَكْرٍ الْحَفْصِيُّ

(692 - 747)

المتوكل على الله أبو يحيى أبو بكر بن أبي زكرياء يحيى بن إبراهيم بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص، من مشاهير خلفاء بني حفص وشعرائهم ازدهرت الحياة الأدبية والفكرية في عصره وصفها الرحالون المغاربة بتونس منهم خالد البلوي الذي حظي عنده بالمكانة الرفيعة وولاه خطة رئيس الكتبة فألف عنه كتابا ونظم فيه قصائد مدحية عديدة.

1 - مقطوعة

(الطويل)

مَواطننا في دهرهن عجائب وأزماننا لم تَعُدْ عنها الغرائب
مواطنُ لم تَحكِ التَّوَارِيخُ مِثْلَها ولا حَدَّثَتْ عنها اللَّيالي الذَّوَاهِبُ
...ومن قتل الصَّفَيْنِ وامْتَاز مانعا وقد نهلت منه الظُّبَى فهو غَالِب

المصدر: وصف إفريقية: ص 16 ، وجاءت منسوبة في صبح الأعشى
غلطا إلى أبي العباس أحمد (ج 5، ص 115 - 116).

2 - فراق

(الطويل)

طمت من دموعي للفراق بحورُ وأجَّجَ ما بين الضلوع سَعِيرُ
وفارقت قلبي يومَ فارقت صبيتي فله أحناء خلت وقصور
وقلت له: يا قلب صبرا فقال لي: إنني نحوهنَّ أسيـر
عسى الله يدني للمحبين أوبة فتشقى قلوبُ منهمُ وصدورُ
وكم من قَصِي الدَّار أمسى بحرُنه فاعقبه عند الصِّباحِ سرورُ

المصدر: وصف إفريقية: ص 16 وجاء بيتان منها منسوبان غلطا إلى
أبي العباس أحمد في صبح الأعشى: ج 5 ، ص 115 - 116.

3 - انظر إلينا

(البسيط)

انظر إلينا ترانا ما بنا دهشُ وكيف يطرقُ أَسَدَ الغابةِ الدهشُ
لا تعرفُ الحادثَ المرهوبَ أنفسنا فإننا بارتكابِ الموتِ ننتعشُ
نسقي أحببنا من صِرْفِ خمريتِنا في طولِ ليلتنا حتى بدا الغَبشُ
من كفٍّ ظَلَبِي سقاني من مَدَامَتِهِ للريِّ من عطشِ فازداد بي العطشُ
كأنَّ وَجنتَهَا من حُمرةٍ شفقُ وشعرها غَسَقُ بالجسمِ مفترش

المصدر: وصف افريقية والمغرب: ص 16 ، صبح الأعشى: ج 5 ، ص 115

116 - (وهم المؤلف في نسبتها إلى أبي العباس أحمد. وضمَّن من القصيدة بيتين فقط وهما الأولان انظر التعليق عدد 2 في الترجمة رقم 120).

4 - بذئالك الوادي

(الطويل)

بذِيَّالِكَ الْوَادِي وَذِيَّالِكَ الْجَمَى
سَلِبْتُ فُوَادِي وَاعْتَدِيتُ مَتِيماً
سَكَّرْتُ وَلَمْ أَعْلَمْ أَمِنْ خَمْرَةِ الْهَوَى
عَرَانِي هَذَا السُّكْرُ أَمْ خَمْرَةِ اللَّمَى

عَلَّقْتُ كَحِيلِ الْمُقَلَّتَيْنِ مَهْفَهًا
 رَخِيماً يَلِينُ الصَّخْرُ مَهْمَا تَكَلَّمَا
 تَعَلَّمَ سَحَرَ الْجَفْنِ مِنْ أَرْضِ بَابِلِ
 وَلَيْسَ لِغَيْرِي فِي الْأَنَامِ تَعَلُّمَا!
 رَمَانِي بِسَهْمٍ مِنْ مَذَانِبِ لَحْظِهِ
 شَدِيدٍ فَلَمْ يُخْطِئْ فَوَادِي إِذْ رَمَى
 وَصَادَ بِأَشْرَاكِ الْفَوَاتِرِ مُهْجَتِي
 فَوَاعَجَبًا مِنْ شَادِنٍ صَادَ ضَيْغَمًا
 لَهُ وَجَنَّتَا شَمْسٍ وَيَدْرٍ إِذَا بَدَا
 وَأَقْبَلَ مِنْ خَلْفِ السُّتُورِ مُسَلِّمًا
 تَرَاهُ ضُحًى فِي الْقَصْرِ شَمْسًا مُنِيرَةً
 وَعِنْدَ الدُّجَى تَلْقَاهُ بَدْرًا مُتَمِّمًا
 أَلَانَمَتِي لَوْمِي إِذَا شَنَّتِ أَوْ دَعِي
 فَمَنْ يَهْوُ هَذَا الْحُسْنَ لَمْ يَخْشَ لَوْمًا
 وَحَاسِدَةً قَالَتْ لِأُخْرَى تَعْيِيهِ:
 لَقَدْ تَاهَ حَتَّى قَالَ مَنْ قَالَ أَجْرَمَا

وَظَنُّتُ بَأَنَّا نَحْسِبُ النَّيَّةَ زَلَّةً
 وَلَمْ تَذَرِ أَنَّا نَجْتَنِيهِ تَنَعُّمًا
 فَلَوْلَا التَّجَنِّيَ وَالتَّدَلُّلَ فِي الْهَوَى
 لَمَّا كَانَ بُرْدُ الْعَشْقِ بِالْعَشْقِ مُعْلَمًا
 وَلَا هَاجَ مُشْتَقًّا إِلَى جِبْرِ اللُّوَى
 وَمَنْزِلَ مَنْ يَهْوَى حَمَامٌ تَرَنَّمَا
 وَالْأَلْفُ شَيْءٍ فِي الْهَوَى أَنْسُ خَمْسَةَ
 مَتَى؟ أَوْ عَسَى! أَوْ هَلْ؟ وَكَيْفَ؟ وَرُبَّمَا؟
 إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا شَعُورٌ لِعَاشِقٍ
 فَلَيْسَ لَهُ نَحْوُ الْمُحِبِّينَ مُنْتَمَى
 إِلَيْكَ حَدِيثِي بِالتِّي لَمْ أُسَمِّهَا
 وَعَنْكَ حَدِيثِي حَيْثُمَا قُلْتُ حَيْثُمَا
 وَمَنْكَ هِيَامِي وَالضُّنَى لِي شَاهِدُ
 وَفِيكَ هِيَامِي بَعْدَ كَتْمِي لَهُ نَمَا
 وَلَمْ يَعْلَمْ الْوَاشُونَ إِلَّا تَسْهَدِي
 وَلَمْ يَذْكُرُوا الْأَسْبَابَ إِلَّا تَوَهُمًا

ملكْتُ الدُّنَى شَرْقًا وَغَرْبًا بِأَسْرِهَا
 وَلَكِنِّي أُمْسَيْتُ فِيهَا مُتِيماً
 يُغَالِبُنِي ظَبْيِي، وَأَغْلِبُ كُلَّ مَنْ
 تَمَلَّكَ فِيهَا، وَارْتَدَى وَتَعَمَّمَا
 كَتَمْتُ هَوَاهَا عَنْ قُودِي وَمُهْجَتِي
 وَعَنْ سُهْدٍ جَفَنِي مَا اسْتَطَعْتُ تَكْتُمَا
 وَلَكِنْ لِي نَفْسًا تَذُوبُ صَبَابَةً
 وَتَصْبِرُ عِنْدَ الْحَادِثَاتِ تَكْرُمَا
 وَتَأْلَمُ مِنْ طُولِ الصُّودِ وَلَا تَرَى
 لَدَى الْحَرْبِ مِنْ مَسِّ الْحَدِيدِ تَأْلَمَا
 وَتَهْجُرُ فِي نَيْلِ الْمَعَالِي مَنَامَهَا
 وَتَتَّخِذُ الْمَكْرُوهَ لِلْفَخْرِ سُلَّمَا
 فَتُذْرِكُ مَا تَبْغِي مِنَ الْحِظِّ سَالِمَا
 وَلَوْ كَانَ خَلْفَ الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ قَدْ طَمَا
 وَمَا هِيَ إِلَّا رَفْعَةٌ عَمْرِيَّةٌ
 إِلَى ذُرْوَةِ الْعَلْيَا بِهَا الْمَجْدُ قَدْ سَمَا

فَإِنْ صَعِدَ الْأَمْلَاقُ بِالْإِرْثِ مُنْبِرًا
فَمُنْبِرُنَا أَعْلَى وَأَكْرَمُ مُنْتَمَى
وَأَبَاؤُنَا فِي الْمُلْكِ وَالْبَاسِ وَالنَّدَى
تَدَاوَلَهَا السُّرَّاحُ عُرْبًا وَأَعْجَمًا
وَلَا فَخْرَ وَالْأَعْدَاءُ تَشْهَدُ أَتْنِي
أَجِيءُ وَغَاها مُسْفِرًا مُتَجَهِّمًا
وَأَقْدِمُ وَالْأَبْطَالُ يُبْصِرُ وَجْهَهَا
هُنَاكَ عَبُوسًا مُنْكَرًا مُتَغَيِّمًا
فَكَمْ قَاتِلٍ لِي فِي الرِّيَاسِ وَغَيْرِهِ
وَصَدْرُ الْقَنَا فِي الْقَوْمِ أَوْرَدَتْهُ دَمًا
وَاللَّنْصَرِ سَيْفٌ مِنْ يَمِينِي مُؤَيَّدُ
فَيَقْطِفُ أَرْوَاحًا وَيَحْطِمُ أَعْظُمًا
وَكَمْ وَادِيًا بَدَدْتُ فِيهِ سَرَاتِهِمْ
وَخَلَقْتُ ذَاكَ الْمَاءَ مَاءً مُحَرَّمًا
فَإِنْ تَجَهَّلَ الْحَرْبُ الزُّبُونُ سَكِينَتِي
فَتَعْرِفُنِي مَهْمَا حَطَطْتُ التَّلَامُ

جَوَادُ الْوَغَى وَالْفَخْرُ وَالذِّكْرُ حَقُّهُ
 لِمِثْلِي مِنْ نُونِ الْوَدَى أَنْ يُفْخَمَا
 وَلِرَأْيِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُتَوَجًّا
 مِنْ الْمَلِكِ تَاجًا بِالْأَمَانَةِ كَرَمًا
 جَعَلْتُ بِمَجْدِي ثُمَّ لَفْظِي وَصَارِمِي
 فَخَارِي بِجِدِّ الدَّهْرِ دُرًّا مُنْظَمًا
 يَرَاهُ وَلَا يَرْقَى إِلَيْهِ مُعَانِدُ
 وَيُبْصِرُهُ كَالنَّجْمِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ
 بَنَيْنَا بِنَاءَ الْمَلِكِ وَالْعِزِّ وَالْعُلَا
 سَمَاءً عَلَى بُنْيَانِ قَوْمٍ تَهْدَمَا!

المصدر: تثير الجمان: ص 98-102.

أَبُو الْفَارَسِ الرَّحْوِيُّ

(حي سنة 779)

شاعر تونس على الإطلاق حسب عبارة ابن خلدون، كان خليلاً لوالده. كانت له طموحات عبّر عنها في قصائده. اتّصل بأبي الحسن المريني مدّة حكمه بتونس ومدحه لكنّ الظروف السياسيّة لم تسمح له بتحقيق آماله.

1. قد ذهب العيش والهناء

(مخلع البسيط)

قَدْ ذَهَبَ الْعَيْشُ وَالْهِنَاءُ
 وَالصُّبْحُ لِلَّهِ وَالْمَسَاءُ
 يُحْدِثُهَا الْهَرَجُ وَالْوَيْاءُ
 وَمَا عَسَى يَنْفَعُ الْمِرَاءُ
 حَلُّ بِهِ الْهَلَكِ وَالْثَوَاءُ
 بِهِ إِلَيْكُمْ صَبَا رَحَاءُ
 يَقْضِي لِعَبْدِيهِ مَا يَشَاءُ
 مَا فَعَلْتُ هَذِهِ السَّمَاءُ
 أَنْكُمْ الْيَوْمَ أَمْلِيَاءُ
 وَجَاءَ سَبْتٌ وَأَرْبِعَاءُ
 وَثَالِثٌ ضَمُّهُ الْقَضَاءُ
 أَذَاكَ جَهْلٌ أَمْ اِزْدِرَاءُ
 أَنْ لَيْسَ يُسْتَدْفَعُ الْقَضَاءُ
 حَسْبَكُمْ الْبَدْرُ أَوْ ذُكَاءُ
 إِلَّا عِبَادِيدُ أَوْ إِمَاءُ
 وَمَا لَهَا فِي الْوَرَى اقْتِضَاءُ
 مَا شَأْنُهُ الْجُرْمُ وَالْفَنَاءُ
 يُحْدِثُهُ الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ
 تَغْذُوهُمْ تُرْبَةٌ وَمَاءُ

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ حِينٍ
 أَصْبَحُ فِي تُونِسَ وَأَمْسِي
 الْخَوْفُ وَالْجُوعُ وَالْمَنَايَا
 وَالنَّاسُ فِي مِرْيَةٍ وَحَرْبٍ
 فَأَحْمَدِي يَرَى عَلَيَا
 وَآخِرُ قَالَ سَوْفَ يَأْتِي
 وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ ذَا وَهَذَا
 يَا رَاصِدَ الْخُنُسِ الْجَوَارِي
 مَطْلَعُنَا وَقَدْ زَعَمْتُمْ
 مَرُّ خَمِيسٍ عَلَى خَمِيسٍ
 وَنِصْفُ شَهْرٍ وَعَشْرُ ثَانٍ
 وَلَا نَرَى غَيْرَ زُورٍ قَوْلٍ
 إِنَّا إِلَى اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا
 رَضِيتُ بِاللَّهِ لِي إِلَهًا
 مَا هَذِهِ الْأَنْجُمُ السُّوَارِي
 يَقْضَى عَلَيْهَا وَلَيْسَ تَقْضِي
 ضَلَّتْ عَقُورُ تَرَى قَدِيمًا
 وَحَكَمْتَ فِي الْوُجُودِ طَبْعًا
 لَمْ تَرَ حُلُوءًا إِزَاءَ مُرٍّ

اللَّهُ رَبِّي وَلَسْتُ أَذْرِي
 وَلَا الْهَيُولَى الَّتِي تَنَادِي
 وَلَا وَجُودٌ وَلَا انْعِدَامٌ
 وَالْكَسْبُ لَمْ أَذِرْ فِيهِ إِلَّا
 وَإِنَّمَا مَذْهَبِي وَدِينِي
 إِذْ لَا فُضُولٌ وَلَا أُصُولٌ
 مَا تَبَعَ الصُّدْرَ وَافْتَقَيْنَا
 كَانُوا كَمَا يَعْلَمُونَ مِنْهُمْ
 يَا أَشْعَرِي الزَّمَانِ إِنِّي
 لَمْ أَجْزِ بِالْشَّرِّ غَيْرَ شَرٍّ
 وَإِنِّي إِنْ أَكُنْ مُطِيعًا
 وَإِنِّي تَحْتَ حُكْمِ بَارٍ
 لَيْسَ انْتِصَارُ بِكُمْ وَلَكِنْ
 لَوْ حَدَّثَ الْأَشْعَرِيُّ عَمَّنْ
 لَقَالَ أَخْبِرْهُمْ بِأَنِّي

مَا الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ وَالْخَلَاءُ
 مَالِي عَنْ صُورَةٍ عَرَاءُ
 وَلَا تُبُوتٌ وَلَا انْتِفَاءُ
 مَا جَلَبَ الْبَيْعُ وَالشُّرَاءُ
 مَا كَانَ لِلنَّاسِ أَوْلِيَاءُ
 وَلَا جِدَالٌ وَلَا رِيَاءُ
 يَا حَبَّذَا كَانَ الْاِئْتِفَاءُ
 وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْهَذَا
 أَشْعَرِي الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ
 وَالْخَيْرُ عَنْ مِثْلِهِ جَزَاءُ
 فَلَسْتُ أُعْصِي وَلِي رَجَاءُ
 أَطَاعَهُ الْعَرْشُ وَالشُّرَاءُ
 أَتَاخَهُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ
 لَهُ إِلَى رَأْيِهِ انْتِمَاءُ
 مِمَّا يَقُولُونَهُ بَرَاءُ

المصدر: مقدّمة ابن خلدون: ص 578-579، وعنوان الأريب: ج 1، ص

.101

2 - أجابك شرق ومغرب

قال يمدح أبا الحسن المريني وهو من كبار بني مرين، دخل تونس سنة 748هـ واستعمل فيها العمال على الجهات، ثارت عليه قبائل العرب قرب القيروان وهزموه. توفي سنة 752 هـ

(الطويل)

أجَابَكَ شَرْقٌ إِذْ دَعَوْتَ وَمَغْرِبٌ
وَنَادَاكَ مِصْرُ وَالْعِرَاقُ وَشَامُهُ
وَحَيَّتِكَ أَوْ كَادَتْ تُحْيِي مَنَابِرَ
فَسَارَعَ مِنَّا كُلُّ دَانٍ وَشَاسِمِ
وَتَأَقَّتْ لَكَ الْأَرْوَاحُ حُبًّا وَرَغْبَةً
فَفِي الْبَلَدَةِ الْبَيْضَاءِ لَبَّاكَ مَعْشَرُ
وَوَافَّتَكَ مِنْ ذَاتِ النُّخِيلِ وَفُودُهَا
وَلَمْ تَتَلَكَّأْ عَنْ إِبَاءِ بَجَايَةِ
تَأَبَّتْ فَلَمَّا أَنْ أَطْلُتْ عَسَاكِرِ
فَبَادَرَ مِنْهُمْ مُدْعِنٌ وَمُسْلِمٌ
وَمَا تُونِسَ إِلَّا كَمِصْرٍ مَرُوعٍ
وَمَا أَهْلُهَا إِلَّا بَغَاثٌ لِصَائِدِ
وَقَدْ كُنْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ كَهْفٌ زَعِيمِهِمْ
فَكَانَ يُرَى أَنَّ الزَّمَانَ أَذَالَهُ
كَذَلِكَ ابْنُ طَائِعٍ وَإِنْ اعْتَلَتْ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ عَذْلَكَ يَنْتَمِي

فَمَكَّةُ هَشَّتْ لِلِقَاءِ وَيَثْرِبُ
بِدَارًا فَصَدَّعُ الدِّينِ عِنْدَكَ يُشْعَبُ
عَلَيْهَا دَعَاةُ الْحَقِّ بِاسْمِكَ تَخْطُبُ
إِلَى طَاعَةٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تُحْسَبُ
وَأَنْتَ عَلَى الْأَمَالِ تَتَأَيُّ وَتَقْرُبُ
وَأَنْتَ بِأَفْقِ النَّاصِرِيَّةِ تَرْقُبُ
فَلِقَائِهِمْ أَهْلُ لَدَيْكَ وَمَرْحَبُ
وَلَكِنْ يِرَاضُ الصَّعْبُ ثُمْتُ يُرْكَبُ
تَرَى الشُّهْبَ مِنْهَا تُسْتَبَاحُ وَتُنْهَبُ
وَأَذَعْنَ مِنْهُمْ شَاغِبٌ وَمَوْلَبُ
وَفِي حُرْمٍ أَمَسْتَ لَدَيْكَ تَسْرِبُ
وِبَالْعَزِّ مِنْهَا اسْتَنْسَرُوا وَتَعَقَّبُوا
فَهَا أَنْتَ كَهْفٌ لِلْجَمِيعِ وَمَهْرَبُ
بِكُمْ فَاجَابَ الْعِيشُ وَالْعِيشُ مُخَصِبُ
بِهِ السَّنُّ أَحْوَالًا وَأَنْتَ لَهُ أَبُ
إِلَى الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَيُسَبُّ

تَسَامَيْتَ فِي مَلِكٍ وَنُسِكٍ بِخَطَةٍ
 إِذَا لَذَّ لِلْأَمْلَاقِ خَمْرٌ مُدَامَةٌ
 وَإِنْ أَدَابَ الْقَوْمِ الصَّبُوحَ فَإِنَّمَا
 وَإِنْ حَمِدُوا الشُّرْبَ الْغَبُوقَ فَإِنَّمَا
 وَإِنْ خَشِنْتَ أَخْلَاقَهُمْ وَتَحَجَّبُوا
 لَقَدْ كَرَّمْتَ مِنْكَ السَّجَايَا فَأَصْبَحَتْ
 كَمَا شِيدَتْ بَيْتًا ذُؤَابَةَ مَعْشَرٍ
 هُمْ التَّارِكُو غُلَبَ الْفَسَاوِرِ خُضْعًا
 هُمْ النَّاسُ وَالْأَمْلَاقُ تَحْتَ جَوَارِهِمْ
 هُمْ الْمَالِكُو الْمَلِكِ الْعَظِيمِ فَبَيْتِهِمْ
 لَقَدْ أَصْبَحَتْ بَغْدَادُ تَحْسُدُ بِأَسْهَمِ
 تَجَلَّتْ بَيْتِ الْمَجْدِ مِنْهُمْ كَوَاكِبُ
 فَلِلَّهِ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ مَغْرِبِيَّةٌ
 لَقَدْ قَامَ عِبْدُ الْحَقِّ لِلْحَقِّ طَالِبَا
 وَأَعْقَبَ يَعْقُوبَا يَوْمَ سَبِيلِهِ
 وَخَلَّفَ عِثْمَانًا فَلِلَّهِ صَارِمٌ
 فَكَمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَنْ إِبَارَةً
 وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ إِتْمَامَ مِنْهُ
 إِيمَانُكَ لِلدِّينِ الْحَنِيفِيِّ آيَةً
 فَجَنَّتَ بِمَا يَرْضَى بِهِ اللَّهُ سَالِكَا
 وَقَمْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ حَقَّ قِيَامِهِ

حِذَاكَ مُحَرَابٌ لَدِيهَا وَمَرْكَبُ
 فَلَذَّ لَكَ الْقِرَانُ يُتْلَى وَيُكْتَبُ
 عَلَى رَكَعَاتٍ بِالضُّحَى أَنْتَ تَدَّابُ
 شِرَابُكَ بِالْإِمْسَاءِ ذِكْرُ مُرْتَبُ
 فَمَا أَنْتَ فَظُّ بَلْ وَلَا مَتَحَجَّبُ
 إِذَا مَا أَمْرُ الدَّهْرِ تَحْلُو وَتَعَذِبُ
 يَزِيدُهُمْ قَحْطَانُ فَخْرًا وَيَعْرِبُ
 وَعَنْ شَانِهِمْ كَفَّتْ عَيْدُ وَأَغْلُبُ
 هُمْ الْعِظَمُ وَالْأَرْضُ الْعَظِيمَةُ مَغْرِبُ
 عَلَى كَاهِلِ السَّبْعِ الشَّدَادِ مُطْنَبُ
 وَبِجَلَّةٍ وَدَّتْ أَنْ تَكُونَ مُنَاسِبُ
 لَقَدْ جَلَّ مِنْهَا مُشَوِّقٌ وَمُغْرِبُ
 يَرُومُ بِنَاهَا الْأَعْجَمِيُّ فَيَعْرِبُ
 فَمَا قَاتَهُ مِنْهُ الَّذِي قَامَ يَطْلُبُ
 فَلَمْ يُخْطِهِ وَهُوَ السَّبِيلُ الْمُتَجَبُ
 بِهِ بَانَ لِلْإِسْلَامِ شَرْعٌ وَمَذْهَبُ
 لِمَا شَادَ أَهْلُ الْكُفْرِ أُمْسَتْ تَحْرَبُ
 تَقْلَدَهَا مِنَّا مُطِيعٌ وَمَذْنِبُ
 تَعَرَّى بِهَا عَنْ لَامِعِ الْحَقِّ غَيْهَبُ
 سَبِيلًا إِلَى رِضْوَانِهِ بِكَ يَذْهَبُ
 يَنَاضِلُ عَنْهُ مِنْكَ نَصْلُ مُدْرَبُ

لكم ولهم منكم مكان ومنصب
وقام لديهم واعظٌ مترقّب
فراهبُ أهلِ الكفر بأسك يَرْهبُ
وأولى جهاد كان بل هو أوجب
لأمرك من جاري المقادير مغرب
ولا أرض الا بادرارك تُخْصِبُ
وما حلّها الا ألودود المرجب
وراثا فطاب الكلّ إرث ومكسب
وجيش على الضمّر السّوابق يركب
وذاك لعمر الله أغلى وأغلبُ
ولا راكب إلا به ازدان مركب
ولا سيف الا وهو أبيض قاضب
ولم يقر خطا يغتدي وهو يكتب
هزبر وأبطال الفوارس ربرب⁽²⁾
خبير بأيّام الأعارب معرب
وفي هامة القوم المضارب مضرب
وها هو في الأمثال ثاو مجرّب
عليه ذيول الداودية تسحب
وشهبان فهم لم يشمهنّ أشهب⁽⁴⁾

وأصبح أهل الله أهلا وشيعة
وحلّ بأهل الفتك ما حلّ عزمهم
وجاهدت في الرّحمان حقّ جهاده
وأنقذت من أيد الإغارة أمة
فأصبحت الدنيا عروسا يزفّها
فلا مصر الا قد تمنّاك أهله
وما الأرض الا منزل أنت ربّه
تملكت شطر الأرض كسبا وشطرها
بجيش على الألواح والماء يمتطي
وجيش من الإحسان والعدل والتقى
فلا مركب الا يزيّن راكبا
ولا رمح الا وهو أهيف خاطر
فكم كاتب خطيه⁽¹⁾ وبواته
يمرّ على الأبطال وهو كأنه
وكم كاتب لا ينكر الطعن رمحه
له من عجيب السحر بالقول أضرب
فها هو في الأقوال واش محبّر
ومن ساحب بردا من العلم والتقى
له صبغة في العلم جاءت بأصبغ⁽³⁾

(1) رمحه .

(2) قطع من الظباء.

(3) أصبغ: هو أصبغ بن الفرج من كبار المالكية بمصر، توفي سنة 225 هـ.

(4) هو أشهب تلميذ مالك بن أنس، توفي سنة 204 هـ.

فيا عسكريا قد ضمّ أعلام عالم
 هم الفئة العليا والمعشر الذي
 لك الفضل في الدنيا على كلّ قاطن
 ويا مالكا عدلا رضى متورعا
 شرعت من الإحسان فينا شريعة
 وأسميت أهل النسك إذ كنت منهم
 وأعليت قدر العلم إذ كنت عالما
 فمدحك محتوم على كلّ قائل
 فله كم تعطي وتمطي وتجتبي
 فلا برحت كفاك في الأرض مزنة
 ولا زلت في علياء مجدك راقيا
 توافي على أقصى أمانيك أمانا

به طاب في الدنيا لنا متقلب
 إذا حلّ شعب فهو للحقّ مشعب⁽⁵⁾
 ومرتحل أنى يجيء ويذهب
 مناقبه العليا تثلّى وتكتب
 تساوى بها ناء ومن يتقرب
 فممنك أخو التقوى قريب مقرب
 ففيه وفي طلابه لك مأرب
 ومن ذا الذي يحصي الرمال ويحسب
 فللبحر من كفيك قد صحّ منسب
 يطيب بها للخلق مرعى ومشرب
 وشانك المدحوض ينكى وينكب
 فلا برّ يستعصى ولا يتعصب

المصدر: عنوان الأريب: ج 1 ، ص 98 - 101.

(5) جامع.

3 - مدح ابن رضوان

قال يمدح أبا القاسم بن رضوان وبعض من قدم مع أبي الحسن المريني إلى تونس من العلماء كي يبلغوا خبره إليه:

(الطويل)

عرفتُ زَمَانِي حِينَ أَنْكَرْتَ عِرْفَانِي وأيقنتُ أن لا حظَّ في كَفِّ كِيَوَانِ⁽¹⁾
وأن لا اختيارُ في اختيارِ مُقَوِّمٍ وأن لا قِرَاعُ بِالْقِرَانِ لِأَقْرَانِي⁽²⁾
وأنَّ نِظَامَ الشَّكْلِ⁽³⁾ أَكْمَلَ نَظْمِهِ لَأَضْعَفُ قَاضٍ فِي الدَّلِيلِ بَرُجَّانِ
وأن افتقار المرء في فَقَرَاتِهِ ومن ثقله يُغْنِي اللَّيْبَ بِأُوزَانِ
فمن بعد ما شِمْتُ الخِلَابَ ولم أُرْغِ لِهَشَّةٍ رَاضٍ أَوْ لِشِرَّةٍ غَضْبَانِ
ولم يُعْشِنِي للنارِ لَمْعُ شُعَاعِهَا فما كل نارٍ نَارَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ
ولم يبقَ لي في الغَيْبِ من أملٍ سِوَى لِقَاءِ ابْنِ رِضْوَانٍ وَجَنَّةِ رِضْوَانِ
هُنَالِكَ أَلْفَيْتُ الْعُلَا تَنْتَمِي إِلَى أَنَسٍ ضَنْبِيلٍ عِنْدَهُمْ فَخْرُ غَسَّانِ
وَأُرْعِيتُ مِنْ رَوْضِ التَّادِبِ يَانِعًا وَحَيِّيتُ مِنْ كَنْزِ الْعُلُومِ بَعِيقَانِ
وَرَدَّتْ فَلَمْ تُجْدِبْ لَدَيْهِ رِيَادَتِي وَصَدَّقَ طَرْفِي مَا تَلَقَّته أَذَانِي
فحَسْبُكَ مِنْ آدَابِهِ كُلُّ زَاخِرٍ يُحْيِيكَ مَعْسُولًا بِدُرٍّ وَمَرْجَانِ

(1) كيوان: اسم لزل، وهو أحد الكواكب السيارة.

(2) مقوم الكوكب: موضعه (طوله) من فلك البروج .

والقران: اجتماع كوكبين سيارين في نقطة واحدة من فلك البروج، ويشير الرجوى إلى ما يزعمه المنجمون من أن الكوكب إذا كان في موضع معين في فلك البروج، أو اقترن بكوكب آخر في نقطة معينة، كان له أثر حسن، أو سيء، في أعمال الإنسان .

(3) نظام الشكل: شكل الفلك، يريد وضعه في وقت معين، وهو ما يعرف عندهم بالنصبة الفلكية. ونظام الشكل. كناية عن حسن دلالته، يقول: مهما انتظم الشكل فإنه أضعف قاض في دلالة القران على رجحن عمل على آخر.

يحييك بالسلك الذي لم تحط به طرُسُ ابن سهل أو سوافُ بوران⁽⁴⁾
 فقل بابلي إن يُنافثك لفظهُ وفي وشيه الأطراس قل هو صنعاني
 خلائق لم تُخلق سدّي بل تكلمت بإسداءٍ إنعام وإيلاءٍ إحسانٍ

ثم يقول في ذكر العلماء القادمين:

هم القومُ كلُّ القومِ أما. حلومهم فارسُ من طودِي ثبير وثهلان⁽⁵⁾
 فلا طيشَ يعرفهم وأما علومهم فأعلامها تهديك من غير نيرانٍ
 بفقهِ يشيم الأصبحي⁽⁶⁾ صباحه وأشهب⁽⁶⁾ منه يستدلُّ بشهبانٍ
 وحسنِ جدالٍ للخصومِ ومنطق يجيئان في الأخفى بأوضح برهانٍ
 سقت روضة الآداب منهم سحائبُ سحبن على سحبان⁽⁷⁾ أذيانٍ نسيانٍ
 فلم يبق نايُ ابن الإمام⁽⁸⁾ شماخهُ على مدنِ الدنيا لأنف تلمسانٍ
 ويعد نوى السطّي⁽⁹⁾ لم تسطُ فاسهُ بفخرٍ على بغداد في عصرِ بغدادٍ

(4) السالفة: جانب العنق، وجعلوا كل جزء من العنق سالفة، فقالوا: إنها لوضحة السواف.

وبوران: هي بنت الحسن بن سهل. تزوجها الخليفة المأمون، وأنفق في زفافها من الأموال ما أصبح مضرب المثل. وابن سهل هو الحسن بن سهل السرخي والد بوران، ووزير المأمون.

ثبير: جبل بظاهر مكة.

ثهلان: جبل في بلاد بني نعيم.

(5) يريد بالأصبحي مالك بن أنس الإمام المعروف، لانتهاء نسبه إلى ذي أصبح.

(6) هو أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز الفقيه المالكي المصري (150 - 204).

(7) هو سحبان بن زُفر بن إياس الوائلي، يضرب به المثل في البيان، أدرك الإسلام، ومات سنة 54 هـ.

(8) ابن الإمام: عبد الرحمن بن محمد أو أخوه عيسى عالمي المغرب في عصرهما تعلموا في تونس ورحلا إلى الجزائر وعادا إلى تلمسان توفي عبد الوهاب سنة 743.

(9) السطّي: من العلماء المغاربة الذين صحبوا أبا الحسن المريني إلى تونس.

ويا لأبلي⁽¹⁰⁾ استسقت الأرض ويلها
 ومستويل ما مال عنه لأظعان
 وهامت على عبد المهيم⁽¹¹⁾ تونس
 وقد ظفرت منه بوصل وقربان
 وما علقت مني الضمائر غيره
 وإن هويت كلاً بحب ابن رضوان⁽¹²⁾
المصدر: التعريف: ص 24 - 25 ، منها أبيات في "درة الحجال" محشوة
 بالأغلاط: ج 3 ، ص 271 - 273.

4 - لهي النفس

كتب يذكر أبا عبد الله المهيم⁽¹¹⁾ في إيصال مدحه للسلطان أبي الحسن
 المريني:

(الخفيف)

لهي النفس في اكتساب وسعي
 وهو العمر في انتهاب وفي
 وأرى الناس بين ساع لرشد
 يتوخى الهدى وساع لفي
 وأرى العلم للبرية زينا
 فتزينا منه بأحسن زي
 وأرى الفضل قد تجمّع كلاً
 في ابن عبد المهيم الحضرمي
 حل بالرتبة العلية في حضرة
 ملك سامي العماد علي

(10) الأيلي: من العلماء المغاربة الذين صحبوا المريني إلى تونس وكان أستاذا لابن خلدون في العلوم العقلية

(11) عبد المهيم الحضرمي ت 739 رئيس الكتاب في تونس لدى أبي الحسن المريني. انظر ترجمته رقم 126. في كتابنا : الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي.

(12) ابن رضوان: من علماء المغرب الذين صحبوا السلطان المريني أبا الحسن إلى تونس.

قَلَمٌ أَوْسَعَ الْأَقَالِيمَ أَمْرًا
 قَدَرٌ مَا يَفِيدُ مِنْهُ احْتِذَارُ
 يَمْنَحُ الْعِزَّ وَالْعِلَالَ وَيُوَالِي
 يَلْجَأُ الدَّارِعُونَ خَوْفًا إِلَيْهِ
 هُوَ أَعْلَى الْأَقْلَامِ فِي كُلِّ عَصْرِ
 حَكِيمٌ تَلْكُمُ الرِّيَاسَةَ مِنْهُ
 سَالِكٌ فِي النَّظَامِ دُرًّا وَطَوْرًا
 بَدْعُ اللَّبْدِيعِ⁽¹⁾ تَرْمِي بِحَصْرِ
 وَيُرَى أَخْرَسَ الْعِرَاقَ لَدَيْهِ
 وَعِلْمُهُ هِيَ الْبَحُورُ وَلَكِنْ
 تَصُدُّرُ الْأَمَّةَ الْعَظِيمَةَ عَنْهُ
 وَيَفْقَهُ فِيهِ وَحَسَنَ مَقَالٍ
 وَيَنْحَوِرُ يَنْحِي عَلَى سَيَبُويهِ⁽³⁾
 عَمِي الْأَخْفَشَانِ⁽⁴⁾ عَنْهُ وَسَدَّتْ
 يَا أَخَا الْحُكْمِ فِي الْأَنَامِ وَإِنِّي
 بَنْتُ فِكْرِي تَعَرَّضْتُ لِحِمَاكُمُ

فَلَهُ قَدْ أَطَاعَ كُلُّ عَصِيٍّ
 فَبِأَيِّ تَرَاهُ يَقْضِي بِأَيِّ
 بِالْعَطَايَا الْجَسَامِ كُلِّ وَلِيٍّ
 فَهُوَ يُزْرِي بِالصَّارِمِ الْمَشْرِفِيٍّ
 حَيْثُ يُنْمَى إِلَى الْإِمَامِ عَلِيٍّ
 بِفَرِيدٍ فِي كُلِّ مَعْنَى سَنِيٍّ
 نَاطِرُ دَرِّهِ بِنَشْرِهِ وَطَيٍّ
 وَلِصَابِي⁽²⁾ بَنِي بُوَيْهِ بِعِيٍّ
 أَنَّهُ بِالشَّامِ كَالْأَعْجَمِيِّ
 يَنْتَثِي الْوَارِدُونَ مِنْهَا بِرِيٍّ
 بِحَدِيثِ مَجُودٍ مَرْوِيِّ
 يَضَعُ النَّوْرَ فِي لِحَاطِ الْعَمِيِّ
 بَيِّنَانٍ فِي الْمُبْهَمَاتِ جَلِيٍّ
 عَنْ خَفَايَاهُ فَطَنَةُ الْفَارَسِيِّ⁽⁵⁾
 لِأَنَادِي رَبُّ النَّدَى وَالنَّدِيِّ
 فَالْقَهْرُ رَاضِيًا بِوَجْهِ رَضِيٍّ

(1) يريد أبا الفضل أحمد بن الحسين الهمداني، بديع الزمان، المتوفى سنة 398 .

(2) أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب البليغ (314 - 384).

(3) سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر صاحب الكتاب في النحو توفي سنة 177 هـ.

(4) الأخفشان : أبو الحسن الأخفش من تلامذه سيبويه المشهورين ويعرف بالأخفش الأوسط وهو سعيد بن مسعدة توفي سنة 215 هـ. وعلى بن سليمان الأخفش الأصغر توفي سنة 315 وكان من علماء النحو.

(5) أبو علي الفارسي من أكابر أئمة النحويين، صاحب كتاب الإيضاح في النحو والحجة في علل القراءات السبع وكتاب المقصور والممدود، توفي سنة 377.

تبتغي القرب من مراقي الأمانِي والترقي للجانبِ العَلَوِي⁽⁶⁾
فأنلها مرامها نلت سهلاً كلُّ دانٍ تبغي وكلُّ قصيٍّ

المصدر: التعريف: ص 25-26.

(6) أبو الحسن علي المريني الأمير.

محمّد الظّريف

(ت 787)

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الظّريف الوليّ والشّاعر الفحل والفنّان الرّقيق والعالم في المقامات الموسيقيّة. استوحى منها قصائده. نذكر منها "ناعورة الطّبوع" وقصيدة لامية في 59 بيتاً. كانت له رحلة الى المشرق زار فيها بلاد الشّام حيث أخذ عن عدد من المشائخ. ما زال مقامه محلّ زيارة، يجتمع فيه الظرفاء والفنّانون وأصحاب الذّوق الصّوّفيّ.

1 - مقطوعة

(الكامل)

لَيْسَ الظَّرِيفُ بِكَامِلٍ فِي ظَرْفِهِ حَتَّى يَكُونَ عَنِ الْحَرَامِ عَقِيفًا
فَإِذَا تَعَفَّفَ عَنْ مَحَارِمِ رَبِّهِ فَهَنَّاكَ يَدْعُوهُ الْأَنَامُ ظَرْيفًا

المصدر: عنوان الأريب: ج 1، ص 105. هذان البيتان نسبا إليه غلطا
وقد وردا في كتاب ابن الجوزي عن الظراف والمتماجنين، وابن الجوزي متوفى
سنة 597 هـ.

2 - قم من منامك

(البسيط)

قم من منامك واسل العجز والكسلَا وانظر لِنِعْمَةِ خَلْقٍ وَمَا فَعَلَا
النَّوْمُ مَوْتُ فَلَ تَعْبًا بِلَذَّتِهِ واحفظ حياتك لا تبغي بها بدَلَا
إِنَّ الْمَنَامَ لِنُقُوسِ الْقَلْبِ سَكْرَتُهُ وَيُكْسِبُ الْجِسْمَ مِنْ إِفْرَاطِهِ عِلَلَا
وَيُذْهِبُ الْعَمَرَ مَجَانًا لِكَثْرَتِهِ ويورث الفقرَ للإنسان والكسلَا
دع الكرى واغنم اللذات مجتهدا واخلع عذاركَ واتركْ عَذْلَ مَنْ عَذَلَا
أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ إِذْ كَرَّ الصَّبَاحُ عَلَى جيوشِهِ تَبْعًا فِي جَنْبِهِ أَقْلَا
وَالرَّوْضُ أَصْبَحَ يَجْلَى فِي غِلَالِهِ وأنشد الطَّيْرُ فَوْقَ الْغَصَنِ وَارْتَجَلَا
وَأَلْقَتِ الْقُضْبُ مِنْ أَوْرَاقِهَا بُسْطًا وألبس الرِّوْضُ مِنْ أَنْوَارِهِ حُلَلَا
وَقَبْلَ الطَّلُ خَدُّ الْأَرْضِ فَابْتَسَمَتْ أزهارُهَا فَغَدَتْ تَزْهُو بِحَسَنِ حَلَا
وَالْوَرْدُ لَمَّا اعْتَلَى مِنْ فَوْقِ وَجْنَتِهِ ماءُ الْحَيَاءِ بَدَا فِي خَدِّهِ خَجَلَا

والسَّوسَنُ الغَضُّ ما أحلى شمائله
 وفي البَهَارِ إشاراتٌ لمعتيرٍ
 والنَّرجِسُ اصْفَرَّ من فرط لوعته
 والياسمينُ تبدَّى في عساكره
 كذا البنفسجُ أرخى الرأس مكتئباً
 وإنْ تأملتَ في الخيري تر عجباً
 وثمَّ ألوانٌ لا يحصى لها عددٌ
 تدبيرٌ من خلق الأشياء وأبرزها
 وغنَّت الورق في أغصان دوحتهَا
 جسَّت حسينُ النوى في شدِّها ويكت
 وجرت الذَّيلُ في رملِ الحِجَانِ وقد
 فذكرتني زماناً مرَّ بي بعداً
 أيَّامٍ إذ كان فيها السَّعد يسعدنا
 فكم أطعت هوى نفسي وشهوتهَا
 عجبتُ من شأنها لم تُبق من أثر
 لو كنتُ أعلم هذا ما وثقت بها
 ولا ركنْتُ إلى الدنيا وزينتهَا
 ولا تمسَّكتُ بالشَّيءِ الحقيقير ولا
 ولا برحتُ على اللذاتِ معتكفا
 وعاد جسمي سقيماً بعد صحته
 وقد رأيت شبابي عزَّ مطلبه
 ناديت من شدَّة الأشواق وأسفي
 وما يكون جوابي في الحسابِ إذن
 لما تفتَّح في البستان واكتملا
 كأنه كفَّ مخضوبٍ بكأسٍ طلاً
 كعاشقٍ بالهوى والصدُّ قد نحلا
 مضمومةُ الشَّمْلِ لم يترك بها خلا
 كمدنفٍ في شبَّك الحبِّ قد حصلاً
 كأنه ملكٌ في جيشه فعلاً
 في وصفها عجز الصَّبَاغِ والعُقلا
 وصيَّر الخلقُ في سلطانه نُولا
 فأيقظت طرباً من نام أو غفلاً
 على العراقِ فأضحى العقلُ معتقلاً
 تبخترت في ممَّاشي دوحهَا خيلاً
 زمانٌ أنس بِلذاتِ الوصالِ حلاً
 والدَّهرُ في حكمه إذَاك قد عدلاً
 وكم عصيتُ عُذولاً في الهوى عدلاً
 كزائر زار في الأحلام وارتحلا
 ولا سلَّكتُ إلى لذاتها سُبُلاً
 ولا تملَّكتُ من إقبالها ذُللاً
 جررت ثوبَ التَّصابي في الصَّبى خيلاً
 حتى رأيت صباحي في الدُّجى نزلاً
 وقلَّ جهدي وبان السنُّ وانتقلا
 إذ مفرقُ الشَّيبِ في رأسي قد اشتعلا
 على الذُّنوبِ التي أسلفتها أزلًا
 إنَّ السؤالَ وميزانَ الخطأ ثقلا

يوم ترى فيه كلَّ الناس ما عملت
يا خالقَ الخلقِ يا من لا نظيرَ له
يشكوك من سوء أوزارٍ تحملها
وقد سمعت بأذني ما سرَّرت به
يروى عن الله جلَّ الله خالقنا
إنِّي لأُكرِّم عبدي أنْ أعذِّبه
على مجرد فضل لا على عمل
وها أنا شبت والتوحيدُ يشهدُ لي
ولي رجائي وحسنُ الظَّنِّ يُطمِئِنِّي
فما عسى تكتبُ الأقلامُ إن كتبت

وكلُّ شخص سيُجزى بالَّذي فعلا
عبدُ ضعيف بباب الجود قد نزلا
ظهرَ فيا ويح هذا الظَّهرُ ما حملا
حديثك صدق عن المختار قد نُقلا
في قوله عزَّ في تقديسه وعلا
بالنَّار إن شابَ في الإسلام واكتهلا
يظنُّه أنَّه ينجيهِ إن قُبلا
كأنَّه العُروة الوثقى وقد حصَّلا
والفضلُ يشمل من أخطا ومن جهلا
وما عسى ينقلُ الإنسانُ إن نقلا

يا سيِّدَ الخلقِ! أعلى الورى نسبا
وقد مدحتك كي أحظى بجائزة
فَبَرُّ جودِكَ للعاصين مبلغه
من لِظُرَيْفٍ إذا وافاك مفتقراً
سوى جنابك يا خيرَ الأنام إذا
عليك مِنِّي سلامُ الله ما طلعت
كذا على الآل والأصحاب كلَّهم

قلبي لمدحك يا خير الورى امثلا
فأنتَ أكرمُ من أعطى ومن سُئلا
وبحرُ كَفِّكَ يروي السهل والجبلا
صفرَ اليدين مقراً بالذي فعلا
أتيتُ من سوء فعلي خائفا وجلا
شمسُ وما لاح وجهُ البدر أو أفلا
الأنقياء الكرام السادة الفضلا

المصدر: من كنش خاص، ومن القصيدة 14 بيتا في المجلد: ص 216.

.217

3 - ناعورة الطبع

(البسيط)

من سفك دمعي ومن تحبير أجفاني
ومن نُحولي ومن سقمي وشدة ما
رثى العذول لحالي حين أبصرني
وصل الحبيب فلا أبغي به بدلا
من لامني في الهوى والحب قلت له:
قرب روضة أنس قد مررت بها
قطوفها تنعش الأرواح دانية
تخلل الماء في أنهارها فغدت
في روضة قد شدت من كل ناحية
فقام فيها خطيب فوق منبره
مزوق الصدر مخضوب البنان له
سود مناكبه، بيض جوانحه
مطوق الجيد، في أطراف مقلته
فأطرب الطير في أوكارها فغدت
جس (الرهوي) وجر (الذيل) من طرب
(واصبهان) غدا يحكي (بصيكته)

صغت الهوى حلية من حر نيران
ألقاه من فرط أشواق وأشجاني
من بعد ما كان بالتعنيف ينهاني
ليس التبدل والسلوان من شاني
إليك عني فإن الحسن أدماني
مخضرة ذات أفنان وأغصان⁽¹⁾
كجنة ذات روح، ذات ريحان
تزهو بورد ونسرين ونعمان
بلا بل لم تدع صبرا لإنسان
يشكو الغرام⁽²⁾ بتغريد وألحان
من الزبرجد والياقوت لونان
له من المسك والكافور ثوبان
أشعة من بهاء خده القاني
شوقا تجاوبه من كل بستان
وتاه في (الرمل) أحيانا فأحياني
(محير) الحال (مزموما) بهجران

(1) أشجار: عوضا عن أفنان في المجلد

(2) المجلد: البعد.

فهاجني ما بكى أهلُ (العراق) على
 يشكو (النوى) ودموعُ العين تسبقه
 (والرصد) أشعل في قلب العليل جوً
 (والإصبعين) غدا يحكي بصولته
 فقلت: ما بك صف لي ما ابتليت به
 هيّجت لي لوعةً في القلب ساكنةً
 فقال: أبكي لإلفٍ كان يألّفني
 قضى الزمان بضعفي حين فارقتني
 فلا تلمني على طول البكاء فقد
 وهكذا لم أزل أبكي الدموع دماً
 فقلت: أحسنت لا خانتك أجنحةً
 ولا نعاك غرابُ يا حمّامُ ولا
 كن واثقاً بجميل الصبر وارضَ بما
 لا الحزن يبقى ولا الأفراح دائمةً
 ناشدتك الله يا طيرَ الأراك إذا
 وناسمتك نسيماتُ الرياض ضحى
 ورش ريشك ماءُ الورد وانبعثت
 وساعدتك الليالي في تصرفها
 وجئت طيبة والوادي وجزت على
 سلم على المصطفى المختار من مضرٍ

فقد (الحسين) ففاضت منه أجفاني
 حتى رثيت له شوقاً فأبكاني
 (وماية) أحرقت قلبي وأكثاني
 حتى أذاب فؤاد المدنف العاني
 ما بال جسمك مكلوم الحشى فان؟
 خفض قليلاً فقد هيّجت أحزاني!
 وكنت أهواه في الدنيا ويهواني
 كما تراني فريداً فوق أغصان
 يحق لي النوح في سرّي وإعلاني
 حتى ألقى الثرى في طي أكفاني
 ولا مررت بيازٍ أبهقبان
 حصّلت في فخ صيادٍ وسجانٍ
 يقضي الإلهُ فحال الدهر ضدان
 فمشربُ الدهر لا يصفو لإنسان
 جاد الزمان بوصل بعد هجران
 ورثتك غصون الأثل⁽³⁾ والبان
 روائح الندّ من نجدٍ لنعمان
 ويات شملك مجموعاً بخلائٍ
 وادي العقيق قبلّغ حاجة العاني
 خير النبين من سادات عدنان

(3) الأثل: شجر عظيم من الطرفاء ويعرف حبّ بالعذبة، وأحدثه الله.

الهاشمي الذي فاضت فضائله
 وقل له: يا رسول الله يا أُملي
 متى أمرُّ خدي عند تربتكم؟
 جسمي بتونس موثوق برلته
 وكلُّ عام أرجى أن أنوركُم
 والوقت ضاع وعمرى ما شعرتُ به
 وليس لي قوّة أرجو الوصال بها
 ولا معي عمل أرجو النجاة به
 يا أشرف الخلق يا كهفي ومعتدي
 مضى الزمان ولا قدّمتُ صالحةً
 إن زرتُ قبرك هذا العام يصلح أن
 وإن طردتُ بذنبٍ عن زيارتكم
 أموت والقلب مشتاقٌ لزورتكم
 وكن شفيعي في يوم الجزاء إذا
 يا ربَّ بالمصطفى المختار من مضر
 واغفر لوالدتي وارحم مقام أبي
 واغفر لمشيختي ما أسلفوه كما
 بجاه أحمد خير الخلق كلّهم
 خير البرية من قاصرٍ ومن دان
 يا عمّدي يا رجائي عند ميزان
 متى يساعدي دهري وأزمانى؟
 والقلبُ في الشُّرق بين الرّند والبان
 والذّنبُ عن قرب تلك الدار أقصاني
 حتّى مضى بين تقريط ونسيان
 والكفُّ صفر وحالُ الدهر أعياني
 إلّا غرامي وأشواقى وأشجاني
 يا أنسَ قلبي ويا رُوحى وريحاني
 وقد تماديتُ في غيٍّ وطغيان
 أدعى أديباً ظريفاً بين إخوان
 وصدّني عنه إجرامى وعصيانى
 ما لي شفيعٌ سوى حبّى وإيمانى
 عزّ الصديقُ وقلّتْ حيلةُ الجاني
 أقلّ عثاري وعاملنى بغفران
 من حيث أحسنَ أدابى وريّانى
 بئسوا علوماً بتحقيقٍ وتبيان
 محمّدُ المصطفى من آل عدنان

عليه أزكى سلام الله ما طلعت شمسٌ وما حنّ مشتاق لأوطان
كذلك الآلُ والأصحابُ كُلُّهُمْ والتَّابعون لهم يوماً بإحسان

المصدر: عنوان الأريب: ج 1 ، ص 103 - 105 ومنها 8 أبيات في المجلد:
ص 217 ، وبعضها ورد باختلاف.

نصّ نَرْي

وصية

الحمد لله رب العالمين وبه أستعين، والعافية للمتقين، أصبحك الله بلفظه الجميل، وكان معك في المقام والرحيل.

أوصيك يا أخي بتقوى الله في السرّ والعلانية، وحفظك الحواس، ومراعاة الأنفاس، وقلة مخالطة الناس، والرّضى بالموجود، والصبر على المفقود، والوفاء بالعهود، وكثرة الركوع والسجود، وترك التدبير والاختيار، مع المدبر المختار، والعمل بالسنة، والافتداء بالأئمة، والحركات والسكنات بالنية، ولزوم الخلوات والجوامع، ومواصلة الفقير الجائع، ومرافقة المتبتل الطائع، ومجالسة المنيب الخاشع، ومعاشرة الولي الخاضع، وزيارة الساجد الرّاكع.

وكن جوال الفكر، جوهرى الذكر، كثير العلم، عظيم الحلم، جميل المنازعة، سريع المراجعة، واسع الصدر، ضحكك تبسّمًا، واستفهامك تعلّمًا، مذكّر الغافل، معلّم الجاهل، لا تؤذ من يؤذيك، ولا تخض في ما لا يعنيك.

لا تشمت بمصيبة أحد، ولا تعتب (على أحد). كن صادق القول (بريثا من) الجهل، واقفا عند الشبهات، كثير العطايات، عوّانا للغريب، أبا لليتيم، بشراك في وجهك، حزنك في قلبك، مشغولا بفكرك، لا تكشف سرّا، ولا تهتك سترا، كن كثير العبادة، لين الجانب، طويل الصمت، تحمل إذا جهل عليك، صبوراً على من أساء إليك، تبجل الكبير، وترحم الصغير، أمينا على الأمانات، بعيداً على الخيانات، صبوراً على الشدائد، قليل المؤونة، كثير المعونة، طويل القيام، كثير الصيام.

بل تصوم رغبة، وتصلّي رهبة، غاض الطرف، لا تردّ السائل، متواصل الإخوان، كثير الحياء، كثير الجد في العمل، قليل الزلّ، كثير الأدب مع الأولياء،

كلامك حكمة، تقيل العثرات، ولا تتبّع العورات، وقورا شكورا عفيفا، قليل الفضول، زاهدا فيما في أيدي الناس، لا لعانا ولا سبّابا، لا حقوقا ولا حسودا، اطلب من الأمور أعلاها، لا تجرّ على من يفضبك، عمر قلبك، بل الأرض بجسمك، واسكن القبر بقلبك.

البس قميص التواضع، وجرّ أثواب المطامع، وتوكّل على المدبّر الصانع، ونزّهه عن المشابهة للمصانع، واقتد بمختارك الشافع، واصلا بالصلاة عليه أشرف المواضع. واحذر من طرقات هواك، ولا تعول على غير مولاك، وحطّ عند بابك شكوك. وإياك والركون إلى غيره وإياك، وعلّق به في كلّ الأحيان رجاك، وتأنّس بمحاضرتّه فإنّه يسمعك ويراك، وخلّ عنك ما ضمن لك في دنياك، وعمّر باطنك على الدوام بأخراك، وواصل بدعواتك الإخوان، واحزم عليه بالضراعة في السرّ والإعلان، واطلب لهم الخلاص من الملك الرّحمان، وارغب في إصلاح الحال فمولاك محسن مئان، فإن عملت يا أخي بمقتضى هذه الوصيّة، نلت من الله الدرجة العلية، وورد عليك الإكرام في كلّ قضية، والله يحمك على منهاج رشاده، ويحرسك في أقطار بلاده، وسخر لك قلوب عباده، فهو الذي لا يهمل العابدين، ولا يخيّب القاصدين، ولا يضيع أجر الواردين، وصلواته الكاملة على خاتم النبيّين، ودرّة المرسلين، سيّد الأوّلين والآخريّن، الشفيع في يوم الدين، وعلى آله الأكرمين، وأصحابه المنتخبين، وعليه وعليهم السّلام إلى يوم الدين، والحمد لله ربّ العالمين.

المصدر: كنش رقم 18801 بالمكتبة الوطنيّة من مكتبة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب.

السلطان أبو العباس الحفصي

(729 - 796)

أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي يحيى أبي بكر الحفصي، من مجيدي الشعراء، تولى الحكم بتونس من سنة 772 الى سنة 796 وكان واليا من قبل على قسنطينة أكثر من عشرة أعوام. مدحه ابن خلدون بغر القصائد وألف له تاريخه وأهداه المقدمة كما مدحه بدر الدين الدماميني بقصيدة شرحها الزركشي في كتاب "بلوغ الأمانى في شرح قصيدة الدماميني" نشرناه بتحقيقنا.

1 - بالمشرقيات يحمى المجد والشرف

قال في فتحه توزر:

(البيسيط)

بِالْمَشْرِقِيَّاتِ يُحْمَى الْمَجْدُ وَالشَّرَفُ
وَالْفَتْوحُ رِيَاضَاتُ مُزَخْرَفَةٍ
وَفِي حَيَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي
حُزْنًا خِلَافَةً إِرْثًا عَنْ أَوَائِلِنَا
لَا يَبْلُغُ الْوَصْفَ فِي عَلَيَانَا أَحَدُ
نَاهِيكَ مَنْ حَسَبَ مَا مِثْلُهُ حَسَبُ
تَخَالَفَ النَّاسِ إِلَّا فِي مَفَاخِرِنَا
حَمَى الشَّرِيعَةَ مِنَّا سَعْيُ مُجْتَهِدٍ
فِينَا التَّوَاضُّعُ وَالْإِغْضَاءُ شِمِيمَتُنَا
وَرَأْفَةٌ فِي جَنَابِ اللَّهِ صَالِحَةٌ
تَوَاضَعًا عَظُمَتْ فِي النَّاسِ هَيْبَتُهُ
نَهَوَى الْحُرُوفَ الَّتِي مَجْمُوعُهَا نَعْمُ
مَا إِنْ بَنَا سَرَفٌ إِلَّا مَوَاهِبُنَا
لِبَاسِنَا يَرْعَدُ الصَّمَامُ مِنْ رَهَبِ
سَيُوفِنَا مِنْ تَمَادِي سَلَّهَا نَحَلْتُ
وَمَا ارْتَضَيْنَا عَدِيدَ الْجَيْشِ يَكْتَفُنَا
وَمِنْ صُدُورِ الْمَعَالِي تُقَتَّنَى الطَّرْفُ
لَكِنَّا بِرِقَاقِ الْبَيْضِ تُقْتَطَفُ
يَحْيَى أَبِينَا سَعُودُ مَا لَهَا طَرْفُ
فَالْمَلِكُ مِثْلُ فِينَا وَمُطَرَفُ
إِلَّا وَسُودِدْنَا فَوْقَ الَّذِي يَصِفُ
وَكَيْفَ لَا وَأَبُو حَقْصٍ لَنَا سَلَفُ
وَفِي الْمَعَالِي مَا شَكُّوا وَمَا اخْتَلَفُوا
فَلَيْسَ بِالْدِّينِ لَا حَيْفٌ وَلَا جَنْفُ
وَالْعَفْوُ وَالصَّفْحُ مِنْ أُنْبَانِنَا عَرَفُوا
فَلَا تَرَانَا لَغِيرِ الْحَقِّ نَنْتَصِفُ
إِنْ التَّوَاضُّعُ فِي أَنْفِ الْعُلَى أَنْفُ
وَلَيْسَ فِي لَفْظِنَا لَامٌ وَلَا أَلْفُ
إِنْ الْمَوَاهِبَ فِيهَا يُحْمَدُ السَّرَفُ
يَوْمَ الْوَغَى وَوَشِيحِ الرَّمْحِ يَنْعَطِفُ
حَتَّى كَأَنَّهَا مِنْ عِشْقِهَا دَنَفُ
بَلِ الْجِيُوشِ بِنَا فِي الْحَرْبِ تَكْتَنِفُ

جَيْشٌ تَضِيقُ بِهِ الْغِبْرَاءُ مُتْسِعُ
 مِنَ الْفَوَارِسِ طُعَانِينَ إِنْ وَقَفُوا
 بِكُلِّ هِنْدِيَّةٍ رَقَّ الْغِرَارُ بِهَا
 يَقُودُهَا النَّصْرُ خَفَاقُ ذَوَائِبُهُ
 حَتَّى أَطْلَّ عَلَى سَكَّانٍ تَوَزَّرَ لَا
 ظَلُّوا الْحَفِيرَ حَفِيرًا مَانِعًا لَهُمْ
 تَوَاقَعُوا فِيهِ أَمْثَالُ الْفَرَّاشِ رَدَى
 لَكِنَّ عَفْوَنَا أَدْنَاهُ اعْتِرَافُهُمْ
 نَعْفُو وَنَصْفَحُ عَنْ عِزٍّ وَمَقْدَرَةٍ
 أَطَاعَتِ الْعَرَبُ لَمَّا أَوْرَدَتْ حُلُلًا
 لَأَذُوا بِخِدْمَتِنَا فِي ظِلِّ حُرْمَتِنَا
 يَا سَعْدَ مُتَّبِعِ أَثَارَ بَوَلَّتِنَا
 وَيَاطْلَاقَةَ فَتَحٍ فِي أَسْرَتِهِ
 فَتَوَزَّرَ الْيَوْمَ مَا لِلسَّعْدِ مُنْفَرَجُ
 وَنِعْمَةٌ عَمَّتِ الْأَقْطَارَ سَابِغَةٌ
 دَامَتْ إِيَّاكُنَا الْعَلِيَاءُ فِي سَعَةٍ
 وَلَا بَرِحْنَا طَوِيلَ الْعُمْرِ فِي دَعَةٍ

فَالْأَرْضُ تَرْجُفُ وَالْأَطْوَادُ تَنْتَسِفُ
 يَوْمَ الْكَرْبَةِ ضَرَابُونَ إِنْ وَقَفُوا
 وَكُلُّ خَطِيَّةٍ قَدْ زَانَهَا هَيْفُ
 إِذْ لَيْسَ إِلَّا بِرِيحِ الْعَدْلِ يَنْعَطِفُ
 يَحْمِيهِمْ مِنْهُ سُورٌ لَا وَلَا كَنْفُ
 حَتَّى رَأَوْا سَمْعَهَا عَزْمًا وَهُمْ هَدَفُ
 كَانَتْهُمْ بِأَكْفِ الْجِنَّ قَدْ خَطَفُوا
 وَالْعَفْوُ أَطِيبُ مَا يَجْنِيهِ مُعْتَرِفُ
 فَإِنَّ خَيْرَ السَّجَايَا الْحِلْمُ وَاللُّطْفُ
 وَإِنَّ أَرْوَاحَهَا بِالذُّعْرِ تُخْتَلِفُ
 قَسْرًا وَعِنْدَ التَّلَافِي يُؤْمَنُ التَّلَفُ
 وَسُوءُ عَقْبِي شَقِيٌّ عَنْهُ يَنْحَرِفُ
 رَدَّادُ نُورٍ بِهِ الْأَفَاقُ تَخْتَلِفُ
 عَنْهَا وَلَا لَعْدِيدِ النَّصْرِ مُنْصَرَفُ
 وَجَدَدْتُ لِذَوِي الْأَمَالِ مَا أَلِفُوا
 فَالْسَّعْدُ وَالشُّمْلُ بِالْأَحْبَابِ مُؤْتَفُ
 وَالْخِلَافَةُ مِنْ أُنْبَانِنَا الْخَلْفُ

المصدر: نثر الجمان: ص 103 - 105.

2 - قرعينا

طلب أبو العباس أحمد الحفصي مرةً كاتب إنشاء يحيى بن أجاد. وكان يحيى ثملاً، فخافه على نفسه إن هو طلع إليه على تلك الحالة فكتب إليه:

(المتدارك)

أصبح العبدُ يحيى	كصبح ابنِ أكرم
شغلته الحمى	وهو بالامر مهتم
فخشي من رقيبٍ	فرأى الدار أكرم

فلما قرأها وقع بخطه تحت خطه:

قرعينا بعيش	صفوه بك قد تم
أنت أركى عبيدي	ها هنا كنت أوثم

فكان ذلك سبب توبته

المصدر: صبح الأعشى: ج 5، ص 132 - 133.

محمد بن عرفة

(716 - 803)

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الوردغميّ التّونسي مدرّس بجامع الزيتونة أكثر من نصف قرن وإمامه وخطيبه والمفتي به طيلة 30 سنة. تخرّج على يديه فطاحل من العلماء في بلاد المغرب العربي. ولد في عرش ورغمة في 27 رجب 716 وتوفي في تونس في 19 جمادى الثانية سنة 803. من تأليفه:

- الحدود الفقهية

- تفسير للقرآن الكريم نشر منه بتونس 1986 جزآن براوية الأبي تحقيق

حسن المناعي

- المختصر الفقهي في المذهب المالكي .

- المبسوط في المذهب .

- المختصر الشامل في التّوحيد .

1 - مقطوعة

(الوافر)

خشيتُ على حبيب القلب لما
أتى حمّاه وقضى الجنابا
نهاراً وجهه والجسمُ زبد
إذا طلع النهار عليه ذابا

المصدر: مخطوط بدار الكتب الوطنية رقم 18768.

2 - هجو المسلم فسق

(الطويل)

وما حالٌ من يهجو أخاه بلفظةٍ	إذا ذكر المرويُّ عند الأئمةِ
وعلمُ أصولِ الفقه والبحثِ والنظرِ	سوى حالٍ من قد ساءه قلبُ نكتةِ
فَبَاءَ بفسقٍ، قاله سيّدُ أتى	بصدقٍ وتبيانٍ ووعظٍ وحكمةِ
رَوَى مسلمٌ عن شيخه قولهُ سباً	لدى الإسلامِ فسُقُ بحجةِ
بصغرى وكبرى يُنتجان فسوقه	فبالله أعرِض عنه وادفعه بالتي

المصدر: شرح حدود ابن عرفة: ص 538.

3 - مجلس العلم

(الطويل)

إذا لم يكن في مجلس العلم نكتةٌ	وتقريرُ إيضاحٍ لمشكِلةِ صورةِ
وعزُّ غريبِ النقلِ أو فتحُ مقفلٍ	أو ابداءُ إشكالٍ نتيجةَ فكرةِ
فدعُ سعيه واطلب لنفسك واجتهدُ	وإياك تركاً فهو أقبحُ خلةِ

المصدر: عنوان الأريب: ج 1 - ص 106.

4 - بلغت الثمانين

(المقارب)

بلغت الثمانين بل جُرَّتْها فهان على النفس صعبُ الحِمام
وأحادُ عصري مضوا جملة وعادوا خيالا كطيفِ المنام
وأرجو به نيلَ صدرِ الحديث بحُبِّ اللقاء وكُرهِ المَقَام⁽¹⁾
وكانت حياتي بلطفٍ جميلٍ لسبقِ دعاءِ أبي في المقَام

المصدر: عنوان الأريب: ج 1 ص 107 وهي موجودة في نيل الابتهاج.

نصّ نَرْحِي

حدود ابن عرفة

الطهارة: صفة حكمية توجب لموصوفها جواز استباحة الصلاة به أو فيه
أوله فالأوليان من خبث والأخيرة من حدث.

والنجاسة: صفة توجب له منعها به أو فيه ،

والطهورية: توجب له كونه بحيث يصير المزال به نجاسته طاهرا.

والتطهير: إزالة النجس أو رفع مانع الصلاة .

والماء الطهور: ما بقي بصفة أصل خلقته⁽²⁾ غير مُخرجٍ من نبات ولا
حيوان ولا مخالطٍ بغيره.

والقضاء: فعل ما فات به بصفته.

والبناء فعل ما فات به بصفة تالي ما فعل هنا فقط وفي باب وعلى أنه أولها له.

(1) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(2) في الشرح: خلقه.

وموجب الغسل: خروج المني بلذة ومغيب حشفة غير خنثى أو مثلها من مقطوعها في دبر أو قبل غير خنثى ولو من بهيمة ماتت على من هو⁽³⁾ منه أو غابت فيه ولو مكرها أو ذاهبا عقله. (وانقطاع دم الحيض والنفاس وإسلام الكافر).

والحيض: دم يليقه رحمٌ معتاد حملها دون ولادة خمسة عشر يوماً وفي غير حمل وفي حمل ثلاثة أشهر خمسة عشر يوماً ونحوها وبعد ستة عشرين ونحوها فأقل في الجميع.

والنفاس: دم ألقاه⁽⁴⁾ حمل الوقت كون الشمس أو نظيرها بدايرة أفق معين أو بدرجة على قدر بدرها منه.

والصلاة: قرينة فعلية ذات إحرام وسلام أو سجود فقط. وزوال الشمس هي كونها بأول ثاني أعلى درجات دائرتها يعرف بزيادة أقل ظلها⁽⁵⁾.

والإمامة: اتباع مصل آخر⁽⁶⁾ في جزء من صلاته غير تابع غيره.

والاستخلاف: تقديم إمام بدل آخر لإتمام صلاة.

والقصر: سببه سفر معزوم على طوله جزءاً.

والجمعة: ركعتان تمنعان وجوب ظهرٍ على رأيٍ أو تسقطها على رأيٍ.

والروح: نو جسد ويدين وعينين ورجلين يسلم من الجسد سلاً.

والزكاة: إعطاء⁽⁸⁾ جزء من المال شرط وجوبه لمستحقه بلوغ المال نصاباً (ومصدراً إخراج جزء).

(3) في الشرح: هي.

(4) في الشرح دم إلقاء حمل: فقط والبقية ناقصة.

(5) ساقط من الشرح.

(6) ساقط من الشرح.

(8) الشرح: أسماء.

والربح: ثمن مبيع بأكثر من ثمن الأول ذهباً أو فضة⁽⁹⁾.

والفائدة: ما ملك لا عن عوض، مُلِكَ لتجرٍ.

والغلة: ما نمي عن أصل قارن ملكه نموّه حيواناً أو نباتاً أو أرضاً⁽¹⁰⁾.

وزكاة الفطر: إعطاء مسلم فقيرٍ لقوتٍ يومَ الفطرِ صاعاً من غالبِ

القوت أو جزءه المسمّى بالجزء⁽¹¹⁾ المقصور وجوبه عليه.

والصيام: كفّ بنيةٍ عن إنزال يقطّةٍ ووطءٍ وانعاظٍ ومذيٍّ ووصولِ غذاءٍ غيرِ

غالبِ غبارٍ أو ذبابٍ أو فلقه بين الأسنانِ بحلقٍ أو جوفٍ غيرِ منسبةٍ في تطوّعٍ من

الفجر حتّى الغروب دونِ إغماءٍ أكثرَ نهاره.

والاعتكاف: لزوم مسجدٍ مباحٍ لقربه قاصرة بصومٍ معزومٍ على دوامه

يوماً وليلةٍ سوى خروجه لجمعةٍ أو لمعيشةٍ الممنوع فيه.

والحجّ: عبادة يلزمها وقوف بعرفة ليلةٍ عاشرٍ ذي الحجة وطوافٍ ذي طهر

أخص بالبيت عن يساره سبعا⁽¹²⁾. بعد فجر يوم النحر والسّعي من الصفا

للمروة ومنها إليه سبعا بعد طوافٍ كذلك لا يقيد وقته بأحرامٍ في الجميع.

والإحرام: صفة حكميّة توجب لموصوفها حرمة مقدّمات الوطء مطلقاً

وإلغاءً لتنفٍ والطيب، ولبس الذكور المخيط والصيد لغير ضرورة.

والصيد: ما أبيع أخذه غير مقدورٍ عليه من وحشٍ طيرٍ أو برٍّ أو حيوانٍ

والذّبائح: لقب لما يحرم بعض أفرادهِ من الحيوان لعدم ذكاته أو سلبها

عنه وما أبيع بها مقدورٍ عليه⁽¹³⁾

(9) الشرح: الربح: زائد ثمن مبيع تجر على ثمنه الأوّل

(10) ما نما عن أصل: حيوان أو نبات أو أرض.

(11) الشرح: للجزء.

(12) التعريف ناقص في الشرح

(13) باختلاف في الشرح

والذكاة: نحر وذبحُ وفعل ما يجعل الموت بنية في الجميع.

والمأكول: ذو نفس سائلة إن ذكي أو كان مجرياً غير كلب أو خنزير⁽¹⁴⁾.

والأضحية: ما تقرب بذكاته من جذعِ ضأنٍ أو ثنيٍّ سائر النعم سالمين من بين عيبٍ مشروطاً بكونه في نهارٍ عاشر ذي الحجة أو تاليه بعد صلاة عيد إمام أو قدر زمن ذبحه لغيره ولو تحريراً لغير حاضره⁽¹⁵⁾.

والعقيقة: ما تقرب بذكاته من جذع أو ثنيٍّ سائر النعم سالمين من بين عيبٍ مشروطاً بكونه في نهار سابع ولادة آدمي عند حي⁽¹⁶⁾.

واليمين: قسم أو التزام مندوب غير مقصود به القرية أو ممّا يجب بإنشاء لا يفتقر الى قبولٍ معلقٍ بأمر مقصود عدمه.

والنذر: الأعم ايجاب المرء على نفسه لله أمراً والأخصّ التزام طاعة بنية القرية لامتناع أمر.

المصدر: مخطوط بمكتبتنا: قارنا النصّ بمتن شرح الحدود للرّصاع.

(14) ساقط من الشرح

(15) باختلاف في الشرح.

(16) في الشرح: حي عنه

عبد الرحمان بن خلدون

(732 - 808)

أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الحضرمي التونسي المؤرخ والمستنيط لعلم العمران والشاعر الأديب، ولد بتونس في غرة رمضان 732 ونشأ بها وحفظ القرآن في أحد الكتاتيب بالحي المعروف اليوم بترية المياي، ثم أخذ علم التوحيد والفقه والحديث والنحو والأدب عن خيرة أدباء تونس. تولى العلامة لابراهيم الحفصي ثم غادر تونس سنة 753 الى المغرب الأوسط فالأقصى حيث تقلب في الخطط السياسية وامتحن بالسجن. ورجع الى تونس سنة 780 واتصل بالسلطان الحفصي أبي العباس أحمد ومدحه بغير القصائد ثم غادر تونس للمرة الثانية والتحق بالقاهرة حيث تفرغ للتدريس والقضاء المالكي.

من تأليفه:

- المقدمة .

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: 7 أجزاء.

- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا .

- شفاء السائل لتهذيب المسائل: في التصوّف .

- شرح على البردة .

- شرح لرجز ابن الخطيب في الفقه .

- تقييد في المنطق .

- كتاب في الحساب .

- تلخيص لعدد من كتب ابن رشد والرازي .

1 - على أي حال لليالي أعاتب

قال مخاطباً أبا عنان المرينى يستعطفه ليطلقه من سجنه :

(الطويل)

على أي حال لليالي أعاتبُ
وأي صروف الزمان أغالبُ
كفى حزناً أني على القرب نازحُ
وأنني على دعوى شهودي غائبُ
وأنني على حكم الحوادث نازلُ
تسألني طوراً وطوراً تحاربُ
أحنُّ إلى إلفي وقد حال دونهم
مهامه فيحُّ نونهنَّ سباسبُ
ويبداءُ فقر غيرتها يد البلى
وأزرت بمغناها الصبا والجنائبُ
بها لعزيف الجن⁽¹⁾ أي تراجمُ
وبين الرياح الهوج فيها تلاعبُ
يضل بها الخريت⁽²⁾ في كل موقف
فيصرفه بحر من الآل رأسبُ

(1) العزيف صوت الجن، وصوت الرمال إذا ذهب بها الرياح.

(2) الخريت : الدليل الحاذق بالدلالة.

سَلَوْتُهُمْ إِلَّا أَدْكَارَ مَعَاهِدٍ
لَهَا فِي اللَّيَالِي الْغَابِرَاتِ غَرَائِبُ
وَأِنْ نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْهُمْ يَشْوِقُنِي
إِلَيْهِمْ وَتُصِيبُنِي الْبُرُوقُ اللَّوَاعِبُ
وَلَمْ أُنْسَ، لَا أُنْسَى الْوَدَاعَ وَقَدْ جَرَتْ
دُمُوعٌ وَزُمْتُ لِلْوَدَاعِ رَكَائِبُ
عَشِيَّةً بَانُوا وَالْقُلُوبُ جَوَامِدُ
وَكَانَ عَقِيقُ فِي النَّوَظِرِ ذَائِبُ
وَقَفْنَا وَلَا نَجْوَى سِوَى بَيْنَ أَعْيُنِ
وَشَتَّ بِالْهَوَى مِنْهَا دُمُوعُ سَوَاكِبُ
تُخَاطِبُ رَسْمَ الدَّارِ شَوْقًا وَمَا لَنَا
عَلَى الْقُرْبِ إِلَّا مِنْ صَدَاهَا مُجَابِبُ
مَضُونَا يُزْمَعُونَ السَّيْرَ إِلَّا تَلَفَّتْنَا
كَمَا التَفَّتَتْ بَيْنَ الْأَرَكَ الْرِبَارِبِ⁽³⁾
وَأَتَّبَعْتُهُمْ طَرْفِي وَقَلْبِي وَمَا دَرَوَا
بِأَنِّي عَلَى أَثَارِ هَذَيْنِ ذَاهِبُ
وَمَا رَاعَنِي إِلَّا الْمَاقِي تَحَدَّرَتْ
بِهِنَّ قُلُوبٌ فِي الدُّمُوعِ ذَوَائِبُ

(3) والربارب ج الريب وهو القطيع من الظباء، ومن البقر الوحشي والإنسي.

وَقَدْ طُوِيَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ بِأَفْقِهَا
كَمَا نُشِرَتْ لِلَّيْلِ مِنْهَا نَوَائِبُ
وَسَرِنَا وَتَرَجَّيْعُ الْحِدَاةِ يَحْتُنَّا
كَمَا رَجَعَ الْإِنْجِيلُ فِي الصَّبِيحِ رَاهِبُ
نَمِيلُ عَلَى الْأَكْوَارِ سُهْدًا كَأَنَّنا
نَشَاوَى مُدَامِ أَنْحَلَتْهَا الْحَقَائِبُ
أَقُولُ لِصَحْبِي وَالضَّعَائِنُ تَرْتَمِي
وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ السُّرَى وَالنَّجَائِبُ
وَقَدْ ظَمِنْتُ مِنْ الْمَطْيُ وَأَظْلَمْتُ
دُجَى خَفِيتُ فِيهَا عَلَيْنَا الْمَذَاهِبُ
رَبُّوا لَيْسَ يَرَوِينَا الْغَمَامُ وَهَذِهِ
دُمُوعِي لَا يَظْمَأُ بِهَا بَعْدُ شَارِبُ
وَلِنْ يَكُ بِالشَّهْبِ اهْتِدَاءُ فَهَذِهِ
بِصَدْرِي شُهْبُ لِلْغَرَامِ نَوَاقِبُ
رَعَى اللَّهُ عَهْدًا ضَمَّهُ أَفْقُ تُونِسِ
وَمَعَهْدَ أَنْسِ لَمْ تَرُعْهُ النَّوَائِبُ
وَجَادَتْ عَلَيْهِ الْغَانِيَاتُ بِمَا حَوَتْ
مِنْ الظَّلَمِ لَا مَا تَحْتَوِيهِ السَّحَائِبُ⁽⁴⁾
وَرَوْضُ مِنْهَا كُلُّ قَطَرٍ بِأَغْصَنِ الْـ
قُدُودِ اللَّوَاتِي لَمْ تُثْرَهَا الْأَهَاضِبُ

(4) الظلم: ماء الاسنان ويريقها.

بلادُ بها عَقُّ الشَّبَابِ تَمَائِمِي
 وَلَا مَسَ فِيهَا التَّرَبُّ مِنِّي التَّرَائِبُ
 يَذْكُرُنِي عَهْدَ الرِّضَا فِي جَنَابِهَا
 أَمَانٍ تَقَضَّتْ لِي بِهَا وَمَارِبُ
 فَأَصْبُو وَلَكِنْ أَيْنَ مِنِّي مَزَارُهَا؟
 وَأَبْكِي وَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَنِّي السَّحَابُ
 وَيَقْلِقُنِي شَوْقُ تَضَرَّمِ بِالْحَسَا
 فَتَحْرِقُنِي لَوْلَا الدَّمُوعُ لَوَاهِبُ
 أُبَيِّتُ تَنَاجِيَنِي الِهُمُومُ كَأَنَّنِي
 صَدِيقُ عَفَا فِي الْحُبِّ وَهِيَ تُعَاتِبُ
 وَإِنْ قُمْتُ غَدَّيْنِي قِيَانُ أَدَاهِمُ
 لَهَا بَيْنَ أَقْدَامِ الْكَمَاةِ مَلَاعِبُ
 وَقَدْ أَمْتَطَى فِكْرِي لَدَى اللَّيْلِ مَرْكَبًا
 بِذِكْرِ الَّذِي تُحْدَى إِلَيْهِ الرُّكَائِبُ
 وَأَعْشُو إِلَى مَدَحِ الْخَلِيفَةِ فَارِسِ
 فَتَنَجَابُ عَنِّي لِلْخُطُوبِ غِيَاهِبُ
 إِمَامُ هُدًى ضَاعَتْ شُمُوسُ اهْتِدَائِهِ
 قَبَانَتْ لَنَا مِنْ بَيْنِهِنَّ الْمَذَاهِبُ
 تَرْقَرَقَ مَاءُ الْبِشْرِ فِي صَفْحَاتِهِ
 وَابْتَنَعَ مِنْهُ الْمَجْدُ فَالْحُلُ عَاشِبُ

وَأَوْسَعَ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ نَوَالَهُ
فَلَيْسَ سِوَى مَنْ يُنَوِّلُ كَاسِبُ
خَلَائِقُ يَحْكِيهَا الرِّيَاضُ بَدَائِعًا
فَتُعْزَى لَهُ إِنْ حَقَّقَ الْقَوْلُ نَاسِبُ
جَرَى الْجُودُ أَنْهَارًا - بِكَفِّهِ - عَذْبَةٌ
وَمَا تَلُكُ فِي الرَّاحَاتِ مِنْهَا مَشَارِبُ
وَسَارَ عَلَى الْآفَاقِ طِيبُ ثَنَائِهِ
فَمَا الْمِسْكُ لَوْلَا عَرَفُهُ الْمُتَطَايِبُ؟
وَأَشْرَقَتِ الدُّنْيَا بِنُورِ جَبِينِهِ
فَمَا الْمِسْكُ لَوْلَا عَرَفُهُ الْمُتَطَايِبُ؟
وَأَشْرَقَتِ الدُّنْيَا بِنُورِ جَبِينِهِ
فَمَا الشَّمْسُ إِلَّا إِنْ بَدَأَ مِنْهُ حَاجِبُ
مَنَاقِبُ تَحْكِي الشُّهْبَ ضَوْءًا وَرَفْعَةً
فَيَسْرِي بِهَا فِي مَهْمَةِ الْخُطْبِ رَاكِبُ
فَفَكِّرْ إِذَا مَا أَظْلَمَ الْخُطْبُ نِيرُ
وَفَهْمُ إِذَا مَا أَشْكَلَ الْعِلْمُ ثَاقِبُ
وَهِمَّةُ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الْإِرْثَ وَحْدَهُ
طَرِيقَ الْعُلَى حَتَّى اسْتَتَمَّتْ مَنَاصِبُ
تَرَاحُمُ تِيْجَانُ الْمُلُوكِ بِبَابِهِ
كَمَا ازْدَحَمَتْ بِالْأَدَارِعِينَ الْمَوَاقِبُ

وَتَفَخَّرُ مِنْ مَلِكٍ أَعَزَّ مُهَذَّبُ
تَقِيلُ الْمَرَاقِي عِنْدَهُ وَالْمَنَاصِبُ
جَبَرَتْ عِمَادَ الدِّينِ بَعْدَ انْصِدَاعِهِ
عَلَى حِينٍ لَمْ يَجِزْ لَهُ الصَّدْعُ شَاعِبُ
وَمِلَتْ عَنِ الدُّنْيَا إِلَى الدِّينِ رَاغِبًا
عَلَى رَغْبَةٍ مِنْهَا فَنِعَمَ الْمَرَاعِبُ
وَشِيدَتْ فَخْرًا فِي ذُوَابَةِ مَعْشَرِهِ
نَمَتَكَ إِلَى الْعُلَيَاءِ مِنْهُمْ عَصَائِبُ
وَمَهَّدَتْ رُكْنَ الْمَلِكِ مِنْكَ بِعِزِّهِ
تَذَبُّ بِهَا عَنْهُ الْحُمَاهُ الضُّوَارِبُ
وَدَوَّخَتْ أَرْضَ الْغَرْبِ حَتَّى تَسَابَقَتْ
لِأَمْرِكَ طَوْعًا عُجْمُهُ وَالْأَعَارِبُ
فَأَوْطَأَتْهُمْ فَوْقَ السَّمَائِينَ مَنَزِلًا
فَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا هُنَاكَ مَرَاتِبُ
وَلَمَّا طَفَى بِالْشَرْقِ كُلُّ مُكَذِّبٍ
عَصِيٍّ تَتَّاجِبِهِ الْأَمَانِي الْكَوَاذِبُ
وَيَخْلُو عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ بِنَفْسِهِ
فَتَنْعَصِيهِ مِنْ طَعْنِ الْعِدَا مَا يُطَالِبُ
بِدَأْتَهُمْ بِالْقَوْلِ لَوْ أَنَّ سَعِيَّهُمْ
حَمِيدٌ لَمَّا سَاعَتْ لَدَيْهِمْ عَوَاقِبُ

وَلَكِنْ أَبَوَا إِلَّا جَمَاحًا وَمَا دَرَوْا
بِأَنَّكَ حِزْبُ اللَّهِ، وَاللَّهُ غَالِبٌ!
وَلَجُّوا عَلَى ظَنٍّ بِأَنْ حُصُونَهُمْ
مُمْنَعَةٌ لَوْ أَنَّ غَيْرَكَ طَالِبُ
فَسَمَتَهُمْ بِالرُّعْبِ قَبْلَ نِزَالِهِمْ
فَقُلْتُ جُمُوعٌ مِنْهُمْ وَمَضَارِبُ
وَأَرْسَلْتَهُمْ مِنْ آلِ أَعْوَجِ غُلَبِ
عَلَيْهَا مِنَ الْأَبْطَالِ شُوسُ أَغَالِبِ
مِنَ الْقَوْمِ مَا غَيْرُ الْقَنَا فِي طَرِيقِهِمْ
أَنِيسُ وَلَا غَيْرُ الْمُهَنْدِ صَاحِبِ
إِذَا أَظْلَمَتْ جُنَحَ النَّهَارِ دُرُوعُهُمْ
أَضَاعَتْ وَجُوهٌ مِنْهُمْ وَمَنَاقِبُ
وَلِنْ ظِلٌّ فِي لَيْلِ الْكِفَاحِ دَلِيلُهُمْ
هَدَّتْهُمْ مِنَ الْعَزَمِ الصِّمِيمِ كَوَاكِبُ
بِأَيْدِيهِمْ سَمَرُ الرِّمَاحِ كَمَا عَلَى
عَوَاتِقِهِمْ بَيْضُ السِّيُوفِ الْقَوَاضِبُ
فَذَاكَ أَصَمُّ يَبْلُغُ الطَّعْنَ لِلْعِدَى
وَهَذَا سَمِيعٌ إِنْ تَنَاجَى الْكَتَائِبُ!
غَمَائِمُ لِلْعَافِينَ، تَهْتَنُ صَيْبُ
وَفِي عَرَصَاتِ الْمَارِقِينَ مَصَائِبُ

فَفِي الْحَرْبِ أَسَادُ وَفِي السَّلْمِ سَادَةٌ
وَيَوْمَ النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ سَحَابُ
نَذَبَتْهُمْ لِلَّهِ ثُمَّ بَعَثَهُمْ
تَقَامُ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْهُمْ نَوَابُ
وَسِرَتْ فَلَوْلَا أَنْ أَمَرَكَ وَازِعُ
لَسَارَتْ جِبَالُ عِنْدَهَا وَأَهَاضِبُ
وَرَدَّيْعُوا فَلَوْلَا طَوْدُ حِلْمِكَ قَدْ رَسَا
لَزُعْزَعُ مِنْ ذَاكَ الْأَشْمُ جَوَانِبُ
بِجَيْشٍ يَغْصُ الْأَفْقُ مِنْهُ بِمَرْكَبٍ
وَيَعْجِزُ عَنْ حَصْرِ الْكُتَيْبَةِ حَاسِبُ
يُبَاحُ حِمَى الْأَفْلَاكِ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ
وَتَنْهَبُ إِنْ أَوْمَى إِلَى الشُّهْبِ نَاهِبُ
أَثَرَتْ بِهِمْ فَوْقَ الْأَعَادِي مَصَائِبًا
مِنْ النَّقْمِ جَدَّوَاهَا السَّهَامُ الصَّوَابُ
وَجُسْتَ عَلَى رَغْمٍ خِلَالَ بِيَارِهِمْ
تُعْطَرُ بِالْأُرْدَانِ مِنْكَ مَسَاحِبُ
فَلَوْلَا اعْتِصَامُ كَانَ مِنْهُمْ بِطَاعَةٍ
لَأَغْرَقَهُمْ طُوفَانُكَ الْمُتْرَاكِبُ
وَلَمَّا انْتَضَى جَبَّارُ تُونِسَ عَزْمَةٌ
وَرَامَ فِرَارًا لَوْ نَجَا مِنْكَ هَارِبُ

بَعَثَتْ بِهَا غَرِيْبَانِ زَجَرَ يَحْتُهَا
لِتَفْرِيقِ شَمْلٍ مِنْ أَعَادِكَ نَاعِبُ
وَمَلَكْتَهَا شَرْقًا وَغَرْبًا كَأَنَّمَا
لِلْأَمْرِكِ مِنْ جَارِيِ الْمَقَادِيرِ صَاحِبُ
وَلَوْلَا خُطُوبُ كُنْتُ حَاسِمٌ دَائِهَا
لَقَدْ عَلِمُوا كَيْفَ الْغَرِيمُ الْمُطَالِبُ
أُمُولَائِي طَابَ الْقَوْلُ لِي فَاطَلَتْهُ
وَمَا طَيَّبُ الْأَقْوَالِ إِلَّا الْأَطَائِبُ!
وَمَا كَانَ لِي نَظْمُ الْقَرِيضِ بِضَاعَةً
وَلَكِنْ دَعَانِي نَحْوُ مَدْحِكَ جَاذِبُ
فَجِئْتُ بِهَا حَسَنَاءَ تَلْتَمِسُ الرُّضَا
وَأَنْ رَغِمَ الْوَاشُونَ مِنْهَا وَشَاغِبُوا
فَعَفَّوْا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ لِي
يَدَانِ بِسَخَطٍ مِنْكَ وَالصَّبْرُ عَازِبُ
أَسَاقُ مَدَى الْأَيَّامِ فِي الْقَيْدِ مَقْعَمُ
وَجِسْمٌ عَلِيلٌ بَعْدَ ذَلِكَ شَاحِبُ
وَقَدْ وَضَحْتَ لِلْحَلَمِ فِي كُلِّ طَعْمٍ
وَعَاصِرِ شُرُودٍ عَنْكَ طَرَقَ لَوَاحِبُ
وَأَرْضَعْتَهُمْ ثُدَيِ الْأَمَانِي وَكَمْ بَغَوْا
وَأَوْدَعْتَهُمْ صَفْوِ الْأَمَانِي وَحَارَبُوا

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ الْعَلَا
تُنِيلُ الْوَدَى عَفْوًا فَتُعْفَى الْمَعَايِبُ
وَلَنْ أَثْبَتَ الْأَعْدَاءُ أَنِّي مُذْنِبٌ
فَصَفْحُكَ يَا مَوْلَايَ لِلذَّنْبِ سَالِبُ
وَهَبَهُمْ رَمُونِي بِأَلَّتِي لَسْتُ أَهْلَهَا
أَلَيْسَ انْتِسَابِي وَاضِحٌ مُتَنَاسِبُ؟
أَبْعَدَ انْتِرَاجِي عَنْ بِلَادِي تَحْتُنِي
إِلَى بَابِكَ الْأَعْلَى مَطِيٌّ شَوَازِبُ⁽¹⁾
وَعَرَاءُ مِنْ نَسْلِ الْجَدِيلِ وَشَدَقَمُ⁽²⁾
لَهَا فِي الرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ مَنَاسِبُ
يُجَاذِبُ عِطْفِيهَا الْمِرَاحُ فَتَنْتَنِي
كَمَا التَفَتَتْ فِي الرُّوضِ حَسَنَاءُ كَاعِبُ
وَتَكْبَرُ قَدْرًا أَنْ يَمِيلَ بِمِثْلِهَا
لِغَيْرِكَ قَصْدًا أَوْ تَعْنُ مَطَالِبُ
رَقَمْتُ بِهَا فِي صَفْحَةِ الْبَيْدِ أَسْطُرًا
كَمَا زَانَ رَقْمًا فِي الصَّحِيفَةِ كَاتِبُ
وَجَبْتُ بِهَا غَوْرَ الْفَلَاةِ وَنَجْدَهَا
وَلَيْسَ سِوَى مَنْ ذَنْبِهَا مَا أَصَاحِبُ؟

(1) شوازب: ج شازب: وهو الضامر.

(2) الجدِيل وشَدَقَم فحلان مشهوران للنعمان بن المنذر.

كَأَنِّي لَفِظُ وَالْبِلَادُ تُجِيبُنِي
خَوَاطِرُ مِنْهَا لِلْمَعَانِي صَوَائِبُ
نَظُنُّ بِأَنَّ الشَّرْقَ عَنْ حَمَلِ كَتْمِهِ
يَضِيقُ فَتَطْوِي سِرَّهُنَّ الْمَغَارِبُ
إِلَى أَنْ حَطَطْتُ الرَّحْلَ فِي سَرَجَةِ الْعَلَا
لَدَى بَابِكَ الْأَعْلَى كَمَا حَطَّ أَيْبُ
وَأَصْدُرْتَنِي عَنْ وَرْدِ نَعْمَاكَ نَاهِلًا
وَقَدْ أَثْقَلْتُ ظَهْرِي لَدَيْكَ الْمَوَاهِبُ
فَكَيْفَ أُولِي شَطَرَ غَيْرِكَ وَجْهَةً
أَوْمَلُ مِنْهَا نُجْعَةً أَوْ أَرَاقِبُ
وَمَا خَلَصْتَ إِلَّا لِبَابِكَ هِجْرَتِي
وَلَمْ تَصِفْ لِي مِمَّنْ سِوَاكَ الْمَشَارِبُ
وَأِنِّي عَلَى عِلْمٍ بِأَنْ لَا مُمْلَكُ
سِوَاكَ عَلَى الدُّنْيَا وَلَا عَنْكَ ذَاهِبُ
وَلَكِنْ عَوَادٍ إِنْ عَدْتَنِي عَنِ الرِّضَا
زَمَانًا فَإِنِّي الْيَوْمَ مِنْهُنَّ تَائِبُ
سَأَنْزِعُ عَمَّا أَنْتَ - وَاللَّهِ - سَاخِطُ
فَأَمْرُكَ مَحْتُومٌ عَلَى الْخَلْقِ وَاجِبُ
وَأَسْطُو عَلَى الْأَيَّامِ مِنْكَ بِنُوبَةٍ
كَمَا أَفْتَرَسْتَنِي بَيْنَهُنَّ النَّوَائِبُ
وَتَوْسِعْنِي رَحْمَاكَ أَفْضَلَ نِعْمَةٍ
تَرِيشُ بِهَا عَظْمِي وَتَتَرَى الْمَكَاسِبُ
فَمَا فِي اللَّيَالِي مِنْ ذَمِيمٍ - وَلَوْ أَتَى -
إِذَا حُمِدَتْ بَعْدَ الْمُبَادِي الْعَوَاقِبُ

المصدر: نثير الجمان : ص 299-310 منها خمسة أبيات في
«التعريف» ص 69-70 (ط. لبنان) وص 67 (ط. الطنجي).

صحا الشوق

من قصيدة أنشدها سنة 765 في ختان ولد محمد الخامس سلطان غرناطة:

(الطويل)

وَذِكْرِي تُجِدُ الْوَجْدَ حِينَ تَنْوُبُ	صَحَا الشُّوقُ لَوْلَا عِبْرَةٌ وَنَحِيبُ
وَمِنْ نَزَحَتْ دَارُ وَيَّانَ حَيِّبُ	وَقَلْبُ أَبِي إِلَّا الْوَفَاءَ بَعْدَهُ
فَوَادُ لَتَذْكَارِ الْعُهُودِ طَرُوبُ	وَاللَّهُ مِنِّي بَعْدَ حَادِثَةِ النَّوَى
وَتَذْكِرِي حَشَاهُ نَفْحَةٌ وَهَبُوبُ	يُورِقُهُ طَيْفُ الْخَيَالِ إِذَا سَرَى
فَأِنِّي لِمَا يَدْعُو الْأَسَى لَمُجِيبُ	خَلِيلِي إِلَّا تَسْعِدَا فِدْعَا الْأَسَى
مِنْ الدَّمْعِ فَيَاضُ الشُّؤْنِ سَكُوبُ	أَلِمَّا عَلَى الْأَطْلَالِ يَقْضِ حَقُوقَهَا
حُشَّاشَةُ نَفْسِي فِي الدُّمُوعِ تَنْوُبُ	وَلَا تَعْذِلَانِي فِي الْبُكَاءِ فَإِنَّهَا

ومنها في تقدّم ولده للإعذار من غير نكول :

لَخَطْبٍ وَلَا نِكْسُ اللَّقَاءِ هَيُوبُ	فَيَمَمَ مِنْهُ الْحَقْلَ لَا مُتَقَاعِسُ
تَرْوِقُ حِلَاهُ وَالْفِرْنْدُ ⁽¹⁾ خَضِيبُ	وَرَا حَ كَمَا رَا حَ الْحُسَامُ مِنَ الْوَغَى
وَخَلَقُ بَصْفُو الْمَجْدِ مِنْكَ مَشُوبُ	شَوَاهِدُ أَهْدَتْهُنَّ مِنْكَ شَمَائِلُ

(1) الفرند: السيف .

ومنها في الثناء على ولديه:

هُمَا النِّيرَانِ الطَّالِعَانِ عَلَى الْهُدَى بِأَيَاتٍ فَتَحَ شَأْنَهُنَّ عَجِيبُ
شِهَابَانِ فِي الْهَيْجَا غَمَامَانِ فِي النَّدَى تَسُحُّ الْمَعَالِي مِنْهُمَا وَتَصُوبُ
يَدَانِ لِبَسْطِ الْمَكْرُمَاتِ نَمَاهُمَا إِلَى الْمَجْدِ قِيَاضُ الْيَدَيْنِ وَهُوبُ

المصدر: التعريف: ص 88 - 89

3 - أسرفن في هجري

قصيدة أنشدتها ليلة المولد النبوي الشريف سنة 762 هـ للسلطان أبي سالم
المريني.

(الطويل)

أَسْرَفَنَ فِي هَجْرِي وَفِي تَعْذِيبِي وَأَطْلَنَ مَوْقِفَ عِبْرَتِي وَنَحِيبِي
وَأَيَّنَ يَوْمَ الْبَيْنِ وَقَفَّةَ سَاعَةٍ لِدَوَاعِ مَشْغُوفِ الْفُؤَادِ كَنْيَبِ
لِلَّهِ عَهْدُ الظَّالِمِينَ وَغَادَرُوا قَلْبِي رَهْنِ صِبَابَةٍ وَوَجِيبِ
غَرِيتِ رَكَائِبُهُمْ وَدَمْعِي سَافِحُ فَشَرِقْتُ بَعْدَهُمْ بِمَاءِ غُرُوبِ (1)
يَا نَاقِعًا بِالْعَتَبِ غَلَّةَ شَوْقِهِمْ رُحْمَاكَ فِي عَذْلِي وَفِي تَأْنِيْبِي
يَسْتَعْذِبُ الصَّبُّ الْمَلَامَ وَإِنِّي مَاءَ الْمَلَامِ لَدَيَّ غَيْرَ شَرْوَبِ
مَا هَاجَنِي طَرْبٌ وَلَا اعْتَادَ الْجَوَى لَوْلَا تَذَكُّرُ مَنْزِلٍ وَحَيِّبِ
أَهْفُو إِلَى الْأَطْلَالِ كَانَتْ مَطْلَعًا لِلْبَدْرِ مِنْهُمْ أَوْ كِنَاسِ رَيْبِ (2)
عَبَّثْتُ بِهَا أَيْدِي الْبَلَى وَتَرَدَّدْتُ فِي عَطْفِهَا لِلدُّهْرِ أَيُّ خَطُوبِ
تَبَلَّى مَعَاهِدَهَا وَإِنَّ عُهُودَهَا لِيُجِدْهَا وَصْفِي وَحُسْنُ نَسِيْبِي

(1) الغروب: الدموع حين تخرج من العين .

(2) الريب: ولد الظبي .

وإذا الديار تعرضت لمُتيم
إيسه عن الصبر الجميل فإنه
لم أنسها والدفء يثني صرفه
والدار مونيقة محاسنها بما
يا سائق الأظعان يعتسف الفلا
متهافتا عن رحل كل مذلل
تجاذب النفحات فضل ردايه
إن هام من ظمأ الصبابة صحبه
أو تعرض مسراهم سدف الدجى
في كل شعب مئة من دونهما
هلا عطفت صدورهن إلى التي
فتوم من أكناف يترب مامنا
حيث النبوة أيها مجلوة
سر عجب لم يحجبه الترى

هزته نكزاهما إلى التشيب
ألوى⁽³⁾ بددين فوادي المنهوب
ويغض طرفي حاسد رقيب
لست من الأيام كل قشيب
ويواصل الإساذ⁽⁴⁾ بالتأويب⁽⁵⁾
نشوان من أين ومس لغوب⁽⁶⁾
في ملتقاهما من صبا وجنوب
نهلوا بمورد دمه المسكوب
صدعوا الدجى بگرامه المشبوب
هجر الأماني أو لقاء شعوب⁽⁷⁾
فيها لبانة أعين وقلوب
يكفيك ما تخشاه من تريب
تتلو من الآثار كل غريب
ما كان سر الله بالمحجوب

ومنها بعد تعديد معجزاته صلى الله عليه وسلم :

يا سيد الرسل الكرام ضراعة

تقضي مني نفسي وتذهب حوبي⁽⁸⁾

(3) ألوى: مطل .

(4) الإساذ: سير الليل كله .

(5) التأويب: سير النهار .

(6) اللغوب: التعب .

(7) شعوب: الموت .

(8) الحوب: الذنب

عَاقَتِ ذُنُوبِي عَنْ جَنَابِكَ وَالْمَتَى
لَا كَالْأَلَى صَرَفُوا الْعِزَّانِمَ لِلتَّقَى
لَمْ يُخْلِصُوا لِلَّهِ حَتَّى فَرَقُوا
هَبْ لِي شِفَاعَتَكَ الَّتِي أَرْجُو بِهَا
إِنْ النِّجَاةَ وَإِنْ أُتِحتْ لِلْمَرِيءِ
إِنِّي دَعَوْتُكَ وَاثَقَا بِإِجَابَتِي
قَصُرْتُ فِي مَدْحِي فَإِنْ بِكَ طَيِّبًا
مَاذَا عَسَى يَبْغِي الْمُطِيلُ وَقَدْ حَوَى
يَا هَلْ تُبَلِّغُنِي الْإِلَهِي زُورَةً
أَمْحُو خَطِيئَاتِي بِإِخْلَاصِي بِهَا
فِي فِتْنَةٍ هَجَرُوا الْمَتَى وَتَعَوُّوا
يَطْوِي صَحَائِفَ لَيْلِهِمْ فَوْقَ الْفَلَآ
إِنْ رَنَّمَ الْحَادِي بِذِكْرِكَ رَدَدُوا
أَوْ غَرَّدَ الرُّكْبُ الْخَلِيَّ بِطَيِّبَةٍ
وَرَبُّوا اعْتِسَافَ الْبَيْدِ عَنْ آبَائِهِمْ
الطَّاعِنُونَ الْخَيْلَ وَهِيَ عَوَاسُ
وَالْوَاهِبُونَ الْمُقَرَّبَاتِ صَوَافِنَا
وَالْمَانِعُونَ الْجَارَ حَتَّى عَرْضُهُ
تُخْشَى بَوَابِهِمْ وَيَرْجَى جِلْمِهِمْ

فِيهَا تَعَلَّلَنِي بِكُلِّ كَذُوبٍ
فَاسْتَأْنَرُوا مِنْهَا بِخَيْرِ نَصِيبٍ
فِي اللَّهِ بَيْنَ مَضَاجِعِ وَجُوبٍ
صَفْحًا جَمِيلًا عَنْ قَبِيحِ ذُنُوبِي
فَيَفْضُلِ جَاهِكَ لَيْسَ بِالتَّسْيِيبِ
يَا خَيْرَ مَدْعُوٍّ وَخَيْرَ مُجِيبِ
فِيمَا لَذِكْرِكَ مِنْ أَرْبَعِ الطُّيُبِ
فِي مَدْحِكَ الْقُرْآنُ كُلُّ مُطِيبِ
تُدْنِي إِلَيَّ الْفَوْزَ بِالْمَرْغُوبِ
وَأَحْطُ أَوْزَارِي وَلِإِصْرِ ذُنُوبِي
إِنْضَاءَ كُلِّ نَجِيبَةٍ وَتَجِيبِ
مَا شِئْتَ مِنْ خَبَبٍ وَمِنْ تَقَرِّبِ
أَنْفَاسَ مُشْتَقٍ إِلَيْكَ طَرُوبِ
حَنُوا لِمَغْنَاهَا حَنِينَ النَّيِّبِ
إِرْثَ الْخِلَافَةِ فِي بَنِي يَعْقُوبِ
يَغْشَى مَثَارُ النِّقَمِ كُلُّ سَيِّبِ (9)
مِنْ كُلِّ خَوَارِ الْعِنَانِ لَعُوبِ (10)
فِي مُتَدَيِ الْأَعْدَاءِ غَيْرُ مَعِيبِ
وَالْعِزُّ شَيْمَةٌ مُرْتَجَى وَمَهِيبِ

(9) السبب: شعر عرف الفرس.

(10) خوار العنان: لين العطف.

وَمِنْهَا :

تَرْجِيهِ رِيحِ الْعَزْمِ ذَاتُ هُبُوبٍ
يَصْدَعْنَ لَيْلَ الْحَادِثِ الْمَرْهُوبِ
وَسَطًا الْهُدَى بِفَرِيقِهَا الْمَغْلُوبِ
وَاسْتَأْتَرُوكَ بِتَاجِهَا الْمَغْصُوبِ
كَرَّمُوا بِهَا فِي مَشْهَدٍ وَمَغِيبِ
فَلَقَدْ شَهِدْنَا مِنْهُ كُلَّ عَجِيبِ
تُقْتَادُ بِالْتَرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ
يَبْدُو الْهُدَى مِنْ أَفْقِهَا الْمَرْقُوبِ
وَجَدِيدُ سَعْدِكَ ضَامِنُ الْمَطْلُوبِ

سَأَلْتُ بِهِ طَامِي الْعُبَابِ وَقَدْ سَرَى
تَهْدِيهِ شَهْبُ أُسْنَةٍ وَعَزَائِمِ
حَتَّى انْجَلَتْ ظَلَمُ الضَّلَالِ بِسَعْيِهِ
يَا ابْنَ الْأَلَى شَادُوا الْخِلَافَةَ بِالتَّقَى
جَمَعُوا بِحِفْظِ الدِّينِ أَيْ مَنَاقِبِ
لِلَّهِ مَجْدُكَ طَارِفًا أَوْ تَالِدًا
كَمْ رَهْبَةً أَوْ رَغْبَةً لَكَ وَالْعُلَا
لَا زِلْتُ مَسْرُورًا بِأَشْرَفِ دَوْلَةٍ
تَحْيِي الْمَعَالِي غَادِيًا أَوْ رَائِحًا

المصدر : التعريف: ص 70 - 74 ، والإحاطة في أخبار غرناطة: انظر

مؤلفات ابن خلدون: ص 307 - 310.

4 - هذي الديار

قال يصف الأطلال من قصيدة طويلة ضاعت:

(الكامل)

وَقِفِ الْمَطَايَا بَيْنَهُنَّ طِلَاحًا (١)
عَبَرَاتِ عَيْنِكَ وَآكِفًا مُمْتَحَا
أَنْ لَا يُرَيْنَ مَعَ الْبِعَادِ شِحَا حَا
طَرِبَ الْفُؤَادَ لِذِكْرِهِمْ فَارْتَا حَا
حُزْنًا وَكَانَتْ بِالسُّرُورِ فِصَا حَا

هَذِي الدِّيَارُ فَحِيْهِنَّ صَبَاحَا
لَا تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
فَلَقَدْ أَخَذَنْ جُؤُنُوكَ مَوْثِقَا
إِيَّاهُ عَنِ الْحَيِّ الْجَمِيعِ وَدُبَا
وَمَنَازِلِ لِلظَّالَمِينَ اسْتَعْجَمَتْ

المصدر : التعريف: ص 133.

(١) الطلاح: ج طلع، الناقة الضامرة المجعدة.

5 - قدحت يد الأشواق

من قصيدة خاطب بها أبا سالم المريني يصف فيها الزرافة وقد وصلت هدية
من ملك السودان:

(الكامل)

قَدَحَتْ يَدُ الْأَشْوَاقِ مِنْ زَنْدِي
وَنَبَذَتْ سُلُوكِي عَلَى ثِقَةٍ
وَلَرُبُّ وَصْلٍ كُنْتُ أَمْلُهُ
لَا عَهْدَ عِنْدَ الصَّبْرِ أَطْلُبُهُ
يَلْحَى الْعَذُولُ فَمَا أُعْتَفُهُ
وَأَعَارِضُ النَّفَحَاتِ أَسْأَلُهَا
يَهْدِي الْغَرَامُ إِلَيَّ مَسَالِكَهَا
يَا سَائِقَ الْأَطْعَانِ مُعْتَسِفًا
أَرْجِ الرُّكَّابَ فِي الصَّبَا نَبَأُ
وَسَلِ الرُّيُوعَ بِرَامَةٍ (2) خَبْرًا
مَالِي تَلَامٌ عَلَى الْهَوَى خَلْقِي
لَأَبْنَيْتُ إِلَّا الرُّشْدَ مَذُ وَضَحَتْ
نِعَمَ الْخَلِيفَةِ فِي هُدًى وَتَقَى
نَجَلَ السَّرَاةِ الْغُرَّ شَانَهُمْ

وَهَفَّتْ بِقَلْبِي زَفْرَةُ الْوَجْدِ
بِالْقُرْبِ فَاسْتَبَدَلَتْ بِالْبُعْدِ
فَاعْتَضَتْ مِنْهُ بِمَوْلِمِ الصَّدِّ
إِنَّ الْغَرَامَ أَضَاعَ مِنْ عَهْدِي
وَأَقُولُ ضَلُّ فَابْتَغِي رُشْدِي
بَرَدَ الْجَوَى فَتَزِيدُ فِي الْوَقْدِ
لِتَعْلَلِي بِضَعِيفٍ مَا تَهْدِي
طَيِّ الْفَلَاةِ لَطِيبَةَ الْوَجْدِ
يُغْنِي عَنِ الْمُسْتَنَّةِ الْجُرْدِ (1)
عَنْ سَاكِنِي نَجْدٍ وَعَنْ نَجْدِ
وَهِيَ الَّتِي تَابَى سَوَى الْحَمْدِ
بِالْمُسْتَعِينِ مَعَالِمُ الرُّشْدِ
وَبِنَاءِ عِزٍّ شَامِخِ الطُّودِ
كَسَبَ الْعَلَى بِمَوَاهِبِ الْوَجْدِ

ومنها في ذكر الخلوص إليه وما ارتكبه فيه :

(1) المستنة الجرد: الذهابة على وجهها وقصيرة الشعر.

(2) رامة: مكان في طريق البصرة إلى مكة.

لِلَّهِ مِنِّي إِذْ تُلَوِّبُنِي
 شَهْمٌ يَقْلُ بَوَاتِرًا قُضْبًا
 أُرِيدْتُ زَنْدَ الْعِزِّ فِي طَلْبِي
 وَوَرَدْتُ عَنْ ظَمَلٍ مَنَاهِلَهُ
 هِيَ جَنَّةُ الْمَأْوَى لِمَنْ كَلَفَتْ
 لَوْ لَمْ أَعْلَ بِوَرْدٍ كَوْنَهَا
 مَنْ مَبْلَغُ قَوْمِي وَوَنُهِمُ
 أَنِّي أَنْفَعْتُ عَلَى رَجَائِهِمْ

ذِكْرَاهُ وَهُوَ بِشَاهِقٍ فَرِدِ
 وَجْمُوعَ أَقْيَالٍ أُولِي أَيْدٍ
 وَقَضَيْتُ حَقَّ الْمَجْدِ مِنْ قَصْدِي
 فَرَوَيْتُ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ رِفْدٍ
 أَمَالَهُ بِمَطَالِبِ الْمَجْدِ
 مَا قُلْتُ هَذِي جَنَّةُ الْخُلْدِ
 قَدْ ذُفَّ النَّوَى وَتَنَوَّقَةُ الْبُعْدِ (3)
 وَمَلَكَتُ عِزَّ جَمِيعِهِمْ وَخَدِي

وَرَقِيمَةَ الْأَعْطَافِ حَالِيَةٍ
 وَخَشِيَّةِ الْأَنْسَابِ مَا أَنْسَتْ
 تَسْمُو بِحَيْدٍ بِالْغَمِّ صَعْدًا
 طَالَتْ رُؤُوسَ الشَّامِخَاتِ بِهِ
 قَطَعَتْ إِلَيْكَ تَنَائِفًا وَصَلَتْ
 تَخْدِي عَلَى اسْتِصْعَابِهَا ذُلًّا
 بِسُعُودِكَ اللَّائِي ضَمَنْ لَنَا
 جَاعَتِكَ فِي وَفْدِ الْأَحَابِشِ لَا
 وَأَفُوكَ أَنْضَاءَ تَقْلِبُهُمْ
 كَالطَّيْفِ يَسْتَقْرِئُ مَضَاجِعَهُ

مُوشِيَّةٍ بِوَشَائِعِ الْبُرْدِ
 فِي مَوْحِشِ الْبَيْدَاءِ بِالْقَوْدِ
 شَرَفَ الصُّرُوحِ بِغَيْرِ مَا جَهْدِ
 وَلَرُبَّمَا قَصُورَتْ عَنِ الْوَهْدِ
 إِسَادَهَا بِالنَّصْرِ وَالْوَحْدِ
 وَتَبَيَّتْ طَوُوعَ الْقِنِّ وَالْقَدِّ (4)
 طَوَلَ الْحَيَاةِ بِعَيْشَةٍ رَغْدِ
 يَرْجُونَ غَيْرَكَ مُكْرِمَ الْوَفْدِ
 أَيْدِي السُّرَى بِالْفُورِ وَالنَّجْدِ
 أَوْ كَالْحُسَامِ يُسَلُّ مِنْ غِمْدِ

(3) التَّنَوُّعُ: القفر من الأرض.

(4) تخدي: تسرع، القن: العبد، القد: سير من جلد غير مدبوغ.

يُنْتُونِ بِالْحُسْنَى الَّتِي سَبَقَتْ
وَيَرَوْنَ لَحْظَكَ مِنْ وَفَادَتِهِمْ
يَا مُسْتَعِينًا جَلَّ فِي شَرَفٍ
جَارَاكَ رَبُّكَ عَنْ خَلِيقَتِهِ
وَبَقِيَتْ لِلدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا

مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ وَلَا جَحْدٍ
فَخُرًّا عَلَى الْأَثَرِ وَالْهِنْدِ
عَنْ رُتْبَةِ الْمَنْصُورِ وَالْمَهْدِي
خَيْرَ الْجَزَاءِ فَنَعْمَ مَا يُسَدِّي
فِي عِزَّةٍ أَبَدًا وَفِي سَعْدٍ

المصدر: التعريف: ص 74-75 والإحاطة، انظر: مؤلفات ابن خلدون: ص

310-312.

6 - ضحكت وجوه الدهر بعد عبوس

قصيدة خاطب بها أبا العباس أحمد الحفصي حينما أبلّ من مرض أصابه:

(الكامل)

ضَحِكْتَ وَجُوهَ الدَّهْرِ بَعْدَ عُبُوسٍ
وَتَوَضَّحْتَ غُرُ الْبَشَائِرِ بَعْدَمَا انْبَدَّ
صَدَعُوا بِهَا لَيْلَ الْهُمُومِ كَأَنَّمَا
فَكَأَنَّهُمْ بَنُوا حَيَاةً فِي الْوَرَى
قَرَّتْ عَيْنُ الْخَلْقِ مِنْهَا بِالَّتِي
فَكَأَنَّ قَوْمِي نَادَمَتْهُمْ قَرَقَفُ
يَتَمَائِلُونَ مِنَ الْمَسْرَةِ وَالرُّضَى
مِنْ رَاكِبٍ وَافَى يُحْيِي رَاكِبًا
وَمُشْفَعٍ لِلَّهِ يُؤْتِسُ عَنْدَهُ
يَعْتَدُ مِنْهَا رَحْمَةً قُدْسِيَّةً
طَبُّ بِإِخْلَاصِ الدَّعَاءِ وَرَأْنُهُ

وَتَجَلَّلَتْ رَحْمَةً مِنْ بُوسٍ
هَمَّتْ فَأَطْلَعَهَا حُدَاةُ الْعِيسِ
صَدَعُوا الظَّلَامَ بِجَذْوَةِ الْمُقْبُوسِ
نُشِرَتْ لَهَا الْأَمَالُ مِنْ مَرْمُوسٍ
أَضْفَتْ مِنَ النُّعْمَاءِ خَيْرَ لَبُوسٍ
شَرِبُوا النِّعِيمَ لَهَا بِغَيْرِ كُؤُوسٍ
وَيُقَابِلُونَ أَهْلَهُ بِشُمُوسٍ
وَجَلِيسِ أَنْسٍ قَادَهُ لَجْلِيسِ
أَكْرُ الْهُدَى فِي الْمَعْهَدِ الْمَائُوسِ
فَيَبُوءُ لِلرَّحْمَنِ بِالتَّقْدِيسِ
يُشْفِي مِنَ الدَّاءِ الْعِيَاءِ وَيُوسِي

يَا ابْنَ الْخَلَائِفِ وَالَّذِينَ بَنُوهُمْ
وَالنَّاصِرُ الدِّينَ الْقَوِيمَ بِعَزْمَةٍ
هَجَرَ الْمُنَى فِيهَا وَلَذَاتِ الْمُنَى
حَاطَ الرُّعْيَةَ بِالسِّيَاسَةِ فَانْضَوَتْ
أَسَدُ يَحَامِي عَنْ حِمَى أَشْبَالِهِ
قَسَمًا بِمَوْشِي الْبِطَاحِ وَقَدْ عَدْتُ
وَالْمَثَلَاتِ مِنَ الْحَنَائِيَا جُنْمًا
خُوصُ مَضْمَرَةَ الْبَطُونِ كَأَنَّهَا
وَحَزَ الْبَلَى مِنْهَا الْغَوَارِبَ وَالذُّرَى
لَبَقَاكَ حِرْزُ اللَّتَامِ وَعِصْمَةٌ
وَلَأَنْتَ كَافِلُ دِينِنَا بِحِمَايَةٍ
اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا
تَعْنُو الْقُلُوبُ إِلَيْكَ قَبْلَ وَجُوهِنَا
فَإِذَا أَقَمْتَ فَإِنَّ رُعْبَكَ رَاحِلٌ

نُهَجْتُ سَبِيلُ الْحَقِّ بَعْدَ دُرُوسِ
طَرْدُ اسْتِقَامَتِهَا بِغَيْرِ عُرُوسِ
فِي لَذَّةِ التَّهْجِيرِ وَالتَّغْلِيْسِ⁽¹⁾
مِنْهُ لِكُرْمِ مَالِكٍ وَسُؤُسِ
حَتَّى ضَوَّوْا مِنْهُ لِأَمْنِ حَيْسِ⁽²⁾
تَخْتَالُ زَهْوًا فِي ثِيَابِ عُرُوسِ
يُخْبِرْنَ عَنْ طَسْمٍ وَقُلْ جَدِيسِ⁽³⁾
أَنْضَاءُ رَكْبٍ فِي الْفَلَاةِ حَيْسِ⁽⁴⁾
فَلَقْتَنَ خَزْرًا بِالْعِيُونِ الشُّوسِ⁽⁵⁾
وَحَيَاةَ أَرْوَاحِ لَنَا وَنَفُوسِ
لَوْلَاكَ ضِيْعَ عَهْدِهَا وَتَنُوسِي
وَحَبَاكَ حَظًّا لَيْسَ بِالْمُوكُوسِ⁽⁶⁾
سَيَّانَ مِنْ رَأْسٍ وَمِنْ مَرُوسِ
يُحْمِي عَلَى الْأَعْدَاءِ كُلِّ وَطِيسِ

(1) التهجير إلى الصلاة: التكبير والمبادرة إليها.

والتغليس: السير إلى صلاة الصبح وقت الفلح وهو ظلمة آخر الليل.

(2) الخيس: موضع الأسد.

(3) طسم وجديس: حيان من العرب البائدة، كان مسكنهما البحرين، واليمامة. وقد أوقع حسان بن تبع بقبيلة جديس، وإلى ذلك ينظر ابن خلدون.

(4) خوص: شهباء

انضاء: ج نضو: هزِيل.

(5) الغوارب: جمع غارب، وهو مقدم سنام البعير.

ذرى: جمع ذروة، وهي أعلى سنام البعير. يعني أَنَّ الْبَلَى قَدْ عَمَّهَا.
والشُّوس: النظر بمؤخر العين غيظًا وغضبًا.

(6) الموكوس: المتقوس .

وَإِذَا رَحَلْتَ فَلِلْسَّعَادَةِ آيَةٌ
وَإِذَا الْأَدِلَّةُ فِي الْكَمَالِ تَطَابَقَتْ
فَانْعَم بِمَلِكِكَ دَوْلَةً عَادِيَّةً
وَالْيَكْهَ مِنِّْي عَلَى خَجَلٍ بِهَا
عُذْرًا فَقَدْ طُمِسَ الشَّبَابُ وَتَوَرَّه
لَوْلَا عِنَايَتُكَ الَّتِي أَوْلَيْتَنِي
وَاللَّهِ مَا أَبَقْتُ مُمَارَسَةَ النَّوَى
أَتَحَى الزَّمَانُ عَلَيَّ فِي الْأَدَبِ الَّذِي
فَسَطَا عَلَى وَفَرَى وَدَوَّعَ مَأْمَنِي
وَرِضَاكَ رَحْمَتِي الَّتِي أَعْتَدَهَا

تَقْتَادُهَا فِي مَوْكِبٍ وَخَمِيسٍ
جَاءَتْ بِمَسْمُوعٍ لَهَا وَمَقِيسٍ
تُشْقِي الْأَعَادِي بِالْعَذَابِ الْبِيسِ(7)
عُذْرَاءَ قَدْ حَلَيْتَ بِكُلِّ نَفِيسٍ
وَأَضَاءَ صُبْحُ الشَّيْبِ عِنْدَ طُمُوسٍ
مَا كُنْتُ أَعْنَى بَعْدَهَا بِطُرُوسٍ
مِنِّْي سَوَى مَرَسٍ أَحْمَ دَرِيسِ(8)
دَارَسْتُهُ بِمَجَامِعٍ وَدُرُوسٍ
وَاجْتَثُ مِنْ دَوْحِ النَّشَاطِ غُرُوسِي
تُخَيِّرُ مِنِّْي نَفْسِي وَتُذْهَبُ بُوْسِي

المصدر: التعريف: ص 241-244.

7 - أطوي على الزفرات قلبا

وقال يخاطب عمر بن عبد الله مدبر ملك المغرب(9):

(الكامل)

يَا سَيِّدَ الْفَضْلَاءِ دَعْوَةٌ مُشْفِقِي
مَا لِي وَلِلْإِقْصَاءِ بَعْدَ تَعْلِهِ
وَأَرَى اللَّيَالِي رَنَقَتْ لِي صَافِيًا
وَلَقَدْ خَلَصْتُ إِلَيْكَ بِالْقُرْبِ الَّتِي

نَادَى لِشَكْوَى الْبَثِّ خَيْرَ سَمِيعِ
بِالْقُرْبِ كُنْتُ لَهَا أَجَلُ شَفِيعِ
مِنْهَا فَأَصْبَحَ فِي الْأَجَاجِ شُرُوعِي
لَيْسَ الزَّمَانُ لِشَمْلِهَا بِصُدُوعِ

(7) عادية: نسبة إلى عاد الأمة المعروفة. ويريد أنها طويلة الأمد.

(8) المرس (يفتح الميم والراء): الحيل. والأحم: الأسود. والدريس: الخلق.

(9) كان وزيراً للسلطان أبي الحسن، أخبره في تاريخ ابن خلدون: ج 7، ص 319-322.

وَوَثِّقْتُ مِنْكَ بِأَيِّ وَعْدٍ صَادِقٍ
وَسَمَا بِنَفْسِي لِلْخَلِيفَةِ طَاعَةً
حَتَّى انْتَحَانِي الْكَاشِحُونَ بِسُغْيِهِمْ
رَغِمَتْ أَنْفُسُهُمْ بِنُجْجٍ وَسَائِلِي
وَيَغُوا بِمَا نَقَمُوا عَلَيَّ خِلَافِي
لَا تَطْمَعْنَهُمْ بِبَذْلِ فِيَّ الَّتِي
أَنْتَى أَضَامُ وَفِي يَدِي الْقَلَمُ الَّذِي
وَلِيَ الْخَصَائِصُ لَيْسَ تَأْتِي رُبَّةٌ
قَسَمًا بِمَجْدِكَ وَهُوَ خَيْرُ أَلِيَّةٍ
إِنِّي لَتَصْطَحِبُ الْهُمُومُ بِمُضْجَعِي
عَطْفًا عَلَيَّ بِوَحْدَتِي عَنْ مَعْشَرٍ
أَغْدُو إِذَا بَاكَرْتَهُمْ مُتَجَلِّدًا
حَيْرَانَ أَوْجِسُ عِنْدَ نَفْسِي خِيفَةً
أَطْوِي عَلَى الزُّفَرَاتِ قَلْبًا أَدُهُ
وَلَقَدْ أَقُولُ لِصَرْفِ دَهْرِ رَابِنِي
مَهْلًا عَلَيْكَ فَلَيْسَ خَطْبُكَ ضَائِرِي
إِنِّي ظَفِرْتُ بِعِصْمَةٍ مِنْ أَوْحَدٍ

إِنِّي الْمَصُونُ وَأَنْتَ غَيْرُ مُضِيعٍ
دُونَ الْأَتَامِ هَوَاكَ قَبْلَ تَزْدِيعٍ
فَصَدَدْتَهُمْ عَنِّي وَكُنْتُ مَنِيعِي
وَتَقَطَّعْتَ أَنْفَاسَهُمْ بِصَنِيعِي
حَسَدًا فَرَامُونِي بِكُلِّ شَنِيعٍ
قَدْ صُنَّتْهَا عَنْهُمْ بِفَضْلِ قُدُّوعِي
مَا كَانَ طَيِّعُهُ لَهُمْ بِمُطِيعٍ
حَسَنِي بِعِلْمِي ذَاكَ مِنْ تَفْرِيعِي
أَعْتَدْتُهَا لِفُؤَادِي الْمَصْدُوعِ
فَتَحُولُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ هُجُوعِي
نَفَثَ الْإِبَاءَ صُدُودُهُمْ فِي رُوعِي
وَأَرْوَحُ أَعْتَرُ فِي فَضُولِ دُمُوعِي
فَيُسْرُ فِي الْأَوْهَامِ كُلِّ مَرُوعٍ
حَمَلُ الْهُمُومِ تَجُولُ بَيْنَ ضُلُوعِي
بِحَوَادِثٍ جَاءَتْ عَلَى تَتَوِيعٍ
فَلَقَدْ لَيْسَتْ لَهُ أَجَنُ دُرُوعٍ
بَدَأَ الْجَمِيعَ بِفَضْلِهِ الْجَمُوعِ

المصدر: الإحاطة في أخبار غرناطة ونفح الطيب: انظر مؤلفات ابن

خلدون: ص 312-313.

8. هنيئاً بصوم

وقال يخاطب الوزير عمر بن عبد الله مستجيراً بصديقه مسعود بن رحو بن

ماساي:

(الطويل)

هَنِيئًا بِصَوْمٍ لَا عَدَاهُ قَبُولُ
وَهُنْتَهَا مِنْ عِزَّةٍ وَسَعَادَةٍ
سَقَى اللَّهُ دَهْرًا أَنْتَ إِنْسَانٌ عَيْنِهِ
فَعَصْرَكَ مَا بَيْنَ اللَّيَالِي مَوَاسِمُ
وَجَانِبِكَ الْمَأْمُولُ لِلْجُودِ مَشْرَعُ
عَسَاكَ وَإِنْ ضَنَّ الزَّمَانُ مَنُولِي
أَجْرِنِي وَلَيْسَ الدَّهْرُ لِي بِمُسَالِمٍ
وَأَوْلَنِي الْحُسْنَى بِمَا أَنَا أَمِلٌ
وَوَاللهِ مَا رُمْتُ التَّرْحُلَ عَنْ قَلِي
وَلَا رَغْبَةً عَنْ هَذِهِ الدَّارِ إِنَّهَا
وَلَكِنْ نَأَى بِالشَّعْبِ عَنِّي حَبَائِبُ
يَهِيْجُ بِهِنَّ الْوَجْدَ أَنِّي نَارِحُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِنَّ الَّذِي قَدْ لَقِيتُهُ
تَوَارَتْ بِأَنْبَائِي الْبِقَاعُ كَأَنِّي
ذَكَرْتُكَ يَا مَعْنَى الْأَحْيَةِ وَالْهَوَى
وَحَيِّتُ عَنْ شَوْقِ رَبِّكَ كَأَنَّمَا
أَحْبَابُنَا وَالْعَهْدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
إِذَا أَنَا لَمْ تَرْضَ الْحَمُولُ مَدَامِعِي

وَيَشْرَى بِعِيدٍ أَنْتَ فِيهِ مُنِيلُ
تَتَابَعُ أَعْوَامٌ بِهَا وَقُصُولُ
وَلَا مَسْرَ رَبْعًا فِي حِمَاكَ مُحُولُ
لَهَا غُرْرٌ وَضَاحَةٌ وَحُجُولُ
يَحُومُ عَلَيْهِ عَالِمٌ وَجَهُولُ
فَرَسَمُ الْأَمَانِي مِنْ سِوَاكَ مَحِيلُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي ذِرَاكَ مَقِيلُ
فَمَثَلُكَ يُولِي رَاجِيًا وَيُنِيلُ
وَلَا سَخْطَةَ لِلْعَيْشِ فَهُوَ جَزِيلُ
لَظِلٌّ عَلَى هَذَا الْأَنَامِ ظَلِيلُ
دَعَاهُنَّ خُطْبُ الْفِرَاقِ طَوِيلُ
وَأَنْ فُؤَادِي حَيْثُ هُنَّ حَوْلُ
وَأَنْ اغْتَرَابِي فِي الْبِلَادِ يَطُولُ
تُخْطِفْتُ أَوْ غَالَتْ رِكَابِي غُولُ
فَطَارَتْ بِقَلْبِي أَنتَ وَعَوِيلُ
يُمَثِّلُ لِي نُؤْيِي بِهَا وَطَلُولُ
كَرِيمٌ، وَمَا عَهْدُ الْكَرِيمِ يَحُولُ
فَلَا قَرِيبَتِي لِلِقَاءِ حَمُولُ



إِلَامَ مَقَامِي حَيْثُ لَمْ تَرِدِ الْعَلَا
أَجَاذِبُ فَضْلَ الْعُمْرِ يَوْمًا وَلَيْلَةً
وَيَذْهَبُ بِي مَا بَيْنَ يَأْسٍ وَمَطْمَعٍ
تُعَلِّلَنِي مِنْهُ أَمَانُ خَوَادِعٍ
أَمَّا لِلْيَالِي لَا تَرُدُّ خُطُوبَهَا
يُرَوِّعُنِي مِنْ صَرْفِهَا كُلُّ حَادِثٍ
أُدَارِي عَلَى الرَّغْمِ الْعِدَى لَا لِرَيْبَةٍ
وَأَغْدُو بِأَشْجَانِي عَلِيلًا كَأَنَّمَا
وَأَنِّي وَإِنْ أَصْبَحْتُ فِي دَارِ غُرْبَةٍ
وَصَدَّتْنِي الْأَيَّامُ عَنْ خَيْرِ مَنْزِلٍ
لَأَعْلَمُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ يَنْتَهِي
وَأَنِّي عَزِيزٌ بَابِنِ مَاسَايَ مَكْثَرٍ

مَرَادِي وَلَمْ تُعْطِ الْقِيَادَ ذَلُولُ
وَسَاءَ صَبَاحَ بَيْنَهَا وَأَصِيلُ
زَمَانُ بَنِيْلِ الْمَعْلَوَاتِ بَخِيلُ
وَيُؤَسِّسُنِي لِيَأْنُ مِنْهُ مَطُولُ
فَفِي كِبْدِي مِنْ وَقْعِهِنَّ فُلُولُ
تَكَادُ لَهُ صَمُّ الْجِبَالِ تَزُولُ
يُصَانِعُ وَاشِ خَوْفَهَا وَعَذُولُ
تَجُودُ بِنَفْسِي رَقَرَةً وَغَلِيلُ
تُحِيرُ اللَّيَالِي سَلَوَتِي وَتَزِيلُ
عَهْدَتُ بِهِ أَنْ لَا يُضَامَ نَزِيلُ
مَدَاهُ وَأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُدِيلُ
وَإِنْ هَانَ أَنْصَارُ وَيَانَ خَلِيلُ

المصدر: نفح الطيب: انظر مؤلفات ابن خلدون ص 313 - 315. وفي
"التعريف" ص 77 - 79 (ط. الطنجي) وص 80 - 82 (ط. بيروت).

9 - هل غير بابك للغريب مؤمل

قصيدة خاطب بها السلطان الحفصي أبا العباس أحمد مادحا إياه
مستعطفًا بهدية كتابه "المقدمة" إليه:

(الكامل)

هَلْ غَيْرُ بَابِكَ لِلْغَرِيبِ مُؤْمَلُ
هِيَ هِمَّةٌ بَعَثَتْ إِلَيْكَ عَلَى النُّوَى
مَتَّبِعُوا الدُّنْيَا وَمَتَّبِعْهُ النَّسَى
أَوْ عَنْ جَنَابِكَ لِلْأَمَانِي مَعْدِلُ
عَزَمًا كَمَا شَحَذَ الْحُسَامُ الصَّيْقِلُ
وَالْغَيْثُ حَيْثُ الْعَارِضُ الْمُتَهَلِّلُ

حَيْثُ الْقُصُورُ الزَّاهِرَاتُ مُنِيفَةً
 حَيْثُ الْخِيَامُ الْبَيْضُ يَرْفَعُ لِلْعَلَا
 حَيْثُ الْحِمَى لِلْعِزِّ فِي سَاحَاتِهِ
 حَيْثُ الْكِرَامُ يَنْوُبُ عَنْ نَارِ الْقِرَى
 حَيْثُ الرَّمَاحُ يَكَادُ يُورِقُ عُوْدَهَا
 حَيْثُ الْجِيَادُ أَمْلَهُنَّ بَنُو الْوَعَى
 حَيْثُ الْوُجُوهُ الْغُرُ قَنَعَهَا الْحَيَا
 حَيْثُ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ وَالْفَرُ الْأَلَى
 مِنْ شَيْعَةِ الْمَهْدِيِّ بَلْ مِنْ شَيْعَةِ النَّدَى
 بَلْ شَيْعَةِ الرَّحْمَنِ أَلْقَى حُبَّهُمْ
 شَانُوا عَلَى التَّقْوَى مَبَانِي عِزِّهِمْ
 قَوْمُ أَبُو حَقْفَصٍ (5) أَبْ لَهُمْ وَمَا
 نَسَبُ كَمَا اطَّرَدَتْ أَنْابِيبُ الْقَنَا (7)
 سَامَ عَلَى هَامِ الزَّمَانِ كَأَنَّهُ
 فَضَلَ الْأَنَامَ حَدِيثَهُمْ وَقَدِيمَهُمْ
 وَبَنَوْا عَلَى قُلُلِ النُّجُومِ وَوُطِدُوا

تُعْنَى بِهَا زُهْرُ النُّجُومِ وَتَحْفَلُ
 وَالْمَكْرُمَاتِ طِرَافُهَا الْمُتَهَدِّلُ (1)
 ظِلُّ أَقَاعَتِهِ الْوَشِيحُ الذَّبِيلُ (2)
 عَرَفُ الْكِبَاءِ بِحِيَّتِهِمُ وَالْمَنْدَلُ (3)
 مِمَّا تُعَلُّ مِنَ الدِّمَاءِ وَتَنْهَلُ
 مِمَّا أَطَالُوا فِي الْمَغَارِ وَأَوَّغَلُوا
 وَالْبِشْرُ فِي صَفَحَاتِهَا يَتَهَلَّلُ
 عَزَّ الْجَوَارُ لَدَيْهِمْ وَالْمَنْزِلُ
 وَحِيدٍ (4) جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ يُفْصَلُ
 فِي خَلْقِهِ فَسَمَوْا بِذَاكَ وَفَضَّلُوا
 لِلَّهِ مَا شَانُوا بِذَاكَ وَأَتَّلُوا
 أُنْذَرَكَ! وَالْفَارُوقُ (6) جَدُّ أَوَّلُ
 وَأَتَى عَلَى تَقْوِيمِهِنَّ مُعَدِّلُ
 لِلْفَخْرِ تَاجُ الْبُلْدُورِ مُكَلَّلُ
 وَلَأَنْتَ إِنْ فَضَّلُوا أَعَزُّ وَأَفْضَلُ
 وَبِنَاؤُكَ الْعَالِي أَشَدُّ وَأَطْوَلُ

(1) الطَّرَافُ مِنَ الْخَبَاءِ: نَوَاحِيهِ.

(2) الْوَشِيحُ: أَصْلَبُ الْقَنَا وَالذَّبِيلُ، جَمْعُ ذَابِلٍ، وَهُوَ الْقَنَا الدَّقِيقُ الْقَصِيرُ.

(3) الْكِبَاءُ: الْمَتَبَخَّرُ بِهِ كَالْمَنْدَلِ.

(4) يَرِيدُ مَهْدِي الْمُوَحِّدِينَ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ تَوَمَرْتٍ، مُؤَسِّسُ الدَّوْلَةِ الْمُوَحِّدِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ.

(5) عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّنَهَاجِيُّ مِنْ أَوَائِلِ أَصْحَابِ ابْنِ تَوَمَرْتِ الْمَهْدِيِّ مَنْشَأُ الدَّوْلَةِ الْمُوَحِّدِيَّةِ وَكَانَ وَزِيرًا لِعَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ وَلِإِلَيْهِ تَنَسَّبَ الدَّوْلَةُ الْحَقْفَصِيَّةُ.

(6) عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ.

(7) أَنْبُوبُ الْقَنَا: كَعْبُ الرَّمَحِ.

* * *

وَلَقَدْ أَقُولُ لِخَانِضِ بَحْرِ الْفَلَا
مَاضٍ عَلَى غَوْلِ الدُّجَى لَا يَتَّقِي
مُتَقَلِّبٍ فَوْقَ الرَّحَالِ كَأَنَّهُ
يَبْغِي مَنَالَ الْفَوْزِ مِنْ طُرُقِ الْغِنَى
أَرْحِ الرُّكَّابَ فَقَدْ ظَفَرَتْ بِوَاهِبٍ
لِلَّهِ مِنْ خَلْقٍ كَرِيمٍ فِي النَّدى
هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِمَامُنَا
هَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ خَيْرُ خَلِيفَةِ
مُسْتَنْصِرٍ بِاللَّهِ فِي قَهْرِ الْعَدَى
سَبَقَ الْمُلُوكَ إِلَى الْعَلَا مُتَمَهِّلًا
فَلَأَنْتَ أَعْلَى الْمَالِكِينَ وَلَنْ غَدَا
قَابِسُ قَدِيمَا مِنْكُمْ بِقَدِيمِهِمْ
دَانُوا لِقَوْمِكُمْ بِأَقْوَمِ طَاعَةٍ
سَائِلُ تَلِمَسَانَا بِهَا وَزَنَانَةٌ
وَأَسْأَلُ بِأَنْدَلُسٍ مَدَائِنَ مَلِكِهَا
وَأَسْأَلُ بِذَا مَرَاكُشَا وَقُصُورَهَا

وَاللَّيْلُ مُزِيدُ الْجَوَانِبِ أَلِيلُ
تِيهَا وَذَابِلُهُ ذُبَالُ مُشْعَلُ⁽⁸⁾
طَيْفُ بِأَطْرَافِ الْمِهَادِ مُوَكَّلُ
وَيُرُودُ مُخْصِبِهَا الَّذِي لَا يُحِلُّ
يُعْطِي عَطَاءَ الْمُتَعَمِّينَ فَيُجْزِلُ
كَالرُّوضِ حَيَّاهُ نَدْيُ مُخْضِلُ
فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا إِلَيْهِ الْمُوْتِلُ
شَهِدَتْ لَهُ الشَّيْمُ الَّتِي لَا تُجْهَلُ
وَعَلَى إِعَانَةِ رَبِّهِ مُتَوَكِّلُ
لِلَّهِ مِنْكَ السَّابِقُ الْمُتَمَهِّلُ
يَتَسَابَقُونَ إِلَى الْعَلَا وَأَكْمَلُ
فَالْأَمْرُ فِيهِ وَاضِحٌ لَا يُجْهَلُ
هِيَ عُرْوَةُ الدِّينِ الَّتِي لَا تُفْصَلُ
وَمَرِينَ قَبْلَهُمْ كَمَا قَدْ يُنْقَلُ
تُخْرِكَ حِينَ اسْتَيْسَأُوا وَاسْتَوْهَلُوا
وَلَقَدْ تُجِيبُ رُسُومَهَا مَنْ يَسْأَلُ

* * *

مِلءُ الْقُلُوبِ وَفَوْقَ مَا يُتَمَكَّلُ
تَمْضِي كَمَا يَمْضِي الْقَضَاءُ الْمُرْسَلُ

يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي فِي نَعْتِهِ
لِلَّهِ مِنْكَ مُؤَيَّدُ عَزَمَاتِهِ

(8) الذبَال: الرمح الدقيق. الذَبَال: ج ذبالة الفتيلة.

جِئْتَ الزَّمَانَ بِحَيْثُ أُغْضِلَ خَطْبُهُ
وَالشَّمْلُ مِنْ أَبْنَانِهِ مُتَّصِدَعُ
وَالْخَلْقُ قَدْ صَرَفُوا إِلَيْكَ قُلُوبَهُمْ
فَعَجَلْتُهُ لَمَّا انْتَدَبْتَ لِأَمْرِهِ
ذَلَّلْتَ مِنْهُ جَامِحًا لَا يَنْتَبِي
وَأَلَنْتَ مِنْ شَرَسِ الْعَتَاةِ وَذَتْهُمْ
كَانَتْ لِمُؤَلَّةٍ صَوْلَةٌ وَلِقَوْمِهِ
وَمُهْلَهُلُ شُدِّي وَتَلَحُّمُ فِي التِّي
عَجِبَ الْأَنَامُ لِشَانِهِمْ بِأَدُونِ قَدْ
رَفَعُوا الْقِبَابَ عَلَى الْعِمَادِ وَعِنْدَهَا
فِي كُلِّ ظَامِي التُّرْبِ مُتَّقِدِ الْحَصَى
جِنٌّ شَرَابُهُمُ السَّرَابُ وَرِزْقُهُمْ
حَيٌّ حُلُولُ بِالْعِرَاءِ وَدُونَهُمْ
كَانُوا يَرُوعُونَ الْمُلُوكَ بِمَا بَدَوْا
فَبَدَوَتْ لَا تَلْوِي عَلَى دَعَا وَلَا
طَوْرًا يُصَافِحُكَ الْهَجِيرُ وَتَارَةً
وَمِذَا تَعَاطَى ضَمْرًا يَوْمَ الْوَعَى

فَافْتَرَّ عَنْهُ وَهُوَ أَكْلَحُ أُغْضِلُ⁽⁹⁾
وَحِمَى خِلَافَتِهِ مُضَاعُ مُهْمَلُ
وَرَجَوُا صَلَاحَ الْحَالِ مِنْكَ وَأَمَلُوا
بِالْبَاسِ وَالْعَزْمِ الَّذِي لَا يُمَهِّلُ
سَهَّلْتَ وَغَرًّا كَادَ لَا يَتَسَهَّلُ
عَنْ ذَلِكَ الْحَرَمِ الَّذِي قَدْ حَلَّلُوا
يَعْدُو ذُوَيْبُ بِهَا وَيَسْطُو الْمَقْعِلُ⁽¹⁰⁾
مَا أَحْكَمُوهَا بَعْدَ فَهْيَ مُهْلَهُلُ
قَذَفْتَ بِحَيْثِهِمُ الْمَطْيُ الذَّلُّ
الْجَرْدُ السَّلَاحُ وَالرِّمَاحُ الْعُسْلُ⁽¹¹⁾
تَهْوِي لِلْجُتِّهِ الظِّمَاءُ قَتْنَهُلُ
رُمَحٌ يَرُوحُ بِهِ الْكَمِيُّ وَمُنْصَلُ
قَذَفُ النَّوَى إِنْ يَظْعَنُوا أَوْ يَقْلِبُوا⁽¹²⁾
وَعَدَتْ تَرْفُهُ بِالنَّعِيمِ وَتَخْضَلُ
تَأْوِي إِلَى ظِلِّ الْقُصُورِ تَهْدُلُ
فِيهِ بِخَفَاقِ الْبُنُودِ تُظَالِلُ
كَأْسُ النُّجَيْمِ فَبِالصَّهِيهِلِ تُعَلِّلُ

(9) الكلوخ: تكثر في عبوس، وأغضل: معوج شديد ملتو.

(10) المراد بصولة صولة بن خالد بن حمزة أمير أولاد أبي الليل، وذويب: هو ابن عمه أحمد بن حمزة والمقعل فريق من العرب من أحلافهم، ومهلهل: هم بنو مهلهل بن قاسم أنظارهم.

(11) السلاح، جمع سلهب: وهو الطويل العظيم من الخيل.

رمح عاسلة: لادن مضطرب، والجمع عسل.

(12) قذف (بضمعين): بعيدة، والنوى، والنية: الوجه ينويه المسافر من قرب أو بعد، وهي مؤنثة.

مُخْشَوْنِيَا فِي الْعِزِّ مُعْتَمِلًا لَهُ
تَفَرَّى حَشَا الْبَيْدَاءِ لَا يَسْرِي بِهَا
وَتَجَرُّ أذْيَالَ الْكَتَائِبِ فَوْقَهَا
تَرْمِيهِمْ مِنْهَا بِكُلِّ مُدْجَجٍ
وَبِكُلِّ أَسْمَرَ غَصْنُهُ مُتَوَدِّدٌ
حَتَّى تَفَرَّقَ ذَلِكَ الْجَمْعُ الْأَلَى
ثُمَّ اسْتَمَلَتْهُمْ بِإِنْعُمِكَ الَّتِي
وَنَزَعْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَرِيدِ غَوَايَةَ
خَرَبْتَ مِنْ بُنْيَانِهَا مَا شِيدُوا
وَنَظَمْتَ مِنْ أُمُصَارِهِ وَتَغَوَّرِهِ
فَسَدَدْتَ مُطْلَعَ النِّفَاقِ وَأَنْتَ لَا
بِشَكِيمَةٍ مَرْهُوبَةٍ وَسِيَّاسَةٍ
عَذَبَ الزَّمَانُ لَهَا وَلَذُّ مَذَاقُهُ
فَضَوَى الْأَنَامُ لِعِزِّ أَرْوَعِ مَالِكٍ
وَتَطَابَقَتْ فِيكَ الْقُلُوبُ عَلَى الرُّضَى
يَا مَالِكًا وَسِعَ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ
فَالْأَرْضُ لَا يُخْشَى بِهَا غَوْلٌ وَلَا
وَالسُّفَرُ يَجْتَابُونَ كُلُّ تَنَوُّفَةٍ
سُبْحَانَ مَنْ بَعْلَاكَ قَدْ أَحْيَا الْمُنَى

فِي مِثْلِ هَذَا يَحْسُنُ الْمُسْتَعْمَلُ
رَكْبٌ وَلَا يَهْوِي إِلَيْهَا جَحْفَلُ
تَخْتَالُ فِي السُّمْرِ الطَّوَالِ وَتَرْفُلُ
شَاكِي السِّلَاحِ إِذَا اسْتَعَارَ الْأَعْزَلُ
وَبِكُلِّ أَيْبَضَ شَطْهُ مُتَهَدِّلُ
عَصَفَتْ بِهِمْ رِيحُ الْجِلَادِ فَزَلُّوا
خَضَعُوا لِعِزِّكَ بَعْدَهَا وَتَذَلَّلُوا
كَانَتْ بِهِمْ أَبَدًا تَجِدُ وَتَهْزِلُ
وَقَطَعْتَ مِنْ أَسْبَابِهَا مَا أُصْلُوا
لِلْمَلِكِ عِقْدًا بِالْفَتْوحِ يُفْصَلُ
تَنْبُو ظَبَاكَ وَلَا الْعَرِيمَةُ تَنْكُلُ
تَجْرِي كَمَا يَجْرِي فُرَاتٌ سَلْسَلُ
مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْهُ الْحَنْظَلُ
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ مَاجِدُ مُتَقَضِّلُ
سَيَّانَ مِنْهَا الطُّفْلُ وَالْمُتَكَهِّلُ
دَعَا وَأَمَّنَا فَوْقَ مَا قَدْ أَمَّلُوا
يَعْنُو بِسَاحَتِهَا الْهَزْبَرُ الْمَشْبِلُ
سَرِبَ الْقَطَا مَا رَاعَهُنَّ الْأَجْدَلُ⁽¹³⁾
وَأَعَادَ حَلِي الْجِيدِ وَهُوَ مُعْطَلُ

(13) التتوفة: القفر من الأرض لا ماء فيه. الأجدل: الصقر.

سُبْحَانَ مَنْ بِهِدَاكَ أَوْضَحَ لِلْوَرَى
فَكَأَنَّمَا الدُّنْيَا عُرُوسٌ تُجْتَلَى
وَكَأَنَّ مُطَبَّقَةَ الْبِلَادِ بِعَدْلِهِ
وَكَأَنَّ أَنْوَارَ الْكَوَكِبِ ضَوْعِفَتْ
وَكَأَنَّمَا رُفِعَ الْحِجَابُ لِلنَّظَرِ

وَمِنْهَا فِي الْعُذْرِ عَنْ مَدَحِهِ :

مَوْلَايَ غَاضَتْ فِكْرَتِي وَتَبَلَّدَتْ
تَسْمُو إِلَى دَرْكِ الْحَقَائِقِ هِمَّتِي
وَأَجِدُ لَيْلِي فِي امْتِرَاءٍ قَرِيبَتِي
فَأَبَيْتُ يَغْتَلِجُ الْكَلَامُ بِخَاطِرِي
مِنْ بَعْدِ حَوْلٍ أَتَّقِيهِ وَلَمْ يَكُنْ
فَأَصُونُهُ عَنْ أَهْلِهِ مُتَوَارِبًا
وَهِيَ الْبِضَاعَةُ فِي الْقَبُولِ نَفَاقَهَا
وَبَنَاتُ فِكْرِي إِنْ أَتَتْكَ كَلِيلَةٌ
فَلَهَا الْفَخَارُ إِذَا مَنَحَتْ قَبُولَهَا

قَصْدَ السَّبِيلِ فَأَبْصَرَ الْمُتَأَمِّلُ
فَتَمَيَّسُ فِي حُلِّ الْجَمَالِ وَتَرْفُلُ
عَادَتْ فَسِيحًا لَيْسَ فِيهِ مَجْهَلُ
مِنْ نُورِ غُرَّتِهِ الَّتِي هِيَ أَجْمَلُ
فَرَأَى الْحَقِيقَةَ فِي الَّذِي يَتَخَيَّلُ

مِنِّي الطَّبَاعُ فَكُلُّ شَيْءٍ مُشْكِلُ
فَأُصَدُّ عَنْ إِدْرَاكِهِنَّ وَأُعْزَلُ
وَتَعُودُ غَوْرًا بَيْنَمَا تَسْتَرْسِلُ⁽¹⁴⁾
وَالنَّظْمُ يَشْرُدُ وَالْقَوَافِي تُجْفِلُ
فِي الشَّعْرِ حَوْلِي يُعَابُ وَيَهْمَلُ
أَنْ لَا يَضُمَّهُمْ وَشِعْرِي مَحْفَلُ
سَيَّانَ فِيهَا الْفَحْلُ وَالْمُتَطَفِّلُ
مَرَهَاءَ تَخْطُرُ فِي الْقُصُورِ وَتَخْطُلُ⁽¹⁵⁾
وَأَنَا عَلَى ذَاكَ الْبَلِيغِ الْمِقْوَلِ

(14) امتراء القرية: استدرارها. يشير إلى ما عرف عن زهير بن أبي سلمى الشاعر، من أنه عمل سبع قصائد في سبع سنين، فكانت تسمى حوليات زهير، لأنه كان يحرك القصيدة في سنة.

(15) مرهاء: غير مكحلة العينين.

ومنها في ذكر الكتاب المؤلف لخزانتته وهو كتاب "العبر" :

وَأَمَّا نِكَ مِنْ سِيرِ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
صَحُفًا تَتَرَجَّمُ عَنْ أَحَادِيثِ الْأَلَى
تُبْدِي التَّبَاعِ وَالْعَمَالِقُ سِرَهَا
وَالْقَائِمُونَ بِمِلَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ
لَخَصْنَتْ كُتُبَ الْأَوَّلِينَ لِجَمْعِهَا
وَأَلَنْتُ حُوشِي الْكَلَامِ كَأَنَّمَا
أَهْدَيْتُ مِنْهُ إِلَى عُلَاكَ جَوَاهِرًا
وَجَعَلْتُهُ لِصِوَانِ مُلْكِكَ مَفْخَرًا
وَاللَّهُ مَا أَسْرَفْتَ فِيمَا قَلْتَهُ
وَلَأَنْتَ أَرْسَخُ فِي الْمَعَارِفِ رُتْبَةً
فَمَلَاكَ كُلُّ فَضِيلَةٍ وَحَقِيقَةٍ
وَالْحَقُّ عِنْدَكَ فِي الْأُمُورِ مُقَدَّمٌ
وَاللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا
أَبْقَاكَ رَبُّكَ لِلْعِبَادِ تَرْبُهُمْ

عِبْرًا يَدِينُ بِفَضْلِهَا مَنْ يَعْدِلُ
غَبَرُوا فَتَجَمَّلَ عَنْهُمْ وَتَقَصَّلُ
وَتُمُودُ قَبْلَهُمْ وَعَادُ الْأَوَّلِ
مُضَرٌّ وَبَرَبْرَهُمْ إِذَا مَا حُصِّلُوا
وَأَتَيْتُ أَوَّلَهَا بِمَا قَدْ أَغْفَلُوا
شُرْدُ اللَّغَاتِ بِهَا لِنُطْقِي ذَلِكَ
مَكْنُونَةً وَكَوَاجِبًا لَا تَأْفُلُ
يَبْأَى النَّدَى بِهِ وَيَزْهُو الْمُحْفَلُ⁽¹⁶⁾
شَيْنًا وَلَا الْإِسْرَافُ مِمَّا يَجْمَلُ
مِنْ أَنْ يُمَوَّهَ عَنْدَهُ مُتَطَفِّلُ
بِيَدَيْكَ تَعْرِفُ وَضْعَهَا إِنْ بَدَّلُوا
أَبْدًا فَمَاذَا يَدْعِيهِ الْمُبْطِلُ
فَاحْكُمْ بِمَا تَرْضَى فَأَنْتَ الْأَعْدَلُ
فَاللَّهُ يَخْلُقُهُمْ وَرَعِيكَ يَكْفُلُ

المصدر: التعريف: ص 233 - 240 والإحاطة: (انظر مؤلفات ابن

خلدون: ص 315).

(16) يَبْأَى: بفخر.

8 - لَا تَضْعِنِي

قصيدة أنشدها بمصر للأمير الجواني الطنبغا بركة بن عبد الله زين الدين، كان يحب العلماء، وله مآثر خيرية بمكة والحرم. قتل سنة 872 هـ.

(الخفيف)

سَيِّدِي وَالظُّنُونُ فِيكَ جَمِيلَه
لَا تَحُلْ عَنْ جَمِيلِ رَأْيِكَ إِنِّي
وَاصْطَلَنْعَنِي كَمَا اصْطَلَعْتُ بِإِسْدَا
لَا تَضْعِنِي فَلَسْتُ مِنْكَ مُضِيْعَا
وَأَجْرِنِي فَالْخَطْبُ عَضٌّ بِنَائِيْ
وَلَوْ أَنِّي دَعَا بِنَصْرِي دَاعٍ
أَنَّهُ أَمْرِي إِلَى الَّذِي جَعَلَ اللَّهَ
وَأَرَاهُ فِي مَلِكِهِ الْآيَةَ الْكُبْرَى
أَشْهَدْتُهُ عِنَايَةَ اللَّهِ فِي التَّمَدُّدِ
الْعَزِيزُ السُّلْطَانُ وَالْمَلِكُ الظَّالِمُ
وَمُجِيرُ الْإِسْلَامِ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ
وَمُدْبِرُ الْعَدُوِّ بِالطَّعْنَةِ النَّجَلِ
وَشَكُورٌ لَأَنْعَمَ اللَّهُ يُفْنِي
وَتَلَطَّفُ فِي وَصْفِ حَالِي وَشَكْوَى

وَأَيَادِيكَ بِالْأَمَانِي كَفِيلَه
مَالِي الْيَوْمَ غَيْرُ رَأْيِكَ حِيلَه
يَدٍ مِنْ شَفَاعَةٍ أَوْ وَسِيلَه
نِزْمَةُ الْحُبِّ، وَالْأَيَادِي الْجَمِيلَه
وَأَجْبِرِي إِلَى حِمَايَ خِيَوْلَه
كُنْتُ لِي خَيْرَ مَعَشَرٍ وَقَصِيلَه
لَهُ أُمُورُ الدُّنْيَا لَهُ مَكْفُولَه
رَى قَوْلَاهُ ثُمَّ كَانَ مُدِيلَه
حِصْرٍ أَنْ كَانَ عَوْنُهُ وَمُنِيلَه
هُرُ فُخْرُ الدُّنْيَا وَعِزُّ الْقَبِيلَه
كَادَ زَلْزَالَ بِأَسِيهِ أَنْ يُزِيلَه
تُفْرِي مَاذِيْهُ وَنُصُولَه⁽¹⁾
فِي رِضَاهُ غُدُوهُ وَأَصِيلَه
خَلَّتِي يَا صَفِيَّه وَخَلِيلَه⁽²⁾

(1) الطعنة النجلاء: الواسعة العريضة. تفري: تشق. الماذي (بالمعجمة): كل سلاح من حديد.

النصول جمع نصل، وهو حديدة السهم.

(2) الخلّة: (بالفتح): الحاجة، والفقر.

قُلْ لَهُ وَالْقَالَ يَكْرُمُ مِنْ مِثْ
يَا خَوْنَدَ الْمُلُوكِ يَا مُعَدَّلَ الدِّ
لَا تَقْصُرْ فِي جَبْرِ كَسْرِي فَمَا زِلْتُ
أَنَا جَارُ لَكُمْ مَنَعْتُمْ حِمَاهُ
وَعَرِيبُ أَنْتُمْوهُ عَلَى الْوَحْ—
وَجَمَعْتُمْ مِنْ شَمْلِهِ فَقَضَى اللَّهُ—
غَالَهُ الدَّهْرُ فِي الْبَيْنِ وَفِي الْأَهْ—
وَرَمَنَهُ النَّوَى فَقِيدًا قَدْ اجْتَا
فَجَذَبْتُمْ بِضَبْعِهِ وَأَنْلَقْتُمْ
وَرَفَعْتُمْ مِنْ قَدْرِهِ قَبْلَ أَنْ يَشْ—
وَفَرَضْتُمْ لَهُ حَقِيقَةً وَدَّ
هِمَّةً مَا عَرَفْتَهَا لِسِوَاكُمْ
وَالْعِدَى نَمُقُوا أَحَادِيثَ إِفْكَ
رُوجُّوا فِي شَأْنِي غَرَائِبَ زُودِ
وَرَمَوْا بِالَّذِي أَرَادُوا مِنَ الْبُهْ—
زَعَمُوا أَنْنِي أَتَيْتُ مِنَ الْأَقْوَا
كَيْفَ لِي أَغْمُطُ الْحَقُّوقَ وَأَتَى
كَيْفَ لِي أَنْكُرُ الْأَيَادِي الَّتِي تَعْرِ
إِنْ يَكُنْ ذَا فَقَدْ بَرِئْتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَخُنْتُ جَهْرًا رَسُولَهُ

لِكَ فِي مَحْفَلِ الْعُلَا أَنْ يَقُولَهُ
هَرِ إِذَا عَدَّلَ الزَّمَانُ فُصُولَهُ
أَرْجِيكَ لِلْأَيَادِي الطَّوِيلَةِ
وَنَهَجْتُمْ إِلَى الْمَعَالِي سَبِيلَهُ
شَةَ وَالْحُزْنَ بِالرُّضَى وَالسُّهُولَهُ
هُ فِرَاقًا وَمَا قَضَى مَأْمُولَهُ
لِ وَمَا كَانَ ظَنُّهُ أَنْ يَقُولَهُ
حَتَّ عَلَيْهِ فُرُوعَهُ وَأُصُولَهُ
كُلَّ مَا شَاءَتِ الْعُلَا أَنْ تُنْبِئَهُ (3)
كُو إِلَيْكُمْ عِيَاءَهُ وَخُمُولَهُ
حَاشَ لِلَّهِ أَنْ تُرَى مُسْتَحِيلَهُ
وَأَنَا مَنْ خَبَرْتُ دَهْرِي وَجِيلَهُ
كُلُّهَا فِي طَرَائِقَ مَعْلُولَهُ
نَصَبُوهَا لِأَمْرِهِمْ أُحْبُولَهُ
تَنَانِ ظَنًّا بِأَنَّهَا مَقْبُولَهُ
لِ مَا لَا يُظُنُّ بِي أَنْ أَقُولَهُ
شُكْرُ نَعْمَاكُمْ عَلَيَّ الْجَزِيلَهُ؟
فُهَا الشَّمْسُ وَالظَّلَالُ الظَّلِيلَهُ؟
إِنْ يَكُنْ ذَا فَقَدْ بَرِئْتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَخُنْتُ جَهْرًا رَسُولَهُ

طَوَّقُونَا أَمَرَ الْكِتَابِ فَكَانَتْ لِقِدَاحِ الظُّنُونِ فِينَا مُجِيلَهُ
لَا. وَرَبُّ الْكِتَابِ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِ مَنْ وَعَى تَنْزِيلَهُ
مَا رَضِينَا بِذَلِكَ فِعْلًا وَلَا جُنْهًا طَوْعًا وَلَا اقْتَفَيْنَا دَلِيلَهُ
إِنَّمَا سَامَنَّا الْكِتَابَ ظُلُومٌ لَا يُرْجَى دِفَاعُهُ بِالْحِيلِ
سَخَطٌ نَاجِزٌ وَحِلْمٌ بَطِيءٌ وَسِلَاحٌ لِلْوَخْزِ فِينَا صَقِيلَهُ
وَدَعُونِي وَلَسْتُ مِنْ مَنَصِبِ الْحُكْمِ وَلَا سَاحِبًا لَدَيْهِمْ ذُيُولَهُ
غَيْرَ أَنِّي وَشَى بِذِكْرِي وَأَشْرَ فَكَتَبْنَا مُعَوَّلِينَ عَلَى حِلْمِ
مَا أَشْرَنَّا بِهِ لِزَيْدٍ وَلَا عَمٍّ إِنَّمَا يَذْكُرُونَ عَمَّنْ وَفِيمَنْ
وَيَظُنُّونَ أَنَّ ذَاكَ عَلَى مَا وَهُوَ ظَنٌّ عَنِ الصَّوَابِ بَعِيدُ
وَجَنَابُ السُّلْطَانِ نَزْهَةُ اللَّهِ وَأَجَلُ الْمُلُوكِ قَدَرٌ صَفُوحُ
فَاقْبَلُوا الْعُذْرَ إِنَّا الْيَوْمَ نَرْجُو وَأَعِينُوا عَلَى الزَّمَانِ غَرِيبًا
جَارَكُمْ ضَيْفُكُمْ نَزِيلُ حِمَاكُمْ جَادُوا عِنْدَهُ رُسُومَ رِضَاكُمْ
جَدُّوا عِنْدَهُ رُسُومَ رِضَاكُمْ دَارِكُوهُ بِرَحْمَةٍ فَلَقَدْ أَمَرَ

لِقِدَاحِ الظُّنُونِ فِينَا مُجِيلَهُ
لَا يُرْجَى دِفَاعُهُ بِالْحِيلِ
وَسِلَاحٌ لِلْوَخْزِ فِينَا صَقِيلَهُ
وَدَعُونِي وَلَسْتُ مِنْ مَنَصِبِ الْحُكْمِ وَلَا سَاحِبًا لَدَيْهِمْ ذُيُولَهُ
يَتَقَصَّى أَوْتَارَهُ وَذُحُولَهُ (4)
مِكَ تَمْحُو الإِصَارَ عَنَّا الثَّقِيلَهُ
رُو وَلَا عَيْنُوا لَنَا تَقْصِيلَهُ
مُبْهَمَاتٍ أَحْكَامُهَا مَنَقُولَهُ
أَضْمَرُوا مِنْ شَتَاةٍ أَوْ رَذِيلَهُ
وَضَلَامٌ لَمْ يُحْسِنُوا تَأْوِيلَهُ
هُ عَنِ الْعَابِ بِالْهُدَى وَالْفَضِيلَهُ (5)
يَرْتَجِي ذَنْبَ دَهْرِهِ لِبُغْيَلِهِ
بِحَيَاةِ السُّلْطَانِ مِنْكُمْ قَبُولَهُ
يَشْتَكِي جَدَبَ عَيْشِهِ وَمُحُولَهُ
لَا يُضِيعُ الْكَرِيمُ يَوْمًا نَزِيلَهُ
فَرُسُومُ الْكَرَامِ غَيْرُ مُحِيلِهِ
سَتَ عَقُودُ اصْطِبَارِهِ مَحْلُولَهُ

(4) المذحولة: ج نحل: العداوة، والوقر: العداوة أيضا.

(5) العاب: العيب.

وَأَحْلَوْهُ جَبْرًا فَلَيْسَ يُرْجَى
يَا حَمِيدَ الْأَثَارِ فِي الدَّهْرِ يَا
كَيْفَ بِالْخَانِقَاهُ يَنْقُلُ عَنِّي
بَلْ تَقْلُدْتُهَا شُغُورًا يَمْرُسُو
وَلَقَدْ كُنْتُ أَمِلًا لِسِوَاهَا
وَتَوَقَّعْتُ لِلزَّمَانِ عَلَيْهَا
أَبْلَغُنْ قِصَّتِي فَمِمَّا لَكَ مَنْ يَقْدُ
وَاعْتَمُوا مِنْ مَثُوبَتِي وَدُعَائِي
وَاصْحَبِ الْعِزَّ ظَافِرًا بِالْأَمَانِي
وَاعْتَمِلْ فِي سَعَادَةِ الْمَلِكِ الظَّأِ
وَتَعِيدِ الدُّنْيَا لِأَحْسَنِ شَمَلٍ
وَاطْلُبِ النَّصْرَ مِنْ سَعَادَتِهِ يَصْنُ
وَارْتَقِبْ مَا يُحِلُّهُ بِالْأَعَادِي
وَحُذُوهُ فَإِلَّا بِحُسْنِ قَبُولٍ
فَلَقَدْ كَانَ يَحْسُنُ الْقَالَ عِنْدَ الْمُصَدِّ

غَيْرَ إِحْسَانِكُمْ لِهَذِي النَّحِيلَةِ
الطَّنْبُغَا يَا رَوْضَ الْعُلَا وَمَقِيلَهُ
لَا لِدُذِّبٍ أَوْ جُنْحَةٍ مَقُولَهُ
مُ شَرِيفٍ وَخَلْعَةٍ مَسْدُولَهُ
وَسِوَاهَا بِوَعْدِهِ أَنْ يُنِيلَهُ
بِعُقُودٍ مَا خَلَّتْهَا مَحْلُولَهُ
صِدِّ فِعْلُ الْحُسْنَى بِمَنْ يَنْتَمِي لَهُ
قُرْبَىةٌ عِنْدَ رَبِّكُمْ مَقْبُولَهُ
وَأَثَرُكَ الْعُصْبَةِ الْعِدَى مَقُولَهُ
هَرِ أَنْ تَمْحُو الْأَذَى وَتَزِيلَهُ
حِينَ تَضْحِي بِسَعْدِهِ مَشْمُولَهُ
حَبَّكَ دَابًّا فِي الظُّعْنِ وَالْحَيْلُولَهُ
فِي جُمَادَى أَوْ زِدْ عَلَيْهِ قَلِيلَهُ
صَدَقَ اللَّهُ فِي الزَّمَانِ مَقُولَهُ
طَفَى دَائِمًا وَيَرْضَى جَمِيلَهُ

المصدر: التعريف: ص 331 - 335.

قصيدة مولدية أنشدتها لسلطان غرناطة محمد الخامس:

(الطويل)

أَبَى الطَّيْفُ أَنْ يَعْتَادَ إِلَّا تَوْهُمًا قَمَنْ لِي بِأَنْ أَلْقَى الْخَيَالَ الْمُسْلَمًا
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَهْدِيهِ لَوْ كَانَ نَافِعِي وَأَسْتَمْطِرُ الْأَجْفَانَ لَوْ تَنَقَّعُ الظُّمًا
وَلَكِنْ خَيَالٌ كَاذِبٌ وَطَمَاعَةٌ تُعَلِّلُ قَلْبًا بِالْأَمَانِي مُتِيَمًا
أَيَا صَاحِبِي نَجَوَايَ وَالْحُبُّ لَوَعَةٌ تُبِيحُ بِشَكْوَاهَا الضَّمِيرَ الْمُكْتَمًا
خُذَا لِفُؤَادِي الْعَهْدَ مِنْ نَفْسِ الصَّبَا وَطَبِّي النَّقَا وَالْبَانَ مِنْ أَجْرَعِ الْحَمَى⁽¹⁾
أَلَا صَنَعَ الشُّوقُ الَّذِي هُوَ صَانِعُ فَحُبِّي مُقِيمٌ أَقْصَرَ الشُّوقُ أَوْ سَمًا
وَأَنِّي لَيَدْعُونِي السَّلْوُ تَعْلُلًا وَتَنَهَانِي الْأَشْجَانُ أَنْ أُنْقَدَمَا
لِمَنْ دِمْنٌ أَقْفَرُنْ إِلَّا هَوَاتِفًا⁽²⁾ تُرَدِّدُ فِي أَطْلَالِهِنَّ التَّرْتُمَا
عَرَفْتُ بِهَاسِيمَا الْهَوَى وَتَنَكَّرْتُ فَعُجْتُ عَلَى آيَاتِهَا مُتَوَسِّمًا
وَذُو الشُّوقِ يَعْتَادُ الرُّبُوعَ دَوَارِسًا وَيَعْرِفُ أَثَارَ الدِّيَارِ تَوْهُمًا
تَأْوِينِي وَاللَّيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَمِيْضُ بِأَطْرَافِ الثَّنَايَا تَضَرُّمًا
أَجْدُ لِي الْعَهْدَ الْقَدِيمَ كَأَنَّهُ أَشَارَ بِتَذْكَارِ الْعُهُودِ فَافْهَمًا
عَجِبْتُ لِمُرْتَاعِ الْجَوَانِحِ خَافِقِ بَكَيْتُ لَهُ خَلْفَ الدُّجَى وَتَبَسَّمًا
وَبِتُّ أُرْوِيهِ كُؤُوسَ مَدَامِعِي وَيَاتَ يُعَاطِينِي الْحَدِيثَ عَنِ الْحِمَى
وَصَافَحْتُهُ عَنْ رَسْمِ دَارِ بَيْدِي الْغُضَى⁽³⁾ لَبِسْتُ بِهَا ثَوْبَ الشَّيْبَةِ مُعْلَمًا

(1) النقا: الكتيب من الرمل.

الأجرع: الأرض الرملة السهلة المستوية .

(2) الهواتف: يعنى الحامم .

(3) الغضى: شجر صلب الخشب .

لَعَهْدِي بِهَا تُدْنِي الطَّبَاءُ أَوَانِسًا وَتُطْلِعُ فِي أَفَاقِهَا الْغَيْدَ أَنْجُمًا
أَحِنُّ إِلَيْهَا حَيْثُ سَارَ بِي الْهَوَى وَأَنْجَدَ رَحْلِي فِي الْبِلَادِ وَأَتَهَمًا⁽⁴⁾

المصدر: التعريف: ص 89 - 90.

12 - مولدية ثانية

قصيدة مولدية أنشدتها لسلطان غرناطة محمد الخامس أبا عبد الله بن
الحجاج لأول قدومه ليلة الميلاد عام 764:

(البسيط)

حَيَّ الْمَعَاهِدَ كَانَتْ قَبْلُ تَحْيِينِي بِوَكَافِ الدَّمْعِ يَرْوِيهَا وَيُظْمِينِي
إِنَّ الْأَلَى نَزَحَتْ دَارِي وَدَارَهُمْ تَحَمَّلُوا الْقَلْبَ فِي أَثَارِهِمْ نُونِي
وَقَفْتُ أَنْشُدَ صَبْرًا ضَاعَ بَعْدَهُمْ فِيهِمْ وَأَسْأَلُ رَسْمًا لَا يُنَاجِينِي
أُمِّلُ الرَّبْعَ مِنْ شَوْقٍ فَالْتَمُهُ وَكَيْفَ وَالْفِكْرُ يَدْنِيهِ وَيَقْصِينِي
وَيَنْهَبُ الْوَجْدُ مِنِّي كُلَّ لَوْلَاةٍ مَا زَالَ قَلْبِي عَلَيْهَا غَيْرَ مَأْمُونٍ
سَقَتْ جَفُونِي مَغَانِي الرَّبْعِ بَعْدَهُمْ فَالْدَمْعُ وَقَفَ عَلَى أَطْلَالِهِ الْجُونِ⁽¹⁾
قَدْ كَانَ لِلْقَلْبِ عَنْ دَاعِي الْهَوَى شَغْلٌ لَوْ أَنَّ قَلْبِي إِلَى السُّلُوفَانِ يَدْعُونِي
أَحْبَابَنَا هَلْ لِعَهْدِ الْوَصْلِ مُدْكِرٌ مِنْكُمْ وَهَلْ نَسْمَةُ عَنْكُمْ تَحْيِينِي
مَالِي وَلِلطَّيْفِ لَا يَعْتَادُ زَائِرُهُ وَلِلنَّسِيمِ عَلِيلاً لَا يَدَاوِينِي
يَا أَهْلَ نَجْدٍ وَمَا نَجْدٌ وَسَاكِنُهَا حُسْنًا سِوَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَالْعَيْنِ⁽²⁾
أَعِدْكُمْ أَتْنِي مَا مَرَّ ذِكْرُكُمْ إِلَّا انْتَنَيْتُ كَأَنَّ الرَّاحَ تَسْتِينِي

(4) أنهم وأنجد: دخل تهامة ونجد

(1) الجون: السود.

(2) العين: ج عينا: الواسعة العين من النساء.

أَصْبُو إِلَى الْبَرْقِ مِنْ أَنْحَاءِ أَرْضِكُمْ شَوْقًا وَلَوْلَاكُمْ مَا كَانَ يُصْبِيَنِي
يَا نَارِحًا وَالْمَتَى تَذْنِيهِ مِنْ خَلْدِي حَتَّى لَأَحْسِبُهُ قُرْبًا يُنَاجِيَنِي
أَسْلَى هَوَاكَ فَوَادِي عَنْ سِوَاكَ وَمَا سِوَاكَ يَوْمًا بِحَالٍ عَنْكَ يُسْلِيَنِي
تَرَى اللَّيَالِي أُنْسَكَ ادْكَارِي يَا مَنْ لَمْ تَكُنْ ذِكْرُهُ الْيَامُ تُنْسِيَنِي
وَمِنْهَا:

أَبْعَدَ مَرَّ الثَّلَاثِينَ الَّتِي ذَهَبَتْ أُولِي الشَّبَابِ بِإِحْسَانِي وَتَحْسِينِي
أَضَعْتُ فِيهَا نَفْسًا مَا وَرَدَتْ بِهِ إِلَّا سَرَابَ غُرُورٍ لَا يَرُودُنِي
وَاحْسَنَرْتِي مِنْ أَمَانٍ كُلَّهَا خُدْعُ تَرِيشُ غَيِّي وَمَرُّ الدَّهْرِ يَبْرِينِي

ومنها فى وصف الإيوان الذى بناه لجلوسه بين قصوره والمصنع يعنى القصر:

يَا مَصْنَعًا شِيدَتْ مِنْهُ السَّعُودُ حِمَى لَا يَطْرُقُ الدَّهْرُ مَبْنَاهُ بِتَوْهِينِ
صَرَخَ يَحَارُ لَدَيْهِ الطَّرْفُ مَفْتَتِنًا فِيمَا يَرُوقُكَ مِنْ شَكْلِ وَتَلْوِينِ
بُعْدًا لِيَاوَانٍ كِسْرَى إِنَّ مَشُورَكَ (3) السدَامِي لَأَعْظَمُ مِنْ تِلْكَ الْأَوَاوِينِ
وَدَعُ دِمَشْقَ وَمَغْنَاهَا فَقَصْرُكَ ذَا أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَبْوَابِ جَبْرُونِ (4)

ومنها فى التعريض بالوزير عمر بن عبد الله وما عامله به من الوحشة:

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الصُّحْبَ الْأَلَى تَرَكَوْا وَدِّي وَضَاعَ حِمَاهُمْ إِذْ أَضَاعُونِي
أَنْتِي أَوَيْتُ مِنْ الْعَلْيَا إِلَى حَرَمٍ كَادَتْ مَغَانِيهِ بِالْبُشْرَى تُحْيِيَنِي

(3) هو المكان الذى يجلس فيه السلطان للحكم.

(4) هو الإيوان الذى كان بعدائن كسرى. والبحتري فيه القصيدة السينية المشهورة.

المشور فى الاصطلاح المغربى والأندلسى: المكان الذى يجلس فيه السلطان فمن دونه من الحكام للحكم. ولا تزال الكلمة مستعملة فى هذا المعنى بالمغرب. وجبرون: موضع من منتزهات دمشق أكثر الشعراء من ذكره.

وَأَنْتَنِي ظَاعِنًا لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمْ دَهْرًا أَشَاكِي وَلَا خَصْمًا يُشَاكِينِي
لَا كَالَّتِي أَخْفَرْتُ عَهْدِي لِيَالِي إِذْ أَقْلَبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْهُونِ

* * *

سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِلْيَأْمِي الَّتِي ظَفَرْتُ يَدَايَ مِنْهَا بِحِطٍّ غَيْرِ مَقْبُونِ
أُرْتَادُ مِنْهَا مَلِيًّا لَا يُمَاطِلُنِي وَعَدًّا وَأَرْجُو كَرِيمًا لَا يُعْنِينِي
وَمِنْهَا:

وَهَاكَ مِنْهَا قَوَافٍ طِيَهَاكُمْ مِثْلَ الْأَزَاهِرِ فِي طَيِّ الرِّيَاحِينَ
تَلُوحُ إِنْ جُلِيتْ دُرًّا وَإِنْ تَلَيْتْ تَنْتَنِي عَلَيْكَ بِأَنْفَاسِ الْبَسَاتِينِ
عَانَيْتُ مِنْهَا بِجَهْدِي كُلِّ شَارِدَةٍ لَوْلَا سُعُودُكَ مَا كَادَتْ تُؤَاتِنِينِي
يُمَانِعُ الْفِكْرَ عَنْهَا مَا تَقَسَّمَهُ مِنْ كُلِّ حُزْنٍ بِطَيِّ الصَّدْرِ مَكْنُونِ
لَكِنْ بِسَعْدِكَ ذَلَّتْ لِي شَوَارِدُهَا فَرَضْتُ مِنْهَا بِتَحْيِيرِ وَتَزْيِينِ
بُقِيَتْ دَهْرَكَ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَةٍ وَدَامَ مَلِكُكَ فِي نَصْرِ وَتَمَكِينِ

المصدر: التعريف: ص 85-88 والإحاطة: انظر مؤلفات ابن خلدون ص

317-315.

نصرت نريّة

1 - في أن الملك والدولة العامة

إنما يحصلان بالقبيل والعصبية

وذلك أنّا قرّرنا في الفصل الأوّل أنّ المغالبة والممانعة إنّما تكون بالعصبية لما فيها من النّعة والتّذار واستماتة كلّ واحد منهم دون صاحبه. ثمّ إنّ الملك منصب شريف ملنوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيويّة والشّهوات البدنيّة والملاذّ النّفسانيّة فيقع فيه التّنافس غالبا وقلّ أن يسلمه أحد لصاحبه إلّا إذا غلب عليه، فتقع المنازعة وتفضي إلى الحرب والقتال والمغالبة وشيء منها لا يقع إلّا بالعصبية كما ذكرناه آنفا وهذا الأمر بعيد عن أفهام الجمهور بالجملة ومتناسون له لأنهم نسوا عهد تمهيد الدّولة منذ أوّلها وطال أمد مرباهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلا بعد جيل فلا يعرفون ما فعل الله أوّل الدّولة إنّما يدركون أصحاب الدّولة وقد استحكمت صيغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء عن العصبية في تمهيد أمرهم ولا يعرفون كيف كان الأمر من أوّله وما لقي أولهم من المتاعب دونه وخصوصا أهل الأندلس في نسيان هذه العصبية وأثرها لطول الأمد واستغنائهم في الغالب عن قوّة العصبية بما تلاشى وطنهم وخلا من العصائب والله قادر على ما يشاء وهو بكلّ شيء عليم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المصدر: المقدّمة: ص 170 (ط: دار الجيل اللبنانية).

2 - في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات

الأولى في أن الاجتماع الإنساني ضروريّ ويعبرّ الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدنيّ بالطبع أي لا بدّ له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصحّ حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركّب فيه من القدرة على تحصيله إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادّة حياته منه ولو فرضنا منه أقلّ ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطّحن والعجن والطّبخ وكلّ واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين وآلات لا تتمّ إلا بصناعات متعدّدة من حدّاد ونجّار وفاخوريّ وهب أنّه يأكله حبّاً من غير علاج فهو أيضاً يحتاج في تحصيله أيضاً حبّاً إلى أعمال أخرى أكثر من هذه من الزّراعة والحصاد والدّراس الذي يخرج الحبّ من غلاف السنبل ويحتاج كلّ واحد من هذه آلات متعدّدة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير ويستحيل أن تفي بذلك كلّ أو ببعضه قدرة الواحد فلا بدّ من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتّعاون قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم بأنصاف وكذلك يحتاج كلّ واحد منهم أيضاً في الدّفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه لأنّ الله سبحانه لمّا ركّب الطّباع في الحيوانات كلّها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من حظّ الإنسان فقدرة الفرس مثلاً أعظم بكثير من قدرة الإنسان وكذا قدرة الحمار والثّور وقدرة الأسد والفيل أضعاف من قدرته. ولما كان العدوان طبيعياً في الحيوان جعل لكل واحد منها عضواً يختصّ بمدافعتة ما يصل إليه من عادية غيره وجعل للإنسان عوضاً من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهية للصّنائع بخدمة الفكر والصّنائع تحصلّ له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدّة في سائر الحيوانات للدّفاع مثل الرّماح التي تنوب عن القرون النّاطحة والسّيوف

النَّائِبَةُ عن المخالب الجارحة والرَّاس النَّائِبَةُ عن البشرات الجاسية إلى غير ذلك وغيره ممَّا ذكره جالينوس في كتاب منافع الأعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيمًا المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته أيضًا باستعمال الآلات المعدة لها فلا بدَّ في ذلك كلَّه من التَّعاون عليه بأبناء جنسه وما لم يكن هذا التَّعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتمُّ حياته لما ركبَه الله تعالى عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته ولا يحصل له أيضًا دفاع عن نفسه لفقدان السِّلَاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر. وإذا كان التَّعاون حصل له القوت للغذاء والسِّلَاح للمدافعة وتمَّت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه فإنَّ هذا الاجتماع ضروريٌّ للنَّوع الإنسانيَّ وإلَّا لم يكمل وجودهم وما أَرادَه الله من اعتماد العالم بهم واستخلافه إياهم وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعًا لهذا العلم. وفي هذا نوع إثباتٍ للموضوع في فنِّه الذي هو موضوع له، وهذا وإن لم يكن واجبًا على صاحب الفنِّ لما تقرَّر في الصَّنَاعة المنطقية أنَّه ليس على صاحب علم إثبات الموضوع في ذلك العلم فليس أيضًا من المنوعات عندهم فيكون إثباته من التبرُّعات والله الموفِّق بفضلِه. ثمَّ إنَّ هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قرَّرناه وتمَّ عمران العالم بهم فلا بدَّ من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السِّلَاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لأنَّها موجودة لجميعهم. فلا بدَّ من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحدًا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك. وقد تبيَّن لك بهذا أنَّ للإنسان خاصَّةً طبيعيةً ولا بدَّ لهم منها وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كما في النحل والجراد لما استقرَّ فيهما من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من أشخاصها متميِّز عنهم في خلقه وجثثانه إلَّا أنَّ ذلك موجود لغير الإنسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة أعطى كلَّ شيء

خلقه ثم هدى وتزید الفلاسفة على هذا البرهان حيث يحاولون إثبات النبوة بالدليل العقلي وأنها خاصة بطبيعية الإنسان فيقررون هذا البرهان إلى غاية وأنه لا بد للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله يأتي به واحد من البشر وأنه لا بد أن يكون متميزاً عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير إنكار ولا تزيف وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تراه إذ الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه أو بالعصبة التي يقتدر بها على قهرهم وحملهم على جادته فأهل الكتاب والمتبعون للأنبياء قليلون بالنسبة إلى المجوس الذين ليس لهم كتاب فإنهم أكثر أهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والآثار فضلاً عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الأقاليم المنحرفة في الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع لهم البتة فإنه يمتنع وبهذا يتبين لك غلطهم في وجوب النبوات وأنه ليس بعقلي وإنما مدركه الشرع كما هو مذهب السلف من الأمة والله ولي التوفيق والهداية.

المصدر : الفصل الأول من الكتاب الأول من المقدمة.

محمّد النّفّزاوي

(ت بعد 813)

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر النّفّزاوي القاضي مؤلف كتاب «تنوير البقاع في أسرار الجماع» و«الرّوض العاطر في نزهة الخاطر». ألف هذا الكتاب بطلب من محمد بن عوانه الزواوي الجزائري وزير أبي فارس عبد العزيز الحفصي. طبع «الرّوض العاطر» طبعات عديدة بقونس والمغرب وترجم الى لغات أروبية عديدة «طبع أخيرا عن دار الرّيس بلندن سنة 1990

1 - قصة تأليف كتاب «الروض العاطر»

وبعد فهذا كتاب جليل ألّفته بعد كتابي الصغير المسمّى (تنويع الوقاع في أسرار الجماع). وذلك أنّه اطلع عليه وزير مولانا عبد العزيز صاحب تونس المحروسة بالله، وهو الوزير الأعظم، وكان شاعره ونديمه ومؤنسه وكاتم سرّه . وكان ليبيّا حاذقاً فطناً، وكان اسمه محمد عوانة الزواوي وأصله من زواوة ونشأته بالجزائر،

تعرف بمولاي السلطان عبد العزيز الحفصي يوم فتحه الجزائر فارتحل معه الى تونس، وجعله وزيره الأعظم، فلما وقع هذا الكتاب المذكور بيده أرسل الي أن أجمع به، وصار يؤكّد غاية التأكيد للاجتماع بي فأتيته سريعاً فآكرمني غاية الإكرام.

فلما كان بعد ثلاثة أيّام اجتمع بي وأخرج لي الكتاب المذكور وقال لي:

هذا تأليفك؟ فخجلت منه! فقال لي: لا تخجل فإنّ جميع ما قلته حق ولا مروّع لأحد عمّا قلته، وأنت واحد في جماعة، ولست أول من ألّف في هذا العلم، وهو والله ممّا يحتاج الى معرفته. ولا يجهله ويهزأ به إلا جاهل أحمق قليل الدّراية. ولكن بقيت لنا فيه مسائل! فقلت: وما هي؟ فقال:

نريد منك أن تزيد فيه رسائل - أي زيادات - فتجعل فيه الأدوية التي اقتصرت عليها، وتكمل الحكايات من غير اختصار، وتجعل أسباب الجماع وأسباب امتناعه. وتجعل فيه أنوية [للقوة الجنسية] وما يزيل [رائحة النساء] بحيث يكون كاملاً غير مختصر من شيء فان ألّفته نلت المراد. فقلت له:

كل ما ذكرت ليس بصعب إن شاء الله فشجعت عند ذلك بتأليفه مستعينا بالله ومصلحياً على سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلّم تسليماً. وسمّيته: الروض العاطر في نزهة خاطر والله الموفق للصواب. ولا ربّ غيره ولا خير الا خيره. نسأله التوفيق والهداية لأقوم طريق. ولا حول ولا قوّة الا بالله العليّ العظيم.

ورَبَّته على واحد وعشرين بابا، ليسهل على الطالب قراءته والحاجة التي يطلبها. وجعلت لكل باب ما يليق به من منافع وأدوية وحكايات ومكاند، وإنِّي أردت لهذا الكتاب أن يحيرَ العرب والعجم. فإذا قرأه العرب سرح بهم عنوانه الى خلاف مضمونه. وإذا خطر للأعاجم أن يترجموه ضلوا في حدائقه ورياضه وبساتينه. حتى اذا وقع في أيدي المتعاجمين في شكله الأعجمي فغفروا أفواههم من الدهش.

المصدر : الروض العاطر : ص 87 - 88

2 - قصة زواج مسيلمة الكذاب وسجاح الكاهنة

حكى والله أعلم أن مسيلمة بن قيس الكذاب لعنه الله ادعى النبوة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو وجماعة من العرب فأهلكهم الله جميعا، وكان مسيلمة [قد] عارض القرآن كذبا وزورا. فالسورة التي كان ينزل بها جبريل على النبي يأتي بها المنافقون اليه، فيقول: وأنا أيضا أتاني جبريل بسورة مثلها. فكان مما عارض به سورة الفيل فقال لعنة الله عليه :

«الفيل وما أدراك ما الفيل. له ذنب وذيل وخرطوم طويل. ان هذا من خلق ربنا الجليل».

ومما عارض به أيضا سورة الكوثر:

«إنا أعطيناك الجواهر، فاختر لنفسك وبادر، واحذر من أن تكاثر، ولا تطع كل ساحر». وفعل ذلك في سورتين كذبا وزورا.

وكان مما يعارض به أيضا اذا سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - وضع يده على رأس أقرع فنبت شعره. وتفل في بئر فكثر ماؤه. ووضع يده على رأس صبي فقال : عش قرنا فعاش ذلك الصبي مائة عام.

فكان قوم مسيلمة اذا شاهدوا ذلك يأتون الى مسيلمة ويقولون له: ألا ترى

ما فعل محمد! فيقول لهم: أنا أفعل لكم أكثر من ذلك فكان عدو الله إذا وضع يده على رأس من كان شعره قليلا يرجع أقرع في حينه. وإذا ثقل في بئر كان ماؤه قليلا نضب ماؤه. أو كان حلوا رجع ماؤه مرًا بإذن الله. وإذا ثقل في عين أرمد كف بصره لحينه.

وإذا وضع يده على رأس صبيّ وقال (له): عش قرنا مات في وقته!

وكانت على عهده امرأة من بني تميم يقال هلا سجاح التميمية ادعت النبوة وسمعت به وسمع بها. وكان في عسكر عظيم من بني تميم. فقالت لقومها: النبوة لا تتفق بين اثنين، إما أن يكون هو نبيّ وأتبعه أنا وقومي. وإما أن أكون أنا ويتبعني هو وقومه! وذلك بعد وفاة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - فأرسلت إليه كتابا تقول فيه: «أما بعد فإن النبوة لا تتفق بين اثنين في زمن واحد. ولكن نجتمع ونتناظر في ملا من قومي وقومك، ونتدارس ما أنزل الله علينا فالذي على الحق تتبعه». ثم ختمته وأعطته للرسول وقالت له: سر بهذا الكتاب لليمامة ومكّنه لمسيلمة بن قيس وأنا أسير باثرك في الجيوش، فسار ذلك الرسول فلما كان بعد يوم وليلة ركبت مع قومها وسارت في أثره. فلما وصل الرسول الى مسيلمة سلّم عليه وناولته الكتاب ففكّه وقراه وفهم ما فيه فحار في أمره، وجعل يستشير قومه واحدا بعد واحد، فلم ير فيهم ولا في رأيهم ما يشفي الغليل. فبينما هو كذلك حائر في أمره إذ قدم إليه شيخ كبير من بين الناس وقال: يا مسيلمة طب نفسا وقرّ عينا فأنا أشير عليك مشورة الوالد على ولده!

قال : تكلّم فما عهدناك الآ ناصحا. فقال له:

إذا كان صبيحة غد، اضرب خارج بلادك قبة من الديباج الملون، وافرشها بأنواع الحرير، وانضحها نضحا عجيبا بأنواع المياه المسكّة، مثل: الورد، والزهر، والتسرين، والقرنفل، والبنفسج وغيره فإذا فعلت ذلك فاندخل تحت المباخر المذهبة بأنواع الطيب مثل: عود الأقمار، والعنبر الخام، والعود الرطب، والمسك، وغير ذلك من أنواع الطيب. [واسدل] أطنا ب القبة حتّى لا يخرج منها

شيء من ذلك البخور. وارسل لها واجتمع بها في تلك القبّة أنت وهي لا غير. فاذا اجتمعت بها وشمّت تلك الرائحة وارتخى منها كلّ عضو، وتبقى مدهوشة فاذا رأيتها في تلك الحالة راودها على نفسها فإنّها تطيعك فاذا [نجحت...] نجوت من شرّها وشرّ قومها. فقال مسيلمة: أحسنت واللّه نعم المشورة هذه. ثم إنّه فعل لها جميع ما قاله ذلك الشيخ، فلمّا قدمت عليه أمرها بالدخول الى القبّة فدخلت واختلى بها، وطاب حديثهما، فكان مسيلمة يحدثها وهي داهشة باهتة، فلمّا رآها على تلك الحالة علم أنها اشتتت [أن يغازلها].... فعند ذلك ارتقى عليها وقضى منها حاجته. فقالت : اخطبني من عند قومي اذا أنا خرجت. ثم إنّها انصرفت والتقت بقومها فقالوا لها: ما الذي رأيت منه يا نبيّة الله؟ فقالت لهم: وجدته على الحقّ فاتّبعته فخطبها من قومها فأعطوها له. وطلبوا منه المهر فقال لهم (مسيلمة) تترك عليكم صلاة العصر؟! فكان بنو تميم لا يصلون العصر الى زماننا هذا ويقولون: مهر نبيّتنا ونحن أحقّ به من غيرنا. ولم يدع النبوة من النّساء غيرها وفي ذلك يقول القائل منهم:

أضحت نبيّتنا أنثى نطوف بها وأصبحت أنبياء النّاس ذكرانا

فأمّا مسيلمة فهلك على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قتله زيد بن الخطاب وقيل وحشي واللّه أعلم أنه وحشي وفي ذلك يقول: قتلت خير النّاس في الجاهلية حمزة بن عبد المطلب، وقتلت شرّ النّاس في الاسلام مسيلمة. وأرجو الله أن يغفر لي هذا بهذا. أي أنّه لما كان في الجاهلية قتل حمزة رضي الله عنه، ولمّا دخل الاسلام قتل مسيلمة. وأما سجاح التميمية فإنّها تابت لله سبحانه وتزوّجها رجل من الصّحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

المصدر: الرّوض العاطر: 90-92

مَحَمَّدُ الْفُتَيْ

(ت 828)

أبو عبد الله محمد بن خليفة بن عمر الوشتاتي الأبي، من أنجب تلامذة ابن عرفة، تكوّن في مختلف الفنون ثم اضطلع بتدريس تفسير القرآن والحديث والفقهاء لطلبة تونس وتولّى قضاء الوطن القبلي سنة 808. من تأليفه:

- تفسير للقرآن الكريم عن شيخه ابن عرفة : 8 أجزاء نشر منه جزآن تحقيق حسن المناعي. نشر مركز البحوث بالكلية الزيتونية 1407 / 1986.

- إكمال، إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم: مطبوع في 8 أجزاء اقتبسنا منه نتفا تهّم الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية بتونس نشرناها في كتابنا «في الحضارة العربية التونسية» نشر دار المعارف، سوسة 1988

- شرح لمدينة سحنون.

- كتاب المقاصد الحسان في معرفة ما يلزم الانسان.

1 - يميننا

خاطب شيخه ابن عرفة معلقاً على أبيات تائية ثلاثة قالها:

(الطويل)

يميناً بمن أولاك أرفع رُتبة
وزان بك الدُّنيا بأكمل زينة
لمَجْلِسِكَ الأعلى كَفِيلُ بَكلِّها
على حسن ما عنها المجالسُ ولَّتْ
فأَبْقَاكَ مِنْ رَقَاكَ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
وللدين سيفاً قاطعاً كلَّ بدعةٍ

المصدر: في الحضارة العربية التونسية : ص 100 عن إكمال الإكمال :

ج 4، ص 345 - 347

2 - تخميس

قال مخمّساً ابیاتاً لشيخه ابن عرفة:

(المتقارب)

علمتُ العلومَ وعلمتُها ونلتُ الرِّياسَةَ بل حُرْتُها
فَهَاكَ سِنِينَ سِيَّ عَدَدْتُها "بلغتُ الثَّمَانِينَ بل جُرْتُها
فهان على النَّفْسِ صَعْبُ الحِمَامِ"
فلم تُبْقِ لي في الوری رَغْبَةً ولا في العلی والنهی بغية
وكيف أَرْجِيهِمَا لِحَظَّةٍ وأحَادُ عَصْرِي مَضَوْا جُمْلَةً
وعانُوا خِيَالاً كَطَيْفِ المَنَامِ"

ونادى الردى ومالي مغيث وحث المطيئة كل الحث
ولائي لراج وحيي اثيث وأرجو به نيل صدر الحديث
بحب اللقاء وكره المقام

فيا رب حقق رجاء الذليل ليحظى بدارك عما قليل
فيمسى رجائي بموتي كليل وكانت حياتي بلطف جميل
لسبق دعاء أبي في المقام

المصدر: البستان: ص 198، تاريخ الدولتين: ص 120 - 121 (وهنا نسب التخميس للرمل)

3 - أيا طالبى العلم

قال يمدح شيخه ابن عرفة :

(الطويل)

أيا طالبى العلم يبتغون حفظه
فهذا هديتم للصواب ابن عرفة
فدونكم مغن عن الكتب كلها
وحل من التحقيق أرفع رتبة
وأحكم من كل الحقائق رسمها
ورد من التخريج والنقل وأهيا
كذا فليكن وضع التأليف أو يدع
فإن جاء فرضا من يريد اعتراضه
ومالئاس إلا مضعف ومكابر
هلموا فإن العلم هانت سبيله
أتاكم بوضع لم يشاهد مثيله
وإن قل حجما والعيان دليله
وهذب مبناه فصحت نقوله
فلا خلل يخشى لديه حلوه
وأورد تنبيهها يحق قبوله
ولا غرو ذاك العلم هذا قليله
فدع أمره إن التمسف قبله
فذاك مقرر لا خير جهله

المصدر: البستان : ص 199 وعنوان الأريب: ج 1، ص 114 - 115 بنقص ثلاثة أبيات.

أحمد السَّمَّاع

(ت 133 ت 833)

أبو العباس أحمد بن محمد السَّمَّاع الهنتاتي أبو المؤرخ، وكان يمدح بشعره السلطان الحفصي أبا فارس عبد العزيز. تولّى الخطابة بجامع القصبية والنظارة على القضاة والعدول كما تولّى قضاء المحلة. له رسالة «مطالع التمام ومنجاة الخواص والعوام في ردّ القول بإباحة غرم نوي الإجرام»

حَثَّ عَلَى الْجِهَادِ

قدّم المؤرخ محمد الشماخ ابن الشاعر هذه الأبيات بقوله: وقد نظم الوالد - رحمه الله - قصيدة على حرف الدال عددها تسعة وخمسون بيتاً في الحثّ على الجهاد قدّمها لمولانا المرحوم^(١):

(الطويل)

أولها:

تروحُ ليالي النُّصرِ فينا وتغتدي	بحُرْمَةِ ذي الجاهِ العظيمِ المجدِّ
وأشرفِ خلقِ اللهِ أصلاً ومَحْتَدَا	وخيرِ نبيءِ ضَمَمَ الحشرِ والنَّدَى
وأشرفِ مبعوثِ وأكرمِ مُرْسَلِ	وأفضلِ آتِ بالهدى والمهنّدِ
فَشَدُّ مطايا العزمِ واقصدِ محمّدا	نبيُّكَ يا عبدَ العزيزِ بنِ أحمدِ
حَبَاكَ إلهُ العرشِ سَعْدًا مجدّدا	ونصرا على مرِّ الزَّمانِ المجدِّ

إلى أن يقول فيها:

وأسألكَ اللَّهُمَّ ذا الطُّولِ آيَةً	من النُّصرِ يستولي على كلِّ معتدِ
تَخْصُ بِهَا عَبْدَ العزيزِ ونجله	وأعوأهم في الحقِّ من كلِّ مهتدِ
بحرمة كهفِ العزِّ والمصطفى الذي	رفعتَ بُناه فوق كلِّ مشيدِ
محمدٍ المحمودِ في كلِّ مشهدِ	وأصحابِهِ من راكعين وسُجّدِ
عليه سلامُ الله ما دامت الدُّنَى	وما ذَكَرَ الرَّحْمَانُ في كلِّ مسجدِ

المصدر: الأدلة البيّنة: ط ١، ص ١٤٧، ١٤٨، ط ٢: ص ١١٧ - ١١٨.

(١) هو السلطان أبو قارس عبد العزيز انظر الترجمة رقم ١٦٠.

2 - مدح أبي فارس

قال من قصيدة في 76 بيتا يمدح الخليفة أبا فارس عبد العزيز:

(الوافر)

تتاهى العز والشرف الخطيرُ
صنائعه فتَمَّ به السرورُ
وجدك والتقى نصيب السرير
خصال المجذ وانتظم النفير
بنو حفص فعز لك النظيرُ
ظفرت وحزت والله النصيرُ
فمثلك لا يجار ولا يجودُ
فلم يضررك حاسد أو كفورُ
فما تدري متى يأتي السفيرُ
بما يؤذك فالمولى غيورُ
وإن الحق مركبه يسيرُ
ولا معه مثل أو نفيـرُ
ومن قد قال: لا تكفي، كفورُ

أيا ذاك الإمام ومن إليه
ومن عظمت وقائعه وجلت
على أساس مجدك في البرايا
شدت الملك بالتقوى فتمت
وشيدت المنابر إذ بناها
عزرت بنصرة عند الأعادي
عقدت العزم في ترك الخطايا
وأشهدت العبيد بذاك طراً
فوف بما عقدت ولا تماطل
ولا تتبع هوى من لا يبالي
فقد وضح السبيل لمن أراد
وإن الحق لا يعتاض عنه
حدود الله كافية لزجر

المصدر: الأدلة البيئية: ط 1، ص 145-146، ط 2: ص 115-116

أبو القاسم بن ناجي

(ت 839)

أبو النضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي المتنوّخي القيرواني مذكّر «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» وشارح رسالة ابن أبي زيد القيرواني والتهذيب للبراذعي ومختصر ابن الجلاب. ولد بالقيروان ودرس ثم انتقل إلى تونس وأخذ عن علمائها. تولّى خطابة جامع الزيتونة بالقيروان والقضاء والخطابة بجزيرة جربة ومدن عديدة بإفريقية.

1 - الشيخ محمد الرماح

قال شيخنا أبو عبد الله محمد بن شبل الرياحي الدعيجي: قال لي الشيخ أبو عبد الله محمد الرماح: لما كنت أقرأ بتونس قلّ ما بيدي، حتى كنت أمشي في الأزقة برسم أن أرى ورق بقل ملقى على باب دار فأرفعه، فإذا وجدت شيئا منه أقف حتى يتباعد من يكون هناك من المارين وأخذه، وأعمله في محفظتي خفية من الناس، وأتي إلى المدرسة، وأغسله في بيتي، خفية من الطلبة، وأطبخه وأفوحه حتى يظن الطلبة المجاورون أنه لحم طبخته فبقيت على هذا مدة هو أكثر قوتي حتى اصفرّ لوني وتغيّر حالي، فكلم الطلبة الشيخ أن يعين لهم واحدا يقرؤون عليه نول الميعاد فقال: انظروا فذكرت عنده، فقال: اقرأوا عليه، فصاروا يقرؤون عليّ دولهم، فنذكر لهم ما نعرفه من الأقوال. فكثّر تعلّمهم واجتهادهم بسبب ذلك، فإذا سمع الشيخ في نقلهم قولا غريبا أو مسألة غريبة يقول: من ذكر هذا؟ فنعرّوه لناقله، فاستغرب ثقلي وحفظي، وعلم أنّ كثرة سكوتي فيما مضى ليس هو على جهل.

فقال لي بواب المدرسة يوما: حاجتي بمفتاح البيت، فلهطيته له⁽¹⁾ وخرجت لقضاء حاجتي. واعتقادي أنه يكس لي البيت لأننا ألفنا منه ذلك، فلما قضيت حاجتي ورجعت أعطاني المفتاح فحللت البيت ودخلت، وإذا في وسط البيت ثوب وجبة ملف⁽²⁾ معلقان في مسمار، وحرام⁽³⁾ وعمامة في مسمار آخر، وكسوة أخرى مثل ذلك سواء، وقنطار سميد ونصف قنطار فحما، أو العكس، ولحم مقطّع، ونصف لحم⁽⁴⁾ معلق، وعليها دراهم، وغير ذلك من حوائج البيت. فقلت: أظنّ هذا البيت ليس هو بيتي فخرجت منه وأخذت أعدّ البيوت فتحققت أنّه هو فقلت للبواب: ما هذا؟ فقال لي: يقول لك الشيخ: كنت أولا جاهلا بك وبمالك

(1) عامية: الأصل: أعطيته له.

(2) من أرفع أنواع الأنسجة الصوفية.

(3) الحرام والاحرام: الرداء وأصله ما يلبس في الإحرام بالحج أو العمرة.

(4) يعني: نصف شاة.

فلا سبيل أن تتشوّش من شيء لا من طعام ولا من غيره. فمن ذلك اليوم يا ولدي فتح الله عليّ بالدنيا إلى الآن.

وتمادى على تعلّم العلم وتعليمه حتى رجع الى القيروان مدرّسها ومفتيّها. وقال أبو عبد الله محمد بن شبل: لما طالت حياة الشّيخ الرّمّاح وكثرت طلبته جدا أمر طلبته الكبار أن يعملوا المواعيد⁽⁵⁾، فامتثلوا أمره في ذلك فكان الشّيخ أبو الحسن عليّ العبيدلي يعمل ميعادا بكرة بزايوته المعروفة إلى الآن يقرئ فيه التّفسير والحديث والفروع، وكذلك موسى بن عيسى المناري، وأبو محمد عبد الله الحجاجي وأبو عبد الله محمد القلال. وأمر جماعة آخرين يجلسون في غير ذلك الوقت لإقراء النّحو والفرائض والحساب وغير ذلك، فكان في القيروان في زمانه بميعاده ستّة عشر ميعادا، على صفة ما ذكر. وكان المدرّسون الأوّلون يحضرون عند الشّيخ بزايوته بعد صلاة الجمعة وجلوسه للفتوى، ويذكر كلّ إنسان منهم ما أشكل عليه في ميعاده في تلك الجمعة⁽⁶⁾ من معارضة مسألة بمسألة ليطلب الفرق بينهما ونحو ذلك، ويتكلّمون حتى يزول ما التبس على كلّ واحد منهم.

المصدر: معالم الإيمان: ج 4، ص 109 - 113

(5) المواعيد : ج ميعاد، يريد انه أذن لهم ان يجعلوا مجالس يقومون هم بالتعليم فيها.

(6) يعني بكلمة الجمعة : الأسبوع ،

محمد بن السَّمَّاء

(ت بعد 861)

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الشَّمَاع اشتهر بكتابة "الادلة
البينة النورانية على مفاخر الدولة الحفصية" في تاريخ بني حفص. ليس لنا
أخبار عن حياته ولا عن تأليفه. يتضح من تأليفه المذكور ميله لقطف ثمار الأدب.

الخليفة الحفصي ابو فارس عبد العزيز

في ذكر بعض صفاته الحميدة وبعض سيرته .

كان - رحمه الله - شجاعا حازما تقياً معتقدا للصالحين من أول نشأته، موقراً للعلماء مثبّتا، ورعا، كثير الصدقة فطنا، ذكياً فصيحاً محباً للخير وأهله. فمن فضائله: - رحمه الله - عموم صدقته وصلته لأهل الحرمين الشريفين، ولعلماء المشرق، وصلاحه يوجّه لهم بذلك صحبة المركب الحجازي عند طلوعه على النّوام والاستمرار.

ومن فضائله ما وظّف لأهل الاندلس من الطّعام وغيره، يوجّه لهم ذلك في كل عام اعانة لهم على عدوّ الدّين ومالههم عليه من ممارستهم مع الكفّار.

ومن حسناته خزانة الكتب المشتملة على أمّهات النّواوين أخرجها من قصره، وجعل لها مقصورة بموضع بمجنبة الهلال من جامع الزّيتونة الاعظم. وأوقفها على طلبة العلم ينتفعون بها بالنّظر والنّسخ بشرط ألا يخرج منها شيء من المجنبه، خشية ضياعها. وجعل لها قومة يقومون بها في نقضها، ومناولتها للطّلبة، وردّها لمكانها بعد الفراغ منها. ووقّف لها وقتا محدودا كلّ يوم. وأوقف عليها وقفا مؤبّدا تصرف فائدته للقومة بها يكفيهم وتصرف بقيّتها في ضرورة الكتب.

ومن فضائله ملازمته لقراءة العلم بمجلسه سفرا وحضرا وتواضعه وجلوسه على الحصير حين قراءته للحديث النّبويّ.

شاهدت ذلك منه - رحمه الله - أيام حضوري مع الوالد. وكانت تصدر منه - حين القراءة - نكت تدلّ على جودة فهمه، وقوّة ذهنه. وكان هو الذي يستدعي الوالد في كثير الأوقات للقراءة، ولا سيما حين يرد عليه من يرد من فحول العلماء من الأندلس والمغرب، وكان مولعا بتمييز الرّجال، وكان يعترف للوالد بأنّه حاز قصب السبق.

ومن حسناته - رحمه الله - قطعه للقبالة التي كانت خارج باب البحر وبنائه في موضعها موضعاً للصلاة ولتدريس العلم وقراءة القرآن وسكنى الطلبة، وأوقف عليها وقفاً مؤبداً، يكفيها وجعل فيها سماطاً جارياً للمقيمين بها، والواردين عليها، فعمرت بذلك بسببه واستمرت عمارتها إلى الآن.

ومن حسناته - رحمه الله - أن مهدت السبل وعمرت البلاد وأمنت العباد، وكان - رحمه الله - مقتصراً في ملبسه، متحريراً في مطعمه ومشربه.

المصدر: الأدلة البيّنة: ص 113 - 115 (ط 2).

أَبُو الْمَوَاهِبِ

(820 - 882)

محمد بن أحمد بن الحاج بن رغدان التّونسي المشهور بالمشرق بأبي المواهب، تكنية بعنوان ديوانه: "مواهب المعارف". أديب متصوّف وشاعر. ولد بتونس ونشأ بها فحفظ القرآن وأخذ مختلف العلوم على أيدي علمائها ثم رحل إلى مصر وصار فيها من أقطاب التّصوّف له مؤلفات عديدة منها:

- قوانين حكم الاشراق إلى كافة الصّوفية في جميع الافاق.

- شرح الحكم العطائية.

- ديوان شعر.

- فرح الاسماع برخص السّماع: طبع بتونس بتحقيق محمد الشريف الرحموني، الدار العربية للكتاب، 1985.

- كتاب الأنكباء في أخبار الأولياء.

- بغية السّؤال عن مراتب أهل الكمال.

- سلاح الوفائية بثغر الاسكندرية.

1 - القانون السادس قانون المحبة

قال الله تعالى: "يحبهم ويحبونه" (نفحة) نظرت عين العناية لعبد سبقت له عواطف الحنان من الحنان، فدخل حضرة الامتنان بالامان. (لمحة) لوامع حضرة السنن، برقت بالاسماء الحسنی. فهل رأيت ذلك الجمال، وهل همت بالوجد بين الرجال. (نفحة) حقيقة المحبة نار تحرق الاكباد، ولوعة تنمو وتزداد.

(المنسرح)

وفي فؤاد المحب نار جوى
أحر نار الجحيم أبردها

(لمحة) يا من نظر حسن الغيد بحیها والبطاح. فغدا مفتونا بدلال تلك الملاح.

(المجتث)

جمال لیلی تجلی
فاشهد وطب وطملاً

(نفحة) حقيقة المحبة كتمان سر المحبوب، فيما تجلی على المحب من مشاهدة الغيوب.

(الكامل)

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم
وكذا دماء البائحين تباح

(لمحة) سرت نسمة المحبوب للمحب فطار فرحاً وشوقاً، فكيف به لو رأى جماله عياناً كان يموت حقاً.

يا نَسْمَةً قَدْ سَرَتْ سِرّاً لَنَا سَحَرّاً
من الحبيب لنا قد أنعشت نَفْساً
كَيْفَ الْعَقِيقُ وَأَبْيَاتُ بَذِي سَلَمٍ
وَكَيْفَ خَلَّفَتْ ذَاكَ الْمَنْزِلَ الْقُدْسَا؟

(البسيط)

(نفحة) حقيقة المحبة خلاص جوهر الرّوح من الأعراض، وفناء النفس من الحظوظ والأغراض.

(البسيط)

هم العريبُ بنجد مذ عرفتُهُم لم يبق لي معهم مالٌ ولا نَشَبُ

(لمحة) إن شئت أن تلتذّ بلمحة شهود العيان، فتدّلكُ لحبوبيك في كل الأماكن والأزمان.

(الطويل)

تدّلكُ لمن تهوى لتكسِبَ عِرَّةً فكم عِرَّةٌ قد نالها المرءُ بالذّلّ

(نفحة) أعظم المحبة ما يسكن القلب أول وهلة، وتنزع منه جميع الخواطر بلامهلة.

(الطويل)

أتاني هواها قبل أن أعرفَ الهوى فصادف قلبا فارغا فتمكّنا

(لمحة) المحبّ من لا يغيره عدل الرقيب، بل يزيده ذلك حباً في الحبيب.

(الطويل)

أحبك يا شمس الزّمان وبدره وإن لامني فيك السّهى والفراقدُ

(نفحة) المحبة الحقيقية جذبة اضطرارية، غير اختيارية عند المحققين من الصوفية.

(الطويل)

وأصرف طرْفِي نحو غيرك عامداً على أنّه بالرغم نحوك راجع

(لمحة) سوق الشّوق، به تطيب المحبة والذّوق. لهذا ترى الأشباح، تابعة للأرواح.

(الطويل)

وما زال بي شوقي اليك يقودُنِي يذللُ مِنِّي كلُّ ممتنعٍ صَفْبِ
إذا كان قلبي سائرا بزمامه فكيف لجسمي بالمقام بلا قلب؟
(نفحة) إذا قوي على المحب الشوق استعرت فيه النيران، فتراذفت عليه الهموم
والأحزان. فاستمع قصص أخبارهم، عن أخبارهم.
(الكامل)

قُصُّوا عليَّ حديثَ من قَتَلَ الهوى إِنَّ التَّاسِيَّ رَوْحُ كُلِّ حَزِينِ
(لمحة) روح المحب المشوق، كالغصن المشوق. كلما مرت به نسمة لطيفة،
أوجبت له حركة ظريفة.

(البسيط)

أهتزُّ عند تمنِّي وصلها طَرَبًا وربَّ أُمْنِيَةٍ أحلى من الظَّفَرِ
(نفحة) المحب أبدا يخاف فوات الوصال، وينشد لسان حاله قول من قال.
(الطويل)
وكم فرصة فانت فأصبحت نادما تغضُّ عليها الكفُّ أو تقرع السنَّا
(لمحة) سمع المحب في ليلة شبه صوت محبوبه في المنام، فنهض ويادر
للقيام. فإذا هو من الهيام، وغلبة الأوهام.

(الكامل)

من لم يبت والبين يُقرعُ قلبه لم يدْرِ كيف تفتَّت الأكباد
(نفحة) تفاوتت أحوال أهل الغرام، وتباينت في الحال والمقام. فالمرید صحا
بعد سكره وانطوى في نشره. والمراد كلما صحا ازداد سكرًا. فلذلك طاب
عرفه نشرًا.

(البسيط)

صحا المريدون منها بعد ما سكرُوا وللمرادين سكرٌ عندها باقي

(لمحة) اذا تراءى جمال المحبوب، من عالم الغيوب. زاد الهيام، وامتنع الكلام. إلا عند الشكوى، من ألم البلوى.

(الكامل)

الحب ما منع الكلام الألسنا وألذُّ شكوى عاشقٍ ما أعلنّا

(نفحة) حضر المحب مع المحبوب في المقام، فسكر سكر الهوى والمدام. فلا عجب إن غاب، واستمتع وطاب.

(الكامل)

سكران سكرٌ هوى وسكرٌ مدّامة أنى يُفِيّق فتى به سكران؟

(لمحة) دخل المحب ليلة حمى الحبيب، عند غفلة الواشي والرقيب. فالتذّبسماع الخطاب، في حضرة الأحباب.

(البسيط)

يا ليلة بالحمى ما كان أطيبها من طيبها رقصت من تحتنا النّجّب

(نفحة) اذا سمح الحبيب بالوصال، وأنس محبه بشهود الجمال، فذلك إذن له بالخطاب، يا من رفع له الحجاب.

(الطويل)

وعند اجتماعي بالحبيب أبنته أحاديث لا تطوى عليها الصحائف

(لمحة) من لم يحصل له من المحبة، ذرة او حبة، فقد حجب من النعيم بالياس، وليس في شيء من الناس.

(الطويل)

وما النَّاسُ الا العاشقون نورو الهوى ولا خيرَ فيمن لا يحب ويَعشَقُ

(نفحة) تَالله لَا يطيق الكتمان، من قلبه بالمحبة ملآن.

(الطويل)

وَمَنْ قَلْبُهُ مَعَ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ وَمَنْ سِرُّهُ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ يَكْتُمُ؟

(لمحة) صاحب مقام الصبر دون التصبر في المحبة ملوم، فاذا عوقب بهجر
فليس بمظلوم.

(الكامل)

الصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ

(نفحة) قلب المحب لا يرعوي عن المحبوب، واذا قال غير ذلك فهو كذوب.

(الوافر)

أَلَسْتُ وَعَدْتَنِي يَا قَلْبُ أَنِّي إِذَا مَا تُبْتُ عَنْ لَيْلَى تَتُوبُ؟

فَمَا أَنَا تَائِبٌ عَنْ حُبِّ لَيْلَى فَمَا لَكَ كُلَّمَا ذُكِرَتْ تَذُوبُ؟

(لمحة) من لم يفن ويمت في هوى الحبيب، لم يحصل في وصله على أوفر
نصيب.

(البسيط)

فَلَا يَنَالُ حَيَاةَ الْقُرْبِ عَاشِقُنَا إِلَّا إِذَا صَارَ فِي أَعْدَادِ قَتْلَانَا

(نفحة) علامة المحبة قيام المحب بأوامر محبوبه، واستحلاء ما مر من شؤونه
وخطوبه.

(الكامل)

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَظْهَرُ حُبَّهُ هَذَا لِعَمْرِي فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطْعَمْتُهُ إِنْ الْمَحَبُّ لَمَنْ يَحِبُّ مُطِيعُ

(لمحة) حال المحب الصادق ينتقل ويترقى، حين يكون بذلك من غيره أرقى.
(الوافر)

أراك تزيد في عيني جمالا وأعشق كل يوم منك حالا
تزيد ملاحه وأزيد حبا وحالي فيك ينتقل انتقالا
(نفحة) قلب المحب عن محبوبه لا ينقلب بانقلاب الحبيب، وهذا هو الشأن
وضده الأمر العجيب.

(الكامل)

وأقول للقلب الذي لا ينتهي عن حبكم أبدا ولا يتجنب
قد كدت أنك لا تسميك الورى قلبا لكونك عنه لا تتقلب
ولو استطعت تركته وأدرته عنكم ولكن ما لقلبي لولب

(لمحة) غلبة نار الجوى، هاجت بالهوى، فأحرقت روح المحب فذابت، وتدفقت من
أماقه وسالت.

(الطويل)

وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنها روعي تنوب فتقطر!

المصدر: كتاب قوانين حكم الإشراق: ص 2 - 25 .

محمّد الرّصاع

(ت 894)

أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري الرّصاع، ولد بتمسان وقرأ بها ثم واصل تعلّمه بتونس حيث استقر، وتولّى التدريس والقضاء والامامة والخطابة والافتاء والتأليف. من مؤلفاته:

- الفهرست.
- شرح حدود ابن عرفة.
- تحفة الأخيار في فضل الصلّاة على النّبي المختار.
- تذكرة المحبّين في أسماء سيّد المرسلين.
- شرح وصيّة الظريف.
- الجمع والتّقريب في ترتيب أي مغني اللّبيب لابن هشام.
- اختصار فتح الباري في شرح صحيح البخاري.

1 - المولد النبوي الشريف

من أَدَابِ المحبِّ لهذا النَّبِيِّ الشَّرِيفِ أَنْ يَكُونَ معظَّمًا ليلة ميلاده واليوم الذي أظهر الله فيه العاقب لأُنبيائه وهي اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ عشرة من ربيع الأول على الصَّحِيح ومن مذهب الجمهور، فينبغي لكلِّ شائق ومحِبٍّ أَنْ يظهر السُّرُور والبشارة في تلك اللَّيْلَةِ وصبيحتها ويمتّع أهله وأولاده بما أمكن الله لحصول بركتها ويدخل السُّرُور عليهم ويعلمهم أَنَّهُ إِنَّمَا فعل ذلك محبةً لتلك اللَّيْلَةِ وسرورها بها واعتناءً بفضلها، ويبيّن لهم أَنَّهُ أشرف اللَّيَالِي عند الله لأنَّها ولد فيها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، ويذكر لهم صفة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وجماله وحسنه وكماله وفضائله وشمائله وكلامه وفصاحته وكرمه وجوده وخلقه وعفوه وصفحه ومعجزاته وآياته وكلّ ما يحبُّه في قلوبهم، ويعظّمه ويحفظهم القصائد التي في مدحه والثَّنَاء عليه، وهذا عندي وعند كلّ محبٍّ من حسن الرَّأْيِ والنَّظَر لأنَّ تعليم لشيء في الصَّغَر كالنَّقْش في الحجر سيما والصَّغِير مولع بالإعجابات، ومعجزاته صَلَّى الله عليه وسلّم من أعجب العجائب.

وينبغي لك أن تزيّن الأولاد في ذلك اليوم بأحسن زينتهم وتدخل السُّرُور بما أمكن على معلّميهم، وتزيّن المكاتب بما تجوز به الزينة شرعا وتحيي ذكره صَلَّى الله عليه وسلّم بما يحسن من الأقوال والأمداح سمعا، وتغيّر المناكر في ذلك اليوم وتظهر على الإسلام والإيمان وتبذل الجهد في رحمة أمته عليه الصلوة والسلام بالصدقة والاحسان، وتذكّر العامة بمحامد صفاته ومعجزاته وتسرد لهم ما أكرمه به مولاه وما خصّه به من آياته، وتتجملّ ذلك اليوم بما أمكن من اللباس الحسن المأذون فيه ممّا أذن به الصّادق الأمين وتعتقد أَنَّهُ عيد أعاده الله على العالمين لبروز حبيبه فيه سيّد المرسلين...

وما أنكر من أنكر ما يقع في هذا الزّمان من الاجتماع في المكاتب بالاطفال إلا خيفة المناكر واختلاط النساء والرّجال، فإذا أمكن من ذلك فلا شك في حسن ما يفعل من الاجتماع وذكر محاسنه والصلوة عليه صَلَّى الله عليه وسلّم في

سائر البقاع. وتحرم آلات اللّهُ عند الاجتماع في هذه اللّيلة ولا يجوز تعظيم نبيّ اللّهِ إلّا بما يرضيه ويرضى اللّهُ سبحانه بما يفعل في تلك الأيام من الأطعمة فإنّ ذلك أسلم من فساد النّيّات ومن حضور الاجتماعات.

المصدر: تذكرة المحبّين في أسماء سيّد المرسلين وحبيب ربّ العالمين: مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 13348: ص 29 ب- 30 أ - 30 ب. وفي النّص الأصلي اخطاء عديدة صوبناها.

2 - أسماء المصطفى

إنّي لمّا رأيت من نفسي الاشتغال بما لا يغني عن المسائل ولم أحصل مع كثرة تعبها (على) طائل جعلت وسيلة بيني وبين سيّد الأولين والآخرين وقائد الفرّ المحبّين ما نرجو به الرّضى والسّؤل، وبلوغ المأمول، في الدّنيا والدّين، وقد ألهمني اللّهُ منّة منه وفضلا الى شرح بعض أسماء المصطفى وما وقع من ذلك في كتاب "الشّفا"⁽¹⁾ وقد كنت قبل ذلك أنظرها وأتفهّمها وأتوسّل إلى اللّهِ في الشّدائد ببركتها.

ثم تقوّى عندي الحبّ في فهم معناها فعرض لي في هذا الوقت أن أطلب من اللّهِ تعالى ما نعدّه في الحياة والمعاد، وما نتّخذّه عند حبيب اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وسلّم من المحبّة ونذكر حبّه في قلوب العباد، وما نرجو به من المولى العفو والغفران، وإن كنت كثير السيّئات قليل الزاد، فأردت أن أشرح أسماءه التي في كتاب "الشّفا" وأذكر اشتقاقها ومعناها وأذيل عليها ما يليق بمدلولها وما تشير اليه بفحواها، وما يصحّ للمريد أن يتخلّق به من أسماء المصطفى وما ينتهي إليه مقام الكمّل من أهل الصّدق والوفاء، وأذكر بيان كلّ اسم رأيته فيه مع ما أضيف إلى ذلك بعد كمال ما في الكتاب وشرح ما لحقته فيه من فحوى الخطاب.

المصدر: تذكرة المحبّين: المصدر المذكور في النص السابق: ص 1 ب- 12.

(1) للقاضي عياض.

أحمد الخلوف

(829 - 899)

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الحميري الخلوف الفاسي الأصل القسنطيني المولد التونسي القرار، تفوق في الشعر والنثر الفني، كان يمدح خلفاء بني حفص وتفرغ في آخر حياته للمديح النبوي بقصائد طويلة منها ما يفوق 550 بيتا.

ولد بقسنطينة ثم ارتحل صغيرا مع والده الى بيت المقدس وأقام هناك يافعا وشابا وتكون خاصة في الأدب ثم رجع الى تونس في حوالي الثلاثين من عمره واختص بالبلاط الحفصي ينظم القصائد الطوال في أبي عمرو عثمان وابنه ولي العهد محمد المسعود بالله واشتغل كاتبا لهذا الأخير. يتسم شعره بالغنائية وتقليب المعنى وطول النفس. من تأليفه:

- ديوان في المدح في جزأين: جزء في مدح بني حفص منشور سابقا بلبنان ثم نشر بتونس وجزء في المديح النبوي لم ينشر.

- مواهب البديع في علم البديع.

- جامع الأقوال في صيغ الأقوال.

- تحليل الميزان لتصحيح الاوزان.

- نظم المغني لابن هشام.

- نظم تلخيص القزويني في البلاغة.

1. في شكلها اندرج الزمان

قال يمدح الخليفة أبا عمر وعثمان (ت 893 هـ) :

(الكامل)

أَدْوَابِلُ أَمْ قَامَةٌ هَيْفَاءُ
وَمَنَاصِلُ أَمْ مَقْلَةٌ وَطَفَاءُ
وَحَمَائِلُ مُخْضَرَّةٌ أَمْ سَالِفُ
وَعَزَالَةٌ هَاتِيكَ أَمْ أَضْوَاءُ
وَهِلَالُ أَفْقٍ طَالِعُ أَمْ وَاضِحُ
وَزُلَالُ رَيْقٍ ذَاكَ أَمْ صَهْبَاءُ
وَأَسَاوِدُ أَمْ تِلْكَ سُودُ نَوَائِبِ
وَعَزَالَةٌ هَاتِيكَ أَمْ أَسْمَاءُ
خُودُ صَوَارِمُهَا الْجُفُونُ وَمُعْجِرُ
فِي جَفْنِهَا، إِنَّ الْجُفُونِ ظُبَاءُ
فِي شَكْلِهَا انْدَرَجَ الزَّمَانُ، فَتَغْرَهَا
مَعَ شَعْرِهَا. الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
رَاضِعَتُهَا تُدِي الْوِصَالِ وَيَبِينَا
بِجَنَى الْحَدِيثِ حَقِيقَةُ غَنَاءُ
فِي رَوْضَةٍ أَضْحَى النَّسِيمُ لِسَانَهَا
يَصِفُ الَّذِي أَهْدَتْ لَهُ الْأَنْوَاءُ
حَيْثُ الْحِمَى فَلَكَ تَمُوجُ بَرُوجُهُ
وَالزُّهْرُ زُهْرُ وَالرِّيَاضُ سَمَاءُ

وَالطَّلُ فِي الْأَوْدَاقِ يُثَبِّتُ مَا غَدَتْ
بِاللَّحْنِ تُعْرِبُهُ لَهُ الْوَرَقَاءُ
وَالْأَيْكَ تَخْفِضُ لِلنَّسِيمِ رُؤُوسَهَا
أَدْبَا وَتَرْفَعُ سُجْفَهَا الظَّلَمَاءُ
وَالْأَفَقُ أَشْرَقَ نُورُهُ فَكَأَنَّمَا
غَشَّاهُ مِنْ وَجْهِ الْمَلِكِ سَنَاءُ
مَلِكُ رَأَيْتُ الشُّهْبَ ثُمَّ رَأَيْتُهُ
فَوَجَدْتُهُ جِسْمًا وَهُمْ أَسْمَاءُ
غَيْثٌ يَجُودُ لِلَّالِ حَقْصٍ فَخْرُهُ
فَيَدَاهُ أَرْضُ سَمَخَةٍ وَسَمَاءُ
عَمَّتْ مَوَاهِبُهُ فَمِنْهَا لِلصَّدِيدِ
قِي غَنَى وَمِنْهَا لِلْعَدُوِّ عَنَاءُ
مَلِكُ لِمَا مَلَكَتْ يَدَاهُ مُفَرَّقُ
يُرْضِيكَ مِنْهُ الْأَخْذُ وَالْإِعْطَاءُ
وَلِي الْأُمُورُ بَعِزَّةٌ فَسَدَادُهَا
مِنْ حَزْمِهِ الْإِحْكَامُ وَالْإِمْضَاءُ
فَتَنَى الْعَدُوَّ إِلَيْهِ حُكْمُ لَوَائِهِ
فَعَلَاهُ فِيهِ الصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ
مَلَأَ الْعُيُونَ فَمَا بِهِنَّ غَضَاضَةٌ
وَشَفَى الصَّدُورَ فَمَا بِهِنَّ أَذَاءُ

يَا خَائِفًا مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ الَّذِي
مِنْ شَأْنِهِ الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ
لَا تَرْهَبَنَّ دُجَى الْحَنَادِسِ بَعْدَمَا
مَدَّتْ بَيَاقِقَ عَذْلِهِ الْأَضْوَاءُ
مَوْلَايَ يَا عَثْمَانَ عِشْ مُتَرَقِّيًا
أَدُمُ الْهِلَالَ لِأَخْصِيكَ حِذَاءُ
لِلَّهِ أَنْتَ صَلَاحُ أَمْرِ فَاسِدٍ
وَضِيَاءُ خُطْبٍ قَدْ عَلَاهُ دُجَاءُ
لَمْ أَدْرِ إِذْ لَمْ تَنْسَنِي وَذَكَرْتَنِي
بِمَوَاهِبِ سَارَتْ بِهَا الْأَنْوَاءُ
أَيُّ الْيَدَيْنِ أَجَلٌ عِنْدِي نِعْمَةٌ
ذَكَرَكَ إِيَّايَ أَمْ الْإِغْنَاءُ
فَاللَّهُ يُؤَلِّيكَ الَّذِي لَمْ يُؤَلِّهِ
بَشَرٌ وَلَمْ يَبْلُغْ رَجَاهُ مَدَاءُ
وَبَقِيَتْ لِلْمُدَاحِ يَا مَوْلَايَ مَا
رَقَصَ الْقَضِيبُ وَغَنَّتِ الْوَرَقَاءُ

المصدر: الديوان: ص 71-73.

2 . تهنئة بعيد الفطر

قال يهنئ بعيد الفطر السلطان أبا عمرو عثمان الحفصي:
(البسيط)

تَبَسُّمَ الثَّورِ عَنْ مَغْسُولِ لَمِيَاءِ
لَمَّا رَأَى الرُّوضَ يَجْلُو وَجْهَ حَسَنَاءِ
وَعَرَدَ الطَّيْرُ فَوْقَ الْعُودِ مِنْ طَرَبِ
إِذْ مَالَتْ الْقَضْبُ تَحْكِي رَقَصَ هِنَاءِ
وَكَلَّلَ الطَّلَ أَفْوَاهَ الْأَقَاحِ فَقُلْ
يَا حَبْدًا شَنَبُ فِي ثَغْرِ لَمِيَاءِ
وَحَرَكَ الْأَسُّ أَذَانَا لِيُسْمِعَهَا
لَحْنَ الْفَصِيحِينَ شُحُورِ وَوَرَقَاءِ
وَأَرْضِيعَ الْبَانُ فِي أَجْيَادِ دَوْحَتِهِ
ضَرَعَ النُّمَيْرِينَ، أَنْهَارَ وَأَنْدَاءِ
وَأَظْهَرَ الْوَرْدَ خَدَا طَالَمَا كَتَبْتَ
أَيْدِي الْكَامِ عَلَيْهَا بَابَ إِخْفَاءِ
كَأَنَّهُ كَأْسُ يَأْقُوتِ عَلَى فَنَنِ
مِنْ الزُّمُرْدِ يَجْلُو تَبَرَّ صَهْبَاءِ
وَتَبَهَّتْ أَعْيُنُ النَّسْرِينَ مِنْ سِنَةِ
إِذْ نَاحَتِ الْوُرُقُ فِي أَفْنَانِ إِبْغَاءِ
كَأَصْحَنٍ مِنْ لُجَيْنِ أَشْجَنَتْ ذَهَابًا
لِتَصْطَفِينَا بِيَيْضَاءِ وَصَفْرَاءِ

وَصَوَّرَتْ شَجَرَاتُ الْيَاسْمِينِ لَنَا
بُرُوجَ أَفْقٍ أَقَلَّتْ شُهْبَ إصْنَاءِ
أَوْ لُجَّةِ بُلْجِينِ الْمَوْجِ تَرْقُمُ أَوْ
قِبَابَ بَشْمِ عَلَاهَا دُرُّ حَصْبَاءِ (١)
أَوْ مَرَطُ خَزْ بِلُورٍ تَرْصَعُ أَوْ
شُبَّاكَ دُرٍّ عَلَى غَضْرَاءِ خَضْرَاءِ
كَأَنَّ مَا اخْضَرُ مِنْ مُبْيَضَ ظَاهِرِهَا
تَأْلِيْرُ عَضٍّ بَدَأَ فِي خَدِّ عَذْرَاءِ
وَحَدَقَ التَّرْجَسُ الْمَبْهُوتِ نَاطِرَهُ
لِيَحْرُسَ الْوَرْدَ مِنَ الْحَاطِ عَيْنَاءِ
كَكُوبِ دُرٍّ تَغْشَاهُ النُّضَارُ عَلَى
قُضْنِبِ الزَّبَرْجَدِ، يُبْدِي لَحْظَ شَهْلَاءِ
وَالْقِرْنَفِلِ رَاحَاتٍ مُخَضَّبَةً
عَلَى مَعَاصِمِ خُضْرِ فِتْنَةِ الرَّائِي
كَأَنَّهُمْ مِنْ عَقِيقٍ فِي ذَرَى فَلَكِ
مِنْ الرُّجَاجِ أَرَتْ أَشْطَانَ لَأَلَاءِ
وَقَدْ جَرَى النَّهْرُ فِي أُخْدُودِهِ عَجَلًا
كَمَا جَرَى النَّوْمُ فِي أَجْفَانِ وَطْفَاءِ

(١) البشَم: حجر كريم يشبه الزبرجد، لكنه أصفى منه.

كَأَنَّمَا النُّورُ مَنشُورًا بِصَفْحَتِهِ
جَوَاهِرَ نُظُمَتٍ فِي جِيدِ غِيْدَاءٍ
يَنسَابُ كَالْفَجْرِ فِي مَجْرَى غِيَاهِهِ
وَيَلْتَوِي كَالْتَوَى رَقَشَاءِ رَقْطَاءِ
وَقَامَ لِلصُّبْحِ فِي الْآفَاقِ مُنْتَصِرُ
بَيَاقَةِ النُّورِ يَمْحُو آيَ ظُلُمَاءِ
فَظَلَّ يَنْعَى الدُّجَى فِي لَيْلٍ مُحْتَطِبِ
بِحُلَّةٍ مِنْ سَوَادِ الرِّيشِ دُكْنَاءِ
كَرَاهِبٍ فِي أَعَالِي الدَّيْرِ مُجْتَهِدِ
بِقَرْعِ نَاقُوسِهِ فِي جُنْحِ دَهْمَاءِ
كَأَنَّمَا صَوْتُهُ إِذْ نَاحَ صَوْتُ شَجٍ
مُتَيَّمٍ لِفِرَاقِ الْأَهْلِ بَكَاءِ
أَحْنَتٌ لِتَغْرِيدِهِ أَهْدَابُ مُقْلَتِهِ
فَخَلَّتْهُ أَذُنَا تُصْغِي لِأَنْبَاءِ
وَالْجَوْ شَمَرُ أَفْرَاسِ الرِّيَّاحِ، فَمَا
أَجْرَى سَوَابِقَهَا فِي حَلْبَةِ الْمَاءِ
وَزَاجِرُ الرُّعْدِ يَحْدُو نُجْبَ سَارِيَةِ
بِسَوِّطٍ بَرَقَ إِلَى فَيْحَاءِ زَهْرَاءِ
وَالْغُدْرُ جَعْدَهَا كَفُ النَّسِيمِ كَمَا
تَجَعَّدَتْ عِكْنُ فِي عَطْفٍ وَطْفَاءِ

وَنَشْرُطِي الرَّبِّي يَرْوِي التَّضَوَّعَ عَنْ
مَوْلَايَ عُمَانَ فِي أَنْحَاءِ أَرْجَاءِ
مَوْلَى غَدَتِ تَحْذِفُ الْأُمُوالَ رَاحَتَهُ
حَذَفَ الْإِضَافَةَ تَنْوِينًا بِأَسْمَاءِ
رَاعَى النُّظِيرَ وَقَدْ جَازَ السَّهْيَ بِخُطَى
تُقْصِي السِّمَّاءَ وَلَمْ تَعْبَأْ بِعَوَاءِ
وَطَابَقَ الْوَصْفَ فِيهِ كُلُّ مَنْقَبَةٍ
بِئْسَ مَكْرَمَةٌ أَوْ حَسَنٌ بَلَوَاءِ
قُلْ لِلَّذِي قَاسَ بِالْأَنْوَاءِ نَائِلُهُ
أَخْطَأْتُ إِذْ قَسَنْتَ طُوفَانًا بِأَنْوَاءِ
قَدْ تَوَجَّهْتُ مَعَالِيهِ بِتَاجِ هُدًى
وَمَنْطَلَقَتُهُ يَدُ الْعَلِيَّاءِ بِجَوَازِ
وَدَبَّجَتْ رَاحَةَ الْحُسْنَى لَهُ حُلَا
أَبْهَى وَأَبْهَرَ مِنْ تَدْبِيحِ صَنْعَاءِ
يَسْمُو بِكَفٍّ عَلَى الرَّاجِينَ حَانِيَةٍ
جُودًا، وَطَرَفٍ عَلَى الْعَلِيَّاءِ رَنَاءِ
بِهِ اسْتَقَرَّتْ هِضَابُ الْمَلِكِ وَاتَّسَعَتْ
أَفْقَانُهُ فِي رَبِّي عِزٌّ وَعَلِيَاءِ
نُو الْجُودِ وَالْبَاسِ فِي يَوْمِي نَدَى وَرَدَى
كَالْغَيْمِ يَهْمِي بِخُرَاءِ وَسَرَاءِ

سَهْلُ السَّمَاحِ أَسِيلٌ فِي حِمَاسَتِهِ
كَالْعُودِ يَجْمَعُ بَيْنَ النَّارِ وَالْمَاءِ
فِي كَفِّهِ قَلَمٌ، فَصَلُّ الْخِطَابِ غَدَاً
مُبَرَّأً مِنْ خَنَا غِيٍّ وَفَحْشَاءِ
يَلْقِي عَلَى الطُّرْسِ أَشْيَاءَ مُغَيَّبَةً
كَأَنَّهُ قَدْ تَلَقَّاهَا بِإِيحَاءِ
يَمُصُّ رِيْقَةً تُغْرِ النَّوْنِ مِنْ ظَلَمٍ
كَأَنَّمَا هُوَ مَوْسُومٌ بِحُلُوءِ
إِنْ جَادَ أَغْنَى بِجُودٍ غَيْرِ مُمْتَنِعٍ
أَوْ قَالَ أَبْدَى مَقَالاً غَيْرَ خَطَّاءِ
طَابَتْ بِفَحْوَاهُ أَفْوَاهُ الرُّوَاةِ، فَمَا
عَرَفُ الْقَرْنِ فَلِ أَوْ عَرَفُ الْخُزَامَاءِ؟
مُرْفَعٌ عَنْ شَبِيهِهِ فِي خِلَافِهِ
إِذْ عَنْهُ قَدْ عَقِمَتْ أَرْحَامُ حَوَاءِ
إِذَا انْتَضَى سَيْفُهُ وَالتَّقَعُّ مُرْتَكِمٌ
فَالصَّبْحُ يَطْلُعُ فِي تَجُودٍ لَيْلَاءِ
وَإِنْ دَجَى لَيْلُ خُطْبِ الْحَادِثَاتِ وَلَمْ
تَبْدُ بِإِقَاقِهِ أَضْوَاءُ لَلَاءِ
أَضَاءُهُ بِشَهَابٍ مِنْ عَزِيمَتِهِ
وَوَاضِعٌ مِنْ سَدِيدِ الرَّأْيِ وَضَاءِ

مُظْفَرٌ بِحُسَامٍ فِي الْوَعَى دَلِقٍ⁽²⁾
مُؤَيَّدٌ يَدٌ فِي السِّلْمِ بَيْضَاءُ
يَرَى صَالِبَ الطَّبَى وَالْخَيْلُ صَاهِلُهُ
أَشْهَى وَأَطْيَبُ مِنْ عُودٍ وَمِنْ نَاءٍ⁽³⁾
ثَبَتُ الْجَنَانَ إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ وَعَى
يُذِرِي الْكُمَاةَ بِأَهْوَالٍ وَأَهْوَاءِ
كَأَنَّ أَسْيَافَهُ فِي النُّقَعِ إِذْ لَمَعَتْ
أَشْعُهُ الْبَرْقِ فِي أَكْنَافٍ وَطَفَاءِ
إِنْ انْتَضَتْهَا أَكْفُ الضَّارِبِينَ بِهَا
تَظَلُّهَا خَلَجًا سَابَتْ بِبِطْحَاءِ
قَوَاضِبٌ خَطَبَتْ بِالنُّصْرِ أَلْسِنُهَا
عَلَى مَنَابِرِ أَعْنَاقٍ وَأَعْضَاءِ
بَيْضُ بِأَيْدِي وَلاَةِ الصَّدَقِ قَدْ حَصَدَتْ
زَرَعَ الْغَوَايَةِ مِنْ هَامَاتِ أَعْدَاءِ
طَلَّقُ الْجَبِينِ نَدِيُّ الْكَفِّ تَحْسَبُهُ
كَالزُّهْرِ فِي الْأَفْقِ أَوْ كَالزُّهْرِ فِي الْمَاءِ
فَلَيْسَ يَنْفُكُ مِنْ جُودٍ وَمِنْ أَمَلٍ
مَكْرَدًا بَيْنَ إِصْبَاحٍ وَإِمْسَاءِ

(2) الدلق: السيف السلس الخروج من الغمد .

(3) الناء: يعني به الناي.

مِنْ مَعْشَرٍ أَوْقَدَ الرَّحْمَنُ نُورَهُمْ
 فَكَيْفَ يَطْمَعُ شَانِيهِمْ بِإِطْفَاءِ
 هُمْ هُمْ الْقَوْمُ شَدَّ اللَّهُ وَطَأَتَهُمْ
 عَلَى الْعِدَاةِ بَيِّنَاتٍ وَسَمَرَاءِ
 بِأَوَّلِ الْأَمْرِ مِنْهُمْ أَوْ بآخِرِهِمْ
 بَرَاهِمُ اللَّهِ أَنْوَاراً لِظُلُمَاءِ
 قَوْمٍ إِلَى عُمَرِ الْفَارُوقِ نَسَبَتْهُمْ
 لِدَاكْ عَزُّوا بِالنَّقَابِ وَأَسْمَاءِ (4)
 شَرَوْا بِأَرْوَاحِهِمْ فِي اللَّهِ جَنَّتَهُ
 فَاسْتَوْجَبُوا رِبْحَ إِخْلَاصٍ بِإِغْلَاءِ (5)
 لَا يَرْتَجُونَ سِوَى نَصْرِ الْإِلَهِ وَلَا
 يَخْشَوْنَ إِنْ أَزْمَعُوا تَهْوِيلَ شَنَاءِ
 كَانَتْهُمْ، وَعَيُّونُ اللَّهِ تَكْلُؤُهُمْ
 أَقْمَارُ دَاجِيَةٍ أَوْ صِيدُ هَيْجَاءِ
 يَوْمُهُمْ فِي صَلَاةِ النَّصْرِ أَعْلَمُهُمْ
 بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ فِي خَتْمٍ وَإِبْدَاءِ
 هَزَبِرُ حَرْبٍ يَصُونُ الْمَلِكُ مَرْهَقَهُ
 وَرَبُّ كَنْزٍ غَدَا يُحْمَى بِرَقَشَاءِ

(4) يشير إلى ادعاء الحفصيين الانتساب إلى عمر بن الخطاب، وسوف يكرر هذا الادعاء في أغلب مدائحه.

(5) في البيت تلميح إلى الآية: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ (التوبة 111) .

يَا مَالِكَا أَيَّدْتَ تَصْوِيرَ مَنْطِقِهِ
عِنْدَ الْقِيَاسِ بِرَاهِيْنِ الْإِدْلَاءِ
رَفَعْتَ جُمْلَةً نَظَمَ فِيكَ مَا انْخَفَضَتْ
بِحَرْفِ مِيمٍ وَلَا دَالٍ وَلَا حَاءٍ (6)
فَلْتَهْنَنَّ بِالْعِيدِ، عِيدِ الْفِطْرِ إِذْ طَلَعَتْ
نُجُومُ إِسْعَادِهِ فِي أَفْقٍ بِشَرَاءِ
هِلَالٍ شَوَالِهِ حَيَّاكَ مُبْتَسِمًا
كَالْأَلَامِ لِلدَّالِ أَوْ كَالنُّونِ لِلرَّاءِ
فَاهْنَأْ بِهِ، وَيَا ضَعَّافَ تَعِيشُ بِهَا
فِي طَيْبِ عَيْشٍ وَأَجَلَالٍ وَنَعْمَاءِ
وَهَاكَ عِذْرَاءَ نَظَمَ قَدْ رَفَقَتْ بِهَا
لِخَيْرِ بَعْلِ يُرَى مِنْ خَيْرِ أَكْفَاءِ
جَلَّتْ عَنِ الْوَصْفِ إِذْ جَلَّتْ صِنَاعَتُهَا
عَنْ قُبْحِ خَرَمٍ وَإِقْوَاءِ (7) وَإِيطَاءِ (7)

(6) ميم ودال وحاء أي مدح، أي أن شعره ارتفع وتشرف بمدحه.

(7) الخرم والقواء والإيطاء، من عيوب الشعر. فالخرم هو حذف حرف من أول الإبحر المبدوءة بأحد الأصول الثلاثة وهي فعولن ومفاعيلن ومفاعلتن المبدوءة بوترد مجموع. ويكون الخرم بحذف أول حرف من أول جزء من البيت، فتصبح فعولن مثلاً عولن، وتنقل إلى فعولن.

والإيطاء هو من عيوب القافية، ويتمثل في تكرار كلمة الروي لفظاً ومعنى في أقل من سبعة أبيات على المشهور، وأفحشه ما كان في بيتين متواليتين وأما الأقواء فهو اختلاف روي البيت على سابقه أو لاحقه، كأن تكون القصيدة على حرف مضموم، فيؤتى به مكسوراً.

إِنَّ لَمْ تَكُنْ صَنَعَةُ الْأَعْشَى نَصَانِعُهَا
 يَرْوِي عَنْ ابْنِ هَلَالٍ شَمْسَ لَإِلَاءِ (8)
 يُنْسِيكَ ثَغْرُ أَقَاحِيهَا إِذَا ابْتَسَمْتَ
 كَمْ مَقْلَةٍ لِلشَّقِيقِ الْغَضِّ رَمْدَاءِ
 لَا زِلْتَ كَالنَّجْمِ فِي سَعْدٍ وَفِي شَرْفٍ
 تُنْسِي الْجَمِيلَ وَتُنْسِي حَاتِمَ الطَّائِي (9)
 مَا رَفَرَقَ الْفَطْرُ فِي الْأَغْصَانِ أُنْمَعُهُ
 وَمَا رَنَا الزُّهْرُ عَنْ أَجْفَانٍ وَطَفَاءِ

المصدر: الديوان . ص 78 - 85

3. تَذَكُّرُ الْحَبِيبِ

(الكامل)

ذَكَرَ الْفُؤَادُ حَبِيبَهُ فَارْتَاخًا
 وَأَهَاجَهُ نَوْحُ الْحَمَامِ فَنَاحًا
 وَأَعَارَهُ الْبَرْقُ الْخُفُوقَ طُرُوبَهُ
 فَلِذَاكَ طَارَ وَمَا اسْتَعَارَ جَنَاحًا
 وَأَمَدَّهُ صَوْبُ الْقَمَامِ كَأَنَّهُ
 أَنْشَأَ بِقَلْبِ الْخَافِقِينَ رِيَاخًا

(8) الاعشى، يريد به أعمشى قيس، شاعر جاهلي ادرك الاسلام ولم يسلم. وكان يلقب بصناجة العرب لتمكنه من صنعة الشعر ولتأنيته بنائه وجمال أسلوبه توفي سنة 629/7 وابن هلال لعله يريد به أبا هلال العسكري صاحب كتاب "الصناعتين".

(9) حاتم الطائي: يضرب به المثل في الكرم عند العرب، كان من أهل نجد ومن فرسان الجاهلية وشعرائها، أُرخت وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي، أي 578م.

وَأَضَلَّهُ هَدْيُ النُّجُومِ عَشِيَّةً
وَأَعْلَاهُ بُرْءُ النَّسِيمِ صَبَاحًا
وَصَفَى لِتَغْرِيدِ الْحَمَامِ فَهَاجَهُ
بَرْقُ بِأَكْنَافِ الْأَيْرِقِ لَاحًا
وَأَعَادَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ مَوْقِفًا
أَضْنَى الْجُسُومِ وَأَنْعَشَ الْأَرْوَاحَ
هَلَّا نَهَاهُ نَهَاةً عَنْ ذِكْرِ الْهَوَى
فَأَرَاخَ مِنْ قَوْلِ الْعَذُولِ وَرَاحًا
يَا عَاذِلِي، لَا ذُقْتَ مَا أَنَا ذَائِقُ
مِنْ حُزْنِ قَلْبٍ لَازِمِ الْأَتْرَاحِ
وَعَدَّتْكَ أَشْجَانُ الْهَوَى وَشُؤُونُهُ
وَعَدِمْتَ رُشْدًا بَعْدَهُ وَفَلَاحًا
أَتَظُنُّ أَنَّ الْعَذْلَ يَنْفَعُ مَنْ يَرَى
أَنْ لَا يَرَى لِفَسَادِهِ إِصْلَاحًا
هَبْ أَنْ عَذْلَكَ مُؤَذِّنٌ بِنَصِيحَةٍ
أَرَأَيْتَ صَبَا يَأْلَفُ النَّصَاحَا
فَدَعِ التَّعْتَبَ وَأَطْرِحْ نَصْحِي فَمَا
كَلَّفْتَ لِي الْإِسْعَادَ وَالْإِفْلَاحَا
وَبِمُهْجَتِي تَغْرِيدُ قُمْرِي حَكَى
تُكَلِّدُ أَتَقَطَّتِ النَّيَامُ صِيَاخَا

فِي رَوْضَةٍ حَاكَ الرَّبِيعُ لِحُودِهَا
 حَلَا وَمَاغَ لَهَا الْخَلِيجُ وَشَا
 وَأَعَارَهَا الْأَصْبَاحُ بَهْجَتَهُ، كَذَا
 تَلْقَى بِهَا غَيْدَ الزُّهُورِ صَبَاحًا
 قَدْ مِسْنُ قُضْبًا، وَابْتَهَجْنَ شَقَائِقًا
 وَسَفَرْنَ وَرَدًا وَابْتَسَمْنَ أَقَا
 وَتَبَسَّمَتْ أَزْهَارُهَا لَمَّا جَرَى
 دَمْعُ الْغَمَامِ عَلَى الْبَطَاحِ وَسَا
 وَتَمَايَلَتْ أَغْصَانُهَا طَرِبًا كَمَا
 مَالَتْ زَنُوجٌ قَدْ سُقِينَ الرَّاحَا

المصدر: الديوان: ص 274 - 276.

4- على وجنتيها الورد

(الطويل)

عَلَى وَجَنْتَيْهَا الْوَرْدُ إِنْ فَقَدَ الْوَرْدُ
 وَفِي ثَغْرِهَا الصُّهْبَاءُ مَا زَجَّهَا الشَّهْدُ
 وَلَوْلَا الْهَوَى مَا حَلَّ أَحْمَدُ رِيْقَهَا
 وَمَنْ حَرَّمَ السَّلْسَالَ خَالَطَهُ النَّدُّ
 وَلَمَّا سَقَّتْنِيهِ حُدِدْتُ بِلِحْظِهَا
 وَمَنْ يَشْرَبُ الصُّهْبَاءَ يَلْزَمُهُ الْحَدُّ

وَأَقْسِمُ لَوْلَا عَقْرَبُ الصَّدْغِ رَاعَنِي
لَمَا كَانَ لِي مِنْ لَثَمٍ وَجَنَّتْهَا بُدُّ
أَضَلَّتْ رَشَادِي فِي الْهَوَى بِسُؤَالِهَا
أَغَارُ عَلَيْهَا إِذْ تَحَمَّلَهَا الْخَدُّ
تَنَنَّتْ فَحَارَ الْفَهْمُ فِي وَصْفِ حُسْنِهَا
وَقَدْ يَتَنَنَّى الْغُصْنُ لِأَنَّهُ فَرْدُ
وَمَا هِيَ إِلَّا الشَّمْسُ أَنْكَرَ ضَوْعَهَا
وُشَاةٌ، إِذَا لَاحَتْ، لَهُمْ أَعْيُنُ رُمْدُ
تَنَاسَبَتْ الْأَفْعَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
عَلَى أَنَّهَا فِي الْحُسْنِ لَيْسَ لَهَا نَدُّ
فَقَلْبِي وَقُرْطَاهَا وَصَبْرِي وَخِصْرُهَا
وَوَجْدِي وَرِدْفَاهَا وَدَمْعِي وَالْعَقْدُ
جَحَدْتُ هَوَاهَا خِيفَةً مِنْ صُدُودِهَا
وَمَاذَا عَسَى يُغْنِي مُتِمَّهَا الْجَحْدُ
وَمَذْ هَجَرْتَنِي وَأَصَلَ السُّهُدُ مَقْلَتِي
فَنَوَمِي وَصَبْحِي لَيْسَ لِي بِهِمَا عَهْدُ
وَمَا قَطَعَ الطَّيْفُ الزِّيَارَةَ عَنْ قَلْبِي
وَلَكِنْ جَفَنِي لَا يُفَارِقُهُ السُّهُدُ
سُهَادِي بِهَا أَحْلَى لَدَيَّ مِنَ الْكَرَى
وَأَوْقَدُ مَا أَلْقَاهُ فِي جُهَا بَرْدُ

5 - رثاء ابنه محمد

(البسيط)

أَصَبْتَ عَيْنَ الْمَهَا يَا مَوْتُ بِالرَّمْدِ
 وَقَدْ أَهْمَضْتَ جَنَاحَ الْمَجْدِ، فَاتَّئِدِ
 جَدَعْتَ مَا رَنِي الْأَقْنَى، وَعَنْ غَرَضٍ
 رَمَيْتَ جَفْنِي بَعْدَ الْمَوْتِ بِالسَّهْدِ⁽¹⁾
 هَدَمْتَ مَا شِيدَ مِنْ رُكْنِ الْفَخَارِ وَلَمْ
 تَتْرُكْ لَهُ أَبْدًا بَادٍ إِلَى الْأَبَدِ
 نَاجَزْتَ فِي صَرْفِ آجَالٍ قَدْ اقْتَرَبَتْ
 إِذْ لَا تُسَلِّمَهَا إِلَّا يَدًا بِيَدٍ
 كَمْ زِدْتَ فِي نَقْصِكَ الْعَلِيَّا جَوَى كَبِدٍ
 حَرَّى، فَيَا لَيْتَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ
 وَكَمْ تَرَكْتَ رُبُوعًا لَيْسَ يَعْمُرُهَا
 سِوَى الْحَدَايَةِ وَالْخُطَافِ وَالصَّرْدِ⁽²⁾
 وَكَمْ قَطَعْتَ غُصُونًا، غَيْرَةً، فَذَوَتْ
 كَأَنَّكَ الْقَلْبُ مَجْبُولٌ عَلَى الْحَسَدِ
 وَكَمْ أَخَذْتَ حَلِيفًا لِلِسَخَاءِ، وَكَمْ
 تَرَكْتَ زَنْدَ النَّدَى كَفًّا بِلَا عَصَدٍ

(1) المارن: طرف الأنف.

(2) الحداية، طائر من الجوارح، وهي عامية، فصيحها الحداة، والصرد طائر ضخم الرأس.

وَكَمْ تَرَكْتَ أَبَا يَبْكِي عَلَى وَلَدٍ
أَذَقْتَهُ طَعْمَ ثُكُلِ الْأُمِّ لِلْوَلَدِ
وَكَمْ لُحُودٍ قُبُورٍ قَدْ نَثَرْتَ بِهَا
أَعْضَاءَ حُسْنِ كَمِثْلِ الْجَوْهَرِ النَّضِيدِ
وَكَمْ تَوَسَّدَتْهَا رَأْسًا بِلَا عُنُقٍ
كَمَا ارْتَدَيْتَ بِهَا ثَوْبًا بِلَا جَسَدٍ
وَكَمْ تَرَكْتَ أَمِينًا غَيْرَ مُؤْتَمِنٍ
كَمَا تَرَكْتَ عِمَادًا غَيْرَ مُعْتَمَدٍ
وَكَمْ تَرَقَّيْتَ مَرْقَى عَزٍّ مَدْرَكُهُ
وَكَمْ تَخَلَّلْتَ حَتَّى غَابَةِ الْأَسَدِ
يَا مُرْتَدٍّ بِالشَّبَابِ الْغَضُّ، مُنْتَشِيًا
مِنْ كَأْسِهِ، هَلْ أَحَبَّ السُّكْرَ ذُو رَشَدٍ
لَا تَغْتَرِرْ بِشَبَابٍ أَنْتَ تَهْدِمُهُ
إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تَبْقَى عَلَى أَحَدٍ
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لِمَ لَا تَنْتَهَ نَفْسَكَ عَنْ
مَا قَدْ جَنَنْتَ مِنْ فَسَادٍ جَلٍّ عَنْ عَدَدٍ
هَبِ الشَّبَابَ لَهُ عُدْرٌ بِصَاحِبِهِ
مَا عُدْرُ أَشْيَبَ فِي الْعِصْيَانِ مُنْفَرِدٍ؟
لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا
مَنْ سَرَّهُ الْيَوْمُ وَأَفَاهُ الْكَتَابُ غَدٍ

وَالْعُمْرُ مَيْدَانُ سَبَقٍ وَالْحِمَامُ مَدَى
وَكُلُّ جَارٍ سَيَلَقَى غَايَةَ الْأَمَدِ
يَا لَيْلَةَ بَاعْتِلَاجِ الْبَرْقِ قَدْ عَلِقْتُ
جُوزًاوَهَا كَاعْتِلَاقِ الْقَلْبِ بِالْكَبِدِ
أَبْدَيْتِ مِثْلَ الَّذِي أَدْبَرْتَ مِنْ قَلْقٍ
وَلَمْ يَكُنْ بِالَّذِي أَكْمَنْتِ مِنْ كَمَدِ
وَكَمْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَاتَ مُصْطَبِرٍ
فَالآنَ أَجْهَدُ حَتَّى لَاتَ مُجْتَهِدِ
عِنْدِي شَوَائِبُ حُزْنٍ لَوْ رَمَيْتُ بِهَا
عِنْدَ التَّقْعُجِ هَامَ الْغَيْثِ لَمْ يَجِدِ
وَحَسْرَةً جَسَادَهَا دَمْعِي فَأَوْقَدَهَا
وَلَوْ عَدَتْ بِجَوَاهَا النُّجْمَ لَمْ يَقْدِرْ
عُمْرِي لَقَدْ غَالَتَا الرُّزْءُ الَّذِي طَرَقَتْ
بِهِ اللَّيَالِي، وَجَلَّ الْخَطْبُ عَنْ جَلْدِ
هِيَ الْمَقَادِيرُ فَأَقْبِلْ مَا حَبَبَكَ بِهِ
مِنْ أَجَلٍ نَضِرْ أَوْ عَاجِلٍ نَكِدِ
فَلِالْأُمُورِ مَوَاقِيتُ مُقَدَّرَةٌ
مَا بَيْنَ مُنْعَكِسٍ مِنْهَا وَمُطَرِّدِ
إِنَّ لِحْ شَوْقِي فَلَا بَدْعَ لِذِي عَجَبِ
أَوْ قَلَّ صَبْرِي فَلَا لَوْمَ لِذِي نَكِدِ

عَيْنُ مُسَهَّدَةِ الْأَجْفَانِ أَرْقَهَا
 نَأْيُ الْحَبِيبِ، وَقَلْبُ نَاحِلِ الْجَسَدِ
 لَهْفِي! وَهَلْ نَافِعِي لَهْفِي عَلَى وَلَدِي
 إِذَا لَجَأْتُ لِصَبْرِ فِيهِ لَمْ أَجِدِ
 لَهْفِي! وَهَلْ نَافِعِي لَهْفِي عَلَى قَمَرِ
 رَمَاهُ بِالْخَسْفِ نَحْسُ الطَّالِعِ النَّكِدِ
 لَهْفِي وَلَهْفَ بَنِي الْأَيَّامِ قَاطِبَةِ
 عَلَى مُحَمَّدٍ إِذْ وَلَّى وَلَمْ يَعُدِ
 وَكُلَّ عَيْنٍ بِمَاءِ الدَّمْعِ فِي غَرَقٍ
 وَكُلَّ قَلْبٍ بِنَارِ الشُّوقِ مُتَّقِدِ
 لَا أَعْتَبُ الزَّمْنَ الْمُودِي بِسَيِّدِهِ
 يَكْفِيهِ مَا حَلَّ فِي أَحْشَاهُ مِنْ كَمَدِ
 وَكَمْ طَلَبْتُ اللَّيَالِي أَنْ تُغَيِّبَهُ
 عَنِ الْمَنَآيَا، فَلَمْ تَفْعَلْ وَلَمْ تَكْدِ
 أَهْ لِعَظْفٍ بَيَّانٍ فِيهِ ذِي نَسَقٍ
 قَدْ نَارَعَ الْقَرَبَ فِيهِ عَامِلُ الْبَعْدِ
 بُنِيَ لَيْتَكَ لَمْ تُخْلَقْ لِوَدِّي بِلَى
 يَا لَيْتَتِي لَمْ أُسَمَّ بِالصَّبْرِ عَنْ شَهْدِ
 وَلَيْتَ بَذْرَكَ لَمْ يَطْلُعْ عَلَى أَفْقٍ
 وَلَيْتَ شَمْسَكَ لَمْ تُشْرِقْ عَلَى بَلَدِ

مَا كَانَ أَقْصَرَ سَاعَاتِ بِكَ ارْتُصِدَتْ
 فَلَيْتَنِي كُنْتُ مَوْقُوفًا عَلَى الرُّصْدِ
 سَقَى الْحَيَا قَبْرَكَ الزَّاكِي وَوَاصَلَهُ
 سَحَابٌ عَفْوٍ وَغُفْرَانٍ مَدَى الْأَبَدِ
 وَصَبَّرَ اللَّهُ قَلْبَ الْوَالِدَيْنِ عَلَى
 مَنْ حَرَّكَ الْوَجْدُ فِيهِ سَاكِنَ الْجَلْدِ

المصدر: الديوان: ص 250 - 254

6 - ورود و خدود

(الوافر)

أَرَانَا السُّورَدَ فِي حُمْرِ الْخُدُودِ
 وَقَدْ حَمَلَتْهُ بَانَاتُ الْقُدُودِ
 وَلَاحَ الْجُلُنَّارُ بِوَجْنَتَيْهِ
 فَبَشَّرَنَا بِرُمَّانِ النَّهْودِ
 وَقَوْسٍ حَاجِبًا فَرَمَى سِهَامًا
 تَشُقُّ قُلُوبَنَا قَبْلَ الْجُلُودِ
 يَمِينًا بِالْقَوَامِ إِذَا تَنَزَّى
 وَبِالدُّعَجِ الْمُكْحَلَةِ الرُّقُودِ
 لَئِنْ قَطَعَ الْمُهَنْدُ نُونَ غِمْدِ
 فَسَيَفُ اللَّحْظِ أَقْطَعُ فِي الْغُمُودِ
 وَإِنْ نُسِبَ الْجَبِينُ إِلَى هِلَالٍ
 فَقَدْ نُسِبَ الْعِذَارُ إِلَى زُرُودِ!

غَزَالَ نَافِرٌ إِنْ رُمْتُ أَنْسًا
 وَكَيْفَ الْأَنْسُ لِلطَّبِيِّ الشُّرُودِ
 لَهُ فِي لَحْظِهِ آيَاتُ سِحْرِ
 تَرِيكَ الطَّبِّي يَلْعَبُ بِالْأُسُودِ
 رَأَهُ الْغُصْنُ ثُمَّ سَهَا، فَلَمْ لَا
 أَتَى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالسُّجُودِ
 ضَلِلْتُ بِلَيْلِ طُرَّتِهِ، وَلَكِنْ
 هُدَيْتُ بِصُبْحِ طَالِعِهِ السَّعِيدِ
 شَنِيبُ الثَّغْرِ مَعْسُولُ الثَّنَائَا
 كَحِيلِ الطَّرْفِ وَرَدْيِ الْخُنُودِ
 يُدِيرُ الرَّاحَ بِالْكَاسَاتِ كَيْمَا
 يُرِيكَ الشَّمْسَ فِي بُرْجِ السُّعُودِ
 خَطْبْنَا بِكَرْهَا فِي وَقْتِ أَنْسٍ
 فَهَلْ لَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الشُّهُودِ

المصدر: الديوان: ص 288 - 289.

7 - أضرم الدمع في الحشاشة نارا

(الخفيف)

أَضْرَمَ الدَّمْعُ فِي الْحُشَّاشَةِ نَارًا
 حِينَ قَالُوا شَطُّ الْحَبِيبُ وَسَارًا
 سَارَ عَنِّي، وَلَمْ أَجِدْ لِي صَبْرًا
 كَيْفَ حَالِي! وَلَمْ أَجِدْ لِي اصْطِبَارًا

طَيَّرَ الْعَقْلَ ثُمَّ قَصَّ جَنَاحِي
 وَقَصَا مَنْزِلًا وَشَطَّ مَزَارًا
 وَبَحَّ قَلْبِي، وَوَبَحَّ كُلُّ مُحِبٍّ
 فَقَدَّ الْعَيْنَ فَأَقْتَفَى الْأَثَارَ
 يَرْقُبُ النَّجْمَ فِي الظَّلَامِ وَمَهْمَا
 لَمَعَ الْبَرْقُ فِي الْغَمَامِ اسْتَطَارَا
 وَإِذَا نَاحَ فِي الْغُصُونِ حَمَامٌ
 مَزَّقَ الْقَلْبَ ثُمَّ شَقَّ الْإِزَارَا
 وَإِذَا زَارَ لِلْأَحَبَّةِ طَيْفٌ
 نَكَّسَ الرَّأْسَ ذِلَّةً وَصَفَارَا
 لَازَمَ السُّهْدَ وَالْأَسَى فَلِهَذَا
 عَلَّمَ النَّوْحَ وَالْبُكَ الْأَطْيَارَا
 فَقَدَّ الصَّبْرَ وَالسُّلُوءَ فَأَضْحَى
 يُظْهِرُ الْحُبَّ لَوْعَةً وَاسْتِعَارَا
 وَكَسَا جِسْمَهُ السَّقَامُ، فَأَمْسَى
 سُهْدٌ عَيْنَيْهِ لِلْجُفُونِ شِعَارَا
 يَا لَقَوْمِي! أَمَا مَعِينٌ مَعِينٌ
 غَيْرَ دَمْعٍ أَقَاضَ مِنْهُ الْبَحَارَا
 أَوْ شَقِيقُ يَرْقُ لِي، أَوْ رَفِيقُ
 يَحْفَظُ الْجَارَ أَوْ يُرَاعِي الْجَوَارَا

أَوْ صَدِيقٌ صَدُوقٌ وَعَدٌ، يُبَارِي
نَقْضَ عَهْدِي وَيَكْتُمُ الْأَسْرَارَ
أَوْ سَمِيرٌ يُصْنَعِي إِلَى شَرْحِ حَالِي
فَحَدِيثِي لِيُطْرِبُ السُّمَارَ
كَانَ مَا كَانَ يَا قُؤَادِي فَدَعَهُ
فَالَّذِي كُنْتُ أَخْتَشِي مِنْهُ صَارَ
قُضِيَ الْأَمْرُ، فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ،
فَلَّكَ الْوَصْلُ بِالْقَطِيعَةِ دَارًا
أَهْ مِنْ فُرْقَةٍ وَفَيْضٍ جُفُونٍ
صَيَّرَ الطَّرْفَ وَالْفُؤَادَ حَيَارَى
مَنْ نَصِيرِي وَلَيْسَ غَيْرُ قُؤَادٍ
مَاتَ شَوْقًا وَمَا دَرَى الْإِنْتِصَارَ
وَيَحْ أَهْلَ الْهَوَى يَرُونَ سُكَارَى
بِهَوَاهُمْ، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى
صَيَّرُوا الذَّلَّ شَرِيعَةً لِلنَّاسِ
أَنْفُوا الذَّلَّ فِي الْهَوَى وَالصَّغَارَا
يَا قُسَاةَ الْقُلُوبِ، رِفْقًا بِقَلْبٍ
لَمْ يَكُنْ قَطُّ يَأْلَفُ الْأَحْجَارَا
قَدْ نَسِيتُمْ عَهْدَنَا، وَقُؤَادِي
لَمْ يَزِدْهُ الْبِعَادُ إِلَّا اذْكَارَا

كَمْ جُفُونٍ كَسَوْتُمُوهَا سُهَادًا
 وَقُلُوبٍ سَلَبْتُمُوهَا الْقَرَارَا
 كُلُّ يَوْمٍ يَسُومُنِي الْخُبُّ حَقًّا
 بَنَوِي شَبُّ فِي الْأَضَالِعِ نَارًا
 وَإِذَا مَا الظَّلَامُ جَنَّ رَمَانِي
 سَهْمٌ وَجَدَ يَهَيِّجُ الْافْكَارَا
 طَالَ لَيْلِي، وَلَمْ يَلُحْ وَجْهُ صُبْحِي
 يَا تُرَى هَلْ أَرَى الظَّلَامَ يُوَارِي
 لَوْ يَكُونُ الصَّبَاحُ حَيًّا يُرَجَّى
 لَمْ تَرَ الزُّهْرَ فِي السَّمَاءِ حَيَّارِي!

المصدر: الديوان: ص 299 - 301.

8 - مدح أبي عمرو عثمان الحفصي (الكامل)

حَسَرَ اللَّثَامَ عَنِ الْمَحْيَا الْأَزْهَرَ
 فَابْتَانَ عَنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ الْمُسْفِرِ
 وَرَنَا بِأَخْوَرِ لَحْظِهِ لَمَّا انْتَنَى
 فَرَأَيْتُ أَبْيَضَ يُنْتَضَى مِنْ أَسْمَرِ
 وَأَخْضَرَ أَسْ عَذَارٍ وَرَدَّةٍ خَدَّ
 فَحَمَاهُ سَالِفُهُ بِعَقْرَبِ عَنَبَرِ

وَرَوَى "مُبَرَّدٌ" رِيقَ مَبْسَمِهِ لَنَا
عَقَدَ الْجَوَاهِرِ عَنْ صِحَاحِ "الْجَوْهَرِيِّ"
قَمَرُ أَبَانَتْ وَجَنَّتَاهُ شَقَائِقًا
نُعْمَانُهَا بِالْمُنْعِ أَصْبَحَ مُنْذِرِي
أَصْلُ الْمَلَاخَةِ فِيهِ فَرْعُ أُسْحَمُ
قَامَتْ أَدْلَتُهُ بِفَرْقِ نَيْرِ
يَهْتَزُّ مِنْ مَرَحِ الشَّبَابِ قَوَامُهُ
كَالْغُصْنِ صُوفِحَ بِالنَّسِيمِ السَّحَرِيِّ
فِي أَفْقِ وَجَنَّتِهِ الْمُنِيرَةِ كَوُكَبُ
نَادَى بِهَا الْعُشَّاقُ يَا لِلْمُشْتَرِي
وَيَنْقَرِهِ شَهْدُ يُنَادِي عَوْفُهُ
يَا أَيُّهَا الْحَلَوِيُّ يَا ابْنَ السُّكَّرِيِّ
مَا زِلْتُ أَطْلُبُ قُرْبَهُ حَتَّى دَنَا
وَالصَّدِّمُ مِنْ شَيْمِ الطَّبَّاءِ النَّفَرِ
فَحَلَلْتُ جَنَّةَ وَصْلِهِ، فَأَبَاحَنِي
رِضْوَانُ مَبْسَمِهِ شَرَابَ الْكَوْثَرِ
وَرَشَفْتُ رِيقَتَهُ فَشَبَّ بِمُهْجَتِي
لَهَبُ الْجَوَى مِنْ رَشْفِ مَاءِ السُّكَّرِ
حَيْثُ الصَّبَاحُ أَبَانَ صَارِمَ نُورِهِ
فَمَحَا بِهِ آيَ الظُّلَامِ الْأَعْكُرِ

وَأَمْتَدُّ مِضْمَارُ الرَّبَى لِمَا انْتَبَرَتْ
تَجْرِي بِهَا خَيْلُ النَّسِيمِ الْأَعْطَرِ
وَشَدَّتْ عَلَى الْعِيدَانِ وَرَقَاءَ الْحِمَى
بِلُحُونٍ "مَعْبَدٌ" مِنْ حِصَارِ الْعَكْبَرِي
وَأَفْتَرُّ نَغْسَرُ الْأَقْحَوَانَةِ ضَاكِكًا
لَمَّا بَكَى جَفْنُ الْغَمَامِ الْمُطِيرِ
فَالْغَيْمُ بَيْنَ تَقَشُّعٍ وَتَرَاحُمٍ
وَالشَّمْسُ بَيْنَ تَبَرُّجٍ وَتَسْتُرٍ
وَالرَّوْضُ بَيْنَ مُعْصَفَرٍ وَمُورِدٍ
وَالْأَفْقُ بَيْنَ مُمَسِّكٍ وَمُعَنْبَرٍ
وَالسُّوحُ بَيْنَ مُتَوَجِّعٍ وَمُشَنَّفٍ
وَالْغُصْنُ بَيْنَ مُوشِحٍ وَمُؤَزِّدٍ
وَالنَّهْرُ بَيْنَ مُزَرَّدٍ وَمُدْرَعٍ
وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدْرَهَمٍ وَمُدْنَرٍ
فِي رَوْضَةٍ لَوْلَا شَدَا أَنْوَارُهَا
قَلْنَا "لَال" فِي بَسَاطٍ أَخْضَرِ
حَصْبَاءُهَا مِنْ جَوْهَرٍ وَنَسِيمِهَا
مِنْ عَنَبَرٍ وَمِيَاهُهَا مِنْ سَكَّرٍ
وَطَيُّورُهَا مَدَّتْ أَكْفَ دُعَائِهَا
بِقَا "أَبِي عَمْرُو" الْمَلِكِ الْأَكْبَرِ

مَوْلَايَ عَثْمَانَ الَّذِي إِنْعَامُهُ
 أَزْدَى بِسَيْلِ الشَّاهِقِ الْمُتَحَدِّرِ
 مَلِكٌ لَهُ هِمَمٌ تَرْفَعُ قَدْرَهَا
 عَنْ هِمَّةِ النُّعْمَانِ وَالْإِسْكَندَرِ
 مُسْتَظْهِرٌ بِظَهِيرَةٍ مِنْ فِكْرَةٍ
 تُمْضِي الْأُمُورَ بِمُظْهِرٍ وَبِمُضْمَرٍ
 فَإِذَا اسْتَتَارَ بِرَأْيِهِ مُتَحَيِّرٌ
 أَهْدَاهُ لِلْإِرْشَادِ بَعْدَ تَحْيِيرٍ
 فَهَمُّ أَذَقُ مِنَ النَّسِيمِ وَقِطْنَةٌ
 رَدَّتْ أَقَاصِي الْغَيْبِ رَدَّ الْمُبْصِرِ
 مُسْتَكْبِرٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَوْدَدًا
 وَمُشَارِفٌ الْإِقْلَالَ مَنْ لَمْ يُكْثِرِ
 سَفَرَتْ لَنَا أَثَارُ نَوَلَةِ مَلِكِهِ
 عَنْ وَجْهِ بَدْرِ الْكَمَالِ مُنُورٍ
 نُوْ هِمَّةٍ رُفِعَتْ بِإِسْمِ ظَاهِرٍ
 نُصِبَتْ لَهَا الْعَلِيَّا بِفِعْلِ مُضْمَرٍ
 غَيْثٌ نَرْجِيهِ وَيُرْهَبُ بِأَسْئِهِ
 وَلَرَبُّ غَيْثٍ بِالصَّوْاعِقِ مُمَطِّرٍ
 فَإِذَا الْعَدُوُّ طَغَى سِقَاهُ عُلْقَمًا
 وَإِذَا الْوَلَايُ دَعَا، حَبَاهُ بِسُكْرِ

يَا مَنْ يَقْصِرُ إِذْ يَرُومُ لِحَاقَهُ
هَلْ نِسْبَةُ الْأَعْرَاضِ مِثْلُ الْجَوْهَرِ
مَنْ ذَا يُضَاهِي الْبَذْرَ حَالَ تَمَامِهِ
أَوْ مَنْ يَقُولُ الذَّنْبُ مِثْلُ الْقَسُورِ
شَرُفَتْ مَعَانِيهِ فَلَيْسَ لَوْصِفِهَا
حَدٌّ فَيُعْرِبُهُ لِسَانُ الْمُخْبِرِ
مِنْ مَعْشَرٍ كَرَّمَتْ عَشَائِرُهُمْ إِذَا
حَازُوا الْعُلَا، أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ مَعْشَرِ
كَرَّمَتْ أَصُولُ فَخَارِهِمْ شَرْقًا وَقَدْ
طَابَتْ قُرُوعُهُمْ لِطَيْبِ الْعُنْصُرِ
عَزَمَاتُهُمْ بِيضُ الصَّوَارِمِ إِنْ دَجَا
خَطْبٌ وَأَيْدِيهِمْ غِمَارُ الْأَبْحُرِ
قَدْ صَحَّحُوا فِي الْحَرْبِ سُمْرَ رِمَاحِهِمْ
فَإِذَا انْبَسَرَتْ لِلْحَرْبِ لَمْ تَتَكَسَّرِ
الطَّاعِنِينَ النَّحْرَ وَهُوَ مُنْعٌ
وَالضَّارِبِينَ إِلَهُامَ تَحْتَ الْعِثْرِ
وَالسَّائِسِينَ الْمَلِكِ، لَا أَرَاؤُهُمْ
تُخْطِي وَلَا مَيَسُورُهُمْ بِمَعْسَرِ
لَوْ لَمْ يَخَافُوا تَيْهَ سَارِ نَحْوَهُمْ
وَهَبُوا النُّجُومَ مَعَ الصَّبَاحِ النَّيِّرِ

فَبَائِي جُودٍ لَمْ تَفْضُ أَيْدِيَهُمْ
أَمْ أَيُّ جَبَّارٍ بِهِمْ لَمْ يَقْهَرْ
حَزَنُ بَنِي الْفَارُوقِ فِي عَلَيَانِكُمْ
شَيْمًا كَرَمَنُ، وَأَنْعَمًا لَمْ تَكْفَرْ
فَلْيَهْنِكُمْ فِي الدَّهْرِ أَنْ جِيَادَكُمْ
سَبَقَتْ إِلَى أَمَدِ الْعُلَى وَالْمَقْضَرِ
وَلْيَكْفِكُمْ مَجْدًا بِأَنْ لَبَيْتَكُمْ
شَرَفًا يَفُوقُ سَنَاهُ نُورِ النَّيِّرِ
يَا ابْنَ الْمُلُوكِ الشَّائِدِينَ حِمَى الْهُدَى
بِذَوَابِلِ سُمْرٍ وَيَبْضِ بَثْرِ
قَدْ أُعْطِيتُ تَرْشِيشُ مِنْكَ نِهَايَةَ الْـ
حِظِّ الْمَقُومِ وَالنُّصِيبِ الْأَوْفَرِ
وَأَعَدْتُ فِينَا سِيرَةَ عُمَرِيَّةَ
أَضْحَكْتَ تَتِيهِ عَلَى جَمِيعِ الْأَعْصُرِ
عَلِقَ الرَّجَا بِجِبَالِ جُودِكَ إِذْ غَدَا
كَهْفَ الْقَلِّ وَعُدَّةَ الْمُتَحِيرِ
مَا بَعْدَ دِيْمَتِكَ الرُّوْيَةِ دِيْمَةً
يَشْكُو لَهَا ظَمًا لِسَانُ الْمُقْتَرِ
لِلْهِ كَمْ لَكَ مِنْ يَدٍ مَأْثُورَةٍ
عِنْدِي وَكَمْ لَكَ مِنْ نَدَى مُسْتَغْزَرِ
فَاسْلَمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُسْرِبَلًا
سَرِبَالِ مَنْصُورِ الْيَدَيْنِ مُظْفَرِ

المصدر: الديوان: ص 104. 109.

9. مصارع العشاق

(الكامل)

مَنْ لَمْ تَرُعْهُ صَوَارِمُ الْأَحْدَاقِ
لَمْ يَذَرْ كَيْفَ مَصَارِعِ الْعُشَاقِ
إِنْ لَمْ تَرُعْكَ وَلَمْ تُشَاهِدْهَا، فَسَلْ
بَرْقَ الصِّمَى عَنْ قَلْبِي الْخَفَاقِ
وَأَصْنَعْ لِتَغْرِيدِ الْحَمَامِ وَشَدْوِهِ
يُبَيِّنُكَ عَنْ وَجْدِي وَعَنْ أَشْوَاقِي
فَيَسُحِبْ دَمْعِي وَالتَّهَابِ جَوَانِحِي
أُنْذِرْتُ بِالْإِغْرَاقِ وَالْإِحْرَاقِ
وَيَسْهَدُ جَفْنِي وَادَّتَابِ حُشَاشَتِي
أُرْسِلْتُ لِلْعُشَاقِ بِالْأَشْوَاقِ
فَالصُّبُّ دِينِي وَالتَّوَلُّهُ شِرْعَتِي
وَالْوَجْدُ عَهْدِي وَالْهَوَى مِيثَاقِي
وَالشُّوقُ طَبْعِي وَالصَّبَابَةُ شِيْمَتِي
وَالتَّوَقُّ وَصْفِي وَالْجَوَى أَخْلَاقِي
أَمْخَلَقْنَا جَسَدِي وَسَالِبَ مُهْجَتِي
مَاذَا يَضُرُّكَ لَوْ سَلَبْتَ الْبَاقِي
إِنِّي وَإِنْ أَخْفَرْتُ ذِمَّةَ مُهْجَتِي
لَمْ أَرْضَ أَخْفَرُ ذِمَّةَ الْمِيثَاقِ

فَعَلَامَ خَلَّفْتَ الْفُؤَادَ مُرَوَّعًا
مَا بَيْنَ إِخْلَافٍ إِلَى إِخْلَاقٍ
هَبْنِي أَسَاؤُ فَكُنْ بِعَبْدِكَ مُحْسِنًا
وَأَشْفِقْ عَلَى الْمُهْجَاتِ وَالْأَرْمَاقِ
أَوْ لَمْ تَرِقْ لِرِقِّ عَبْدٍ عِزُّهُ
أَنْ لَمْ تَسْمَعْ بِذِلَّةِ الْإِعْتِقَاقِ؟
دَنِفُ إِذَا ذَكَرَ الْوِصَالَ تَمَزَّقَتْ
أَحْشَاءُ قَبْلِ تَمَزُّقِ الْأَطْوَاقِ
يَبْكِي لَيْلَاتٍ تَقْضَتْ بِالْهَنَاءِ
مَا بَيْنَ تَقْبِيلٍ وَطِيبِ عِنَاقِ
حَيْثُ الْغُصُونُ تَمَايَلَتْ أَفْنَانُهَا
وَالْتَفَّتِ الْأَوْدَاقُ بِالْأَوْدَاقِ
يَا رَاجِلًا عَنِّي وَسَاكِنُ مُهْجَتِي
هَلَّا أَقَمْتَ لَنَا بِقَدْرِ فُؤَادِ
وَرَحِمْتَ إِشْفَاقِي عَلَيْكَ حَنَانَةً
إِنْ الْحَنَانَةُ شِيْمَةُ الْإِشْفَاقِ
وَمَنْنْتَ لِي بِالْقُرْبِ مِنْكَ تَكْرُمًا
فَاللَّهُ حَبُّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

يَكْفِيكَ مِنِّي أَنْ أُبَيِّتَ مُعَذِّبًا
قَلَقَ الْفُؤَادِ مُسْهَدَ الْأَحْدَاقِ
أَرْغَى النُّجُومَ وَهْنٌ أَفْصَحَ مُخْبِرٍ
عَمَّا أَقَاسِي فِي الدُّجَى وَالْأَقْيِ
وَأَرَاقِبُ الْجَوَازِءَ أَسْأَلُ قُطْبَهَا
عَنْ ثَالِثِ الْقَمَرَيْنِ فِي الْإِشْرَاقِ
وَأُرَاسِلُ الْغَيْثَ الْهَتُونِ وَبَرَقَهُ
بِلَظَى حَشَايَ، وَمَدْمَعِي الرُّقْرَاقِ
وَأَطَارِحُ الْقَمَرِيِّ فِي تَغْرِيدِهِ
بِنَوَى يِرَاعِي أَوْ بِهِولِ سِبَاقِي
وَأَسَائِلُ الْأُظْغَانِ وَالرُّكْبَانِ عَنْ
بَسْطَرِي الْمُضَلَّلِ فِي دُجَى الْأَفَاقِ
فَعَسَى بِشِيرٍ بِاللِّقَاءِ، وَلَعَلَّ مَنْ
عَقَدَ الْأُمُورَ يَمْنٌ بِالْإِطْلَاقِ
أَمْعَنِّفِي زَعْمًا بِأَنَّكَ نَاصِحٌ
اكَفُفْ فَإِنَّكَ رَأْسُ كُلِّ نِفَاقِ
وَدَعْ التَّعَنُّفَ وَأَطْرِحْ نُصْحِي فَمَا
كَلَّفْتَ إِسْعَافِي وَلَا إِرْفَاقِي
فَلَمَّا الَّذِي أَوْضَحْتُ مِنْهَا جَ الْهُوَى
لِنَوِي نَفُوسٍ بِالْغَرَامِ رِقَاقِ

فَلْيُبَلِّغِ الْأَحْبَابُ عَنِّي أَنَّنِي
فَإِنْ عَلَى دِينِ الْمَحَبَّةِ بَاقٍ
لَا أَتُتْنِي عَنْ حُبِّ مَنْ لَمْ يَتْنِهِ
عِنْدَ الْوَدَاعِ تَذَلُّلَ الْأَشْوَاقِ
لَوْ كُنْتُ شَاهِدِنَا وَقَدْ حَكَمَ الْهَوَى
بِفِرَاقِنَا لَجَزَعْتَ مِنْ إِشْفَاقِ
وَبَكَيْتَ مُشْتَاقًا بَكَى لِبَكَائِهِ
جَفَنُ الْغَمَامِ بِدَمْعِهِ الرُّقَاقِ
وَهِيَ الْفؤَادُ وَطَارَ عَقْلِي عِنْدَمَا
جَرَتْ الْأُمُورُ عَلَى خِلَافٍ وَفَاقِ
فَجَرَتْ مِنَ الْأَجْفَانِ حُمُرُ مَدَامِ
حَازَتْ بِسَفْحِ الْخَدِّ فَضْلَ سِبَاقِ
فَبَكَى وَقَالَ: أَذَاكَ دَمْعٌ أَمْ تَمَّ
وَلَرُبُّ دَمْعٍ كَالِدِمَا مُهْرَاقِ
فَنَاجِبَتِهِ وَالْدَمْعُ يُظْهِرُهُ عَلَى
مَا فِي الْحَشَا مِنْ شِدَّةِ الْإِحْرَاقِ
لَا تَحْسَبَنَّ الدَّمَعَ فَاضًا وَإِنَّمَا
قَلْبِي أَذِيبَ فَسَالَ مِنْ أَمَاقِي
يَا أُمَّةَ الْأَشْوَاقِ هَلْ مِنْ مَسْعَفٍ
يُرْجَى لِدَفْعِ حَوَادِثِ الْأَشْوَاقِ

أَمْ هَلْ لِنَارٍ تَلْهَفِي مِنْ مُطْفِئٍ
أَمْ هَلْ لِفَيْضٍ مَدَامِعِي مِنْ وَاقٍ
أَمْ هَلْ لِلْأَوَّلِ لَوْعَتِي مِنْ آخِرٍ
أَمْ هَلْ لِذَاهِبٍ مُهْجَتِي مِنْ بَاقٍ
أَمْ هَلْ لِكَسْرِ حُشَّاشَتِي مِنْ جَابِرٍ
أَمْ هَلْ لِدَاءٍ صَبَابَتِي مِنْ رَاقٍ
أَمْ هَلْ لِعَهْدٍ الْمُلتَقَى مِنْ مُوعِدٍ
فَلَقَدْ وَهَى جَسَدِي وَشُدُّ وَثَاقِي
أَهْ، وَمَا أَرَى بِنَافِعَةٍ وَقَدْ
أَزِفَ الْفِرَاقُ وَلَاتَ حِينَ تَلَاقٍ
لَوْ كَانَ يَعْلَمُ خَازِنُ النِّيرَانِ مَا
تَحْتَ الْفِرَاقِ مِنَ الْعَذَابِ الْبَاقِي
لَأَذَاقَ حِزْبَ الْكُفْرِ زَقُومَ النَّوَى
وَلَوْ اسْتَعَاثَ سَقَاهُ كَأْسَ فِرَاقٍ

المصدر: الديوان: ص 323 - 327.

10 - دعوة إلى الشراب

(البسيط)

قُمْ زَوْجَ ابْنِ غَمَامٍ بِنْتُ زَرْجُونٍ
وَاجْعَلْ شُهُودَكَ مِنْ وَرْدٍ وَنِسْرِينَ⁽¹⁾
فَخَاطِبُ الطَّيْرِ نَادَى فِي مَنَابِرِهِ
هَبُوا إِلَى الرَّاحِ مَا بَيْنَ الرِّيَاحِينَ

(1) الزرجون: واحدها زرجونة، قضبان الكروم -

وَالرَّيْحُ مَدٌّ عَلَى الْأَغْصَانِ إِذْ نُصِيبَتْ
 ذَيْلًا فَأَعْرَبَ عَنْ مَدٍّ وَعَنْ لَيْنِ
 وَالرَّوْضُ زَفٌّ عَرُوسَ الزَّهْرِ فِي حُلٍّ
 قَدْ أَبْرَزَتْ بَيْنَ تَدْبِيعٍ وَتَلْوِينِ
 وَالطَّلُّ يَكْتُبُ فِي طَرَسِ الرِّيَاضِ فَهَلْ
 أَبْصَرْتَ خَطًّا بِلاَ حَدْسٍ وَتَخْمِينِ
 وَعَارِضُ الظِّلِّ فِي خَدِّ الْغَدِيرِ حَكَى
 مِسْكًا تَنَاقَرَتْ فِي أَوْدَاقِ مَرْسِينَ⁽¹⁾
 فَاسْتَجَلَّ بِكَرٍّ مُدَامَ رَأْنَهَا حَبَبُ
 كُلُّوْثٍ مِنْ نَفِيسِ الدَّرِّ مَكْنُونِ
 مَعَ غَادَةٍ لَوْ بَدَأَ كَافُورٌ مَبْسَمَهَا
 لِلشَّمْسِ لَاحْتَجَبَتْ فِي عَنَبِ الْجَوْنِ⁽²⁾

المصدر: الديوان: ص 392

11 - هزوا القدود

قال يمدح أبا عمرو عثمان السلطان الحفصي:

(الكامل)

(1) المرسين: نبات طيب الرائحة .

(2) الجون: الأسود.

مَرَزُوا الْقُدُودَ وَارْمَقُوا الْأَجْفَانَا
 أَوْمًا رَأَيْتَ الْبَانَ وَالْفِرْلَانَا
 وَاسْتَبْدَلُوا بَدَلَ السَّهَامِ لَوَاحِظًا
 لَمَّا انْتَضَوْا عِوَضَ الظُّبَى أَجْفَانَا
 وَكُنُوا مَعَاطِفُهُمْ وَقَدْ لَاحُوا فَهَلْ
 أَبْصَرْتَ أَقْمَارًا عَلَتْ أَغْصَانَا
 وَجَلُّوا بِرُوقِ مِبَاسِمٍ مَا أَوْمَضَتْ
 إِلَّا وَأَمْطَرَ مَدْمَعِي^(١) الْعِثْيَانَا
 غَيْدُ نَقَرْنَ وَقَدْ أَمْتُتُ تَوَلَّهِي
 فَأَعَدَّتْهُ حَيًّا كَمَا قَدْ كَانَا
 وَيَمُهِجَتِي مِنْهُنَّ خَوْدُ خَدَّهَا
 قَدْ شَاكَلَ النُّعْمَانَ وَالسَّوْسَانَا
 حَرَسَتْ بِأَسْوَدٍ شَعْرَهَا أُعْطَافَهَا
 وَكَذَا الْأَسَاوِدُ تَحْرُسُ الْكُثْبَانَا
 وَلَوْتَ عَقَارِبَ صُدْغَهَا فِي خَدَّهَا
 فَحَمَمْتُ بِمُنْذِرِ^(٢) آسِهَا النُّعْمَانَا
 وَجَلَّتْ مَعَاطِفُهَا النُّهُودَ وَلَمْ أَكُنْ
 شَاهِدَتْ بَانَا أَثْمَرَ الرُّمَانَا

(١) في المخطوط: مدمعي وفي الديوان: دمعي.

(٢) في المخطوط: بمنذر

نَادَيْتُ مَبْسَمَهَا الْمُنْضُدَ دُرَّهُ
يَا جَوْهَرًا كَيْفَ اغْتَدَيْتَ جُمَانًا
وَدَعَوْتُ بَلْبَلْ خَالَ وَرَدَّ خُودِيهَا
يَا عَنَبْرًا مَنْ قَدْ حَمَى مَرْجَانًا
يَا مُدْعِي كِتْمَانَ وَاضِحِ خَدِّهَا
أَمَعَ الْمَدَامِيعِ تَدْعِي الْكِتْمَانَا
وَتَرُومُ تَشْهَدُ كَانِنَاتِ جَمَالِهَا
أَبْغَيْرَ عَيْنٍ تَشْهَدُ الْأَكْوَانَا
لَا تُكِرْنُ فَإِنْ قَلْبَكَ لَمْ يَزَلْ
كَلِّفَا بِذَاكَ الْبَانَ لَمَّا بَانَ
يَا صَاحِبِي قِفَا بِثُونِسَ بُرْهَةً
كَيْ تَنْعِشَا الْأَرْوَاحَ وَالْأَبْدَانَا
وَاسْتَنْشِدَا عَنْ سِرِّيهِ وَكِتَاسِهِ (3)
إِنْ خَلْتُمَا الرُّكْبَانَ وَالْأَطْعَانَا
فَبِأَيْمَنِ الشَّاطِئِي مِنْ غَرِيبِهَا
ظَلَبِي سَبَا الْأَسَادَ وَالْغِرْلَانَا
شَاكِي السَّلَاحِ أَقْلُ مِنْ أَعْطَافِهِ
رَمَحًا وَسَلَّ مِنْ الْأَحَاطِ سِنَانَا

(3) المخطوط: سريبها وألباسها.

بَدْرٌ تَحْيِرَ فِيهِ مَنْ رَامَ الْهُدَى
 وَإِذَا اهْتَدَى فَتَخَالُهُ الْحَيْرَانَا
 كَالشَّمْسِ وَجْهًا وَالْقَضِيبِ مَعَاطِفًا
 وَالزُّهْرِ نُفُورًا وَالْمُهَى إِنْسَانَا
 تَجَلَّوْا عَوَارِضُهُ لَكَ الْعَلَمَيْنِ إِذْ
 يَبْدِي لِعَيْنِكَ خَدُّهُ نَعْمَانَا
 فَيُبَغِّرُهُ شِمْتُ "الْعُدَيْبِ" وَتَبَارِقَانَا
 وَيَقْدُهُ خِلْتُ النُّقَا وَالْبَانَا
 فَتَنَّتْ مَحَاسِنُهُ قُوَادَ مُجْبِهٍ
 أَوْ لَيْسَ فَاتِكَ لَحْظُهُ فَتَانَا
 رَشَاءُ رَشِيقُ الْقَدِّ مَعْسُولُ اللَّمَى
 فَضَحَ الرُّبَى وَالْحُورَ وَالْوِلْدَانَا
 فِي نَارِ وَجَنَّتِهِ الْجِنَانُ تَزْخُرَفَتْ
 مُذْ صَارَ خَازِنُ عَدْنِهَا رِضْوَانَا
 رَامَتْ نُجُومُ الْأَفْقِ تَحْكِي خَدُّهُ
 فَلِذَاكَ أَكْسَبَ بَدْرَهَا التُّقْصَانَا
 وَالرُّوْضُ أَهْدَى الْأَقْحَوَانَ لِتَغْرِهِ
 فَحَمَّتْ سَوَاسِنُ قَدِهِ⁽⁴⁾ الْأَغْصَانَا

(4) المخطوط: مؤانس قَدَهَا.

أَتْلُو بِهِ سُورَ الشُّجُونِ وَلَيْتَهَا
 عَنْ "نَافِعٍ" تَرْوِي لَنَا الْأَشْجَانَا
 دَبُّ الْعِذَارُ بِوَجْنَتَيْهِ، فَمَنْ رَأَى
 فِي النَّارِ وَرْدًا أَثْبَتَ الرِّيحَانَا؟
 يَا مَنْ حَكَتْ سُمْرُ الْقَنَا أَعْطَاهُ
 وَحَكَتْ فَوَاتِرٌ⁽⁵⁾ طَرْفَهُ الْخُرْصَانَا
 مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ طَرْفَكَ سَاحِرٌ
 حَتَّى تَقْلِبَ حُبْلَهُ نُعْبَانَا
 قَسَمًا وَلَوْلَا أَنْ رِيْقَكَ قَرَقَفُ
 مَا مِسَتْ يَا غُصْنُ النَّقَا نَشْوَانَا
 أَسْكَنْتُ حُبَّكَ فِي فُؤَادِي وَالْحَشَا
 فَعَمَرْتَ مِنِّْي الْقَلْبَ وَالْأَجْفَانَا
 وَأَنْرْتَ مِصْبَاحَ الْهُدَى فِي غَيْهِي
 حَتَّى أَقَمْتَ لِعَاذِلِي الْبُرْهَانَا
 حَيْثُ الرِّيَاضُ أَذَاعَ مِنْ رِيَاهُ مَا
 وَشَى الْجِيُوبَ وَعَطَّرَ الْأَرْدَانَا
 وَالْقُضْبُ مَا سَتَ فِي الْغَالِلِ عِنْدَمَا
 صَاغَتْ أَزَاهِرَهَا لَهَا تِجَانَا

(5) المخطوط: بوانتر.

وَالطَّيْرُ أَعْرَبَ لَحْنَهَا ⁽⁶⁾ فِي عُوْدِهِ
 لِيُعَلِّمَ الْإِبْقَاعَ وَالْأَلْحَانَ
 وَالصُّبْحُ أَظْهَرَ آيَةً يَمْحُو بِهَا
 صَبِيغَ الظُّلَامِ فَخَلَّتْهُ السُّلْطَانَا
 مَوْلَايَ "عُثْمَانُ" الَّذِي بِيَمِينِهِ
 تَوْحُ النَّدَى أُجْرَى لَنَا الطُّوفَانَا
 مَوْلَى إِذَا مِلْنَا لِبَسْتُ صِفَاتِهِ
 كَيْ نَسْتَمِدَّ الرُّوحَ وَالرِّيحَانَا
 أَمْلَى عَلَيْنَا مَجْدَهُ، فَإِذَا انْتَهَى
 هِمْنًا، فَلَمْ نَذِرِ الَّذِي أَمْلَأَنَا
 عِلْمٌ إِذَا مَا قُلْتُ أَقْرَأْنَا الْغِنَى
 فَلَقَدْ تَقَبَّلُ بِعِلْمِهِ أَقْرَأَنَا
 لَوْ عَايَنَ "الطَّائِبِي" وَمَالِكُ شَخْصَهُ
 قَالَا: نَعَمْ! هَذَا الَّذِي أَغْنَانَا
 فَهُوَ الْفَرِيدُ نَدَى وَعِلْمًا، قَدْ رَوَى
 غُرَرَ النُّوَالِ وَقَرَّرَ التَّبَيَّنَا
 سَحَابُ ذَيْلِ سَخَى وَذَيْلِ سَحَابَةٍ
 تَلْقَاهُ أَنَّى زُرْتَهُ "سَحَابَانَا"

(6) المخطوط: لحنه .

وَتَرَى الْوَفَاءَ مُفَرَّقًا وَمُجْمَعًا
يَحْتَلُّ مِنْهُ مَهْجَةٌ وَلِسَانًا
نَفَتِ التَّوَهُّمَ عَنْهُ حِدَّةٌ ذَهَبِ
فَاسْتَرْغَمَ الْأَنَافَ وَالْأَذْقَانَا
حَازَ الْكَمَالَ وَلَوْ بِأَيْسَرِهِ حَبَا
بَذَرَ الدُّجَى لَمْ يَخْتَشِرِ النُّقْصَانَا
مُتَهَلِّلٌ طَلَّقَ إِذَا وَعَدَ الْغِنَى
بِالْبِشْرِ أَتْبَعَ بِرَّهُ الْإِحْسَانَا
كَالْغَيْمِ مَا سَطَعَتْ لَوَامِعُ بَرْقِهِ
إِلَّا وَأَفَدَتْ غَيْثُهُ الْهَتَانَا
سَحَّتْ سَحَابُ جُودٍ كَفَيْهِ فَلَمْ
يَجْنَحْ إِلَى غَرْبٍ وَلَا أَشْطَانَا
نُو رُتَبَةٍ رَجَحَتْ بِعِيقِ الْعُلَى
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْتَرْصِدَ الْمِيزَانَا
وَمَكَانَةٍ فَوْقَ السَّمَاءِ مَكِينَةٍ
لَمْ تَبْقِ لِلرَّاقِينَ بَعْدُ مَكَانَا
شَرَفَ إِلَيْهِ وَيَبْتَئُ مَلِكٌ شَامِخٍ
بِعُلَى الْكَمَالِ بَنَى لَهُ إِيوَانَا

يَقْظَانُ أَبْلَجُ قَدْ جَلَّ بِجَبِينِهِ
وَحُسَامِيهِ الظَّلْمَاءُ وَالْأَضْغَانَا
نِعْمَ الرَّشَادُ إِذَا الدَّجَّةُ أَطْلَعَتْ (7)
سَنَنْ (8) الرَّشَادِ وَأَوْضَحَ الْبِرْهَانَا (9)
أَمَّا نَدَاهُ وَيَأْسُهُ فَكِلَاهُمَا
قَدْ أَرْغَمَ الْأَفْهَامَ وَالْأَذْهَانَا (10)
مَلِكُ تَشَامَخٍ مَلِكُهُ فَلِجَلِّ ذَا
أَضْحَى الْمُلُوكُ لِعِزِّهِ عَبْدَانَا
الْجَاعِلُ الْمَلِكُ الذَّلِيلُ مُعَزَّزًا
وَالْتَّارِكُ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ مُهَانَا
لَا يَسْتَكِنُ الرَّعْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ
وَاللَّيْثُ لَا يَتَخَوَّفُ السَّرْحَانَا
ثَبَّتُ الْجَنَانُ، فَلَا يَخَافُ، كَأَنَّمَا
جَعَلَ الْخُوفَ مِنَ الْخُوفِ أَمَانَا
بَطْلُ إِذَا رَمَقَتْ لَوَاحِظُ سُمْرِهِ
خَرَّتْ لَهَا صُمُّ الْكَلَى عُمَيَانَا

(7) المخطوط: أظلمت .

(8) المخطوط: سنن .

(9) المخطوط: وأرشد الحيرانا .

(10) المخطوط: الأنافا والأنافا .

كَمْ لَيْسَ غَابَ صَيْرَتُهُ فَرِيسَةً
أَرْمَاحُهُ كَيْ تَقْرِي الْعُقْبَانَا
أَعْطَتْهُ مُهْجَتَهَا السَّهَامُ نَوَاطِرًا
وَأَرَتْهُ أَنْفُسَهَا الظُّبَى أَجْفَانَا
أَمَقَّتْ لَ الصَّيْدِ الْكُمَاةِ بِرُغْبِهِ
لِمَنْ انْخَرَتْ السَّيْفَ وَالْمُرَانَا
لَمْ تَكْتَسِرِ أَعْدَاكَ إِذْ حَارَبْتَهُمْ
ضَافِي الدُّرُوعِ، بَلْ اكْتَسَوْا أَكْفَانَا
غَادَرَتْ أَوَجَّهُهُمْ بِحَيْثُ لَقِيَتَهُمْ
أَقْنَاهُمْ^(١١) وَعَيُّونَهُمْ أَذْقَانَا
يَا مُنْكَرًا دَعَايَ خِلَافَتِهِ ارْتَجِعْ
فَلَقَدْ أَثْبِتَ الزُّورَ وَالْبُهْتَانَا
لَا تُتَكِرَنَّ فَإِنْ قَانِمَ سَيْفِهِ
أَبْدَى الدَّلِيلَ وَأَظْهَرَ الْبُرْهَانَا
أَفْضَتَ إِلَيْهِ خِلَافَةً "الْفَارُوقِ" إِذْ
سَمَّيْتُهُ أَلْسِنَةُ الرِّضَى "عُمَانَا"
مَلِكُ بِهِ رَوْضُ الْخِلَافَةِ قَدْ رَهَا
إِذْ هَزَّ مِنْ أَقْلَامِهِ الْأَقْنَانَا

(١١) المخطوط: فقامهم.

بَيْنَا يَهْزُ بِهَا الْغُصُونُ لِمُجْتَلٍ
 إِذْ هَزَّ لِلْجَانِي بِهَا الْخُرْصَانَا
 وَكَأَنَّ مَنْطِقَهُ بِصَفْحَةِ طَرْسِهِ
 زَهَرَ بِرَوْضِ نَقْطِ الْغُدْرَانَا
 مِنْ مَعْشَرٍ هُمْ فِي النَّدَى سَحْبٌ وَلِنْ
 جَنَّ الْوَعَى فَتَرَاهُمْ شُهْبَانَا
 جَعَلُوا السُّرُوجَ أَرَائِكًا لِإِزَالِهِمْ
 وَالسُّمَرَ قَضْبًا وَالطُّبَى خُلْجَانَا
 وَالتَّبَلَّ نُورًا وَالْحِمَامَ مَطَاعِمًا
 وَالنَّقْعَ رَوْضًا وَالْعِدَى ضَيْفَانَا
 صَيْدٌ إِذَا غَابَتْ جُفُونُ سَيُوفِهِمْ
 جَعَلُوا الطَّلَى لِسَيُوفِهِمْ أَجْفَانَا
 قَوْمٌ حَوَتْ أُنْسَابُهُمْ "عمر" الَّذِي
 دَخَضَ النِّفَاقَ وَأَظْهَرَ الْإِيمَانَا
 نَسَبُ نَدِينُ بِحُبِّ قَارُوقِيهِ الـ
 مَوْلَى وَنَطَرْدُ بِاسْمِهِ الشَّيْطَانَا
 شَرْقًا بَنِي الْفَارُوقِ أَنَّ لَكُمْ سَنَى
 قَدْ نَوَّرَ الْآفَاقَ وَالْأَكْوَانَا

وَلِيَهِنِكُمْ فِي الدُّفْرِ أَنْ تُنَاعَكُمْ
سَرُّ الْقُلُوبِ وَشَنْفُ الْأَذَانَا
وَلِيَكْفِكُمْ فَخْرًا يُعْجِدُ شَاوُهُ
قَدْ أُعْجَزَ الْأَمْثَالُ وَالْأَقْرَانَا
يَا شَائِدَ الْبَيْتِ الَّذِي بَانِي عُلَا
هُ عَلَى التَّقَى قَدْ أُسَسَ الْبُنْيَانَا
قَدْ شِدَّتْ أَرْكَانَ النَّدَى فَحَجِيجُهُ
لَزِمُوا الطُّوَافَ وَقَبِّلُوا الْأَرْكَانَا
لَوْ تَعَقَّلَ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلَتْهَا
أَلَقَتْ إِجَابَتَهَا لَكَ الْأَغْصَانَا
أَرِجَ الطَّرِيقُ فَمَا مَرَدَّتْ بِمَوْضِعِ
إِلَّا أَقَمَّتْ بِهِ الشُّدَا أَرْمَانَا
طَوَّقْتَنِي بِالْجُودِ مِنْكَ فَأَعْرَبْتُ
وَرَقَا امْتِدَاحِي فِيكُمْ الْأَلْحَانَا
فَانْعَمَ بِشَهْرِ الصُّومِ عَيْنًا إِنَّهُ
شَهْرُ تَنَالِ بِصَوْمِهِ الْقُرْبَانَا
نِعْمًا مِنَ اللَّهِ ارْتَضَاكَ لِنَيْلِهَا
وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ الرِّضْوَانَا
فَاسْعَدْ بِمَغْفِرَةِ الْإِلَهِ فَلَمْ يَزَلْ
يَمْحُو الذُّنُوبَ وَيَمْنَحُ الْغُفْرَانَا

12 - غيث على محمد ابنه

(البسيط)

هَلَا تَرَى الْغَيْثَ قَدْ فَاضَتْ مَاقِيهِ
 عَلَى "مُحَمَّدٍ" إِذْ غَاضَتْ أَيَْادِيهِ
 نَعَى "مُحَمَّدٍ" نَاعِيهِ، فَيَا أَسْفِي
 قَدْ قَدْ قَلْبَ الْمُعْنَى نَعَى نَاعِيهِ
 لَهْفِي! وَهَلْ نَافِعِي لَهْفِي عَلَى وَلَدٍ
 بَاتَ الْغَمَامُ عَلَى الْآفَاقِ يَبْكِيهِ
 لَهْفِي عَلَى ذَلِكَ الْمَوْلُودِ حِينَ قَضَى
 مِنْ الْحَمَامِ عَلَيْهِ حُكْمُ قَاضِيهِ
 تَرَى دَرَى الدَّهْرِ مِفْأَرَ الَّذِي فَقَدَتْ
 مِنْ نُورٍ طَلَعَتْهُ أَبْصَارُ رَانِيهِ؟
 وَهَلْ ثَنَى الدَّهْرُ غَرْبًا مِنْ مَحَاسِنِهِ
 فَكَانَ كَوَكَبٍ شَرَقَ فِي لَيَالِيهِ
 لَا أَعْتَبُ الزَّمَنَ الْمُودِي بِسَيِّدِهِ
 يَكْفِيهِ مَا قَدْ تَوَلَّى مِنْهُ، يَكْفِيهِ
 بُنْيَ لَيْتِكَ لَمْ تَطْلُعْ عَلَى أَفْقٍ
 وَلَيْتَ بَدْرَكَ لَمْ تُشْرِقْ دِيَاغِيهِ
 سَقَى ضَرِيحَكَ رِضْوَانٌ، وَلَا بَرَحَتْ
 سَحَابُ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ تَسْقِيهِ

نعم السَّحَابُ يَسْقِي وَيُلْ صَبَّيْهَا
نِعْمَ الضَّرِيحُ، وَنِعْمَ الْبَدْرُ ثَاوِيهِ
كَانَ الزَّمَانُ لَهُ عَرَسًا بِدَوْلَتِهِ
فَأَحْسَنَ اللَّهُ لِلدَّهْرِ الْعَزَا فِيهِ
وَصَبَّرَ اللَّهُ قَلْبَ الْوَالِدِينَ عَلَى
مَنْ طَاوَعَ الْحُزْنَ فِيهِ دَمْعُ عَاصِيهِ

المصدر: الديوان: ص 254 - 255.

أبو الفتح بن عبد السلام

(901-977)

أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد السلام بن أحمد الربيعي الخروبي التونسي. ولد بتونس وبها نشأ وتلقى العلوم فبرع في الأدب والفقه حتى فاق أقرانه. هاجر إلى المشرق وعمره 34 سنة بسبب الأحداث السياسية التي عرفتها تونس خاصة اكتساح الإسبان للبلاد. كان يدرس بدمشق وتولى فيها القضاء والإفتاء. نظم الشعر في المدح والهجاء والوصف ورثاء المدن

1 - حنين إلى تونس

(الطويل)

سلوا البارق النجدي عن سُبْحِ أَجْفَانِي
ولا تسألوا غيرَ الصَّبَا عن صَبَابَتِي
فما لي سواها من رسولٍ إِلَيْكُمْ
فيا طَالَ بِالْأَسْحَارِ ما قد تَكَلَّفْتُ
وتنَفِّسِ كَرْبِ عن كُتَيْبٍ مَتِّمٍ
فَلَّهِ ما أَذْكَى شَذَا نَسَمَةِ الصَّبَا
وسارتُ مَسِيرَ الشَّمْسِ وَهْنا فَانْصَبْتُ
وقد وَقَفْتُ بِالشَّامِ وَفَقَّةَ حَامِلٍ
لترْتاضَ في تلكَ الرِياضِ هَنِيئَةً
وما غَرِبتُ حتَّى تَضاعَفَ نَشْرُها
فكمْ نَحْوَكُمْ حَمَلْتُها من رِسالَةٍ
وَناشَدْتُها بِاللَّهِ إِلَّا تَفَضَّلْتُ
تَحِيَّةَ مُشْتاقٍ إِلَى ذاكَ الحِمَى
سَقَى اللَّهُ هَاتِكَ الدِّيارَ وَأَهْلَها
وَحَيًّا رِبوْعَ الحَيِّ من خَيْرِ بِلَدَةٍ
هي الحَضْرَةُ العَلِيا مَدِينَةُ تُونسٍ
لِها الفَخْرُ وَالْفَضْلُ المَبِينُ بما حَوَتْ
لقد حَلَّ مِنْها آلُ حَفْصٍ مَلوكُها
وسادوا بِها كُلَّ المَلوكِ وشيّدوا

وَعَمَّا بِقَلْبِي من لَواعِجِ نيرانٍ
وشِدَّةِ أَشْواقِ إِلَيْكُمْ وَأَشْجانٍ
سَرِيعِ السَّرى في سَيْرِهِ لَيْسَ بِالْوَاني
بِانْعاشٍ مَحْزُونٍ وإِيقاظٍ وَسنانٍ
يَحْنُ إلى أَهْلِ وَيَصْبُو لِأوطانٍ
صَباحًا إِذا مَرَّتْ على الرُّندِ والبانِ
من الشَّرْقِ نَحْوَ الغَرْبِ تَجْري بِحَسبانٍ
نُوافِجَ مَسكِ من ظَباءِ خَراسانٍ
وتَزْدادُ من أَزْهارِها طيِّبَ أُرْدانٍ
بِواسِطَتِي رَوْحَ هَناكَ وَريحانٍ
مَدَوْنَةٍ في شَرْحِ حالي وَوُجْداني
بِتَبْلِغِ أَحْبابِي السَّلامَ وَجيرانِي
وَسُكَّانِهِ وَالنَّازِحِينَ بِأَظْعانٍ
سَحائِبَ تَحْكي صُوبَ مَدْمَعِي القاني
تَخِيرُها قَدِّمًا أَفاضَ لُ يونانٍ
أُنيسَةُ إِنسانٍ رَأَها بِإِنسانٍ
من الأَنسِ وَالْحُسْنِ المَنوطِ بِإِحسانٍ
مَراتبَ تَسْمُو فَوْقَ هامَةٍ كَيوانٍ
بِها من مَباني العِزِّ أَفْخَرَ بَنيانٍ

وكان لهم فيها بهاء وبهجة
 وكان لهم فيها عساكر جمّة
 جيوش وفرسان يضيقُ بها الفضاء
 وكان لأهلها المفاخر والعلا
 وكان على الدنيا جمال بحسنها
 وكانت لطلاب المعارف قبلة
 وكان لأهل العلم فيها وجهة
 وكان بواديها المقدس فتية
 ومن أدباء النظم والنثر معشر
 وكانت على الأعداء في حومة الوغى
 وما برحت فيها محاسن جمّة
 إلى أن رمتها الحادثات بأسنهم
 فما لبثت تلك المحاسن أن عفت
 وشئت ذاك الشمل من بعد جمعه
 فاعظم برزء خسر مدينة
 لعمرى لقد كادت عليها قلوبنا
 وقد عمنا غمٌ بعظم مصابها
 وما بقيت فيما علمناه بلدة
 فصبراً أخي صبرا على المحنة التي
 فما الدهر إلا هكذا فاصطبر له:
 أحبابنا إن فرق الدهر بيننا

وحسن نظام لا يعاب بنقصان
 وصول بأسياقٍ وتسطو بمران
 ويحجم عنها الفرس من آل ساسان
 وكان بها حصنا أمان وإيمان
 وحسن بنيتها من ملوك وأعيان
 لما في حماها من أئمة عرفان
 وجاءه وعز مجده ليس بالفاني
 تقدس باريها بذكر وقرآن
 تفوق بناديها بلاغة سبحان
 وصول بأبطالٍ وتسطو بشجعان
 وفي كل نوع أهل حذق وإتقان
 وسلت عليها سيف بغي وعدوان
 وأقفر ربع الأنس من بعد سكان
 كما انتثرت يوماً قلائد عقيان
 وخير أناس بين عجم وعربان
 تضرّم من خطب عراها بنيان
 وإن خصني منه المضرّ بجثماني
 من الشرق إلا ألبست ثوب أحزان
 رمتك بها الأقدار ما بين إخوان
 رزية مالٍ أو تفرق خلان
 وطال مغيبى عنكم منذ أزمان

فإبني على حفظ الوداد وحقكم
ووالله والله العظيم أليّة
لقد زاد وجدي واشتياقي إليكم
فلا تحسبوا أنني تسليت بعدكم
ولا أننتي يوماً تناسيت عهدكم
ولا راقني روض، ولا هش مسمعي
ولا حل في فكري سواكم بخولة
ولا اختلجت يوماً ضمائر مهجتي
ولو لم أسأل النفس بالقرب واللقا
فما أنا في عودي إليكم بآيس
عليكم سلام الله في كل ساعة
مدى الدهر ما ناحت مطوقة وما

مقيم، وما هجر الأحيّة من شاني
على صدقها قامت شواهد برهان
وبرح بي طول البعاد وأضناني
بشيء من الدنيا وزخرفها الفاني
بحال، ولا أن التكاثر ألهاني
لنفمة أطيّار ورثة عيدان
ولا جلوة ما بين حور وولدان
لغيركم في سرّ سرّي وإعلاني
لأدرج جسّمي في مقاطع أكفاني
فما اليأس إلا من علامة كفران
تحية صب لا يدين بسؤلان
تعاقب بين الخافقين الجديان

عنوان الأريب: ج 1، ص 119 - 121.

المصدر: نفح الطيب: ج 5، ص 29 - 32، وأنشأها بدمشق وهو غريب عن
الأوطان سنة 951 وقد احتلت جيوش الاسبان تونس،

المصادر والمراجع

حسب العناوين(*)

- الإحاطة في أخبار غرناطة: للسان الدين بن الخطيب،
مجلدان، تحقيق محمد عبد الله عنان، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة 1973 -
1974.

- الأدلة البيّنة النورانيّة على مفاخر الدّولة
الحفصية: الطبعة الأولى تحقيق عثمان الكعاك، تونس 1936. والطبعة الثانية،
تحقيق الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس 1984.

- أزهار الافكار في جواهر الأحجار: ل احمد بن يوسف التيفاشي.
تحقيق د. محمد يوسف حسن ومحمد بسيوني خفاجي، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، القاهرة 1977.

- برنامج الوادي آشي: تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب
الإسلامي، بيروت، 1400 - 1980.

- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، لأبي عبد
الله محمد الشّريف المليتي، الجزائر، 1908/1326.

- تاريخ الدولتين الموحّدية والحفصية لأبي عبد الله محمد
الزركشي تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط 2، تونس 1966.

- بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة لجلال الدين
السيوطي، جزآن، تحقيق محمد أبو الفاضل ابراهيم، مصر 1964 - 1965.

(*) للتّوسّع انظر القائمة الببليوغرافية في كتابنا "الحياة الادبية بتونس في العهد الحفصي

- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق لخالد البلوي، جزآن،
تقديم وتحقيق الحسن السائح، المغرب، د. ت.

- تحفة العروس ونزهة النفوس لابي عبد الله محمد بن أحمد
بن محمد بن أبي القاسم التجاني (النسبة غالطة فالكتاب لعبد الله التجاني)،
مكتبة التراث الاسلامي، د. ت. كما أن النص غير سليم فليرجع إلى الطبعة
الأولى القاهرة 1301.

- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا لابن
خلدون:

ط 1 تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة 1951.

ط 2: دار الكتاب اللبناني، بيروت ودار الكتاب المصري القاهرة، 1979.

- الحلة السيرة لابي عبد الله محمد بن الأبار القضاعي، ج 1،
تحقيق، د. حسين مؤنس، القاهرة، 1963.

- الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي: لأحمد
الطويل، تونس 1993.

- الدراري السبع: مجموعة من الموشحات الاندلسية نشر المكتبة
العتيقة تونس ضمن مجموع، تونس 1349 (ص 268 - 279).

- درة الحجال في أسماء الرجال لابي العباس احمد بن
القاضي، 3 أجزاء، دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس 1390/1970.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن حجر
العسقلاني، 5 أجزاء، تحقيق محمد سعيد جاد الحق، القاهرة 1966.

- ديوان ابن الأبار. نشر الدكتور عبد السلام الهراس، الدار
التونسية للنشر، تونس 1985.

- ديوان الادب التونسي: الرئيس ابن ابي الحسين: فصل نشر
بمجلة البدر التونسية. ج 4، مجلة 2، منتصف ربيع الثاني 1340، ص 225-236.

- ديوان حازم القرطاجني: تحقيق عثمان الكعاك، دار الثقافة،
بيروت 1964.

- ديوان ابن الخلف: ديوان شهاب الدين بن الخلف، جمع
وتحقيق د. هشام بوقمرة، الدار العربية للكتاب، تونس 1988.

- رايات المبرزين وغايات المميزين لابي الحسن علي بن
موسى بن سعيد، تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضي، لجنة احياء التراث
الاسلامي، القاهرة، 1973/1393.

- رحلة التجاني: تقديم حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية،
تونس 1958/1377.

- رحلة ابن رشيد، انظر النشرة العلمية، وملء العيبة.

- رحلة العبدري: او الرحلة المغربية، تحقيق وتقديم محمد الفاسي،
جامعة محمد الخامس، الرباط 1968.

- رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة لابي
القاسم محمد الفرناطي، جزآن، مطبعة السعادة، مصر 1344.

- الروض العاطر في نزهة الخاطر لمحمد بن محمد النفزاوي،
شهادات ومختارات. اعداد وتحقيق هاني الخير. منشورات مكتبة أسامة.
دمشق 1983.

- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس لابي العباس أحمد
بن يوسف التيفاشي، تهذيب ابن منظور تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر، بيروت 1980/1400 .

- ابن سعيد المغربي، لمحمد عبد الغني حسن، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1969.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: 14 جزء، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة 1963.

- شرح حدود ابن عرفة، للرصاع وعنوان الكتاب: الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق ابن عرفة الوافية، المطبعة التونسية، تونس 1350.

- الشَّهَب اللَّامِعَة فِي السِّيَاسَةِ النَّافِعَة لِابِي الْقَاسِمِ بْنِ رِضْوَانَ الْمَالِقِي، تحقيق د. علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984.

- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابي العباس احمد بن قنفذ القسنطيني، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس 1968.

- فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي، جزآن طبعة بولاق، مصر 1299.

- في الحضارة العربية التونسية لاحمد الطويلي، دار المعارف سوسة، تونس 1988.

- عنوان المرقصات والمطربات: لابن سعيد المغربي، الجزائر 1949.

- القدح الملعى والعنوان هو: اختصار القدح الملعى في التاريخ المحلى لابي الحسن علي بن سعيد اختيار محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق ابراهيم الاياري، القاهرة، 1959.

- قصائد ومقطعات صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر تونس 1972.

- قوانين حكم الإشراق لأبي المواهب دمشق 1966.
- عنوان الأريب عمّن نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب، لمحمد النيفر، ج 1، تونس 1951.
- عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأحمد الغبريني. تحقيق عادل نويهض، بيروت 1969..
- مؤلفات ابن خلدون لعبد الرحمان بدوي، الدار العربية للكتاب، تونس 1979.
- مجمل تاريخ الادب التونسي لحسن حسني عبد الوهاب، مكتبة المنار، تونس 1968.
- مختارات من الشعر العربي والاندلسي، تحقيق وتقديم ابراهيم بن مراد، دار الغرب الاسلامي، 1986.
- المرتبة العليا في تعبير الرؤيا: لابن راشد القفصي، حقق في نطاق شهادة الكفاءة في البحث، لكلية الآداب والعلوم الانسانية بتونس تحت اشراف الدكتور محمد السويسي القسم الأول تحقيق حسناء التواتي والقسم الثاني: حسين المديني.
- معالم الايمان في معرفة اهل القيروان: للدبّاغ وابن ناجي. 4 أجزاء. المكتبة العتيقة، تونس 1968 - 1991.
- المقتطف من أزهار الطرف لابن سعيد الاندلسي، تقديم وتحقيق. د. سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.
- مقدمة ابن خلدون: المطبعة الازهرية. القاهرة، 1348 - 1930.
- مشارق انوار القلوب ومفاتيح اسرار الغيوب لابن الدبّاغ. تحقيق هـ. ريتز. دار صادر بيروت، 1959.

- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة
الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة لابي عبد الله محمد الفهري
السبتي. تقديم وتحقيق: د. محمد الحبيب بن الخوجة، ج 2 (تونس عند الورود)
الدار التونسية للنشر، 1982/1402.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر
وزيرها لسان الدين بن الخطيب لشهاب الدين أحمد المقرئ، 8
أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968.

- نثير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان: لابي
الوليد اسماعيل بن الأحمر، كتاب نشر تحت عنوان "أعلام المغرب والأندلس في
القرن الثامن" تحقيق وتقديم د. محمد رضوان الداية، بيروت 1976.

- النشرة العلمية للكلية الزيتونية للشريعة وأصول
الدين، (مجلة) فصل أبو الفضل التجاني كما يصوره ابن رشيد في رحلته .
السنة الأولى. العدد الأول، 1971.

- الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل الصفدي، دار النشر فرائر
شتاينر بقبادن. اجراء مطبوعة وأخرى ما زالت مخطوطة بدار الكتب الوطنية
بتونس ارقام 13320 - 13317 - 13319

- وصف افريقية والمغرب والاندلس اواسط القرن
الثامن للهجرة مقتطف من كتاب "مسالك الابصار في ممالك الامصار"
لشهاب الدين أحمد العمري، نشر وتعليق حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة
النهضة، د.ت. وأعيد نشره بمجلة "كراسات تونس". ومنه قصلة صدرت سنة
1974 عن كلية الآداب والعلوم الانسانية بتونس.

الفهرس

الصفحة

9	عبد الرّحمان الأصولي	1
11	عنان بن جابر	2
15	السّلطان ابو زكرياء الحفصي	3
29	أحمد التّيفاشي	4
48	محمد بن الأبار	5
69	ابو المطرّف بن عميرة	6
79	عثمان بن عربية	7
83	عتيق بن عربية	8
85	أحمد اللّياني	9
89	محمد الرّعينني السّوسي	10
91	أحمد الغسانني	11
107	محمد بن أبي الحسين	12
117	السّلطان المستنصر بالله الحفصي	13
121	ابو بكر بن حبيش	14
145	محمد بن شباط	15
153	الحسن بن معمر	16
159	أحمد الكبّو	17
161	عبد الحميد بن أبي الدنيا	18
163	محمد بن أبي تميم	19
175	حازم القرطاجني	20
203	علي بن سعيد	21
221	أحمد بن السّكّان	22
225	يوسف بن السّماط	23
235	أحمد بن الغمّاز	24

241	عبد الرّحمان بن الدّبّاغ	25
249	عبد الله بن هارون	26
253	اسحاق بن حسينة	27
259	أحمد التّجاني	28
265	أم عليّ التّجانية	29
267	محمد بن أحمد التّجاني	30
273	علي التّجاني	31
279	محمد بن ابراهيم التّجاني	32
283	ابو الفضل التّجاني	33
313	عبد الله التّجاني	34
345	محمد بن القوبيع	35
351	ابو البركات أيمن	36
355	أبو يحيى ابو بكر الحفصي	37
363	أبو القاسم الرّحوي	38
375	محمد الظريف	39
385	السّلطان ابو العباس الحفصي	40
389	محمد بن عرفة	41
395	عبد الرّحمان بن خلدون	42
439	محمد النّفزاوي	43
444	محمد الأبي	44
447	أحمد الشّمّاع	45
450	أبو القاسم بن ناجي	46
453	محمد بن الشّمّاع	47
456	ابو المواهب	48
463	محمد الرّصّاع	49
466	أحمد الخلوف	50
515	ابو الفتح بن عبد السّلام	51



عاش في العهد الحفصي بتونس أدبا، أثروا في
الأدب العربي وترجمت آثار بعضهم إلى لغات
أجنبية، وحصل عدد منهم على شهرة عالمية مثل
التيفاشي صاحب «نزهة الألباب فيما لا يوجد في
كتاب» و«أزهار الأفكار في جواهر الأحبار»، وكلا
الكتابين طبع وترجم إلى لغات عديدة، وكذلك
القاضي النفزاوي صاحب «الروض العاطر في نزهة
الخاطر»، وابن خلدون الذي جمعنا أشعاره في هذا
الكتاب.

وهذه مدونة لواحد وخمسين شاعرا وأديبا حفلت
بهم تونس في العهد الحفصي، وقد حاولنا أن
نستقصي نصوصهم وأن نجمع شعرهم ونقدم
نماذج من نثرهم إن كانت، وقد تميزوا غالبا
برببتهم العالية في البلاغة والبيان وترصيف
الكلام، وجلهم أصيلو أفريقية، وبعضهم نزح إلى
تونس من الأندلس في صدر الدولة الحفصية واختار
الإقامة بالحاضرة طيلة سنوات كثيرة، واضطلع
فيها بدور أدبي وعلمي نشيط، وتدل هذه
النصوص على ما بلغته الحياة الأدبية في تونس
الحفصية من ازدهار وتآلق وإشعاع كبير صارت
بها من أهم مراكز الأدب العربي مشرقا ومغربا.